المنافذ الثقافية

مجلة ثقافية فصلية مُحَكَّمة / العدد السادس و الأربعون/ ربيع/ ٢٠٢٤



- موقف "المنافذ الثقافية"

من قضايا الانتماء الفكري والأدبي والروحي

للأمة العربية والاستجابة الإيجابية للتحدّي

مجلة فصلية ثقافية محكّمة

المنافذ الثقافية

العدد السادس و الأربعون/ ربيع / ٢٠٢٤

ISSN 2708-4302



المنافذ الثّقافيّة
مجلة ثقافيّة فصليّة محكَّمة تُعنى بأحوال الثّقافة والفكر والأدب

العدد السادس والأربعون- ربيع 2024

تصميم المجلة وإخراجها: دار النهضة العربيّة

ISSN 2708-4302



موقع المجلة الإلكتروني – www.al-manafeth.com

تطلب المجلة من دار النهضة العربية – بيروت – شارع جامعة بيروت العربية
للمراسلات: 270 833 1 00961
darnahdainfo@gmail.com

الاشتراكات السّنويّة:
لبنان للافراد 20
دولار – للمؤسسات 40 دولار
باقي الدول العربية:
للأفراد 100 دولار – للمؤسسات 200 دولار
للمراسلات: chebli_omar@hotmail.com

التّثاقف أصالة وتطوّر

عمر شبلي

يعتقد بعض المثقفين الغاوين أنّ معرفة نتاج الأمم الأخرى هو غزو ثقافي يؤذي حضارتنا، ويسلبها حضورها الإبداعي، وهذا جهل بثقافتنا وآفاقها الإنسانيّة المتجذرة بأصالتها، إنّ الثّقافات المنغلقة على ذاتها هي أشبه بالغرف المغلقة، ولا نوافذ لها. وقد شهدنا عبر مسيرة التاريخ ثقافات تلاشت بسبب انغلاقها.

إنّ معرفة ثقافات الأمم عبر لغاتها هو أكثر من لقاح ثقافي وخصب معرفي، إنّه دفاع عن الذّات وسلاح لمعرفة المؤذي الوافد من الخارج وردعه، ومن حِكَمنا القديمة التي ترقى إلى مستوى المقدّس «من تعلّمَ لغة قومٍ أمِنَ شرهم»، وهنا تكون المعرفة سلاحًا، بل من أقوى الأسلحة، والجاهل لا يستطيع فهم حمل السّلاح، ولا يدرك ما حوله، لأنّه أعمى البصيرة التي تُحَوّله إلى أعمى البصر.

الغزو الثّقافي هو تسمية جاهلة، وهو إساءة لثقافتنا واتّهامها بعدم القدرة على مجابهة السّيئ الوافد الذي لا نستطيع مجابهته. ليس هناك غزو ثقافيّ إلا على الثّقافات الهزيلة العاقر عن الولادة والنّمو. أما ثقافتنا العربيّة فقد كانت قادرة على التّثاقف والاستفادة من الثّقافات الأخرى. كانت الثّقافات الأخرى قد بدأت تُتَرجم إلى اللّغة العربيّة منذ بداية العصر العباسيّ إلى أن وعَت ثقافات الأمم الأخرى، واستوعبتها وبلغت أعلى مستوياتها في عصر الخليفة العباسي المأمون وأنتجت مدارس فكريّة، وترجمت كتبًا من ثقافات الأمم الأخرى لا تزال إلى اليوم تفخر بها مكتبنا العربيّة. أقبل المأمون على طلب العلم من مصادره، فكاتب ملوك الروم وسألهم ما لديهم من كتب فلسفيّة، فبعثوا إليه ممّا كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس، وغيرهم، وأحضر مترجمين مهرة فترجموها له. وكان المأمون قد وضع حُنَين بن إسحاق رأسًا لدار الحكمة، ولم يمض وقتٌ طويل حتى تيسّرَ للطّلاب العرب أن يقرؤوا بالعربيّة قسمًا من مؤلّفات جالينوس وإقليدس وأرسطو غيرهم. لقد شعر العرب بعد مرحلة الفتح الإسلاميّ بحاجتهم للمعارف الموجودة عند الأمم الأخرى التي كانت متقدّمة عليهم كثيرًا، وسعوا للاستفادة

من علومهم الطّبيعيّة والفلكيّة والطّبيّة والكيميائيّة والرّياضيات. وبعدها بدأ يظهر علماء كبار من الذين انصهروا بالحياة العربيّة الجديدة، وبدأوا بنتاج رافدٍ للحضارة العربيّة الجديدة بعد استيعابهم نتاج ما وصل إليهم من ترجمات وافدة، مثل ابن سينا وابن النّفيس وابن الهيثم والفارابي وغيرهم. لقد نقلوا فكر الأمم الأخرى إلى اللّغة العربيّة فنما الفكر العربيّ وازدهر، وبدأ مفكرو الغرب يقولون فيما بعد: «لو حُذف العرب من التّاريخ لتأخّرت نهضة أوروبا ألف سنة»

ومن أهمّ الكتب التي تُرجمت كتاب «كليلة ودمنة» الذي كان ولا يزال من الكتب العالية الحضور في ثقافتنا العربيّة إلى اليوم، إنّه كتاب يحوي ثقافة إنسانيّة خالدة وذات غاية تعليميّة وإصلاحيّة هادفة لإنشاء مجتمع واعٍ عبر حكمةٍ رمزيّة وردت على ألسنة الحيوانات.

هل كانت هذه المعارف التي دخلت ثقافتنا العربيّة عبر التّرجمات غزوًا ثقافيًّا للعرب ولحضارتهم؟ وهل مسّ ثقافتنا خللٌ وضُرٌّ من هذه التّرجمات؟ حتمًا من الحماقة أن نقول: إنّ هذه التّرجمات غزو ثقافيّ. ربما تُرجِم إلى العربيّة ما لا يتفق مع روح حضارتنا وأفكارها، وهذا ليس ضارًّا لأنّك لا تستطيع أن تدفع السّيئ إلّا إذا عرفته وأدركت الفاسد منه لعدم وقوعك فيه، وهذا ربما كان دواءً ناجعًا للتّخلّص من سوئه، وكلما ازداد إدراكك سوءَ فكرة أو عقيدة ازداد تمسّكك بما تؤمن به، وهذا منطق الأشياء، وقديمًا قال المتنبي: «وبضدّها تتميّز الأشياءُ».

إن انغلاق أيّة ثقافة على أحاديتها إضعاف لها، ومهدد لها بالزّوال. فالنّهر يسير في غير التّربة التي نبع منها، ويبقى مخصبًا ومعطاء ويزداد تنمية كلما لامس تربة جديدة، أما إذا تحوّل مستنقعًا ومُنِع من الجريان فإنّ مصيره الجفاف والنّتن.

ثقافتنا العربيّة عميقة الجذور خصبة العطاء، وقد تثاقفت منذ القديم مع ثقافات كثيرة، ولكنها ظلّت محافظة على أصالتها ومحوّلة ما وردَ إليها إلى جزء من حضورها المعطاء.

مريم الزّرعوني: دراسة في ديوان «لم يعد أمرًا ذا أهمية»

د. صالح مهدي حميد الشكري

salih_mahdy@yahoo.ca

مقدمة

تنتمي الشّاعرة والقصصية والفنانة التشكيلية الإماراتية مريم الزّرعوني إلى جيل الشباب العربي المعاصر؛ وقد أَثرَت المشهد الأدبي والفني الإماراتي بنتاجاتها الشّعريّة والقصصية، وكرّست أعمالها الإبداعيّة لخدمة قضايا جيلها ومجتمعها. اتّسمت أعمالها بالصّدق والجرأة في الكشف عن الذّات مادامت تدرك قيمة «الكلمة» بصفتها تجسيدًا لمعنى الذّات الإنسانيّة. بدأت الزّرعوني شاعرةً، وعبّرت في أكثر من مناسبة عن انحيازها للشّعر «بشكل مطلق»، وتعزو ذلك لاهتمامها المبكّر بالمفردة العربيّة وتراكيبها اللّغويّة. صدرت لها مجموعتان شعريتان: الأولى بعنوان (تمتمات) في العام 2017، والأخرى (لم يعد أمرًا ذا أهمية) في العام 2021، وهي المجموعة التي تتناولها هذه الدّراسة. مارست مريم الزّرعوني أيضا كتابة الأعمال القصصيّة وفازت روايتها الأولى (رسالة من هارفرد) بجائزة العويس للإبداع العام 2018، وكانت عملا كُرّس لمخاطبة اليافعين، إضافة إلى مجموعة من النّتاجات القصصيّة المشتركة.

يهتم هذا البحث بدراسة مجموعة الزّرعوني الشّعريّة الثانية (لم يعد أمرًا ذا أهمية) والموضوعات التي تناولتها قصائد الديوان. تُركز الدراسة على أهم الثّيمات التي تخص الممارسات الاجتماعيّة\التربويّة التي تنتشر بين شرائح متنوعة من المجتمع المحلي والعربي التي تراها الشّاعرة بصفتها تمتلك وعيا فكريا وأبعادا ثقافية تمليها عليها رسالتها الأخلاقية والإنسانية وحتى الوطنية. من بين الممارسات التي تعدها الشّاعرة مُقيّدة للفكر الإنساني تلك الممارسات التي تُملى على الفرد العربي باسم سلطة (الذكورة)، فتحول دون تفتّح آفاق فكره على العلوم والثقافات التي تشهدها بقاع العالم الأخرى. تسعى الدراسة أيضا إلى رصد مدى تطوّر أدوات الزّرعوني ابداعيا، وعمق وعيها الاجتماعيّ\ الثّقافيّ.

مريم الزّرعوني: صوت مَن لا صوت له

أفلحت الشّاعرة والرسامة الإماراتية مريم الزّرعوني في إثبات حضورها المؤثر على الساحة الأدبية العربية، ليس بتنوّع نتاجها الأدبي والفني حسب، وإنما بقدرتها على إنتاج أعمال شعرية وقصصية ذات قيم ثيمية وجمالية تتسق مع الواقع الاجتماعيّ المحيط بحياة الإنسان العربي المعاصر. شأنها شأن الشّاعرة الامريكية (جويْ هارجو) Joy Harjoفي حوارها مع (ستيفاني سمِث) (1993) Stephanie I. Smith في تموز العام 1993، تُعَدّ الزّرعوني شاعرة «لا تخشى الكشف عن الذّات» ما دامت تتحلّى بالنزاهة في تعاملها مع «الكلمة» وايمانها بالإنسانية. لا ريب أنّ هذه النزاهة والإيمان بقيمة الإنسان الحقيقية قد حمّلتا الشّاعرة مسؤولية أخلاقيةأدبية في تسخير نتاجها الأدبيّ والفنيّ من أجل تغيير صورة مجتمعها عبر استبدال المواقف المُقيدة لحرية الإنسان التي تحول دون القيام بدوره الفاعل في تحقيق حضوره الإنسانيّ المؤثر، من خلال مواقف جديدة لا تتعارض مع جوهر «الموروث الأصيل» البنّاء ثقافيًا واجتماعيًا وعلميًا. لا يعني ذلك، ولا يفترض أن يعني أيضًا، أنّ الشّاعرة تلغي إرثها الثّقافيّ الاجتماعيّ بقدر ما يؤكد أنّها تطمح إلى أن ترى مجتمعها الذي تحبّه وتنتمي إليه أن يرتقي سُلم التميّز والازدهار. تحمل مريم الزّرعوني في ضميرها صورة مثالية رائعة عن مجتمعها وثقافتها، وطلبها أن يرتقي الإنسان فيه إلى تلك الصورة، لا يعني أنها تزدري ذلك المجتمع أو تسخر منه، بل، على العكس، تشير إلى عمق حبها إلى (ذلك) المجتمع وتلك الثقافة واعتزازها بهما.

أزعم أنّ ديوان الشّاعرة هذا ما هو الاّ سِفر ثقافي في البحث عن فضاءات شعرية مناسبة تتجلى فيها معالجة قضايا الإنسان الفكرية والاجتماعيّة والوجودية بأطرٍ شعرية وجمالية. كَرّست الزّرعوني بين الأربع وسبعين قصيدة التي يضمها الديوان أعمالا تتسم بالإيجاز الرمزي المُكّثف الذي يعيد إلى الأذهان خصائص الحركة التصويرية في الشعر الإنكليزي الحديثImagist Movement، التي تعتمد الاستعمال الموجَز للغة والمعالجة المباشرة والواضحة للموضوعة بعيدًا عن الافراط باستعمال المُحسّنات الجمالية في لغة القصيدة، التي وضع أسسها الشّاعران (ريتشارد ألدينكتن) و(عزرا باوند) Richard Aldington and Ezra Pound في بواكير القرن العشرين. لعلي

لا اغالي إذا ما افترضت أن هذه المجموعة الشّعريّة هي لوحة\قصيدة ذات فضاءات تصويرية متتالية تهتم رمزيًا بموضوعات ثقافية\فكرية متعددة، أو هي سيمفونية متنوعة الإيقاع والنغم، تعالج كلّ «جملة موسيقية» واحدة منها ثيمة محددة، وعند اكتمال المعزوفة وتنتهي السّيمفونية، وهي تتبيّن جميع القيم الموضوعة.

لمّا كانت تجارب الماضي (قريبًا كان أم بعيدًا) محفوظة في ذاكرة الفرد والمجتمع، فإنها لا تطفو على السطح، لكنها تقيم في الأعماق، وهي دون ريب، تؤثر في «الحاضر» و«المستقبل» معا يُعبّر دريدا عن ذلك بالقول أنّ «الطيفية» و«الزمن» متداخلان، فكلاهما يُحلّق بين «الماضي» و«الحاضر» ويحوم حولهما، الأمر الذي ينجم عنه طرح معلومات وقضايا تؤثران بكل من «الحاضر» و«المستقبل.» يواصل أيان هيكي Ian (Hickey: 2018, 35 التعليق على طروحات دريدا Jacque Derrida فيقول في دراسته الموسومة (المستنقع المسكون وشعر سيمس هيني) المنشورة العام 2018، بأنّ «الطيف ليس كيانًا ماديًا، لكنه، على العكس، نوع من اللاوجود الذي يمتلك وجودا غير كائن»، وعليه فأن الشّبح لا يموت، وإنما يظلّ دوما في مراحل الذهاب والإياب، أو الغياب والعودة. بناء على ذلك، لعلنا لا نغالي إذا ما افترضنا أنّ أي فكرة أو أيديولوجيا تمتلك عموما القدرة على المطاردة والظهور في أي نقطة من تاريخ الحاضر والمستقبل. ربما تُنسى بعض جوانب تلك القضايا والموضوعات، لكنها لا تزال تقبع في الأعماق تحت سطح الفهم الواعي، وأنّ بإمكانها العودة في أي لحظة زمنية. ربما كان هذا هو ما يجول في خُلد الشّاعرة عند التعامل مع موضوعات قصائدها في هذه المجموعة الشّعريّة، لأنّ أي تجربة فردية أو جمعية تتناولها قد تكون غير ظاهرة للعيان على السطح، لكنها، دون ريب، تؤثر في اللحظة الآنية، وبالضّرورة أيضا، تفعل ذلك في المستقبل: فردًا أم جماعة. إذًا، عندما تتصدى مريم الزّرعوني إلى تجارب اجتماعية شخصية\عامة، حقيقية أم افتراضية، لترفع عنها ما يُعكّر نقاء الحقيقة، فإنها تسعى إلى تشذيب تلك التجارب عمّا يلحق بها من إسقاطات ومفاهيم خاطئة.

تفتتح الشّاعرة مجموعتها الشّعريّة هذه بإحدى هذه التجارب الثّقافيّة والاجتماعيّة التي تحول دون زرع الثقة بالأجيال الجديدة، ما دامت محكومة بقوانين وعادات تُكبّل الفرد بقيود بالية ناشئة عن قيم سلطة الذكورة أو السّلطة الأبوية، وقوانين هيمنة «الهيكل

الهرمي» الاجتماعيّ والتّربويّ من دون اعتبارات لمتطلبّات التّحولّات الثّقافيّة (الإيجابيّة) المعاصرة. تدعو الشّاعرة في قصيدة (عادات) [ص:7] إلى محاكمة كل القيم المُقيّدِة لحرية الفكر الإنسانيّ التي تمارس نقل المسلّمات والمفاهيم القديمة وتمريرها إلى الأجيال الحاضرة بصفتها مسؤولية تمليها عليهم النُّظُم الأبوية والذّكورية. لا ريب أنّ مريم الزّرعوني لا تغفل الجوانب الفلسفية الاجتماعيّة لآلية إحكام السيطرة على مقدّرات الجيل بإشاعة مثل هذه المسلمات والمفاهيم. تستهلّ الشّاعرة هذه القصيدة بصورة صادمة لتستفزّ القارئ\المتلقي وتهيئه إلى التّمعّن بالمفارقة الدّرامية غير المألوفة. تنقل الشّاعرة بأناقة القارئ إلى حالة ولادة لكنها ليست ككل الولادات. توظّف الزّرعوني السّخرية السوداء بتوصيفها للبيئة والممارسات التي يدخل فيها المولود إلى الوجود: حالما يَطلّ رأس المولود «الضّئيل» الذي يرشقه الرّحم وهو «مغلوب على أمره إلى العالم»، تتلقفه جميع مسلّمات وهيمنة سلطات الماضي وهي تمارس تطبيق تلك المفاهيم قسرًا. من الواضح أن الشّاعرة تستعمل مفردة «ضئيل» ليس بمفهوم صِغَر الرأس، وإنما، على الأرجح، ترمز بهذه المفردة إلى غياب (قيمة) المولود وأهميته؛ ولعلّ ما يؤيّد هذا المنحى أن الرّحم قد رَشق الوليد، كرها، فهو «مغلوب على أمره». حالما يدخل الرّأس الضّئيل عالمه الجديد، يستقبله الجمع من حوله بـ(قلادة اللاآت)، ولا يسمع سوى «الألف حذار.» لا ريب، أن مريم الزّرعوني تستقي هذا الواقع من خلال تجاربها الشّخصيّة والمفترضة، لكنها بالتأكيد حقيقية، فهي ترى الجيل قد نَشأ على فقدان القدرة على التّعرّف والاكتشاف ما دام قد أُخضِعَ لمجموعة من الإكراهات الفكريّة التي تحرم الفرد من الحرية المرغوبة، فتتحول حياته إلى صراعات لا متناهية. تحاكم الشّاعرة أصحاب السّلطة الذّكورية لأنهم يصنعون للأطفال «مهدا مضادا للأحلام»، ويمنحون أنفسهم التخويل بـ(غلق أفواههم) ويكرهونهم على (اللاسؤال) و(السّكوت)، ناهيك عن (الخوف)، فينشأ ضائعا في غابات الرّعب، تبتلعه أشباح لامرئية. يُعدُّ وقوف الشّاعرة، بصفتها أنثى، بوجه هذه السّلطات الاجتماعيّة المهيمنة حالة من التّحدي لأسس الثقافة التربوية الذّكورية، وهو ما يجسد مواقف مريم الزّرعوني الشّجاعة بوجه الإكراه السّاعي لتكريس السّلطة الذّكورية.

يبحث الصّوت في قصائد الشّاعرة مريم الزّرعوني عن (الأصول الحقيقية) فقط، فهي ترفض الظّلال: هنا تجسّد الشّاعرة قوة التّحدي النّسوية التي تنشدها وهي تقف بوجه

(الآخر)، المجتمع الذّكوري، شخصًا كان أم كيانًا. في قصيدة (أصل وظل) يتجاهل الصّوت سبل السّيطرة التقليدية: «لست معنية سوى بالأصول\ أما الظّلال، \ فأعلم أنها صنيعةٌ، \ . . . .\ ليس لها منهم شيء.» [24] تضيف الزّرعوني حاسّة أخرى إلى مجموعة الحواس البشرية؛ فهي لا تخلق قصيدة فحسب، وإنما تستحدث حاسة جديدة، حيث يبلغ التحدي في قصيدة (حاسة الوقوف) مستوىً آخر؛ فهي لا تنظر إلى الخلف، داعية (الآخر) الحقيقي أو الافتراضيّ إلى الاستحواذ على كل شيء: «خُذ العالم، \ بل العوالم كلها»، مادامت لا حاجة لها بالصور عوض الأصول. لا تطلب الشّاعرة سوى «ساقين لا تنثنيان، \ ولا تراودهما خطيئة الجلوس،» بعد أن «اقتنعتا أبدية الوقوف، \ إلى حدّ السماء،» [ص.ص: 9-8]

بشجاعة، ترفض مريم الزّرعوني الانحناء والاستسلام للإملاءات التي تفرضها السّلطة الذّكورية، فهي ترى (الآخر) «يدسّ [عرجه] في الاستدارات، \ بينما يحرث [جوفه] لوىً\. .\ترياقه في ناب غول.» (لي: 12). ففي الوقت الذي تعتنق فيه الشّاعرة مبدأ (الأصل) ورفض (الظّل)، يبدو (الآخر) أمامها مكابرًا متكبرًا يخفي ضعفه: «يتكسّر الماء في فمك،\ يتمزق الماء في رئتيك\ تتشظى الصور في مخيلتك،» ولم يبق له غير الملح ورئتين «تضيقان بهوائهما الحزين،» حتى يكتمل الانكسار. (صورة جماعية ولا رفاق: 14-13) استمرارا لهذا التّحدي، نجد الشّاعرة، في قصيدة (أنت)، (الآخَر) «في الدار [يتيمًا]» وأنسهُ أليمًا، والطريق طويلًا، وتطلب **هي** منه أن يفلَت يده. لا ريب أنّ المُسلّمة التّقليدية الذّكوريّة هي أنّ المرأة هي مركز ضعف، لكنّ ذلك يبدو في قصائد مريم الزّرعوني زيفًا؛ حيث تداوم الشّاعرة على رفع الصّوت النّسوي عاليًا، لأن مثل هذا الكلام «عديم الجدوى\ يقايض صمتي بما تبقى بيننا\ لزجًا\ يسد المعابر.» (ما لابد منه: 42) لقد سَئمت الشّاعرة التفكير في وجه (الآخر) الشّمعي أو سماع الكلام القديم الذي يتعكّز على ثقافة التّربية الذّكورية. قي قصيدة (عودة) تتابع الزّرعوني تكرار دورة حياة إنسان مجتمعها تحت سطوة ذلك النظام وتلك القيم برمزية جميلة وتكثيف موجَز حيث يقول الصّوت في قصيدها:

يرحل الصّبي ويأتي الفتى الخَبّ،

يرحل الفتى،

ويكتمل الرّجل طيب السّمت،

المُتّزن،

يرحل الاتزان،

ويظل الرّجل **الأجرد،**

يطوي على **سوأته الأيام.** [63-64]

لا مناص من أن موضوعة التّصدّي للثقافة التربوية الذّكورية التي هيمنت على المجتمع (ولا تزال تهيمن على الكثير من جوانبه) قد شهدَت من قبل سجالات ساخنة بين الأجيال، لكنها كانت دائما تنتهي «بلا سؤال». يخاطب الصّوت في قصيدة (إلى أبي) الوالد\المجتمع ويعترف أنه «رغم جدلنا الطويل.\ وعمرينا، \ اللذين لم تروِهما المناكفات، \ انفلتت اليد،» فافتقد الصّوت الوالدَ دون التوصل إلى تفاهم، لأنه لم يكن حوارًا، وإنما مناكفات لم تروِ عطشًا، فغادر الوالد دون أن يُخبر الصّوت «على الدروب التي تبحث عنّا». يمثّل الصّوت والوالد جيلين مختلفين لا يلتقيان قط، لاختلاف الدّروب التي يسلكونها. فالدّروب\طرق التربية الذّكورية لا تمت للصوت بصلة، لهذا فأنّ ذلك الجدل الطويل، والأزمنة والمناكدات كانت جميعا «لأمرٍ لم يعد ذا أهمية»، فأضحى اللقاء غير ممكن، والجدل عقيمًا ويظلّ «السأم والأماني» هما الحقيقتان الوحيدتان. (73-72) من الواضح جدًا أنّ مريم الزّرعوني لا تخشى التعرض إلى معالجة مثل هذه الموضوعات الحساسة لأنها تمتلك النزاهة والثّقة بأطرها الفكرية وأدواتها التعبيرية. وعلى الصعيد نفسه، أفلحت الشّاعرة في توظيف البناء المعماري التشكيلي لقصائدها. قي الخطاب الشعري الذي يتطلب حوارًا أو خطابًا تحاوريًا، تخصص الشّاعرة (كما في (عادات) و(حاسة الوقوف) و(فوضى تحت الرّماد) و(إلى أبي) وغيرها) مساحة أوسع للنّص الشعري، إيحاءً بالحاجة إلى أزمنة إقناع أطول؛ أما في القصائد التي يبدو فيها حسم نتيجة الخطاب حاضرًا، فالبناء التّشكيلي مُختزل ومركّز ومكثّف جدًا لا يوحي بالسعة.

بإحساس الفنانة التّشكيليّة المرهف، تدرك الشّاعرة جيدا أهمية المعماريّة المنشودة في كل قصيدة وفق موضوعها وطريقة عرضها، لذلك فهي تجعل مساحة النّص الشعري منسجمة مع طريقة المعالجة. ونزعم، بناءً على ذلك، أنّ تنوّع تشكيلة قصائدها لم تكن اعتباطيًا؛ ففي الوقت الذي خصصت مساحة نصية واسعة في القصائد الخطابية والحوارية، فإنها، من جهة ثانية، تختزل المساحة النّصية في القصائد الأخرى التي تستدعي بناءً تشكيليا مختلفا. ولعلّ هذا السبب الذي دعاها إلى توظيف معمارية (الومضة العربيّة) أو (الهايكو) اليابانية، لأنّهما مناسبان جدًا ومعبران عن طبيعة الخطاب الشعري والثيمات التي تتعامل معها. الومضة العربية الشّعريّة، كما يعرّفها عزّ الدين المناصرة، هي قصيدة «قصيرة جدا. . . تتناسب مع الاقتصاد والسرعة، وتتميز بالإيجاز والتركيز وكثافة التوتر.» (بعلي: 2023) انتشرت الومضة متأثرة شعريا بقصيدة (الهايكو) اليابانية في بداية القرن العشرين، وثقافيا بسرعة التطورات التي شهدتها جميع حقول المعرفة، وحركات التغيير المتسارعة التي هزّت العالم، فما عاد الإنسان مستعدًا لتقبل إيقاعات الحياة على جميع أصعدتها؛ فكانت الحاجة إلى الومضة العربية. نزعم أنّ الومضة العربية (أيا كانت مسمياتها) قد تَمّ تبنيها وفق قصيدة (الهايكو) اليابانية بعد إخضاعها إلى تغييرات بنوية مناسبة، تماما كما حصل مع حركة الشعر الإنكليزي. فاذا كانت (الهايكو) تعتمد المقطعية في تشكيل أبياتها الثلاثة (5 – 7 – 5)، جاءت الومضة العربية متباينة الأبيات عددا ومقاطع صوتية، لكنها احتفظت بصرامة بصور الطبيعة وتفاصيلها، لدرجة أنها لا تزدري أيّة صورة منها. تصف النّاقدة (لورين أليس هار) Lorraine Ellis Harr:1975, 111-113 ما يحدث في مثل هذا النموذج الشعري بأنه ليس «قصيدة صغيرة» وانما هي «نمط فني مميز»، وتنقل عن النّاقد (أيان وات) Ian Watt قوله بأن ما يحدث في القصيدة هو «حصى مرمية في بحرة فكر المتلقي» فيستدعي ذلك ارتباطات من ذاكرته لم يتوقعها فتثير لديه مشاعر الإعجاب والانبهار والتّرقب.»

تقترب مريم الزّرعوني بهذا التّوظيف المعماري من أداء الشّاعر والرّسام الأمريكي (أي. أي. كَمِنكز)E. E. Cummings، حيث عُرِف هذا الشّاعر بتجديده في شكل القصيدة وتصاميمها (التي قد يعدّها البعض خارجة عن المألوف). لا أزعم أن

الزّرعوني اقتفت إثر كَمِنكز بانحيازها صوب اللامألوف في قصيدة الومضة العربية كما فعل الشّاعر الأمريكي الذي أباح لنفسه حرية الانحراف عن الكثير من الاستعمالات المألوفة، بما فيها رسم اشكال الحروف الإنكليزية وبناء الجمل وحتى قواعد النحو، لكنها حقا حققت نجاحًا مميزًا في تشكيل القصيدة معماريًّا وثيميًّا. كما أفادت الشّاعرة كثيرًا من مواهبها الفنيّة في الفنون التّشكيليّة في تحويل القصيدة إلى لوحة ذات دينامية وحركيّة لا تبهر المتلقي فحسب، وإنّما تفجّر فيه مشاعر كثيرة وتضفي مزيدًا من الانبهار والجمالية.

تزخر مجموعة الزّرعوني الثّانية (لم يعدأمرًا ذا أهمية) بالعديد من القصائد القصيرة جدًا التي قد تنضوي تحت مظلة الومضة\الهايكو، مما أضفى مزيدا من التنوّع والجمالية والشّعريّة، فأصبح القارئ أمام نصوص\لوحات تُكتب\تُرسم بالقلم والفرشاة معا. ففي قصيدة (بَرد) ذات البيتين بخمس كلمات، ترسم مريم الزّرعوني لوحة غاية في التّكثيف؛ والأجمل من ذلك كله، أنها تمنح (الكلمة) مشاعر عميقة الأحاسيس: «صوتها مدفأة.\ تسعُ حطب روحة.» (34) إذا، لا أمل من توافق الآراء وتبادل المشاعر، ما دام صوتها دافئًا، وروحه لا حياة فيها. اختصرت الشّاعرة هذه الفكرة ببضع كلمات جاءت سريعا ولا تخلو من الانبهار، وهذا هو إيقاع الومضة. في قصيدة (في ساق الوردة. . ممشى شائك) تُدهش الشّاعرة القارئ كيف أنّ الأشياء تفقد خواصّها عندما تسكن الفضاآت المناسبة: «الشّوكة التي أدمت قلبه\ أغراها الدّفء، \ صارت بستان ورد.» (51) فالشّوكة التي اعتادت أن تُدمي الأنامل وتسبب الألم قد صارت بستان ورد، حالما سكنت بيئة مختلفة فتنازلت عن خواصها وتوالدت بساتين أزهار. تدعو الشّاعرة المتلقي أن يتدبّر في سبب هذا التحوّل: لم يتخلّ القلب المدمى عن دفء مشاعره، فدفع الشّوكة أن تغير من جلدتها! تواصل مريم الزّرعوني إبهار المتلقي من خلال أناقة التعامل مع المفردة بطريقة رائعة ومبتكرة. ففي قصيدة (من تاريخ الجنون) حيث الاستعمال الجمالي والمؤثر: «الحب\ معتوه يهيم في الحي بلا وجهة\ تضحك عليه المارة\ هو يبكيهم\ وينعى قلوبهم.» (47) تنطوي عبارتا (الحب) و(معتوه) على مرجعية تاريخية، فالموروث العربي الاجتماعيّ عن الحب وارتباطه بالجنون يرجع إلى عصور تاريخية سالفة جدا، لكنّ المفارقة تكمن في ردود أفعال (المارة) والعاشق: فالمارة تضحك عليه ساخرة من جنونه، وهو يبكيهم و»ينعى قلوبهم» التي فارقها الدفء والحياة. في هذه القصيدة، تحمل

مفردتا (يضحك) و(يبكيهم) معنيين لا يتّسقا مع دلالاتهما المعجمية؛ فَمَن (يضحك) حقا ليس المارة، إنما العاشق المعتوه، فهو يحمل قلبًا ينبض بالحياة والمشاعر الإنسانية. أما في قصيدة (حلم)، فثمة لوحة زيتية جامدة تمنحها الشّاعرة ببراعة دينامية معبّرة: «ليل الشّاطئ، \ وقت يمضيه، وهو يركل البحر، انه حلم مضحك.» (20) عندما يطّلع القارئ على القصيدة، ويحاول تصوّر اللوحة، يراها لوحة جامدة فحسب، لا روح فيها ولا حركة. أضفت مريم الزّرعوني بين (ليل) في البيت الأول و(حلم) في الرّابع ما ينقل اللوحة\القصيدة من السكون الهادئ إلى الحركة والدّينامية، فكانت مفردتا «يمضيه» و«يركل». أفترض أن المشهد\اللوحة قد انتقل الآن إلى صورة مختلفة: الحالم في هذه القصيدة يتحدى الزمن وتأثيراته، فكان الحلم **مضحكًا**.

لا أخفي أنّ الشّاعرة والفنانة مريم الزّرعوني تستحق كل التقدير والتشجيع، ليس لأنها شاعرة فحسب، وإنما لأنها أديبة وفنانة تشكيلية تعمل بجد ونشاط وصمت الواثق من نفسه ومن قدراته، فهي دؤوبة على ممارسة نشاطها الشّعري والأدبي في البلدان العربية، زيادة على مشاركاتها في دول أخرى، ومثلها هنا مَثَلُ الشّاعر والرسام الإنكليزي (وليم بليك) William Blake الذي يؤمن بأنّ «النّشاط هو المتعة الأزلية»، خصوصا في هذا العالم المادي الجديد الذي يراه العالِم الفيزياوي (ريتشارد فينمان) Richard Feynman منقطعا عن، او فاقدًا، لـ (السّحر) ما دام العلم والماديّة قد ألغيا الأمكنة غير المرئية «للروح» حيث كانت الملائكة والشّياطين تقطن: (Valiunas: 2018, 61) . لا يزال الشّاعر والفنان يعتقد بوجود العجائب والغرائب في الطبيعة، ما دامت تمنح الإنسان الفرص الكثيرة للتّغيير. لا ريب أنّ متعة النشاط التي تمارسها مريم الزّرعوني كانت من بين دوافع التطوّر الملموس في أدواتها الفنية وجماليتها، ناهيك عن إخلاصها الصّادق في التّصدّي للمشكلات والمعوّقات التي تراها سببا في تأخر أبناء مجتمعها. من اللافت للاهتمام حقا أنّ الشّاعرة قد تبنّت معالجة هذه الموضوعات، ليس في مجموعتها الشّعريّة حسب، وإنما أولتْ هذه الثيمات مساحة واسعة في أعمالها القصصية، ولعلّ روايتها (رسالة من هارفرد) مثالا رائعًا أيضًا. لا ريب أنّ إنجازات الزّرعوني المؤثّرة قد أفلحت في احتلال الشّاعرة الرّيادة في المشهد الأدبيّ النّسائيّ في الإمارات العربيّة، فقد كرّست صوتها

لتتحدّث عن الهموم التي يعيشها أبناء بيئتها المحلية والعربية مجسِّدة بذلك تحقيق رسالة الأديب والمثقف الحقيقي في الأزمنة العصيبة.

الخاتمة

من الواضح أنّ مريم الزّرعوني مجبولة على الاهتمام بالهموم المحلية والشّخصيّة بصفتها مظهرًا من مظاهر الهموم الإنسانية العامة، لكنّ مثل هذا الاهتمام لا يعني أنها نأت بنفسها عمّا تعانيه شرائح واسعة من أفراد مجتمعها. قد يفترض القارئ لديوان الشّاعرة الأول (تمتمات) الذي جاء ضمن (إبداعات شابة) أنّ الزّرعوني تكرّس نتاجها البكر لتناول هموما شخصية، تم التعبير عنها بلغة شعرية أنيقة محمّلة بفيض من المشاعر، وغنية بالصور الشّعريّة التعبيرية. في قصيدة (عبث) التي تفتتح بها الشّاعرة ديوانها تجتمع أغلب هذه الخصال ذات النبض الجمالي والمشاعر الذّاتية الرقيقة. تبدأ القصيدة برسم لوحة تبدو فيها البيئة والفصول قد غيرت من طبيعتها: «هذا الشّتاء الاسم على غير مسمى» و «البرد العصيّ على صحرائه البائسة»، ثم ينتقل صوت الشّاعرة صوب الذات حيث يُكثِر من ترديد ضمير المتكلم (أنا): «وأنا التي هي ندك أنت\ وأنا، وأنت\ وأنا، وأنا...» يوحي هذا التركيز على الذّات بنبض عاطفي شفاف بأن الشّاعرة قد منحت التجربة الشّخصيّة مساحة مهمة في قصائد هذا الديوان. أمّا في ديوانها الثاني (لم يعد أمرًا ذا أهمية)، تبدو الزّرعوني أكثر اهتمامًا ووعيًا بالتجارب الاجتماعيّة والإنسانية. ما دامت الشّاعرة تحمل رسالة التغيير وما دامت قد منحت صوتها لمن لا صوت له، فهي تُعد ذلك جانبا من رسالتها ومسؤوليتها الإنسانية والثّقافيّة. نزعم أنّ التّجربة في المجوعة الشّعريّة الثّانية لم تَعد ذاتية فحسب، وإنّما كانت تجربة يمتزج فيها (الخاص) بـ(العام). تجربة (الصّوت) هنا هي تجسيد لجميع الأصوات التي تبحث بإخلاص ونزاهة عن معالجات لما يحدث في المحيط الإنساني، فيحرمه من القدرة على التّحرّر من قيود وممارسات قديمة قد تحول دون سعيه للحاق بقوافل الرّقي والتّطوّر علميًا وثقافيًّا واجتماعيًّا.

ثبت المراجع

أ.   في اللغة العربية:

1. الزّرعوني، مريم. لم يعدأمرًا ذا أهمية. بابل: أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، 2021.

2. بعلى، د. حفناوي، «شعرية التوقيعة في شعر عز الدين المناصرة»، ملحق الرأي، 28\ 11\ 2023.

ب.   في اللغة الإنكليزية:

1. Harr, Lorraine Ellis, “Haiku Poetry,” The Journal of Aesthetic Education, Vol. 9, No. 3 (July, 1975), 111-19.
2. Ian, Hickey, “ The Haunted Bog and the Poetry of Seamus Heaney”, Nordic Irish Studies, Vol. 17, No. 2, 2018. 35-54.
3. Smith, Stephanie Izarak, “Joy Harjo: An Interview,” Poets and Writers Magazine, (August, 1993)
4. Valiunas, Algis, “Richard Feynman and the Pleasure of Principle,” The New Atlantics, No. 55, (Spring-2018), 61-84.

العدالة والمساواة ومظاهرهما في القانون والشّريعة

الشيخ الدكتور علي طالب[1]

مقدّمة

تعدّ مبادئ العدالة والمساواة والإنصاف ومثيلاتها من جملة المبادئ الحقوقيّة والواجبات الإنسانية التي أقرتها الشرائع الدّينيّةّ والمواثيق الدّوليّة منذ قرون، وقد باتت اليوم من الرّكائز الأساسية في هذه التّشريعات، وهي تهدف إلى تنظيم سلوك الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وتنسجم انسجامًا وثيقًا مع العقلانيّة والحق والاستقامة.

وقد أقرَّ الإسلام مبدأ العدالة من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [2]، كما أقرّ مبدأ المساواة من خلال قول رسول الله (ﷺ): «النّاس سواسية كأسنان المشط... لا فضل لعربيّ على أعجمي إلا بالتّقوى» [3]، وغيرها من الآيات والأحاديث التي تؤكد المعنى نفسه.

وفي الإطار ذاته كرّست القوانين الدّوليّة هذين المبدأين، وعدتهما من جملة الحقوق التي تنادي بها البشريّة في طبيعتها، كون النّاس يولدون متساوين، وتهفو أنفسهم لإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل سواء عبر القضاء، أو عبر القوانين المحلية والدّوليّة.

في هذا البحث سأحاول معالجة إشكاليّة العدالة والمساواة بين القانون والشّريعة وفقًا للتّساؤلات الآتية:

- أين تظهر مصاديق العدالة والمساواة فيما طرحته المنظمات الدّوليّة والشّريعة الإسلاميّة؟
- بعدما باتت قضية المساواة شعار الديمقراطيّات الحديثة، أين تكمن جوانب التميُّز لهذا الشّعار؟ وهل ثمّة إبداعات تفرّدت بها المواثيق والعهود العالميّة وأثبتت فيها نجاحها؟

(1) رئيس قسم الشّريعة في كلية الدّراسات الإسلاميّة (الجامعة الإسلاميّة في لبنان)
(2) القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 90.
(3) محمد بن بابويه المعروف بالصدوق، من لا يحضره الفقيه، انتشارات اسلامي قم – إيران، 1413 هـ.

- إذا كانت العدالة تعبّر عن الميزان الاجتماعيّ الذي من خلاله يتمّ إحقاق الحقّ وإبطال الباطل بحسب الشّريعة والقانون، فما هي جوانب الالتقاء والانسجام بين مطارحات المنظمات الدّوليّة وتعاليم الشّريعة الإسلاميّة فيما يخص هذا المبدأ؟

وقد أملت علينا طبيعة هذه الدّراسة اعتماد المنهج الوصفيّ- التّحليليّ، وذلك عبر توصيف النّصوص القانونيّة والشّرعيّة المتعلّقة بمبدأي العدالة والمساواة، ومن ثم تحليلها، وصولًا إلى استنتاجات علميّة في هذا الصّدد، إضافة إلى اعتماد المنهج المقارَن عند مقايسة هذه المبادئ بالنّظر إلى الشّريعة والقانون، وبيان نقاط الاتفاق والافتراق بينهما.

تجدر الإشارة إلى أنني تناولت هذا الموضوع وفقًا للعناوين الآتية:

أولًا: العدالة والمساواة القانونيّة

أ - تعريف العدالة والمساواة

ب - العدالة والمساواة الطّبيعيّة

ت - موقعية العدالة والمساواة في القانون

ثانيًا: العدالة والمساواة في الإسلام

أ - مبدأ العدالة في التشريع الإسلاميّ

ب - مكانة العدالة في الإسلام

ت - الحكمة من العدالة والمساواة

ث - الاستثناءات على مبدأ المساواة في الإسلام

ثالثًا: مظاهر المساواة في الإعلانات العالمية

أ - الشرائع الدّوليّة والمواثيق الدّستورية

ب - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

ت - الإعلان الإسلاميّ لحقوق الإنسان

أولًا: العدالة والمساواة القانونيّة

في المباحث العلميّة لا بد أولًا من تعريف المفاهيم التي يدور حولها الموضوع المطروح، وإعطائها دلالاتها المناسبة في اللّغة العربيّة والاصطلاح العلميّ قبل الدخول في أعماق البحث، ومن هذا المنطلق سنبحث بداية في معنى كل من العدالة والمساواة بحسب ما جاء في كتب اللّغة والمصادر القانونيّة والشّرعيّة ووفقًا للطّرح الحديث.

أ- تعريف العدالة والمساواة

ليس من اليسير صياغة تعريف دقيق لكل من العدالة والمساواة، إذ يتطلّب الأمر عرض العديد من الآراء ومناقشتها وبيان نقاط ضعفها وقوتها، إضافة الى صعوبة توفر عناصر التعريف المنطقيّ في مثل هذه المفاهيم الوصفية، ولكن بالرغم من ذلك يمكن شرح المقصود منها واختصار أبرز الآراء الوازنة في هذا الإطار.

1- العدالة

تأتي كلمة «العدل» في اللّغة العربيّة بمعنى التّسوية أحيانًا، وبمعنى الإنصاف أحيانًا أخرى[1]، كما يُقصد منها الاعتدال في الأمور واعتماد الحالة الوسطى[2]. وإقامة العدل تعني الحكم بين النّاس بالسوية، وعَدَلَ بين المتخاصمين: أي أنصف بينهما وتجنّب الظلم والجور[3].

وفي الاصطلاح القانونيّ تعدّ العدالة واحدة من المصطلحات القضائيّة التي تعني إحقاق الحق وإبطال الباطل، وعدم الانحياز إلى طرف من المتخاصمين دون آخر، ولذا يقوم هذا المفهوم على مبدأ الحقّ والقانون والعقلانيّة، ويرتبط بالقضاة والمحاكم بشكل أساسي. كما استند تعريف العدالة في موارد أخرى على تقسيمها إلى إصلاحيّة وتوزيعيّة، حيث يُقصد بالأولى معاقبة المخالفين للقانون، ويقصد بالثّانية إعطاء كل فرد ما يستحقه من الأجر بحسب مجهوده [4].

أما في الاصطلاح الدّينيّ، فقد استعملت العدالة بمعنى رعاية حقوق الآخرين، وهي

(1) معلوف، لويس: المنجد في اللغة، ط12، دار المشرق، بيروت، 1982، ص 491.
(2) الشرتوني، سعيد الخوري: أقرب الموارد في فصح العربية والشواهد، ج 2، د.ن، د.ت، ص 753 .
(3) مجمع اللغة العربية في القاهرة: المعجم الوسيط، نشر دار الدعوة، القاهرة، 2010 .
(4) كيسلاسي، إيريك: الديمقراطية والمساواة، ترجمة جهيدة لاوند، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، 2006، ص 115-116.

ضد الظّلم الذي يعدّ اعتداءً على حقوق الآخرين، وعلى ضوء ذلك جاء تعريف العدل بأنّه: «إعطاء كل ذي حقّ حقّه» [1]. وقد عرَّفه رفاعة الطهطاوي بأنه: «وضع الأشياء مواضعها» [2] اعتمادًا على ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) في نهج البلاغة: «العدل يضع الأمور مواضعها» [3].

وبيان ذلك: إنّ لكلّ شيء وضعًا خاصًا يقتضيه، أو موقعًا مناسبًا يستحقه، إمّا بحكم العقل أو الشّرع أو القانون، فالعدل هو رعاية ذلك الوضع الخاص أو الموقع المناسب، وعدم الانحراف عنه يمينًا أو يسارًا، وقد ورد في الحديث عن النبي محمد (ﷺ): «بالعدل قامت السّماوات والأرض»[4].

2- المساواة

أما المساواة فهي أقرب المفاهيم الى العدالة، لكنّها ليست العدالة نفسها، وهي في اللّغة تعني المماثلة والمعادلة قدرًا وقيمة [5]. ويساويه أي: يعادله أو يماثلة. وساوى بينهما في العطاء: أي أعطاهما بقدر واحد.

وفي الاصطلاح القانونيّ، المساواة مصطلح سياسيّ يُقصد منه أن يتساوى المواطنون في الحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها دون تمييز بينهم على أساس الجنس أو العرق أو الدّين أو اللّغة أو اللّون أو ما شاكل ذلك، ودون تفاضل إلا على أسس موضوعية نصَّ عليها القانون.

كما يمكن القول إنّه يقصد بالمساواة بوجه عام المساواة أمام القانون، التي تعني أن يكون الأفراد جميعًا متساوين في المعاملة، متكافئين في الفرص، لا تمييز لأحدهم على آخر، بما يؤدّي الى القضاء على امتيازات الطبقات والطوائف وغيرها[6].

من هنا يمكن القول إنّ الميزة الأساسية بين المساواة والعدالة بحسب القانون المدني هي أنّ المساواة تتعلّق بالحقوق والواجبات للمواطنين، في حين أنّ العدالة إنما تستخدم

(1) مصباح يزدي، محمد تقي: دروس في العقيدة الاسلامية،ج 1، دار الحق، بيروت، 1993، ص 190 .
(2) الطهطاوي، رفاعة: مناهج الألباب المصرية. راجع: الحريات العامة وحقوق الانسان، عيسى بيرم، دار المنهل اللبناني، بيروت، 1998، ص183.
(3) الامام علي بن ابي طالب: نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، باب المختار من الحكم، الحكمة 429 .
(4) الاحسائي، محمد بن ابي جمهور: عوالي اللئالي، ج 4، نشر سيد الشهداء، قم – ايران، 1403هـ، ص 103.
(5) الزبيدي، محمد: تاج العروس، المجلد العاشر، الجزء 38، دار ليبيا للنشر، ليبيا، 1966، ص 329 .
(6) حلمي، محمود: المبادئ الدستورية العامة، دار الفكر العالمي، بيروت، 1964، ص 360.

لإحقاق الحقّ بين النّاس، لكنّهما معًا يعدّان عاملين رئيسيين في استقرار المجتمع.

أمّا في الاصطلاح الشّرعيّ، فإن علماء الإسلام يتعاملون مع مفهوم المساواة كونه يعني التّعامل مع جميع الكائنات بالسّوية، مع غضّ النّظر عن المميزات الطّبيعيّة والكفاءات والاستحقاقات، ويقولون بما مفاده: إنّ المساواة تعني أن يتّخذ المعلّم مثلًا موقفًا واحدًا من جميع طلابه فيساوي بين المجتهد والكسول، وأن يقسّم القاضي المال المتنازع عليه بين المتخاصمين، علمًا أن المعلّم العادل هو الذي يمنح الدرجة العلميّة لكل طالب بمقدار ما يستحق، والقاضي العادل هو الذي يوصل المال الى صاحبه [1].

ويمكن تقريب الفكرة بحسب الشّرع بأنّ الميزة الأساسية بين المساواة والعدالة تتلخّص في أنّ الأولى تعني إعطاء الجميع القدر نفسه بغض النّظر عن استحقاق كل فرد، بينما الثّانية تعني إعطاء كل شخص ما يستحقه فقط، سواءً كان ثوابًا أو عقابًا أو اعترافًا بحقّ أو غير ذلك، ولذا يؤكد علماء الإسلام أن المساواة بهذا المعنى قد تكون ظلمًا في بعض الحالات، كما لو أعطيت عاملين أجرًا متساويًا وهما يختلفان في كمية الإنتاج [2].

من هنا يميل فقهاء الشّريعة الى جانب العدالة، وينادون بها، لأنهم يرونها أكثر قسطًا وإنصافًا في الحكم بين النّاس، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[3]، ولكن من دون أن يتخذوا موقفًا سلبيًا من المساواة بالمعنى الحديث، إلا إذا تعارضت مع النّصوص الدّينيّةّ على ما سيأتي توضيحه في الصفحات القادمة.

3- المساواة وفقًا للطرح الحديث

لكن، اذا أردنا التّدقيق في المسألة، فإنّ الإشكاليّة التي طرحها علماء الإسلام على مفهوم المساواة الحديث ليست في محلها، لأنّ المساواة وفقًا للطرح المعاصر لا تعني التّعامل مع جميع الكائنات بالسّوية حتى مع اختلاف الميزات الطّبيعيّة والكفاءات الشّخصية ومستوى الانتاج وما إليها، وإنّما تعني إعطاء كل فرد من أفراد الإنسان حقوقه السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة بشكلٍ متساوٍ مع الآخرين، من دون تمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدّين أو اللّغة أو اللّون ....، وما ذلك إلا من أجل إلغاء الطّبقات والامتيازات لبعض أنواع البشر على حساب الآخرين.

(1) مصباح يزدي، محمد تقي: دروس في العقيدة الاسلامية، م.م، ج1، ص 191 .
(2) قاسم، محمد حسن: المدخل لدراسة القانون، ج1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2005، ص 12.
(3) القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 90 .

ومن هنا، فالطّرح الحديث للمساواة لا يلغي الفروقات الطّبيعيّة بين البشر، ولا ينفي التّمييز على أساس الكفاءة العلميّة أو الصحيّة أو العمريّة في تولي الوظيفة العامة على سبيل المثال، ولا يمنع من التمييز أحيانًا على أساس القدرات الجسدية والطاقات الانتاجية، وما وجود الاستثناءات على مبدأ المساواة التي نصَّ عليها القانون الوضعي[1] إلا دليل ساطع على الأخذ بالفروقات الشّخصيّة، لبداهة عدم عقلانيّة التّعامل مع كلّ النّاس على قدر واحد في حال اختلاف الاستعدادات والشّروط.

وعلى سبيل المثال، عندما يقرّر القانون المدنيّ مبدأ المساواة أمام الأعباء العامة ويفرض الضّرائب والرّسوم على الأفراد، فإنه يلحظ توزيعها تبعًا لإمكانات المواطنين، وهذا يعني أن المساواة الحديثة هي تعبير آخر عن العدالة، وليست مساواة بالمعنى الحسابي الضيّق كما فهم ذلك بعض الباحثين.

ب- العدالة والمساواة الطّبيعيّة

تعتبر العدالة والمساواة من جملة الحقوق الطّبيعيّة للإنسان، والتي يشعر بحاجته إليها في فطرته، وهي راسخة في غريزته، على غرار مبادئ الحقّ والحريّة والسلام والكرامة الإنسانيّة والملكيّة الفرديّة ومثيلاتها، التي ينادي بها كل عاقل حرّ، كونها حاجات ثابتة في طبيعة الكائن البشريّ منذ نشوئه وتكوينه.

وتوضيحًا لهذا الكلام فإنّ الحقوق الطّبيعيّة تعني أنّ هذه المبادئ مغروسة في طبيعة الإنسان، وهي ملازمة لشخصه لا تنفك عنه بالإرادة، فهو يباشرها طالما أنّه إنسان قد خلقه الله حرًا يبحث عن الأمن والسّعادة والرفاهيّة، وله حقّ التّمتع بمبادئ الحقّ والعدالة والمساواة «كهبة مستمدّة من الله، لها قداستها المطلقة، وتعلو على أمر الحاكم، وكل ما خالفها يعدّ باطلًا» [2].

وبطبيعة الحال، لمّا كانت قوانين الدّول تخضع للقانون الطّبيعيّ، فقد وجب عليها أن تكفل الحقوق الطّبيعيّة للإنسان، وفي هذا الإطار يرى الفيلسوف الإنجليزيّ جون لوك إنه: «ما دام النّاس قد خلقوا بطريقة واحدة وهم من نوع واحد فيجب أن يكونوا متساوين

(1) من قبيل استثناء الأجانب من تولي الوظائف العامة لأسباب تتعلق بالشعور بالانتماء للوطن والاخلاص له.
(2) خضر، خضر: مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الإنسان، ط 3، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، 2008، ص 60.

فيما بينهم بلا تبعية أو خضوع»[1].

علمًا أنّ فكرة القانون الطّبيعيّ كأساس لمبادئ العدالة والمساواة والحريّة وغيرها، قد ظهرت على مدى مراحل تاريخيّة متعاقبة، إذ يرى أكثر الفقهاء إنّ أوّل من اكتشفها فلاسفة اليونان من أمثال أفلاطون وأرسطو، ثمّ بدت بشكل أكثر وضوحًا في كتابات الرّواقيين[2]، لاسيما الخطيب الروماني شيشرون[3]، ثم ظهرت على أساس دينيّ في أفكار توما الإكويني[4] في العصر الوسيط، إلى أن تبلورت أخيرًا على أساس علميّ في مدرسة القانون الطّبيعيّ في عصري النّهضة والأنوار[5].

وبالرّغم من انبثاق العدالة والمساواة من طبيعة الإنسان، إلا أنّ البشريّة قد عانت على مدى قرون متمادية من غياب هذه الحقوق نتيجة ظلم الطّواغيت وجور السلاطين، فقد تمّ استعباد الإنسان واضطهاده وإذلاله وتعذيبه وسفك دمه وو... ما حدا بالشّعوب إلى النّهوض بثورات عارمة للمطالبة بإعادة حقوقها الطّبيعيّة الممنوحة لها من قبل الرّب دون منّة من أحد[6].

ومن الواضح أنّنا عندما نتحدّث عن المساواة، إنّما نقصد عدم التّفرقة بين الأشخاص في الحقوق والواجبات، كونهم يولدون متساوين في الطّبيعة الإنسانية، ولكون كلّ فرد منهم من بني الإنسان، وليس المقصود أن تتساوى النّاس في خلقتها وتكوينها الشّخصيّ، لبداهة وجود التمايز والإختلاف على مستوى الجسد والإدراك العقلي، وفي الإستعدادات والقابليّات.

وبناءً عليه، فالمساواة في الطّبيعة يُراد منها أنّ لكلّ فرد من أفراد الإنسان حقوقه الطّبيعيّة بشكل متساوٍ مع غيره بحكم كونه إنسانًا، ومن هذا المنطلق عبَّر بعضهم عنها

---

(1) نقلًا عن: العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2013، ص 34.

(2) الرواقية مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف اليوناني زينون السيشومي في أثينا في بدايات القرن الثالث قبل الميلاد، تتدرج الرواقية تحت مسمى الأخلاقيات الشخصية التي تُستمد من نظامها المنطقي وتأملاتها على الطبيعة.

(3) شيشرون: خطيب روماني، سياسي وأديب، من أشهر خطباء روما وأعظم كتّاب اللغة اللاتينية، وعضو مجلس الشيوخ الروماني القديم، ولد سنة 106 قبل الميلاد، صاحب إنتاج ضخم يعتبر نموذجاً مرجعياً للتعبير اللاتيني الكلاسيكي.

(4) توما الأكويني: فيلسوف ولاهوتي إيطالي كاثوليكي شهير، ولد في مملكة نابولي عام 1225 م، من أتباع الفلسفة المدرسية، ومن أعظم المعلمين في الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، طوِّب قدّيساً، وتوفي عام 1274 ميلادية في إيطاليا.

(5) خضر، خضر: مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الإنسان، م.م، ص 62.

(6) العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، م.م، ص 9.

بالمساواة النسبية التي لا تنكر الإختلافات بين الأفراد في المواهب والقدرات[1].

ج – موقعية العدالة والمساواة في القانون

احتلّت مبادئ العدالة والمساواة والانصاف ومثيلاتها موقعًا ساميًا في التّشريع القانونيّ، كما اكتسبت طابع الصّدارة في منظومة القيم الأخلاقية منذ عهد الإغريق، فقد عدّ أرسطو الصّفات الفاضلة هي الصّفات العادلة، وهي التي تتّخذ من الوسط والاعتدال منهجًا، فالشّجاعة فضيلة عادلة لأنّها وسط بين إفراط هو التهوّر وتفريط هو الجُبن، والكرم فضيلة عادلة لأنّها وسط بين إفراط هو الإسراف وتفريط هو البخل، وهكذا بقية الصّفات.[2]

وقد استهوت فكرة العدالة العديد من الباحثين المعاصرين، حيث علّق فقيه القانون الدّستوري إدمون ربّاط عليها بأنّها: «الحقّ الطّبيعيّ لكل إنسان في كل زمان ومكان، وأنّها شغلت التّفكير الإنسانيّ على مرّ التاريخ دون انقطاع» [3]، أما الأستاذ في القانون الدّولي أحمد عشّوش فيعدّها: إحساسًا أخلاقيّا راسخًا «في الضّمير الاجتماعيّ، يستلهمها القاضي من أجل تحقيق قاعدة قانونية لتطبيقها على نزاع معين» [4].

نستنتج من ذلك، إنّ مبدأ العدالة يعدّ من جملة المبادئ التي لها ارتباط وثيق بالأخلاق، بل هي من أسمى المفاهيم القيمية ذات المضمون الإنسانيّ، يتوق إليها الفقه والقانون من أجل ترسيخ الحقّ الطّبيعيّ وإعطاء كل ذي حق حقّه، وفي هذا الإطار يقول أستاذ القانون الإداريّ القاضي عدنان نعمة: «إن مبادئ العدالة والإنصاف ليست أرقامًا حسابية يمكن إخضاعها لقواعد الرياضيات والعلوم المجرّدة، وإنّما هي حقائق إنسانيّة تخاطب العواطف والأحاسيس كما تخاطب العقل والفكر، ومن أجل ذلك لا يمكن عند تطبيقها إغفال البعد الإنساني» [5].

وكذا الحال بالنّسبة الى مبدأ المساواة، فقد كانت ولا زالت غاية سامية تسعى إليها الشّعوب الحرّة، وهدفًا عزيزًا تهفو إليها المجتمعات المتحضرة، ويسهر على تحقيقها

(1) بيرم، عيسى: الحريّات العامّة وحقوق الإنسان بين النص والواقع، دار المنهل اللبناني، بيروت، 1998، ص 178.
(2) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 190.
(3) ربّاط، إدمون: الوسيط في القانون الدستوري العام، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص 35.
(4) عشوش، أحمد: قانون العقد بين ثبات اليقين واعتبارات العدالة، دار النزهة، القاهرة، 1984، ص120.
(5) نعمة، عدنان: مبادئ العدالة والإنصاف، منشورات زين الحقوقية، بيروت، 2006، ص 27.

رجال السّياسة والقانون من أجل تحقيق التّوازن في العلاقات الاجتماعيّة.

وتقترن المساواة اقترانًا وثيقًا بالعدالة، ففي أحيانٍ كثيرة يتوقف تطبيق العدالة على المساواة، كونها جزءًا لا يتجزّأ منها، وفي هذا الإطار يقول أستاذ القانون العام عبد الغني عبد الله: «إذا حدث خرق لمبدأ المساواة أمام القضاء في مجتمع من المجتمعات... فلن يكون للعدالة وجود في ذلك المجتمع» [1].

وقد أخذ مبدأ المساواة مكانًا بارزًا أيضًا في جميع الإعلانات العالمية لحقوق الإنسان منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم، لا سيما «إعلان فرجينيا» للحقوق الصادر عام 1776 في الولايات المتحدة الأميركية، وإعلان «حقوق الإنسان والمواطن» الذي صدر إبّان الثورة الفرنسية في العام 1789، و«الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر من العام 1948.

كما أخذت معظم الدّساتير العالميّة المعاصرة بهذا المبدأ، حتى بات ركنًا أساسيًا من أركان الأنظمة الحديثة، لما له من أهمية قصوى ترتبط بالقيم الإنسانيّة والحريّات والديمقراطيّة، ولما يحقّقه من عدالة بين المواطنين في التّعامل معهم على قدم المساواة دون تفرقة أو تمييز.

ومن الجدير ذكره أنّ مبادئ العدالة والمساواة اليوم قد منحتها الدّساتير العالميّة مرتبة الصّدارة في منظومة القواعد القانونيّة على ما عداها، لا سيما في الحقل القضائيّ، وذلك عند حصول التّعارض أو التّنافي بين قاعدتين قانونيتين، أو عند وجود ثغرات في القانونيّ الوضعيّ، إذ يتعين على القاضي في هذه الحالات الحكم وفقًا لمبادئ العدالة والمساواة إحقاقًا للحقّ وتتويجًا للإنصاف.[2]

ثانيًا: العدالة والمساواة في الإسلام

من الثّابت شرعيًا وتاريخيًا، أنّ الدّين الإسلاميّ قد أسهم في وضع أسس العدالة والمساواة بين أبناء البشر، وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسّنة الشّريفة كما سيأتي، وقد قام النبي محمد (ﷺ) بتطبيق هذه الأسس خلال فترة رسالته، فتحقّقت بذلك العدالة بين النّاس أمام الشّرع وأمام القضاء، كما تحقّقت المساواة في مختلف الحقوق

(1) عبد الله، عبد الغني: مبدأ المساواة أمام القضاء، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2001، ص10.
(2) نعمة، عدنان: مبادئ العدالة والإنصاف، م.م، ص 17 وما بعدها.

والواجبات السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها، دون تمييز بين إنسان وآخر على أساس اللّون أو اللّغة أو الجنس أو الدّين أو الطّبقة أو العائلة سوى بعض الاستثناءات اليسيرة على ما سيأتي تفصيله في الصّفحات القادمة.

أ – مبدأ العدالة في التشريع الإسلاميّ

ينطلق مبدأ العدالة في الإسلام من التّأكيد عليه في القرآن الكريم، فبالإضافة الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [1]، نجد أنه تعالى في آيات أخرى خاطب نبيَّه محمد (ﷺ) وأمره بإقامة العدل، حيث قال جلّ شأنه: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[2]، كما أمر الله تعالى النّاس جميعًا أن يحكموا وفق موازين العدل عندما قال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النّاس أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [3].

بهذه الآيات الكريمة كرَّس الإسلام فضيلة العدالة، كمبدأ أساسي عقلانيّ ينسجم مع تطلّعات كل إنسان، ويهدف إليه كل صاحب حق، حفظًا لكيان المجتمع من الفساد والانحراف وسلب الحقوق وتسلّط الأقوياء على الضّعفاء.

ولا يخفى أنّ من أهم دعائم السّعادة التي يهفو إليها البشر، أن يعيش النّاس في وئام وطمأنينة على أنفسهم وأرزاقهم وحقوقهم، وأن يستقرّ العدل في ربوعهم، فيأخذ كل صاحب حقّ حقّه وفقًا لمبادئ الانصاف دون تمييز بينهم إلا على أساس الشّرع الحنيف.

وقد جاء أمر الله تعالى بالعدل أمرًا عامًا شاملًا غير مقيَّد بفئة أو طبقة أو عرق أو جنس أو ما شاكل ذلك، لأن العدل نظام الله وشرعه الى النّاس جميعًا، وصفته الحسنى التي يتحلّى بها، وكلمته التامة التي لا تبديل لها، حيث قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [4].

أضف الى ذلك أنّ العدل هو الهدف من بعث الأنبياء وإنزال شريعة السماء: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النّاس بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[5]، حيث يقول شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت في تفسير

(1) القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 90.
(2) القرآن الكريم: سورة الشورى، الآية 15.
(3) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 58.
(4) القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية 115.
(5) القرآن الكريم: سورة الحديد، الآية 25.

الآية: «ولقد نرى في ذكر الحديد هنا إيحاءً قويًا واضحًا الى أن إقرار العدل فيما بين النّاس واجبٌ الهيٌ محتّم، للقائمين به أن يستعينوا عليه باستعمال القوة التي سخّر لها ولآلاتها الحديد ذو البأس الشديد» [1].

ب – مكانة العدالة في الإسلام

أشرنا فيما سبق إلى أنّ رسالات السّماء تستهدف إقامة العدل وسيادة الحق، قال تعالى: ﴿لقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النّاس بِالْقِسْطِ﴾[2]، هذا القسط هو غاية الحكماء وملجأ الضّعفاء وحلم العقلاء، فكل إنسان عاقل يتطلّع إلى جوّ تسوده العدالة، وتتوق نفسه إلى مجتمع تعمُّه النزاهة، فلا يعاقب بريء ولا ينجو مجرم.

وما دام العدل في نظر الشّرع الإسلاميّ غاية تقصد لذاتها، فذلك لأنّ له في نظر العقل مكانة رفيعة وموقعًا مميزًا يغبطه عليه كل صاحب ذوق في الشّريعة والقانون، مهما اختلف دينه أو عرقه أو جنسه، فالاختلافات لا يجوز أن تكون مدعاة للتغابن أو التظالم، إذ إن العدالة في الإسلام تقتضي أن تسري على كل الملل والأعراق حتى لو كان بينهم وبين المسلمين خصام، قال تعالى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» [3].

من هنا فالإسلام سعى نحو تحقيق العدالة، وقد جرت السنّة النبوية على التسوية بين البشر، لأنها تنسجم مع فطرة الله التي فطر النّاس عليها، ومع كرامة الإنسان، ومصالحه، وحقوقه، وتبعد عنه الذل والهوان والاستبداد، وتكفل للفرد حياة الأمن والرفاه والاستقرار، ذلك أن الجنس البشري جدير بالحياة والتكريم.

والعدالة سلطة شرعية تهدف إلى إعطاء الحق لصاحبه في كل المجالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والقضائية وغيرها، والانتفاع بالموارد المادية والمعنوية في نطاق ما تسمح به موارد المجتمع، دون تفرقة بين الأفراد، لأن النّاس في القيمة الإنسانية سواء، وإنما يتفاضلون بالعلم والعمل، قال تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الّذينَ يَعلَمُونَ والّذينَ لا

(1) شلتوت، محمود: الاسلام عقيدة وشريعة، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص 446.
(2) القرآن الكريم: سورة الحديد، الآية 25.
(3) القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية 8، أي لا يحملنّكم بُغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استخدموا العدل في كل أحد صديقاً كان أم عدواً.

يَعلَمُون» [1]، وقال تعالى في آية أخرى: «وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾[2].

على أنّ العدالة شريعة الأولين والآخرين، توارثتها الأمم السّابقة وأقامت لها الحدود والنصوص، ذلك أن الحضارات الإنسانية لا تبلغ عزَّها ولا ترقى إلى مجدها، إلا حين يعلو العدل نظامها، وتفرضه على الصديق والعدو، القريب والغريب، القوي والضعيف... لكن على مستوى التطبيق فإنّ تاريخ البشرية كان حافلًا بالظلم والاستبداد.

وقد دلّت السّنن التاريخية على أنّ العدل دعامة بقاء الدّول واستمرارها، ومستقرّ الملكيات وأساسها، وباسط ظلال الأمن والنّعم، ولذا ورد أنّ «العدل أساس الملك»، وعن الإمام علي بن أبي طالب (ع) في عهده الى مالك الأشتر عندما ولاّه على مصر: «وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم» [3].

ج – الحكمة من العدالة والمساواة

يظهر من روح الشّريعة الإسلاميّة وبعض النصوص الدّينيّة وكلمات فقهاء الإسلام، أنّ الحكمة من العدالة والمساواة يمكن تلخيصها في أمور خمسة:

1– الحد من نظام الطبقات الاجتماعيّة: الذي كان سائدًا في مراحل تاريخيّة متعددة، فالإنسان الفرد في ظل النّظام الإسلاميّ العادل ينبغي أن يشعر بأنّه في طبقة واحدة مع بقية الأفراد، وأن ينظر إلى نظرائه في الإنسانيّة على أنّهم جميعًا في درجة واحدة، إذ أن الخلائق البشريّة متساوية في أصل الخلقة، وفي العبودية لله تعالى، والإنسان يدرك أنّ الذي تعنو له الوجوه وتسجد له الأبدان هو قيّوم السّماوات والأرض وحده، لا صاحب السّلطة ولا صاحب الثّروة ولا غيرهما [4].

2– استتباب الأمن والسّلام والشّعور بالسّكينة والرّاحة والكرامة الإنسانية، فالإنسان في ظل الدّولة العادلة يتطلع ليكون في حصانة أمنية كاملة طالما أنه يحترم الشّرع والقانون، وإن القوانين قد وضعت لحمايته وصيانة كرامته لا لإهانته، الأمر الذي يبعث على استقرار المجتمع، فالعدالة أساس الاستقرار، وبانعدامها ينعدم الأمن

(1) القرآن الكريم: سورة الزمر، الآية 9.
(2) القرآن الكريم: سورة الأحقاف، الآية 19.
(3) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، م.م، باب الرسائل، الرسالة 53.
(4) الغزالي، محمد: حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط4، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005، ص24.

ويتلاشى السّلام وينتشر الرعب ويفتح المجتمع لنفسه باب الانتحار [1].

3- الاحتكام إلى قضاء منصف ونزيه ينصر المظلوم ويأخذ الحقّ من الظالم، فقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) في وصيته لولديه الحسن والحسين (ع): « كونا للظّالم خصمًا وللمظلوم عونا» [2]، كما أنّ من وظيفة هذا القضاء أن يدفع عن كل متضرّر ما لحقه من عطل وضرر، على أن تكون قاعدة البراءة هي الأساس عند اتّخاذ الأحكام، فلا تجريم إلا بما صدر عن علم وقصد، ولا حكم إلا عبر بيِّنة أو إقرار، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [3].

4- تأمين مصالح العباد والبلاد، فالسّياسة العادلة من شأنها أن تبعث الرّخاء في المجتمع فتنتظم على إثر ذلك دورة الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة بشكل سليم، وتتحقّق بذلك مصالح الأفراد والجماعات، كما يتحقّق نظام التكافل الاجتماعيّ داخل حدود الدّولة.

5- بث روح الحريّة والاستقلال وعدم الخوف في المجتمع، إذ إن العدالة والمساواة متلازمتان مع الحرية تلازمًا وثيقًا، وهما أصل وجود كافة الحريات، وهما اللتان تفسحان المجال أمام الأفراد لممارسة حرّياتهم على كل صعيد، كما يفسح الظّلم المجال نحو الاستبداد، لا سيما حرّية المعتقد حيث يقول تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[4]، ويقول في آية أخرى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر﴾ [5].

ولا شك أن الحريّة قيمة أساسية في المجتمعات الراقيّة، ودعامة متينة من دعائم الدّول المتحضرّة، ولكن هذه الحريّة تضيع إذا ما ضاعت المساواة، والعكس صحيح أيضًا، فإذا كانت المساواة تشمل القيادة والقاعدة فسيكون الجميع أحرارًا، لا يخيفهم حاكم ولا ترهبهم سلطة، وإذا كان الجميع أحرارًا فسيكون الجميع سواسية.

علمًا أنّ هذه الميزات ليست مثاليّة اليوم على مستوى التّطبيق في المجتمعات الإسلاميّة، بل هي موجودة عمليًا في المجتمعات المتحضرة أكثر من غيرها، ففي كل

---

(1) الغزالي، محمد: حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام وإعلان الأمم المتحدة، م.م، ص 26.

(2) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، م.م، باب الرسائل، الرسالة 47.

(3) القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية: 15.

(4) القرآن الكريم: سورة الكافرون، الآية 6.

(5) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 29.

مرة نجد أن ثمة هوّة واسعة بين التشريع والتطبيق لدى معظم المجتمعات.

د – الاستثناءات على مبدأ المساواة في الإسلام

على الرّغم من أنّ القاعدة الأساسية في المساواة هي عدم التّمييز بين الأفراد بشكل مطلق، بحيث ينطبق القانون على الجميع من دون استثناء، إلا أن الواقع العمليّ لا يسمح بتحقيق المساواة المطلقة، لبداهة وجود مجموعة واسعة من الفوارق الطّبيعيّة والاكتسابية بين البشر، سواء على صعيد القدرات الجسدية أو المؤهلات العلميّة أو الخبرات المهنية أو غيرها، الأمر الذي لا يصح التّعامل معها جميعًا بمقياس واحد.

وعلى سبيل المثال: إن تكوين الرّجل جسديًا يختلف عن تكوين المرأة، كما أن تكوينهما النفسي والعاطفي مختلف تمامًا، فالمرأة في أصل خلقتها الجسدية ملائمة للحمل والولادة، وفي تكوينها النفسي العاطفي ملائمة للحضانة والتربية، بينما الرجل فإنه ملائم جسديًا ونفسيًا للعمل الشّاق والحروب وتأمين القوت والمأوى والحماية وما إليها.

هذه الخصوصية تقتضي تنوّع الوظيفة، فيكون لكلٍ منهما وظيفته الخاصة في الحياة، بحيث تتكامل الوظيفتان ويتحقق من خلالهما الوظيفة العامة للبيت الزوجيّ، وبناءً عليه فلا يمكن لنا أن نعكس الأدوار أو نحقق المساواة المطلقة بينها، إذ لا مؤهلات جسديّة للرّجل على الحمل والولادة، كما لا قدرة جسديّة للمرأة على خوض الحروب وتأمين الحماية [1].

من هنا انبثقت فكرة الاستثناء على قاعدة المساواة، وهذا الاستثناء إنّما يهدف إلى تحقيق العدالة، وإلى تحقيق الانسجام فيما بين طبيعة الإنسان الفطرية ووظيفته في الحياة، وليس إلى التّمييز بين الأشخاص الذين تتماثل قدراتهم وظروفهم.

علمًا أنّ هذا التّمييز لا ينحصر بالمرأة أو الرجل، وإنّما يمتد الى الرّاشد والقاصر، والمتعلّم والأمي، والمواطن والأجنبي، وصاحب الخبرة وعديمها، وغيرها من الامتيازات المنتشرة بين البشر.

ولذلك يقول العلامة مرتضى مطهري: «في العالم الغربي يسعون خلافًا لقانون الطّبيعة إلى أن يضعوا المرأة والرجل في مواقع متشابهة ويعهدوا إليهما بأدوار متشابهة في الحياة

(1) شمس الدين، محمد مهدي: التجديد في الفكر الاسلامي، دار المنهل اللبناني، بيروت، 1997، ص 213.

العائلية» [1]، فمن غير الطّبيعيّ أن تتصرَّف المرأة تصرّف الرجل، ولا أن تتحمّل العمل الشاق وتبذل المصاريف وتقدِّم الهدايا للرجل وتطلبه للزواج منها، في حين يجلس الرجل في البيت ويهتم بشؤون المنزل وتربية الأطفال وما شاكل.

من هذا المنطلق، لا بد من مراعاة الاختلافات الطّبيعيّة والغريزية بين المرأة والرجل كما نراعي الاختلافات بين الكبير والصّغير والسليم والسقيم والقريب والبعيد، ولذا جاء التّشريع الإسلاميّ مراعيًا لهذه الاختلافات، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾[2].

وبالمحصلة، ومن منطلق توضيح الصورة أكثر، فإننا سنشير الى بعض الاستثناءات على مظهر واحد من مظاهر المساواة، وهو المساواة في تولّي الوظيفة العامة، وذلك وفقًا لما ورد في النصوص الدّينيّة، وهي كما يلي:

1- القاصر: يستثنى الصّغير من مبدأ المساواة في تولّي الوظيفة العامة في الدّولة الإسلاميّة، كونه غير مؤهل لأداء الأعمال الوظيفيّة، نتيجة ضعفه وعدم اكتمال نموّه الطّبيعيّ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾[3].

2- المريض: ويشمل العاهات الجسديّة والعقليّة التي تعيق العمل، فيستثنى المريض مرضًا مبرحًا من مبدأ المساواة في تقلّد الوظيفة العامة في الدّولة الإسلاميّة، وهو نظير شرط السلامة من الأمراض المعدية والسّارية أو التي تعيق القيام بالعمل في الدّول الحديثة، وهو شرط لا يُقصد منه التقليل من شأن المريض بقدر ما هو ضروري من أجل تقديم الخدمات للمواطنين وحسن سير المرافق العامة، والدليل عليه الآية السّابقة نفسها.

3- الكافر: يستثنى الكافر المحارب من مبدأ المساواة، فلا يستوي مع المسلم في تقلّد الوظيفة العامة، لأنه لا يشعر بالانتماء الى دولة الإسلام، فهو خصمها وعلى نزاع دائم معها، فلن يكون مخلصًا لها، وهذا من قبيل شرط المواطنة في الدّول الحديثة،

(1) مطهري، مرتضى: نظام حقوق المرأة في الاسلام، نشر سازمان تبليغات اسلامى، طهران، 1985، ص173.
(2) القرآن الكريم: سورة فاطر، الآيات: 21-20-19.
(3) القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية 91.

قال تعالى: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ»[1].

4- الجاهل: ويشمل الجهل العلميذ والعمليّ، فيستثنى من مبدأ تكافؤ الفرص أمام الوظيفة العامة كل من لم يحقق شرط الكفاءة العلميّة أو المهنية المطلوبة للوظيفة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

5- المرأة في بعض الحالات: تستثنى المرأة أحيانًا من مبدأ المساواة في تولي الوظيفة العامة إذا كانت الوظيفة لا تناسب طبيعتها الجسدية أو العاطفية، كالاشتراك في الحروب أو القضاء بين النّاس الذي يستدعي إصدار أحكام قاسية كالقتل والرّجم وقطع اليد وما إلى ذلك.[3]

ثالثًا: مظاهر المساواة في الاعلانات العالمية

لمّا كانت المساواة التي نادى بها العالم المتحضّر تنطبق في معظم حالاتها على الرّجل والمرأة على حدّ سواء، ولمّا كانت تشمل في مظاهرها مجمل مجالات الحقوق والواجبات، فإننا سنتناول في هذا المبحث المظاهر الأساسية لمبدأ المساواة على كافّة الصّعد الواردة في الإعلانات العالميّة والإسلاميّة والمواثيق الدّستوريّة.

أ - الشرائع الدّوليّة والمواثيق الدّستورية

تصدَّر مبدأ المساواة جميع إعلانات الحقوق والمواثيق الدّستوريّة على الإطلاق، فقد نصّ إعلان فرجينيا عام 1776 على أنّ: «جميع النّاس متساوون ولهم حقوق أصيلة لا يجوز التنازل عنها»، ويتردد مفهوم الحقّ الطّبيعيّ للمساواة في إعلانات ثلاث عشرة ولاية أميركية، حيث جاء في مضمونها: «إننا نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها وهي أن النّاس قد خلقوا سواسية» [4].

أما إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي صدر عقب الثورة الفرنسيّة العام 1789 التي نادت بالحريّة والإخاء والمساواة، فقد نصّت المادّة الأولى منه على أنّه: «يولد

(1) القرآن الكريم: سورة السجدة، الآية 18. لكن على المستوى العملي لا يُعمل بهذا الشرط في الدول الاسلامية المعاصرة طالما أن شرط الجنسية متوفر.
(2) القرآن الكريم: سورة الزمر الآية 9.
(3) الامام الخوئي: تكملة منهاج الصالحين، ط 28، نشر مدينة العلم، قم-إيران، 1410 هـ.
(4) نقلًا عن: العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، م.م، ص 56.

الأفراد ويظلّون أحرارًا ومتساوين في الحقوق»[1]، وأكدّت المادة الرابعة منه أنّه: «لا حدود لممارسة الحقوق الطّبيعيّة لكل إنسان إلا تلك التي تؤمِّن للأعضاء الآخرين في المجتمع التمتع بهذه الحقوق نفسها» [2].

وفيما يرتبط بالإعلان العالميّ لحقوق الإنسان الصّادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام 1948، فقد ورد في المادة الأولى منه: «يولد جميع النّاس أحرارًا وهم متساوون من حيث الكرامة والحقوق»، وجاء في المادة الثّانية: «لكل إنسان حق التّمتع بجميع الحقوق والحريّات المذكورة في هذا الإعلان دونما تمييز، ولا سيما من حيث العنصر أو اللّون أو الجنس أو اللّغة أو الدّين أو الاعتقاد السّياسيّ أو أية عقيدة أخرى...[3]».

أما إعلانات حقوق الإنسان العربيّة فقد تأثرت نظريًّا إلى حد بعيد بالإعلانات العالميّة، حيث جاء في الميثاق العربيّ لحقوق الإنسان الصّادر في العام 2004 والذي دخل حيز التّنفيذ في العام 2008 ما نصّه: «تتعهد كل دولة طرف في هذا الميثاق بأن تكفل لكل إنسان موجود على أراضيها وخاضع لسلطانها حق التّمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فيه دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللّغة أو الدّين أو الرأي السياسيّ...» [4].

وعلى صعيد الدّول الإسلاميّة، فقد صدر الإعلان الإسلاميّ لحقوق الإنسان عن منظمة المؤتمر الإسلاميّ بعد أن مرَّ في عشرات جلسات الخبراء التي كان آخرها في طهران عام 1989 حيث تمّ إعداد الصيغة النهائية التي حصلت على الموافقة في المؤتمر التاسع عشر لوزراء خارجية الدّول الأعضاء في القاهرة سنة 1990.

وجاء في نصّ المادة الأولى منه: «البشر جميعًا أسرة واحدة، جمعت بينهم العبودية لله والنبوة لآدم، وجميع النّاس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية، دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللون أو اللّغة أو الجنس أو المعتقد الدّينيّ

(1) إعلان حقوق الانسان والمواطن في فرنسا، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، فهرس الملاحق، ص453.

(2) م.ن، ص 453.

(3) التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، نشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طهران، 1997، ص 30.

(4) الميثاق العربي لحقوق الانسان، راجع: العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، م.م، ص 58.

أو الإنتماء السياسيّ»[1].

وورد في المادة 11 ما حرفيته: «يولد الإنسان حرًا وليس لأحد أن يستعبده أو يذلّه أو يقهره أو يستغله، ولا عبودية لغير الله تعالى»، كما نصّت المادّة 19 على أنّ: «النّاس سواسية أمام الشّرع يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم» [2].

وفيما يرتبط بدساتير الدّول، فقد حرصت معظم دول العالم على اختلاف أنظمتها وأيديولوجياتها وتوجهاتها السّياسيّة على تكريس مبادئ العدالة والمساواة في الصّفحات الأولى من دساتيرها، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر دساتير بعض الدّول العربيّة.

ينصّ الدّستور المصري الصادر عام 1971 على ما يلي: «المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الجنس أو اللّغة أو الدّين أو العقيدة». أما الدّستور العراقي الصّادر عام 2005 فيؤكد أنّ «العراقيين متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللّون أو الدّين...»، فيما دستور السّودان لعام 1971 ينصّ على أنّ السودانيين متساوون في الحقوق والواجبات ولا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو العنصر أو الموطن المحلي أو اللّغة أو الدّين» [3].

أما الدّستور اللّبنانيّ الصادر في العام 1926 فينصّ حرفيًا في المادة السّابعة منه على ما يلي: «كل اللّبنانيّين سواء لدى القانون، وهم يتمتعون بالسواء بالحقوق المدنية والسّياسيّة ويتحملون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم»، كما تنص المادة الثانية عشر منه على أنه: «لكل لبنانيّ الحق في تولي الوظائف العامة، لا ميزة لأحد على الآخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة حسب الشروط التي ينص عليها القانون[4] ».

ب – الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان

يتضمّن هذا الإعلان مجموعة واسعة من المبادئ الحقوقيّة التي تم الاعتراف بها للإنسان بعد صراع مرير بين الشّعوب والحكام لقرون متمادية، ونظرًا لتعددها وتنوعها

(1) التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، م.م، ص 43.
(2) م.ن، ص47 و50.
(3) حسين، خليل: قضايا دولية معاصرة، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2007، ص 302.
(4) الدستور اللبناني وتعديلاته، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2004، الفصل الثاني، ص30-29.

فإنّنا سنقتصر في هذا المطلب على أبرز الحقوق المتصلة بدراستنا، وهي كالآتي:

1- مبدأ المساواة أمام القانون

ويُقصد به أن تطبيق القانون وحمايته للمواطن إنّما يسريان على جميع الأفراد دونما تمييز بينهم على أي أساس، فقد جاء في المادة السّابعة من الإعلان العالميّ: «كلّ النّاس سواسية أمام القانون، ولهم الحقّ في التّمتّع بحماية متكافئة دون أيّة تفرقة» [1].

علمًا أن هذا النّص كان قد سبقه نصّ مماثل في إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي الذي صدر نتيجة سيرورة تاريخيّة من النّضال المرير، حيث كان من أبرز تطبيقاته العمليّة إلغاء امتيازات الأشراف والنبلاء في العام 1789 [2].

2- مبدأ المساواة أمام القضاء

ويعني هذا المبدأ أنّ جميع المواطنين لهم حقّ التقاضي أمام محاكم واحدة وفقًا لقانون موحّد وإجراءات متماثلة، بلا تمييز بين مواطن وآخر تحت أي شعار أو ذريعة.

ولكن هذا المبدأ لا يتنافى مع وجود محاكم متنوعة بتنوّع النزاعات أو الجرائم، طالما لا تمييز بين الأشخاص المتقاضين، كما لا يتعارض مع وجود محاكم خاصة بطوائف معينة طالما أنّ وجودها لا يشكّل انتقاصًا لحقوق طائفة على أخرى[3].

وفي هذا الصّدد ورد في المادّة العاشرة من الإعلان العالميّ ما نصّه: «لكلّ إنسان الحق على قدم المساواة مع الآخرين في أن تُنظَر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظرًا عادلًا علنيًا للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجّه إليه» [4].

3- مبدأ المساواة في تولّي الوظيفة العامة

ويقصد بها أن تُتاح الإمكانية لولوج الوظيفة العامة أمام جميع المواطنين، فيمن توفرت فيهم شروط الوظيفة الشاغرة، دون تمييز على أي أساس، لا سيما التمييز الجنسي والطائفي والطبقي والعائلي والانحدار الوراثي والانتماء السياسيّ وما إلى ذلك.

(1) الاعلان العالمي لحقوق الانسان، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، فهرس الملاحق، ص459.
(2) متولي، عبد الحميد: الحريات العامة، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1981، ص67.
(3) عبد الله، عبد الغني: مبدأ المساواة أمام القضاء، م.م، ص 20.
(4) الاعلان العالمي لحقوق الانسان، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، فهرس الملاحق، ص460.

ويترتّب على هذا المبدأ، المساواة بين الرجل والمرأة في الأصل، إلا ما خرج بالاستثناء لمقتضيات موضوعية نصّ عليها القانون، كما هو الحال في استثناء المرأة في بعض الدّول عن تولّي بعض الوظائف العامّة استجابة لعوامل بيئية أو جسديّة أو قواعد دينيّة ما زال احترامها واجبًا في تلك الدّول، من قبيل سلك الشّرطة الذي يستدعي الدوريات اللّيليّة وتعقّب المجرمين وحراسة المنشآت التي تتطلّب إعدادًا خاصًا من الناحية البدنية [1].

4- مبدأ المساواة في ممارسة الحقوق السّياسيّة

يؤكد هذا المبدأ حقّ جميع المواطنين ممن توفرت فيهم الأهلية القانونيّة بالتّصويت والتّرشيح في الانتخابات العامة على اختلافها، وكذا الانتساب الى الأحزاب والجمعيات السّياسيّة، وفقًا للشروط التي يحددها القانون[2].

ولأنّ المواطنين متساوون في نظر القانون، فهم سواسية في ممارسة هذا الحق، لا فرق بينهم في أي اعتبار، لاسيما اعتبار الجنس، مما يعني تساوي المرأة والرجل في الحقوق السّياسيّة.

وفي هذا الإطار، ورد في المادة 20 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أنّ: «لكل إنسان الحق في الانتساب إلى الجمعيات السلمية بكلّ حرية» [3]، كما جاء في المادة 21 منه: «يجب أن تتم الانتخابات بشكل عمومي مع مراعاة مبدأ المساواة...» [4].

5- مبدأ المساواة أمام الأعباء العامة

يقوم هذا المبدأ على أساس المفهوم القائل: إنّ النّاس إذا كانوا متساوين أمام مغانم الحياة الاجتماعيّة فمن البديهي أن يكونوا متساوين في الواجبات والتكاليف التي يقتضيها النظام الاجتماعيّ، وهذا المفهوم يجد أساسه في القاعدة الشّرعيّة الإسلاميّة التي تفيد أنّ «من له الغنم فعليه الغرم»، مما يعني أنّ مبدأ المساواة لا يطال الحقوق والفوائد فحسب،

---

(1) أحمد، عرفة: مباشرة المرأة للحقوق والحريات السياسية، دار الكتب القانونية، القاهرة، 2011، ص 509.
(2) العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، م.م، ص 29.
(3) الاعلان العالمي لحقوق الانسان، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، فهرس الملاحق، ص461.
(4) الاعلان العالمي لحقوق الانسان، راجع: خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الانسان، م.م، فهرس الملاحق، ص461.

وإنما يمتد إلى نطاق الواجبات والخسائر أيضًا [1].

وبمقتضى هذا المبدأ، يتقرّر مساهمة الأفراد في أداء الضرائب والرّسوم بشكل متكافئ، لكن هذا التكافؤ لا يتنافى مع جواز إعفاء ذوي الدّخل المحدود من نسبة معينة من الضّرائب، أو فرض ضرائب تصاعديّة تطال أصحاب الثّروات بنسبة أكبر، باعتبار أنّ المساواة المعمول بها هي المساواة النّسبية، إذ يستحيل تطبيق المساواة المطلقة عمليًا، إضافة إلى أن مثل هذه الإجراءات من شأنها أن تحقّق العدالة التوزيعية، والمساواة في التضحية، والتوازن الاجتماعيّ [2].

ج – الإعلان الإسلاميّ لحقوق الإنسان

تنبع حقوق الإنسان في الإسلام من القرآن الكريم الذي ينص على التكريم الإلهي للانسان، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [3]، حيث يظهر هذا التّكريم في نعمة العقل، وإبداع الخلق، وتسخير الكائنات، والسيادة على الأرض، والتحكّم بمجريات التاريخ، وهو يشمل الذكر والأنثى على حد سواء.

من هذا المنطلق، وإيمانًا بالله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرَّمه، وجعله في الأرض خليفة، ووكَّل إليه عمارتها وإصلاحها، صدر الإعلان الإسلاميّ لحقوق الإنسان عن منظمة المؤتمر الإسلاميّ في العام 1990. وفي هذا الإطار سنتوقف عند أبرز البنود الحقوقيّة التي لها علاقة مباشرة بموضوعنا، وهي على الشكل الآتي:

1– المساواة في أصل الخلقة الإنسانية

يتساوى النّاس جميعًا في أصل الكيان الإنسانيّ وفقًا للمنظور الإسلاميّ، وهو كيان واحد للذّكر والأنثى بحكم مرجعيتهم الى آدم، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [4] أي من مادة واحدة ومن جوهر واحد، وورد عن النبي محمد (ﷺ): «أيها النّاس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد وكلكم لآدم وآدم من تراب» [5].

(1) العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، م.م، ص 30.
(2) م.ن، ص 32.
(3) القرآن الكريم: سورة الاسراء، الآية 70.
(4) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 1.
(5) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، 2007، الحديث رقم 411. جزء من خطبة الوداع لرسول الله (ص) الواردة عند الفريقين.

وفي هذا الإطار فقد جاء في نصّ المادة الأولى من هذا الإعلان: «البشر جميعًا أسرة واحدة... وأن الخلقّ كلهم عيال الله... وإنه لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح» [1].

2- المساواة في التكليف والمسؤولية

إن وحدة النوع الإنساني تقتضي وحدة التكليف والمسؤولية، دون فرق بين ذكر وأنثى أو عربي وأعجمي أو أسود وأبيض... فالكل مُخاطَبون من الله بخطاب واحد، سواءً على مستوى العمل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [2]، أو على مستوى تحمّل المسؤولية ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [3].

وبناءً عليه، فقد ورد في تتمة المادة الأولى من الإعلان نفسه: «البشر جميعًا أسرة واحدة، جمعت بينهم العبودية لله والنبوة لآدم، وجميع النّاس متساوون في أصل التكليف والمسؤولية، دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللون أو اللّغة أو الجنس أو الإنتماء السياسيّ...» [4].

3- المساواة بين الطبقات الاجتماعيّة

إذا كانت المساواة في أصل الخلقة الإنسانية تطال كلّ البشرية على السواء، فإنه من الطّبيعيّ أن تشمل المساواة مختلف الطبقات الاجتماعيّة بما فيها الحاكم والمحكوم، ولذا قال تعالى موجهًا خطابه الى الرسول محمد (ﷺ): ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ..﴾ [5]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [6] ومن هذا المنطلق ورد في نص المادة 19 من الإعلان الإسلاميّ أن «النّاس سواسية أمام الشّرع يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم».

هذا مشهد من مشاهد التّسوية مع أكثر النّاس قدسية عند المسلمين، من شأنه أن يعمّق إحساس المسلم بالمساواة مع الآخر مهما علا شأنه وارتفعت منزلته.

(1) التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، م.م، ص 44-43.
(2) القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 97.
(3) القرآن الكريم: سورة الجاثية، الآية 22.
(4) التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، م.م، ص 43.
(5) القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 110.
(6) القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية 50.

لكن هذا الإحساس ينبغي أن ينعكس على مستوى الأفعال، فلا يكفي أن يشعر الإنسان بمساواته مع الآخر، وإنما عليه أن يتعامل مع الآخر على هذا الأساس، فقد ورد في صحيح مسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، أي حتى يتحوّل شعوره بالمساواة الى سلوك عملي فيساوي بين نفسه وغيره.

بل يمكن أن نترقى أكثر من ذلك في الإسلام، بحيث نقيم العدالة والمساواة ولو كانت على حساب أنفسنا وأهلنا وأقاربنا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدّين وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [2]، وفي هذا الاطار ورد في المأثور عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إنّما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [3].

4- المساواة بين أتباع الدّيانات

ما دامت المساواة متأصلة في الفكر الإسلاميّ، وهي سارية على كافة أفراد الإنسانية، فمن الطّبيعيّ أن تسري بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى إذا كانوا مسالمين غير محاربين، ذلك أن الدّين الإسلاميّ قد أخذ على عاتقه فكرة العيش بسلام وطمأنينة مع كل النّاس، وهذا العيش لا يتم الا باحترامهم والمحافظة على أموالهم وأعراضهم ومقدساتهم، والتعامل معهم وفقًا لقاعدة القسط والعدالة، قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [4].

وقد ورد في الإعلان الإسلاميّ لحقوق الإنسان: «... وجميع النّاس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية دون تمييز بينهم بسبب المعتقد الدّينيّ» [5].

5- المساواة في الحقوق والحريات

إذا كانت المساواة قيمة أساسية من قيم الإنسان في الإسلام، واحترامها أمر لا غنى

(1) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، م.م، حديث رقم 45، متفق عليه عند الفريقين.
(2) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 135.
(3) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، م.م، حديث رقم 1688.
(4) القرآن الكريم: سورة الممتحنة، الآية 8.
(5) التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، م.م، ص 44.

عنه من أجل إقامة الأمن وتثبيت العدالة في المجتمع، فإن أبرز مظاهر تطبيقاتها إنما يتم في الحقوق والحريّات.

وفي هذا الإطار تنتظم سلسلة الحقوق بالحق في الحياة والأمن والاستقرار والعيش الكريم، والحق في التّعلّم والعمل والسّكن والملكيّة الفرديّة، وكذا الحقّ في الزّواج وتشكيل الأسرة والرّعاية الصّحيّة والاجتماعيّة، إضافة الى الحقّ في اللّجوء الى القضاء، ومجموعة واسعة من الحقوق الأخرى التي تم التأكيد عليها في الإعلان الإسلاميّ لحقوق الإنسان.

علمًا أن هذه الحقوق لا تمييز فيها بين الرجل والمرأة، وهذا ما أكد عليه الإعلان الإسلاميّ في المادة السّادسة، حيث ورد فيها: «المرأة مساوية للرجل في الكرامة الإنسانية، ولها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات، ولها شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها» [1].

أما فيما يرتبط بتساويها في جميع الحقوق مع الرجل، فهذا الأمر تحكمه في الإسلام قاعدة العدالة وليس المساواة، حيث يؤكد القانون الإسلاميّ حرصه الشّديد على منح المرأة حقوقها العادلة بالمقارنة مع الرجل. وهذا ما يمكن أن نتركه لبحث آخر بعنوان: العدالة الزوجيّة في الشّريعة.

يبقى ما يرتبط بالحريّات، وفي هذا الصدد فقد نصَّ الإعلان نفسه على أنّ الإنسان يولد حرًا، فلا يجوز تقييد حريته بما يتنافى مع كرامته الإنسانية، كما أكّد حرية الرّأي والتّعبير والدّعوة الى الخير شرط عدم إثارة الكراهيّة القوميّة والمذهبيّة وكل ما يؤدي الى التّمييز العنصري[2].

لائحة المصادر والمراجع

1 – القرآن الكريم

2 – نهج البلاغة

3 – أحمد، عرفة: مباشرة المرأة للحقوق والحريات السّياسيّة، دار الكتب القانونيّة، القاهرة، 2011.

4 – الاحسائي، محمد بن ابي جمهور: عوالي اللئالي، نشر سيد الشهداء، قم – ايران، 1403هـ.

5 – بيرم، عيسى: الحريّات العامّة وحقوق الإنسان بين النص والواقع، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت، 1999.

---

(1) التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، م.م، ص 45.

(2) م.ن، ص 51–50–47، المواد: 11– 22–20.

6 – التسخيري، محمد علي: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلاميّ والعالمي، رابطة الثقافة والعلاقات، طهران، 1997.
7 – الحريات العامة وحقوق الإنسان، عيسى بيرم، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت.
8 – حسين، خليل: قضايا دولية معاصرة، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت، 2007.
9 – حلمي، محمود: المبادئ الدّستورية العامة، دار الفكر العالمي، بيروت، 1964.
10 – خضر، خضر: مدخل إلى الحريات العامة وحقوق الإنسان، ط 3، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس–لبنان، 2008.
11 – الخوئي، أبو القاسم: تكملة منهاج الصالحين، ط 28، نشر مدينة العلم، قم–إيران، 1410 هـ.
12 – الدّستور اللّبنانيّ وتعديلاته، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت، 2004.
13 – ربّاط، إدمون: الوسيط في القانون الدّستوري العام، دار العلم للملايين، بيروت، 1983.
14 – الزبيدي، محمد: تاج العروس، دار ليبيا للنشر، طرابلس– ليبيا، د.ت.
15 – الشرتوني، سعيد الخوري: أقرب الموارد في فصح العربيّة والشواهد، د.ن، د.ت.
16 – شمس الدّين، محمد مهدي: التجديد في الفكر الإسلاميّ، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت، 1997.
17 – شلتوت، محمود: الإسلام عقيدة وشريعة، ط17، دار الشروق، القاهرة، 1997.
18 – عبد الله، عبد الغني: مبدأ المساواة أمام القضاء، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت،2001.
19 – العبيدي، أحمد: ضمانات مبدأ المساواة، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت، 2013.
20 – عشوش، أحمد: قانون العقد بين ثبات اليقين واعتبارات العدالة، دار النزهة، القاهرة، 1984.
21 – الغزالي، محمد: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ط4، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، 2005.
22 – قاسم، محمد حسن: المدخل لدراسة القانون، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت، 200.
23 – القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، 2007.
24 – كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، د.ت.
25 – كيسلاسي، إيريك: الديمقراطية والمساواة، ترجمة جهيدة لاوند، معهد الدّراسات الاستراتيجية، بغداد، 2006.
26 – متولي، عبد الحميد: الحريات العامة، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1981.
27 – مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة: المعجم الوسيط، نشر دار الدعوة، القاهرة، 2010.
28 – محمد بن بابويه المعروف بالصدوق، من لا يحضره الفقيه، انتشارات اسلامي قم – إيران، 1413 هـ.
29 – مصباح يزدي، محمد تقي: دروس في العقيدة الإسلاميّة،، دار الحق، بيروت، 1993.
30 – مطهري، مرتضى: نظام حقوق المرأة في الإسلام، نشر سازمان تبليغات اسلامى، طهران، 1985.
31 – معلوف، لويس: المنجد في اللّغة، ط12، دار المشرق، بيروت، 1982.
32 – نعمة، عدنان: مبادئ العدالة والإنصاف، منشورات زين الحقوقيّة، بيروت، 2006.

جماليّة الزّخارف الهندسيّة وأنظمتها في قصر الحمراء

الدّكتور هشام حسن قبيسي[1]

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل وإبراز القيم الجماليّة في أنظمة الزّخرفة الهندسيّة الإسلاميّة من أجل إيجاد اتّجاه تصميميّ معاصر يحقّق التّوافق بين الأصالة والإبداع. ويعتمد هذا الاتّجاه على البحث المنهجيّ من خلال وسائله المختلفة للاستقراء والتّحليل والاستدلال للظّروف المحلّيّة والبيانات الثّقافيّة والدّينيّة التي تؤدّي إلى تكوين هذا التّراث المحليّ بأشكاله وعناصره وأنماطه، ومن ثمّ استنباط آليات يتمّ من خلالها تكييف المفاهيم والاستنتاجات بوعي انتقائيّ للبيانات، بأسلوبٍ تصميمٍ يتناسب مع المفاهيم والتّقاليد ويحافظ على الخصوصيّة الثّقافيّة والحضاريّة للبيئة المحليّة. ويعتمد هذا الاتّجاه المبتكر على فهم محتوى التّراث الإسلاميّ واستعارة مفرداته وزخارفه وإعادة بنائها وصياغتها وتوظيفها بطريقة مستحدثة.

وهذا البحث يعتمد على الدّراسة الفنّيّة التّاريخيّة للفنون الإسلاميّة في الأندلس منذ بداية الفتح.92 هـ/ 711 م حتى سقوط غرناطة عام 898 هـ / 1492 م. كما يقدّم تحليلا للوحدات الزّخرفيّة المشتقّة من هذه الفنون والتي تراوحت بين عناصر نباتيّة وهندسيّة وكتابيّة واستخدامها في ابتكار تصاميم مناسبة لطباعة المعلّقات النسيجيّة.

Abstract:

This research aims to analyze and highlight the aesthetic values in Islamic geometric decoration systems in order to find a contemporary design trend that achieves compatibility between originality and creativity. This trend depends on systematic research through its various means of induction, analysis and inference of local conditions and cultural and religious data that lead to the formation of this local heritage in its forms, elements

(1) أستاذ محاضر **في الجامعة اللبنانية** – كلية الفنون الجميلة والعمارة – الفرع الأول **| الحدث ، بيروت. ورئيس قسم الفنون في الجامعة الاميركية للثقافة والتعليم** AUCE **| أستاذ مساعد | النبطية ، لبنان.**

and patterns, and then devising mechanisms through which concepts and conclusions are adapted with a selective awareness of the data, in a design style that fits with concepts and traditions and preserves The cultural and civilizational specificity of the local environment. This innovative trend depends on understanding the content of the Islamic heritage, borrowing its vocabulary and ornaments, reconstructing, formulating and employing them in an innovative way.

This research is based on the historical artistic study of Islamic arts in Andalusia from the beginning of the conquest of 92 AH / 711 AD until the fall of Granada in 898 AH / 1492 AD. It also provides an analysis of the decorative units derived from these arts, which ranged from vegetal, geometric and epigraphic elements, and their use in creating designs suitable for printing textile hangings.

المقدمة

لا شكّ في أثر التّراث الفنيّ الإسلاميّ في الأندلس الذي امتدّ حوالى ثمانية قرون، «حقبة الحكم الإسلاميّ»، مخلّفًا فنونًا متنوّعة، غنيّة بالعناصر الزّخرفيّة التي انتشرت في الأندلس؛ من أسبانيا إلى المغرب التي تتجلّى معالمها وتظهر في عدّة مدن «كمراكش و تلمسان وتونس وصفاقس وأسبانيا». وهذا الإلهام التّراثيّ الإسلاميّ أضفى أصالة على الأعمال الفنّيّة الحديثة. فقد كان بمفرداته الزّخرفيّة وأنظمته الهندسيّة مصدر إلهام لعدد من المصمّمين المحترفين والمهتمّين بتصميم الديكور الدّاخليّ والأثاث، والمعنيّين بتطوير أسس التّصاميم التي تعبّر عن الهويّة والطّابع الثّقافيّ والمحليّ.

وأهمّ ما يميّز الفنّ الإسلاميّ هو الطّابع الهندسيّ للزّخارف التي تحكم مفرداتِه قوانينُ رياضيّة وأسسٌ هندسيّة تحقّق مجموعة من القيم الجماليّة.

إنّ تأثير العرب والإسلام في الأندلس، وبخاصة في الجنوب والجنوب الغربيّ ، يتميّز ببقاء عدّة هياكل تشهد على النّهضة الفكريّة والفنّيّة التي عرفتها الخلافة الأمويّة والإمارات العربيّة المتّحدة وتطوّرها الحضاريّ من القرن الثّاني إلى القرن التّاسع الهجري، أي من القرن الثّامن إلى الخامس عشر الميلادي[1] . ويعدّ عصر ملوك الطوائف واحدًا من أزهى العصور الأندلسيّة الإسلاميّة فى المغرب الأقصى حيث أراد كلّ ملك جعل

(1) **عطية محمد عطية** ، مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية ،نظمها جامعة عمان الأهلية ، إتجاد الكتاب وارباء الاردنين، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2011.

مملكته أكثر قوة وأبهى جمالا من غيرها ساعيًا لتكون درّة البلاد جمالا وسحرًا. فعمّ الترف أنحاء البلاد وانتشرت الحضارة بكلّ جوانبها فى ثنايا تلك البقعة النائية عن مركز الخلافة الإسلاميّة فى الشّرق آنذاك، بل إنّ بعض الملوك اتّخذوا من ممالكهم عواصم لاتقلّ فى زينتها وزخرفتها وروعتها عن مدن المشرق الكبرى. وتأثّرت الفنون فى هذا العصر بالعصر السّابق له وهو العصر الأمويّ فى الأندلس الذي يعدّ أزهى العصور الأندلسيّة. وتلاه عصر المرابطين والموحّدين ثم آل أمر الحضارة الإسلاميّة في هذه البقعة إلى الضعف، فسقطت آخر معاقلها وهي غرناطة فى يد النصارى لينتهي بذلك حكم المسلمين لتلك البلاد تاركًا حضارة وعمارة وتاريخًا إنسانيًّا سَيظل شاهد عيان على قوّة وعظمة المسلمين فى تلك البقاع [1].

هذا التّراث الإسلاميّ ترك بصماته على الفنون المميّزة بالتنوّع والثّراء، وقد أصبح الآن أحد أهمّ مصادر العناصر الزّخرفيّة في أسبانيا. ويتجلّى في المنسوجات والسّجّاد والأواني. كما أنّ العمارة الأندلسيّة اكتسبت شهرة في الأوساط الأوروبيّة الراقية. فقد أعطى الإلهام الإسلاميّ الأعمال الفنّيّة الحديثة أصالة وثقافة. من هنا جاءت فكرة البحث؛ **دراسة فنون الأندلس المتأثرة بالفن الإسلاميّ**. وأهمّ سماتها الجماليّة أنّها مصدرٌ لإنشاء تصاميم بطاقات المنسوجات.

مشكلة البحث

الفنّ هو حصيلة تجارب وخبرات تعكس سمات الأمّة الحضاريّة. ولعلّ أهم ما يميّز الفنون هو أنّها المعبّر الحقيقي عن ثقافة أمّة ما وعن تقاليدها وعاداتها وقيمها الاجتماعيّة. فهي تبقى شاهدًا على رحابة الجوّ الثقافيّ للشّعوب وعلى تجذّر أسباب المعرفة التشكيليّة بمعطيات الرؤية. ومن الدوافع التي دفعت الباحث إلى دراسة الزّخرفة الإسلاميّة وبخاصّة الزّخرفة النباتيّة، هذا النّوع من الزّخرفة الذي يتّخذ من النّباتات عناصر زخرفيّة يجرّدها ويبعدها عن صورتها الأصليّة، فلا نكاد نشاهد من فروع النّباتات وأغصانها وأوراقها إلا خطوطًا منحنية أو ملتفّة، يتّصل بعضها ببعض، فتكوّن أشكالا لاحدود لها من الإبداع. فمن بين طياتها ولدت ابنة الزّخرفة العربيّة الإسلاميّة المسمّاة بـ (التّوريق العربيّ أو الرقش العربيّ) (الأرابيسك). لذا فإنّها تمثّل مرحلة مهمّة

(1) **اسامة محمد أحمد** ، الأزياء كحورللثقافات بين الشرق والغرب – الأندلس دراسات تحليلية وتاريخية رسالة دكتوراه، مصر، جامعة حلوان 2011.

من مراحل الزّخرفة الإسلاميّة. وتأسيسًا على ذلك، تمّ اختيار الزّخرفة الإسلاميّة النباتيّة وهكذا وجد الباحث أنّ هنالك مشكلة تلقي على.وتحديدًا في قصر الحمراء في الأندلس عاتقه مسؤوليّة القيام بالبحث حول مفهوم القيم الجماليّة فى أنظمة الزّخارف الهندسيّة لأنّ.الإسلاميّة لما لها من حضور فاعل في فنّ الزّخرفة الإسلاميّة، لاسيما النباتية تأثير عالم النبات كان مصدر إلهام الفنّان المسلم، والذي يعطي من الجمال والتّلقائيّة والمشكلة الحاليّة.الشيء الكثير، وتاليًا يعدّ باني الشخصيّة المميّزة للزخرفة الإسلاميّة يمكن تلخيصها بالسؤال الآتي: ما هو مفهوم القيم الجماليّة في أنظمة الزّخارف الهندسيّة الإسلاميّة لقصر الحمراء ؟ وماهي آليّات العمل في هذا المفهوم ؟

أهمية البحث:

تتجلّى أهمية البحث الحالي فيما يأتي:

1. إن الرّجوع إلى التّراث هو الأساس ونقطة الانطلاق لكلّ جديد، فكلّ منجزات الأوائل وآثارهم هي نقاط وضّاءة لخلق الحاضر والمستقبل.

2. يفيد المتخصّصين في مجال الفنّ الإسلاميّ بعامّة والزّخرفة الإسلاميّة بخاصّة.

3. يوفّر أساسًا نظريًّا لدارسي الفنّ بصورة عامّة ، والزّخرفة الإسلاميّة النباتيّة بصورة خاصّة.

4. يفيد المتخصّصين بالآثار كون البحث الحاليّ يصبّ في جوانب أثريّة.

5. إن مفهوم القيم الجماليّة فى أنظمة الزّخارف الهندسيّة الإسلاميّة يعدّ قيمة مهمّة في كلّ عمل فنّيّ تشكيليّ، مهما كان أسلوبه.

6. إن دراسة مفهوم القيم الجماليّة فى أنظمة الزّخارف الهندسيّة الإسلاميّة تمدّنا بقدرٍ وافٍ من المعلومات يساعدنا على فهم العمل الفنّيّ الإسلاميّ وبالتالي معرفة اتّجاهاته.

هدف البحث

يهدف البحث إلى:

- تسليط الضّوء على القيم التشكيليّة والجماليّة للفنون الإسلاميّة في بلاد الأندلس في ابتكار تصميمات تصلح لطباعة المعلّقات النسجيّة.
- يفترض البحث أنّه يمكن الإفادة من القيم التّشكيليّة والجماليّة للفنون الإسلاميّة في بلاد الأندلس وفي استحداث تصميمات طباعيّة لمعلّقات نسجيّة معاصرة.

حدود البحث

- **حدود البحث الزّمانيّة :** يقتصر البحث على الدّراسة الفنّيّة التّاريخيّة للفنون الإسلاميّة في بلاد الأندلس بدءًا من بداية الفتح عام 92 هجريا / 711م ، حتى سقوط غرناطة عام 898 هجريّة /1492م.
- **حدود البحث المكانيّة :** يقتصر البحث على الدّراسة الفنّيّة التّاريخيّة للفنون الإسلاميّة في بلاد الأندلس.

منهج البحث

يتبع البحث المنهجين التاريخيّ والوصفيّ التّحليليّ:

- **المنهج التّاريخيّ:** الدّراسة الفنّيّة التّاريخيّة للقيم الجماليّة فى أنظمة الزّخارف الهندسيّة الإسلاميّة في بلاد الأندلس بدءًا من بداية الفتح عام 92 هجريّة /711م ، حتى سقوط غرناطة عام 898 هجريا /1492م.
- **المنهج الوصفيّ التّحليليّ:** من خلال دراسة و تحليل نماذج من فنون بلاد الأندلس المتأثّرة بالفنون الإسلاميّة.

كما يتناول التجارب الفنّيّة و التّصميمات المبتكرة و المستنتجة من الدراسات الفنّيّة التّحليليّة.

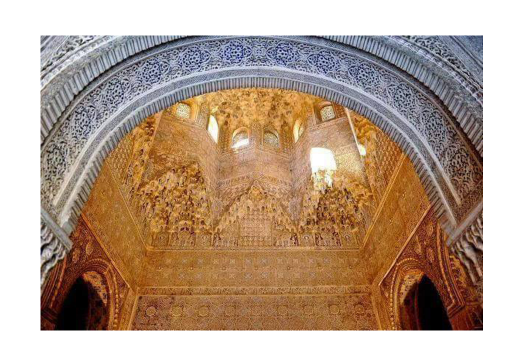
القسم الأوّل، الفنّ المعماريّ وأثره على العمارة في قرطبة يمثّل الفنّ المعماريّ لبني الأحمر نهاية حقبة الازدهار التي بدأها الأمويون في قرطبة في القرن الثّامن. وعلى

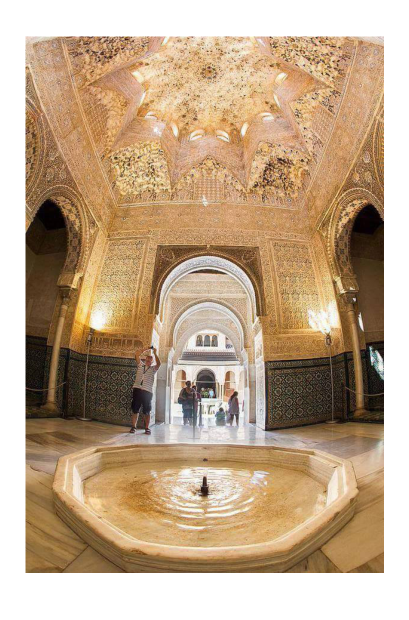
الرّغم من أنّ هذا الفنّ المعماريّ المتمثّل في مسجد قرطبة، الذي سبق عصر قصر الحمراء بتاريخ طويل، لا يعكس أيّ تأثير على العمارة في قرطبة، إلا أنّه تمكّن من إضافة لمسات خاصّة للعمارة الأندلسيّة مثل أقواس حدوة الحصان بإطار عريض وأقواسه المثلّثة الزوايا والعناصر الخاصة كالتّيجان المثلثة، الملوّنة بالأحمر.

كان المهندسون المعماريّون أكثر اهتمامًا بتزيين كلّ زاوية وركن في القصر. فأصبحت جميع عناصر الزّخرفة غير ذات أهمية. إذ نجد أنّ معظم الأقواس الدّاخليّة هي مجرد أشكال للزّخرفة ولا تسهم في تحمّل أيّ شيء من المبنى، والجدران مغطاة بالسّيراميك والجص. وبزخرفة رائعة. وكانت المنحوتات التي غطّت هذه الجدران مصنوعة من إطارات خشبيّة ذات أشكال رائعة. وعلى الرغم من حظر تمثيل الصور في الفنّ الإسلاميّ، إلا أنّ العناصر الزّخرفيّة تفاوتت بشكل كبير باللون الأحمر. كما استخدمت الخطوط العربية القديمة وتظهر في الكتابات المائلة بخطّ النسخ والخطّ الكوفيّ. «لا فائز إلا الله». وهذا يتّضح في شعر كثير من رجال الحاشية. وأكثر العناصر الزّخرفيّة في الغرفة هو السقف. واستخدم المهندسون المعماريّون في غرناطة فنّ الزّخرفة الزّهريّة ، بينما تظهر الزّخارف المتشابكة وشبكات المعيّنات بشكل أقلّ. كما استعملوا نوعًا خاصًّا من الأعمدة في الحمراء لا يوجد في أيّ مبنى آخر، وهو عمود ذو ساق أسطوانيّ دقيق للغاية وقاعدة ضخمة يعلوها مبنى كبير مجوّف، مزيّن بحلقات في الأعلى. وينقسم تاج هذا العمود إلى جزأين؛ أولهما أسطوانيّ ومغطى بزخارف بسيطة، يعلوه موشور بزوايا مستديرة ومزيّن بزخارف نباتية. ومن العناصر الزّخرفيّة الأكثر إثارة للإعجاب في قصر الحمراء قبّة المقرنصات، التي تتكوّن من فتحات متراكبة، وهي من سمات كلّ من قاعة بني سراج (شكل 1) وقاعة الأختين. (شكل 2)

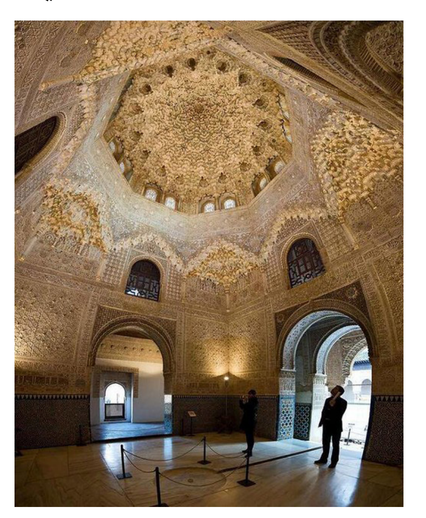
وقد نقش على جدرانها:

وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به ولم تك في أفق السماء جواريا





شكل رقم (1) قاعه بني سراج قصر الحمراء غرناطةالاندلس أسبانيا





شكل رقم (2) قاعة الأختين قصر الحمراء غرناطة الاندلس أسبانيا

1 – قاعة الأختين

هذه القاعة المثالية التي تبدو كالحلم في قبّتها النّبيلة والفاخرة في نقشها، وكأنّها مستمدّة من خلايا العسل في نقوشها الصغيرة، إلى نوافذ مقوّسة، وجدران تنساب شعرًا ونقشًا. ويدخل أدب القصيد لابن زَمْرَك هناك، ويقبع في هذا المكان الذي يبدو كالأوبرا، ويكفي أن تسمع المسمّى «الأختين» لتلعب المخيّلة في تفاصيل تاريخه القصصيّ، لتلك الأميرتين اللتين سكنتا هذا المكان.

وخلّدت قصيدة قاعة الأختين لابن زمرك التي اخترنا منها ما يلي:

أنا الروض قد أصبحت بالحسن حاليا تأمّل جمالي تستفد شرح حاليا

ولم نرَ قصرًا منه أعلى مظاهرا وأوضح آفاقًا وأفسح ناديا

2 – القلعة الحمراء

سمّيت الحمراء بهذا الاسم نسبة إلى لون أسوارها الحمراء؛ وتقع الحمراء فوق أعلى تلّ السبيكة على الضّفة اليسرى لنهر الدارو، شرقيّ المدينة وأمام أحياء البيازين و القصبة. بموقعها الاستراتيجيّ الذي يمكن من خلاله مراقبة المدينة والريف الغرناطيّ بشكل كامل، ما يثير الظنّ حول وجود أبنية قبل وصول المسلمين إلى هذا المكان. وتحيط بمجموعة الحمراء أسوار حصينة. شكل القلعة غير عاديّ، يحدّها من الشمال وادي الدّارو ومن الجنوب وادي السّبيكة، ومن الشّرق منحدر الملك «تشيكو» (Chico) والتي تفصل الحمراء عن البيازين وعن جنّة العريف الواقعة فى تلّ الشّمس. وقد بدأ الاستقرار في هذه المنطقة لأوّل مرة في القرن التّاسع عندما اضطر سوار بن حمدون عام 889 إلى اللّجوء إلى القصبة وإصلاحها من المقاومة المدنيّة التي كانت تناهض الخلافة في قرطبة التي كانت غرناطة لا تزال تابعة لها. ثم بدأ التّوسّع في هذا السّياج وبدأ إعمار المكان وإن كان على خلاف ما عرف، إذ إنّ ملوك الزّيريين الأوائل أقاموا في ما عرف لاحقًا باسم البيازين. وعلى الرّغم من ضمّ قلعة قصر الحمراء إلى السّياج المسوّر للمدينة في القرن الحادي عشر وما حولها إلى قلعة عسكريّة تُحكَم المدينة من داخلها، وكان ذلك قبل القرن الثالث عشر حين وصل إلى الحكم أول الملوك النّصريّين محمد بن الأحمر (محمد الأول 1238 – 1273) والذي اتّخذ من الحمراء مقرًّا للأسرة الحاكمة.

ليبدأ بذلك العصر الذهبيّ للحمراء.

في البداية تمّ تعزيز الجزء القديم من القصبة، وتشييد برج الحراسة وبرج التكريم، وجرّ المياه من نهر الدارو، وأنشئت المخازن والمستودعات وبدأ بناء القصر والسياج المسوّر والذي استكمل بناءه محمد الثاني (1273–1302) ومحمد الثالث (1302–1309) كما ألحق بالحمراء حمام عام والمسجد الذي أنشئت فوقه كنيسة سانتا ماريّا الحاليّة. وتنسب الغالبية العظمى من الإنشاءات التي أقيمت في الحمراء وما تزال قائمة إلى يومنا هذا إلى يوسف الأول، (1333–1353) ومحمد الخامس(1391 –1353) بدءًا من إصلاح القصبة ، والقصور، ومرورًا بالتوسّع الذي تمّ فى السور المحيط بالقصر وباب العدل، والتوسّع في زخرفة الأبراج وإنشاء الحمامات وبهو قمارش وقاعة البركة، وانتهاءً بباحة الأسود وملحقاتها. أما عمّن تلاهم من الملوك النصريين فلم يبق فعليًا ما يمكن نسبته إلى أحد منهم.

منذ عهد الملوك الكاثوليك وحتى وقتنا هذا يمكننا ملاحظة هدم جزء من المباني المعماريّة بواسطة كارلوس الخامس وذلك لبناء القصر الذي يحمل اسمه، وتشييد غرف الإمبراطور ومتزيّن الملكة ، كذلك نلاحظ ما عاناه قصر الحمراء من إهمال ابتداءً من القرن الثامن عشر . وقد تمّت إزالة جزء من القلعة أثناء الحكم الفرنسيّ، وحتى القرن التاسع عشر ولم يتمّ البدء في إصلاح هذا الجزء ولا ترميمه وما زال على حاله إلى وقتنا هذا .وهو بمجمله يحمل مقوّمات وجوده وديمومته لأنّه في الوقت نفسه، له القابلية على التأثير ، فهو نوع من أنواع التّربيّة التي تهدف إلى تنمية الذّوق والإحساس الجماليّ بما يحمله من قيم ومضامين ومفاهيم فكريّة. لذا فالأمّة التي تهمل هذا النّوع من التّربيّة تكون أمّة فاقدة للكثير من القيم والمفاهيم. لذلك كان الفنّ محطّ أنظار واهتمام كلّ الأمم التي قدّمت لشعوبها الحضارة والتي رفدت الإنسانيّة بشتى صنوف الثقافات والمعارف، بما خلّفته لنا من فنون. فهل من الممكن إيجاد اتّجاه تصميميّ معاصر في مجال التّصميم الدّاخليّ والأثاث، يعكس الهويّة الثّقافيّة والشخصيّة المحليّة؟

وممّا لاشكّ فيه أنّ الفنّ الإسلاميّ كان من بين تلك الفنون الذي نشأت في جوّ فكريّ جديد، لأنّه كما لو كان وحيدًا يواجه مصيره بلا أدنى عون من الآخرين، شجاعة بهذا المستوى، كان من نتائجها أن قادت الفنان المسلم نحو بوابة التّاريخ. ومما يدعو إلى

التّأكيد هو أنّ المعطيات الجماليّة غالبًا ما تُفهم بعد أن يكون الزّمن قد عفا عليها.

3 - الفنّ الإسلاميّ

من المعروف أنّ الفنّ الإسلاميّ لايحفل بالمهارة لذاتها، بل بما وراء المهارة من فكر ومفاهيم. وتجارب الفنان المسلّم تغرق في بساطتها وروحيّتها وانتمائها المكانيّ. من هنا يمكننا أن نتصوّر مدى أثر الفكر الإسلاميّ على الفنّ الإسلاميّ وعلى المسيرة الفنّيّة، إذ يبدو أنّ الفنّان المسلم ظلّ يستلهم الذهنيّة الإسلاميّة الجامعة للناحيتين التنظيريّة والتقنيّة على حدّ سواء.

إنّ الفنّانين كانوا قد أدخلوا من الخصائص الفنّيّة وابتكروا من الأساليب، ما تنفرد به منتجاتهم، ولم تقتصر الابتكارات على جوانب معيّنة من دون أخرى، بل ابتكر رجال الفنّ الإسلاميّ تقنيّات جديدة في الفنّ والزّخرفة وأشكالا جديدة من الأواني والتحف. حتى وصلت ابتكاراتهم إلى درجة كبيرة من التنوّع سواء في الزّخرفة أم في الألوان، أو في الأساليب الأخرى، وهو ما أعطى للفنّ الإسلاميّ تنوّعًا، بلغ حدّا يصعب علينا أن نجد تحفتين متشابهتين. وذلك مع الاحتفاظ بوحدة عناصره، إذ يتمتّع الفنّ الإسلاميّ بوحدة قويّة متماسكة، تنطبع بمظاهر واحدة وتستمدّ روحها من إلهام واحد، مهما تباينت عناصرها، ومهما تنوّعت أشكالها، واختلفت خاماتها.

اهتمّ المسلمون بالفنون الزّخرفيّة منذ زمن مبكر واتّخذوها في تزيين وتجميل العمائر الدّينيّة والمدنيّة مثل المساجد والقصور وغيرها. وتعدّ زخارف قبّة الصخرة من أبدع أنواع الزّخارف الإسلاميّة، إذ نرى تنوّعًا كبيرًا للأشكال والرسوم النباتيّة والتي تتمثّل بصور النخيل والزيتون والقصب.

ولاشك في أنّ وحدة العقيدة الدّينيّة في العالم الإسلاميّ هي التي قادت بالنّتيجة الفنّان المسلم إلى الاهتمام بالمكان الذي يجتمع فيه المسلمون لتأدية فرائضهم، إذ أسهم ذلك في توجيه إبداع الفنان المسلم ومن ثم زوّده بالكثير من الإبداعات الزّخرفيّة، ما أدّى إلى قيام نهضة فنّية كبيرة، ساهمت في قيام حضارة مزدهرة أضاءت بأنوارها جميع بقاع العالم، وخلّفت لنا تراثًا يضاهي في أهمّيته التّراث العالميّ الإسلاميّ.[1]

(1) **أرنست كونل.** ترجمة د. أحمد موسى الفن ،لإسلامي ، طبعة 2/1966 صفحة 11.

وهكذا تنوّعت المجالات التي ازدهرت فيها الفنون الإسلاميّة وبلغ اهتمام الفنّان المسلم في الزّخرفة حدّا جعله يزخرف حتّى الأجزاء الدقيقة وبمختلف الخامات، فظهرت الزّخرفة الإسلاميّة على الأواني الخزفيّة والنحاسيّة والزجاجيّة. وظهرت خامات جديدة منها العاج والصدف وغيره، كما زخرفت الأبواب الخشبيّة وبمختلف التقنيّات والأساليب.

هذا بالإضافة الى اهتمام الفنّان المسلم بزخرفة الكتب فحفظ لنا الزّمن الكثير من المخطوطات الإسلاميّة، فظهرت أجمل الزّخارف وأروعها، في ميدان المخطوطات.

ومن بين ما أبدعته يد الفنّان المسلم، هو الزّخرفة على الجدران الدّاخليّة والخارجيّة ومارافقها من تقنيات اكتسبت أهمّية بالغة في تطوّر فنّ العمارة في الحضارة الإسلاميّة. عدا ذلك فقد عمد الفنان المسلم إلى تضمين تلك العناصر المعماريّة مفاهيم جماليّة وفنّيّة رائعة كان من بينها مفهوم القيم الجماليّة فى أنظمة الزّخارف الهندسيّة الإسلاميّة ، الذي ينطلق من فكر شموليّ، جمع بين المطلق والمادّة، من تحت سماء واسعة وصحراء ممتدّة في قوس الأفق الوهميّ ومن خلال الفكر الإسلاميّ الذي جمع بين المجرّد والمحسوس، والذي كان له الأثر الكبير في إبداع فنّ متميّز من بقيّة فنون حضارات العالم. من هنا اتّخذت فنون العمارة الإسلاميّة ومنها التّصاميم الزّخرفيّة النباتيّة اللامتناهية، أهمّية ومكانة على مرّ العصور، لاسيما الزّخرفة الإسلاميّة النباتيّة في قصر الأندلس، فإنها مازالت تحوي متاهات لانجيد معرفتها إلا من خلال الإشارات الضئيلة التي نركن إليها في بعض الكتب أو عند أحد المؤرخين، فما زال الكثير من الآثار الإسلاميّة مغمورًا بالنسيان. وهذه الآثار - حسب علم الباحث - لم تحظ بالاهتمام الكافي، لذلك فإنّ دراسة تلك البقايا الفنّيّة دراسة متعمّقة تبقى حاجة ملحّة.

أ- الفنون الأندلسيّة

يعدّ الأمويون أول سلالة حاكمة استقرّت بأسبانيا بعد سقوطها علي يد موسى بن نصير عام 91 هجرية . واستمرّ عهد الخلافة الأمويّة حتى جاء عصرملوك الطوائف في الفترة من 403 هـ/ 1012 م وحتى 487 هـ/ 1085م . و في تلك الحقبة شكّلت الأندلس منارةً للعلم والازدهار في أوروبّا وأصبحت مدينة قُرطُبة إحدى أكبر وأهمّ مدن العالم وباتت مركزًا حضاريًّا وثقافيًّا بارزًا في أوروبا وحوض البحر المتوسط والعالم الإسلاميّ. ثم جاء بعده عصر المرابطين من 487 هـ/ 1085 م حتى 524 هـ/ 1129

من ثمّ تلاه عصرالموحّدين من 524 هـ/ 1129 م حتى (667 هـ/ 1268 م) ثم تلاه عصرغرناطة و نهاية الأندلس 898هـ [1]

وانتهت سيادة العرب على أسبانيا عام 1492 م في الثاني من يناير عندما رفع الكردينال بدور جونزاليس الصليب على قصر الحمراء، إيذانًا بانتهاء تلك السّيادة العربيّة، فانتهت أعظم حضارة عرفتها أوروبّا في القرون الوسطى وانتهي عصر عظيم نعمت فيه أسبانيا بالرخاء و الخير والازدهار في الصناعة و العلوم و الآداب والفنون بدرجة لم يعرف لها من قبل مثيل.[2]

ب - **المراحل المعماريّة**

لقد نتج عن فتح العرب لأسبانيا دخول فنون و صناعات الشّرق الأدنى إلي البلاد الأوروبيّة و قد اشتهرت الأندلس بالمنشآت المعماريّة ذات الشّأن، وانقسمت الحقبة إلى ثلاثة مراحل معماريّة ، شملت **المرحلة الأولى** جامع قرطبة ، الذي تم بناؤه في القرن الثاني للهجرة/الثّامن الميلاديّ، بينما شملت **المرحلة الوسطى** منارة إشبيلية التي أنشأها الموحّدون في القرن السّادس للهجرة/ الثّاني عشر الميلاديّ ؛ اوشتملت **الثّالثة** على قصر الحمراء في غرناطة ، الذي شُيّد في القرن الثّامن للهجرة/ الرّابع عشر الميلاديّ، وكان عنوانًا لما انتهت إليه العمارة الأندلسيّة، ويرى غوستاف لوبون أنّها تدل باختلاف طرزها على أصالتها العربية [3]. كما في شكل (3-4)

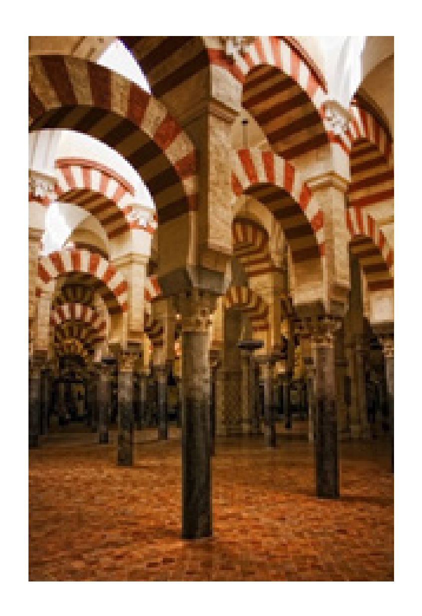
(1) **ابن الأثير**، «الكامل في تاريخ» ، تحقيق عبد السلام تدمري،الطبعة الأولى ، الجزء السادس، دار الكتاب العربي بيروت1997 - ص 612.

- **عبدالله عنان، محمد** ، «دولة الإسلام في الأندلس» الجزء الرابع ، والخامس «دولة المرابطين في الأندلس»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997- صفحة 22.

- **السامرائي، خليل** وآخرون ، «تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس» الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة ،بيروت 2000 - ص 263.

(2) **زيغريد هونكه** ،« شمس العرب تسطع على الغرب» ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت،الطبعة الثامنة 1993 ، ص 530.

(3) **غوستاف لوبون** ، «حضارة العرب» (ترجمة عادل زعيتر) ، مطبعة البابي الحلبي، 1969- ص283.



شكل رقم (3) الأقواس النصف دائريّة بجامع قرطبة



شكل رقم (4) منارة إشبيلية

ومن أبدع العمائر الأندلسيّة قصر الحمراء بغرناطة والذي يمتاز بجمال مبانيه ورشاقة أعمدته ذات التّيجان المزخرفة بالمقرنصات كما في شكل رقم (5) والجدران المغطّاة بشبكة من الزّخارف الجصّية والكتابات الإسلاميّة يظهر ذلك في الأشكال رقم (6 ، 7)

وتتكوّن الزّخارف الرئيسة في المنحوتات الحجريّة لهذا القصر من تفريعات نباتية مزهرة تميزت بإمتداد الزّخارف واستمرارها بحيث تختفي المساحات الخالية من الزّخارف.[1]

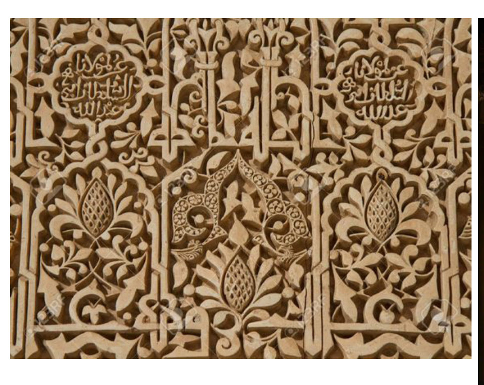


شكل رقم (5) يمثل مظهر عام لقصر الحمراء من الخارج

(1) **أبو صالح الألفي** ، «الفن الاسلامي أصوله وفلسفته ومدارسه»، دار المعارف، الطبعة الثالثة 1984 – ص 69.

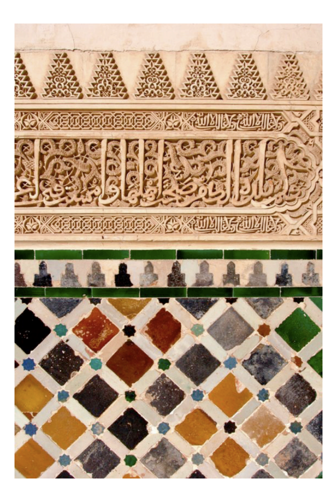


شكل رقم (6) مدخل قصر الحمراء بغرناطة



شكل رقم (7) الجدران المغطاه بشبكة من الزّخارف الجصية

قصر الحمراء أشبه بمدينة داخل مدينة، فهو يضمّ معالم تاريخيّة كبيرة فريدة من نوعها على المستوى العالميّ ومنها قاعة الملوك التي تجمع في زخارفها الفنّ العربيّ القديم والطراز الإسلاميّ البديع، وذلك بمجموعة كبيرة من أشكال هندسيّة مزخرفة بآيات قرآنيّة بالإضافة للأشعار والمدائح. وفيما يأتي نماذج لجماليات الخطّ العربيّ في بلاد الأندلس، (الشكل رقم 8).



شكل رقم (8) زخارف كتابية من قصر الحمراء بالاندلس

ج- العمارة في الأندلس والخطّ العربيّ

العمارة في الأندلس كانت غنيّة بالخط ّالعربيّ ليس في القصور فقط، بل في المساجد أيضًا إن كان من الداخل، أومن الخارج، فقد تمّ تزيينها بالخط ّالعربيّ كالجدران والقباب والمداخل والأقواس وكذلك الأشرطة المحيطة بالعقود، إذ تعرض تصاميم أنيقة للآيات القرآنية ومقتبسات الشّعر العربيّ ويمكن دمج تكرار لفظ الجلالة(الله) في أعمال الطّابوق، أو دمجها مع الأرابيسك المنحني أو الأشكال النباتيّة. فكانت التّصاميم الهندسية تتناوب عادة مع انسيابيّة الخط.

لأنّ الأندلس ولاية تابعة للشّمال الأفريقي يعيّن فيها الوالي الأفريقي حكّام الأقاليم لذلك امتزج الفنّ الأندلسيّ بالفنّ الشّمال أفريقيّ في العصر الأمويّ كمظهر من مظاهر استقلالهم عن المشرق[1]. ثمّ طوّر الخطّاطون الذين يعملون في الأندلس أسلوبًا مميّزًا يظهر في الخطّ الأندلسيّ المستدير المناسب بليونة على جدران قصر الحمراء وجامع قرطبة. وغالبًا ما تكون عناوين صفحات المخطوطات في الخط ّ الكوفي.

ويخبرنا المستشرق الإسبانيّ «إميليو غارسيا غوميس» في كتاب «قصائد عربيّة على جدران وينابيع الحمراء» أنّ الحمراء ضمّت ألبومًا شعريًا لثلاثة وثلاثين قصيدةً نقشت على الجدران والنافورات [2] ولم ينتهِ الخط ّالأندلسيّ بنهاية الأندلس الإسلاميّة، وإنما ظلّ مرجعًا معتمدًا بعد ذلك في المغرب الأقصى، الذي احتضن تراث الأندلس، ومنه الخطّ وما يتعلّق به. وأخذ يخضع الخطّ العربيّ الأندلسي لنسب هندسيّة مهمّة مع حسن فائق ورونق يأخذ العقل وترتيب يشهد بكثرة الصّبر والتجويد، فيظهر الخطّ الأندلسيّ مقوّس الأشكال، والسّطر العموديّ أدق من السطر الأفقي وهو دعامته، فيه تتجمّع الحروف القصيرة والمستديرة. وقد بلغت الكتابة[3] عند أهل الأندلس من الكمال وحسن الخطّ ما لم ندركه من قبل ولا من بعد. والنّتيجة الطّبيعيّة لجودة الخطّ أن ألقى بظلاله على المخطوطات، لتأتي دررًا ناصعة في أناقتها وجودة كتابتها.

أخذ الخطّ الأندلسيّ يكتسح المراكز المنافسة عبر المغربين إلى منطقة القيروان،

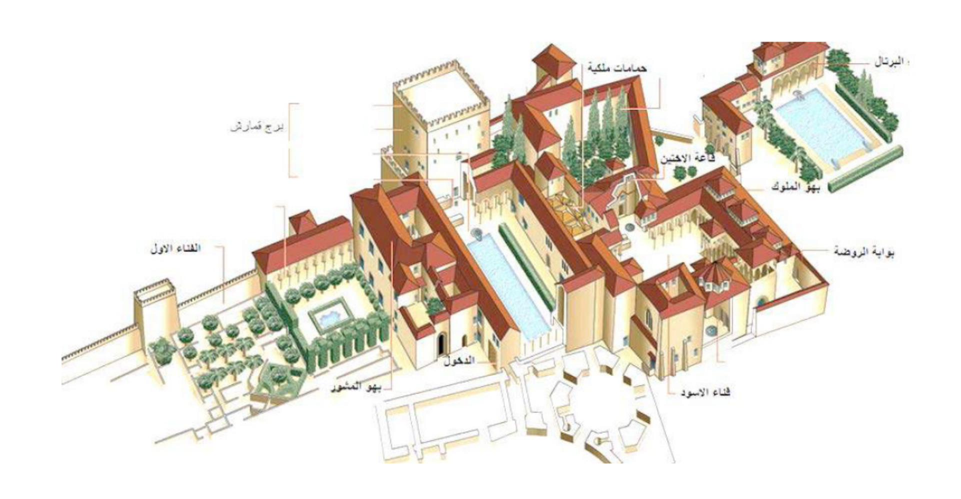
---

(1) **عبية ، طه عبد المقصود**، موجز تاريخ الأندلس ، القاهرة ، ص40 .

(2) **اميلو ، غارسيه كوميز**: اشعار عربية على جدران قصر الحمراء ، مدريد 1996، صفحة 22-6.

(3) **بعيون ، سهى محمود**، كتابة المصاحف في الاندلس ، مجلة البحوث القرآنية العدد 7 ، مؤتمر الملك فهد الرياض ، صفحة 147.

لأنّ البنية العامّة لهذا الخط هي بنية لينة، تميل إلى التّقويس والاستدارة أكثر منها إلى الاستقامة، وقد انتظمت فيها الحروف انتظامًا مركّزًا مدروسًا، ولّد حركة أفقيّة نتيجة انبساط الحروف على السطر وتكاملها مع صواعده. أمّا الفراغات، فقد تنوّعت وتوازنت في التماعٍ حركيّ أحدث إيقاعًا بصريًا متكاملًا. فكان الذّوق الأندلسيّ قد أضفى على الخطّ العربيّ تطوّرًا جديدًا. وبهذا الخطّ زخرفت عناوين الكتب، التي تكتب الحروف السميكة فيها متداخلة بعضها في بعض، وأحيانًا تكتب بماء الذهب[1] .



شكل رقم (9) مجسم قصر الحمراء بالاندلس

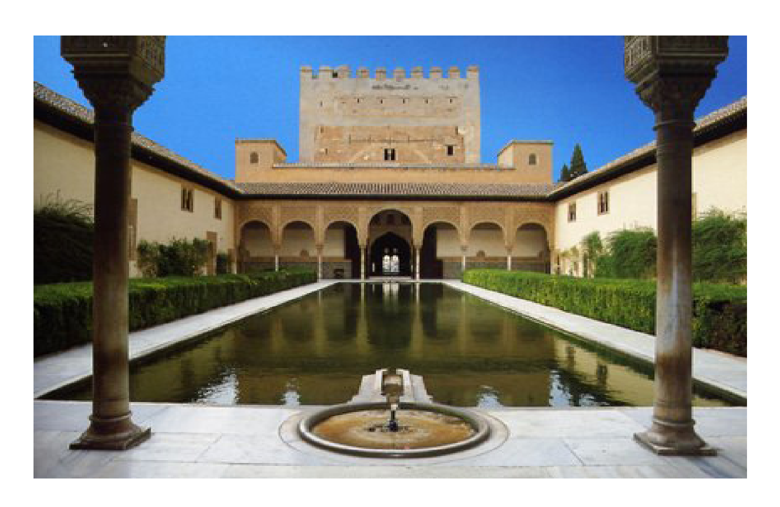
د- تصاميم قصر الحمراء المعماريّة

قصر الحمراء كما في الشّكل (9)، موقع تابع حاليّا لليونسكو في غرناطة [2] – الأندلس، أُدرج في العام 1994 موقعَ تراثٍ عالميّ، وربّما يكون أحد أشهر أمثلة الفنّ الإسلاميّ، إذ لا توجد هندسة معماريّة لقصر في العالم مثل قصر الحمراء. بدأ الأمير أبو عبد الله محمد [3] بتشييد قصره على تلّ يسمّى (تل سبيكة)، يشرف على مدينة غرناطة التي كانت محاطة بالجنان والبساتين، استمر العمل في بناء القصر حتى سقوط الإمارة، ولم يتمّ تشييد هذا القصر وفقًا لتخطيط مسبق، بل جاء نتيجة إضافات متتالية، فكلّ أمير يبني قصره الخاص، أو يضيف فناء الى فناءات الحمراء المتعدّدة، كفناء السباع والريحان

(1) **علي ، كرد**، غابر الاندلس وحاضرها ، القاهرة 2013 ، صفحة 89.
(2) **عبية ، طه عبد المقصود**، موجز تاريخ الأندلس ء صفحة 168- 179.
(3) **سالم ، السيد عبد العزيز**، المساجد والقصور بالأندلس ، صفحة 140 –158.

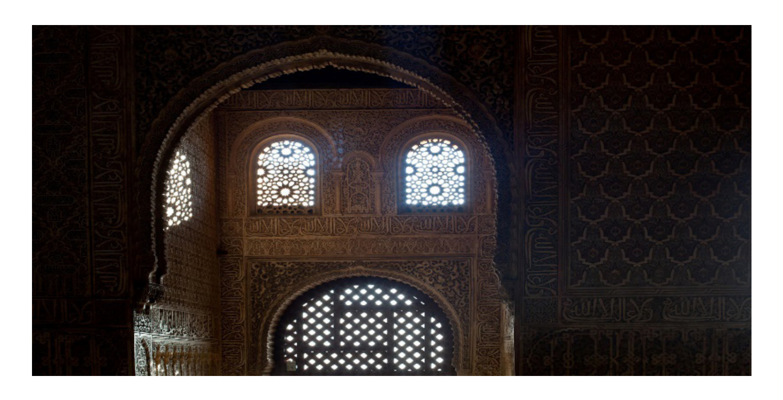
وفناء السفراء وفناء الملوك وغيرها، أو يشيّد برجًا أو أكثر من أبراج الحمراء التي يبلغ عددها 37 برجًا، ما يزال أغلبها قائمًا.

تنبثق تصاميم قصر الحمراء المعماريّة من منابع إسلاميّة أصيلة، ففناءاته وصحونه الدّاخليّة ذات الزّخرفة والتّصميم البديع، تنفتح إحداها على الأخرى، وهي تناقض تمامًا بساطة أبوابه المتعدّدة وأسواره [1]. القصر وحجراته المطلّة على الفناءات الدّاخليّة وأبراجه المنعزلة وحدائقه الخلابة وبرك المياه والقنوات، كلّ هذه العناصر تعبّر عن توق المسلم للفردوس ومحاكاة وصف الجنة، كما جاءت في القرآن والأحاديث الشريفة، كما أنّها تمثّل نهاية الثقافة الإسلاميّة في العصور الوسطى في شبه الجزيرة الأيبيريّة[2]. ويمكن أن نقسم عمارة قصر الحمراء إلى جناحين كبيرين هما: **جناح قمارش**، كما شكل (10) ويضمّ قاعة السفراء كما شكل رقم (11) ، وبرج قمارش الذي يعلوه. و**جناح الأسود**، يتوسّطه فناء الأسود. كما شكل رقم (12)

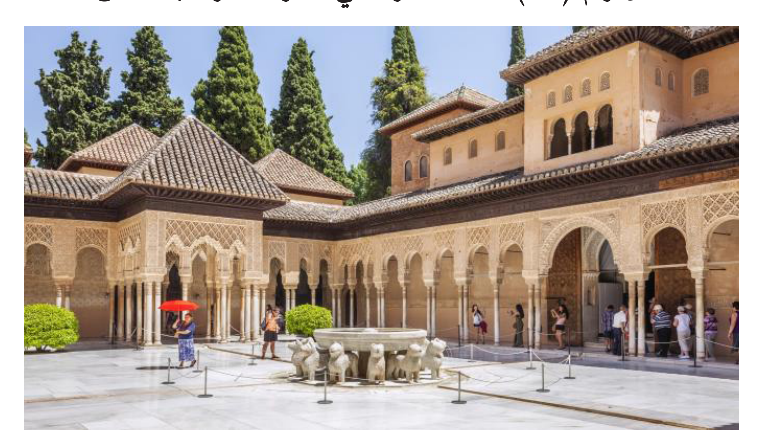


شكل رقم (10) جناح قمارش في قصر الحمراء بالاندلس

(1) علي كرد : غابر الاندلس وحاضرها، صفحة 98
(2) **سالم ، السيد عبد العزيز**، المساجد والقصور بالأندلس ، صفحة 140 –158 .



شكل رقم (11) قاعة السفراء في قصر الحمراء بالاندلس



شكل رقم (12) جناح الأسود في قصر الحمراء بالاندلس

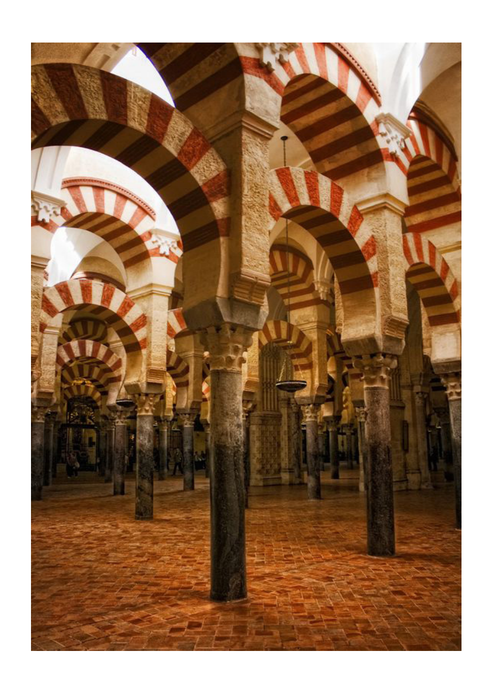
أبيات على حافّة حوض السباع لابن زمرك قصيدة يصف فيها بهو السباع، حيث حفرت أبياته على حافة الحوض، يقول فيها:

ضراغم سكنت عرين رئاسة تركت خرير الماء فيه زئيرا

فكـأنّمـا غشّى النضارجسومها وأذاب في أفواهها البلورا

وتشير الأبحاث الإسبانيّة إلى أنّ الأسود التّماثيل نحتت على شكل تمثال لأسد أتَوا به من منزل أندلسيّ يهوديّ كان وزيرًا، يدعى يوسف بن ناغريلا، ورغم أنّ النحت المجسّد محرّم في الفنون الإسلاميّة، لكنّهم وضعوا الأسود الإثني عشر ليعبّروا عن الزّمن والسّاعة ، بينما المصادر اليهوديّة تقول إنّهم يمثّلون القبائل الإسرائيليّة الاثنتي عشرة.

فناء الرّيحان الكبير وبهو السفراء: يؤدّي البهو الذي يلي فناء الرّيحان من الجهة الشّماليّة إلى بهو السّفراء أو بهو قمارش. وبهو البركة يؤدّي من جهة اليمين إلى باحة السّرو، وإلى جانبها الحمّامات الملكيّة تقع في شرق بهو البركة قاعة الأختين. وعرفت هذه القاعة بهذا الاسم لأن أرضها تحتوي على قطعتين من الرّخام متساويتين وضخمتين[1]. تؤدّي قاعة الأختين من بابها الجنوبيّ إلى بهو الأسود؛ أشهر أجنحة قصر الحمراء، قام بإنشاء هذا الجناح السلطان محمد الغنيّ بالله (755هـ/1354-793هـ/1391م) وشرق قاعة الأختين بهو الملوك وحلّ محل مسجد الحمراء في وسط الهضبة في جنوب الروضة مبنى كنيسة سانتا ماريا، وقد أمر السلطان محمد الثالث 1302م-1309م ببنائه وجعله أفخم مساجد غرناطة الذي أصبح اليوم كنيسة [2] . كما شكل (13)



شكل رقم (13) مسجد غرناطة الذي أصبح اليوم كنيسة

(1) **سالم ، السيد عبد العزيز**، المساجد والقصور بالأندلس ، صفحة 140 -158.
(2) **JOSÉ MIGUEL PUERTA**: Alhambra y el Generalife de Granada Artigrama, núm. 22, 2007, p192. 19

على الرّغم من أنّ تاريخ قصر الحمراء يعود إلى العام 860 بعد الميلاد، فقد تمّ بناؤه من قبل الأسرة النصريّة بين عامي 1232 و1492. وأصبحت آخر مملكة مغاربيّة في أسبانيا بعد 7 قرون من الحكم الإسلاميّ في جنوب أسبانيا. وبعد الاسترداد المسيحيّ في العام 1492 م، أصبح الموقع محكمة ملكيّة لفرديناند وإيزابيلا وقد تأثرا بنقوش قصر الحمراء وبدأأ على الفور أعمالهما الخاصّة ببناء على طراز عصر النّهضة [1] ، لكنّه لم يصل الى مستوى عمارة وزخارف ونقوش الحمراء وهذا لم يكتمل أبدًا ويمكن تمييز الفرق بينهما بسهولة. ويزدان قصر الحمراء بنقوش الخطّ العربيّ (الكوفي والثلث) وشملت إضافة لجملة «ولا غالب إلا الله» قصائد لثلاثة شعراء من البلاط الملكيّ بغرناطة وهم «ابن الجياب» (1349-1274) و«ابن الخطيب»(1375-1313) و«ابن زمرك» (1393-1333) وقد كانوا كتّابًا للبلاط الملكيّ وشغلوا منصب الوزير الأعظم. وأشرفَ الثلاثة وبخاصّة «ابن زمرك» على تزويق وتنميق المباني وحدّدوا الحيّز المكانيّ المخصّص لكلّ بيت من القصيد، تتراوح القصائد الثلاث والثلاثين بين أربعة وعشرين بيتًا و بيتًا واحدًا يتيمًا، وتنتشر تقريبًا في كلّ أرجاء الحمراء. اهتمّت القصائد المحفورة في الظاهر بمدح السلطان والدعاء له لكنّها ركّزت في جزء هامّ من أبياتها على تخليد أسماء شعراء البلاط. ويعدّ قصر الحمراء أكثر القصور استخدامًا للخطّ العربيّ كزينة حتى أصبح عنصرًا أساسيًا يتجلّى من خلاله جمال العمارة. تحوّل القصر إلى مكتبة حفظت أشعارًا عمرها تجاوز السبعة قرون وأصبح كتابًا يرد من خلاله المهتم بأشعار القرن 14م. وتنسب أكثر القصائد المحفورة لشاعر يدعى «محمد بن يوسف التصريحيّ» وهو المعروف والمشهور ب«ابن زمرك» وهو تلميذ لسان الدين بن الخطيب صاحب الموشّحة الشهيرة:

جادك الغيث إذا الغيث همى　　　　يا زمان الوصل بالأندلس

بعد قرون من الاضمحلال لا يزال سليمًا بشكل جيد[2]، وخضع لعملية ترميم واسعة النطاق في السنوات الأخيرة. وتحتوي المباني على أفنية مظلّلة وممرّات مغطاة تمرّ من المساحات الدّاخليّة المضاءة جيدًا إلى ساحات وحدائق مليئة بالشمس تنبض جميعها

(1) **سالم ، السيد عبد العزيز**: المساجد والقصور بالاندلس ، القاهرة 1986 ، ص 140. **عبية ، طه عبد المقصود** : موجز تاريخ الاندلس ، ص 168- 179 .

(2) **سالم ، السيد عبد العزيز** المساجد والقصور بالأندلس ، صفحة 147.

بالحيوية بانعكاس الماء وزخرفة الجصّ المنحوتة بشكل معقّد حيث كان الخط ّشكلًا فنّيا رئيسًا. وأصبحت العشرة آلاف نقش بالعربيّة التي تزيّن جدران وسقوف وأقواس قصر الحمراء لأوّل مرّة موضع عمل الرموز والمسح و الفهرسة المنهجيّة [1] .وقد حقّق فريق العلماء الإسبان الذين يعملون على هذه المهمّة باستخدام أحدث التقنيات لأخذ قراءات ثلاثية الأبعاد لأربطة الكلمات الحقيقيّة المقطوعة في الحجر، ثلث مهمّتهم[2]. صبّ الخطّاطون العرب في الأندلس أيضًا اهتمامهم ليس فقط في تزيين العمارة بل شمل ذلك أيضا بناء مكتبات في الأندلس، لتصنيف مجموعات الكتب وأعيد إنتاج المعرفة التي تمّ جمعها من بلاد المسلمين ونقلها إلى الأندلس على مرّ القرون، إذ قام حكّام مدن مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة برعاية مكتبات تضمّ آلاف الكتب ، وكلّها مكتوبة بخطّ اليد ، ووظّفوا طاقمًا من الخطّاطين لعمل نسخ وتزيين الأعمال باللغة العربيّة، ومن المعروف أنّه كانت هناك نساء في الأندلس يعملن في الخط الزّخرفيّ ونسخ الكتب ، وأنّ رعاة المكتبات الأثرياء والمجموعات الخاصّة شملوا النساء المتعلّمات في مدن مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة[3].

كان الخطّ أيضًا ميزة زخرفيّة رئيسة في أشكال الفنّ الأخرى. ويبدو على الأواني الخزفيّة، صناديق خشبيّة مطعّمة بالعاج المنحوت، وكائنات صغيرة مغطّاة بالجلد مع ختم الذهب، تمّ نسجها في حدود الطراز على المنسوجات، مطعّمة أو محفورة على الأعمال المعدنية والأدوات العلميّة ، وختمها على العملات المعدنيّة.

هـ – قراءة في بعض نقوش قصر الحمراء

1- الخط في إشبيلية

برع الخطّاطون في إشبيلية، فكان أسلوبًا فريدًا في روعته، حروفُه تميل قوائمها نحو اليمين، عكس الخطوط العربيّة، ويمتاز بتباين سمكه وليونته المناسبة بلطف وقوة وجمال. ويمتاز الخط في قصر الحمراء باستدارات في حروف النّون والباء الأخيرة والواو واللام والصاد والجيم وما شابه ذلك، وحفظت لنا جدران قصر الحمراء لوحات تزدان بها

(1) **سالم ، السيد عبد العزيز**، المساجد والقصور بالأندلس ، صفحة 147.

(2) **سالم ، السيد عبد العزيز**، المساجد والقصور بالأندلس ، صفحة 147.

(3) **Antonio, Cuello& Bilal Marraco Epigrafía árabe**, Historia y Arqueología, del Reino de Granada,p100-104.

الجدران والعقود والأقبية وكسب مظهرًا أكثر بساطة ومرونة ومطاوعة فيما يخصّ الخط الثلث. حروفه دقيقة الرّسم وبعضها لا يكتب إلا بثلث القلم. وهذا الخط يمتاز باستلقاء الأحرف وامتدادها وله من الأناقة حظّ كبير، بفضل طول الأسطر العموديّة الذي كاد يبلغ حدّ الشطط والتباعد بين الأحرف التي تمتد أشكالها بنوع من الوفرة. والأسطر التي اتّحد حجمها ورقّ مظهرها قليلًا، تندفع في كثير من الجرأة وتبدو لأول نظرة على تناسق كبير. وقد زاد الذّوق الأندلسي في الإجادة الفنّيّة ما اكتمل به جانب الإتقان والتفنّن، تتوافق النقوش الخطيّة (بالخطّ العربيّ) الموجودة في قصر الحمراء مع نمطين مختلفين: الكوفيّ (الهندسيّ المزخرف) وخطّ الثلث (النمط المتّصل)، يتكوّن الخط الكوفيّ الذي يشير عادة إلى اقتباسات من آيات القرآن الكريم، من مزيج من الخطوط المربّعة والزوايا بأشكال دائريّة جريئة. منفّذة على الجبس، ويميل إلى تشكيل جزء من الزّخرفة التي تصبح غير مقروءة تقريبًا. يمتد النقش الكوفيّ في أسفل اللّوحة ويحوّل الحروف إلى زخرفة. ما يشير إلى بعض الدعاء باسم (البركة) و (النعمة)، تظهر في الوسط وزوايا اللوحة. وعلى رأس البركة المركزيّة حرف «نون» يدعو للسّعادة، في حين أنّ معظم القصائد مكتوبة بحروف متّصلة، إلا أنّ استخدام قصر الحمراء للخطّ الكوفيّ الغنيّ بالزّخرفة، في عدة عبارات وجمل بديعة العناصر الزّخرفيّة. ومن الزّخارف أوراق النبات والأشكال الزّهريّة التي كانت قد أدرجت بالفعل في ذخيرة الخطّ الكوفيّ، تمذ تزيينها بشكل أكبر باستخدام الخطوط المنحنيّة والضّربات الصّاعدة على شكل أعمدة وأقراص مسطّحة وأقواس متعرّجة، وكلّها تخلق تصميمات معماريّة تغمر الجدران وتستحضر في الوقت نفسه ببراعة، هياكل خياليّة جذّابة.

يمثل الشّعر النّسبة الكبرى من القرآن الكريم والاقتباسات القرآنية (أقل من 10٪) من النقوش المفهرسة حتى الآن في هذا القصر، فإنّ العبارة التي تظهر أكثر من غيرها، «مئات المرات»، على «لا غالب إلا الله». من بين النّقوش الأكثر شيوعًا الموجودة هناك كلمات بسيطة مثل «الخبطة المتّصلة»، وهو تعبير يشير إلى الإرادة الإلهيّة لشاغلي القصر[1]. وأكثر التّعابير تكرارًا في قصر الحمراء؛ «البركة – النّعمة» ويشكّل الحرف الثّاني من الحرفين في الكلمة قوسًا يتّسع للحرفين الأولين في بناءٍ متماثل

(1) **انتونيو ، فرنانديز** : فن الخط العربي في الاندلس ،بحث منشور ضمن الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، ج 2 ، صفحة 948

أو متناظر على جدران قصر الحمراء. وفي أركانه الأكثر إخفاء، يتميّز خطّ الثلث بأحرف منحنية مكتوبة برؤوس شائكة، ترتبط الأحرف ببعضها بعضًا وأحيانا تتقاطع، ما يؤدّي إلى إنشاء تدفّق متصل بنسب واسعة ومعقّدة في كثير من الأحيان. وتشتهر تلك برسوماتها المتقنة ومرونتها المذهلة. ويعتقد الخبراء «إنّك لست خطاطا إلا إذا كنت تستطيع الكتابة بخط الثلث». يتميّز خطّ الثلث ببنيته الواضحة وسهولة قراءته، ما يجعله مناسبًا لعدد من الأغراض ، حتى اليوم. تجعل الأحرف المتصلة والخطوط الطويلة سهلة القراءة والاستخدام لكل من العناوين والنصوص الطويلة، على عكس الخطّ الكوفيّ الزاويّ والأقدم فنادرًا ما كان يستخدم خط الثلث في كتابة النصوص على العمارة ولكنّه في الواقع كان يستخدم بشكل قليل في الإعدادات المعماريّة الكبرى وشواهد القبور والمخطوطات والقراميد والأعمال المعدنيّة. وقد تمّ نقش حروف الخطّ الكوفيّ والثلث في جميع أروقة الحمراء على مهاد زخرفيّ يتمثل بزخرفة الأرابسك زخرفة التوريق العربيّ[1].

أُستخدمت جماليات الثّلث الكبير والمنحدر والنّاعم أيضًا في النّقوش على الأشياء، مثل مصابيح المساجد الزّجاجيّة المطليّة بالمينا والمذهبة التي تمّ إنتاجها خلال الفترة المملوكيّة في سوريا ومصر في القرن الرّابع عشر أو الأواني المعدنيّة كالشمعدانات والأباريق.

2 – قراءة النقوش

المكوّن الرئيسي لأعمال النّحت النصري هو الجبس (كبريتات الكالسيوم المموّهة) تمّت إضافة مثبطات مثل الأملاح أو الغراء أو كربونات الكالسيوم لإبطاء الإعداد والسماح بالنحت بينما كانت الألواح لا تزال رطبة في بعض الأحيان فتتمّ تقوية الظهر بحصى جبسي أكثر خشونة يحتوي على رسل وألياف في العينات المأخوذة من الهاون تمّ العثور على الجبس فقط. كمثبط وربما تمّ استخدام الأملاح أو الغراء ولم يُعثر على أي أثر لكربونات الكالسيوم[2].

(1) **فريد شافعي**، العمارة الاسلامية في عصر الولاة ، مصر 1980 ، صفحة 266.

(2) **Barrios Rozúa, Juan Manuel.** «LA ALHAMBRA DE GRANADA Y LOS DIFÍCILES LA RESTAURACIÓN ARQUITECTÓNICA (1814-1840)». DE COMIENZOS www.alhambra-patronato.es. Consultado el 2018-12-04T22:27:28Z.

3 – تكوين الحركة والزّمن في التّصميم الفنّيّ

لاتعدو دراسة التكوين في الفنون التشكيليّة أن تكون دراسة لتصميم الشكل وتجميع عناصره (النقطة، الخط، المساحة، الكتل، الفضاء، اللون، الضوء والظل الفاتح والقاتم، الخامة وملمسها، حدود الشكل). [1]

إنّ الفنّانين المحدثين يميلون إلى استعمال كلمة تكوين (design) بينما يفضل الأكاديميّون استخدام كلمة تصميم ويرى هذا المرجع ان التّصميم أكبر من التكوين، فالتّصميم يشمل التكوين، (composition) كما أنّه يتضمّن بعض التحريف للصيغ الطبيعيّة، بل إنّ التّصميم يمتد إلى أبعد من مجرد ترتيب العناصر، غير أنّ التعبيرين مترادفين فالتكوين: هو تصميم لتجميع العناصر التي يتكوّن منها الشكل.[2]

تثير الحركة اهتمامًا يفوق السّكون، فصورة الطائر في الجوّ أقوى تأثيرًا من صورته على غصن شجرة، والحركة السريعة في المجال البصريّ تدعو إلى لفت النظر حتى قبيل أن نعرف ماهو ذاك الكائن المتحرّك، والخطوط المائلة هي أشكال مجرّدة ترمز الى الحركة لذا فالتكوينات المائلة تثير نداءًا بصريًّا يوحي بالحركة.[3]

وتثير النّقطة في عين الرّائي إحساسًا، بميلها الى الحركة، وهذا أمر من شأنه أن يثير نشاطًا حركيّا لايقتصر على المكان الذي حددته النقطة، بل يمتدّ إلى مايجاورها من فضاء. ولابدّ أن تتحرّك في نفس الكائن Empathy (ووفقًا لنظرية تفريغ الانفعالات البشريّة أحاسيس معيّنة حينما ينظر إلى شكل مجرّد كنقطة محصورة داخل إطار، فهو يفرغ انفعالاته في هذا الشكل ويتخيّل نفسه في الموقف ذاته محصورًا داخل مساحة محدّدة) فمن المؤكد أن ينتابه إحساس بالحركة، فإن وجد عائقًا يحول دون تحقيق هذه الرغبة (كما هو الحال مع هذه النقطة فإنّ ذلك يثير في نفسه توتّرًا Trnsiob نفسيًّا داخليّا مع هذه النقطة، فيعكس الأحاسيس على هذا الشكل الجامد أو يسقطها عليه Projectit فيدرك فيه قوى حركيّة كامنة[4]. نستنتج من ذلك أنّ هذا النّوع من الحركة

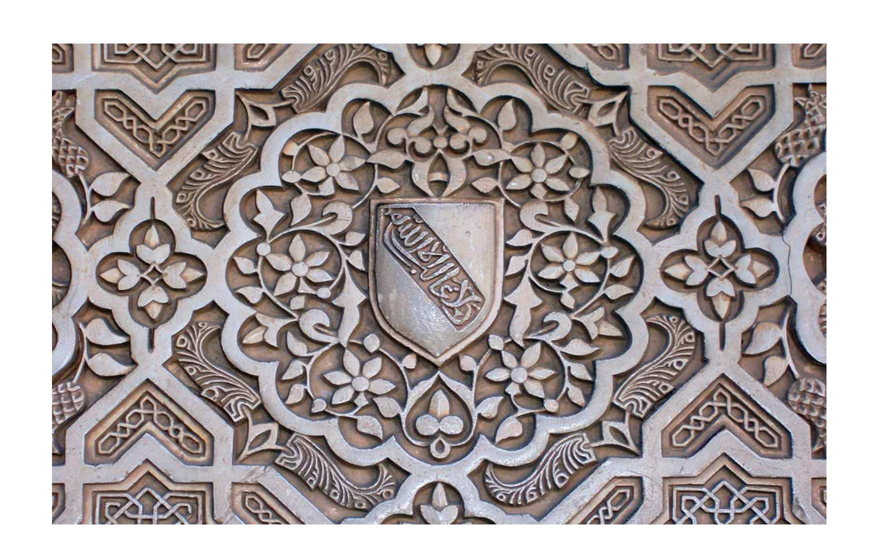
(1) جورج، فلانجان، حول الفن الحديث، ترجمة: كمال الملاخ، مراجعة: صلاح طاهر، نشر دار،المعارف بمصر، القاهرة: 1962، صفحة 65.
(2) **عبد الفتاح، رياض**، التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة: 1973 صفحة 57.
(3) **عبد الفتاح، رياض**، التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة: 1973، صفحة 55.
(4) **عبد الفتاح، رياض**، التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة: 1973 ، صفحة 58 ، 59.

ينتج أحاسيس ذاتيّة تحصل عند المتلقي، لذا يمكن أن نطلق عليه اسم الحركة الكامنة.

القسم الثاني: تحليل عيّنات البحث

في هذا القسم يتمّ تحليل عشر عيّنات من التّصاميم الزّخرفيّة وتسليط الضّوء على كلّ عينة، اسم التّصميم وبناؤه وزمن تنفيذه ومجال تطبيقه، عبر مسح بصريّ وتحليليّ:

تحليل عينة البحث الأولى



اسم التّصميم الزّخرفيّ	تجريد زخرفيّ نباتيّ
الخامة	حجر
البناء الفنيّ	دائريّ
زمن التنفيذ	القرن السابع–الثامن الهجري
مجال التطبيق	جزء من جدار

المسح البصريّ والتّحليليّ

يتكوّن النّسق الزّخرفيّ من شكل زهريّ كبير ذي الحجم الـ (١٦) فصّ يتوسّطه قوس مقلوب كتب فيه **(ولا غالب إلا الله)** ثم تدور حوله لفائفُ لأغصانٍ نباتيّة بشكل حلزونيّ، تنمو من الأسفل على شكل كمثريّ، تتوسّطه وريدة ذات ثلاثة فصوص، ثم تنمو من

جانبيه الأغصان النباتيّة الحلزونيّة وكلّ حلزون زهرة الشّمس. وتتّجه الأشكال النّباتيّة نحو الأعلى، لتلتقي من الجانبين مكوّنة زهرة أشبه ما تكون بزهرة اللوتس (التّوليب) مبدأ شغل الفضاء عامل في هذا النّسق كذلك توحيد اتّجاه النّظر ما أكسب التّصميم الزّخرفيّ نوعًا من الجماليّة. ثم إنّ التّكرار متحقّق في عموم النّسق الزّخرفيّ فيساعد على تحقيق الإيقاع في حركة الأشكال الزّخرفيّة وكذلك ثنائيّة الضّوء والظلّ الناتجة من مبدأ (الحذف والإضافة)، أمّا الحركة فهي واضحة في النّسق الزّخرفيّ ما يحقّق البعد الرّابع (الزّمن) من خلال حركة التجريدات الزّخرفيّة ومتابعتها من خلال عين المتلقي.

تحليل عينة البحث الثّانية



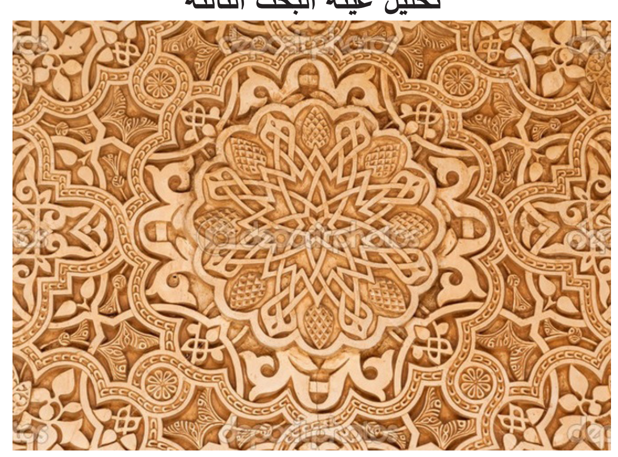
اسم التّصميم الزّخرفيّ	تجريد زخرفي نباتي مع أقواس
الخامة	حجر
البناء الفني	أفقي
زمن التنفيذ	القرن السابع–الثامن الهجري
مجال التطبيق	حشوة قوس

المسح البصريّ والتّحليليّ للعينة الثّانية

النّسق الزّخرفيّ يحشو أحد عقود القصر ذات الفصوص المتعدّدة والتي هي إحدى ميزات العمارة الإسلاميّة في الأندلس والتي تتكوّن من ثلاثة صفوف، يبدأ الصّفّ الأوّل بأقواس مكرّرة وبوضع متبادل إذ يحشو القوس الأوّل المروحة النخليّة ثم يأتي القوس الذي بعده ليحشوه كوز الصنوبر وهكذا يستمرّ هذا الصّفّ. أمّا الصّفّ الذي يأتي فوقه

فيتكوّن من أقواس تحشوها أقواس أصغر منها وبوضع متماثل. ثم يعلو هذا الصّفّ صفًّا مكوّنًا من أقواس أيضًا، يحشو كلّ قوس مروحة نخليّة ثم يأتي القوس المجاور له لتحشوه ورقتان نباتيّتان متماثلتان تتقابلان نحو كوز صنوبريّ تارة و في قوس آخر تارة أخرى. ونرى تجريدات زخرفيّة نباتيّة مكوّنة من أوراق نباتيّة يتحقّق فيها مبدأ شغل كامل للفضاء وتتحرّك الوحدات الزّخرفيّة وعناصرها، حركة وئيدة محقّقة البعد الرّابع في التّصميم.

تحليل عينة البحث الثّالثة



اسم التّصميم الزّخرفيّ	شكل زهريّ كبير تحشيه تجريدات نباتية
الخامة	حجر
البناء الفني	دائري
زمن التنفيذ	القرن السابع–الثامن الهجري
مجال التطبيق	تصميم زخرفي جزء من جدار

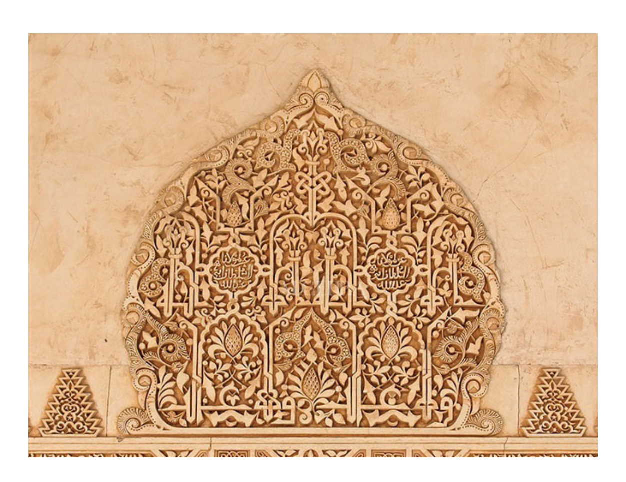
المسح البصريّ والتّحليليّ للعينة الثّالثة

يتكوّن التّصميم الزّخرفيّ من شكل زهريّ كبير مفصص تحشيه تجريدات زخرفيّة نباتية تنطلق من المركز نحو المحيط، وبالتّناوب لتحشي الفصوص في الشّكل الزّهريّ الكبير تارة كوز صنوبر وتارة أخرى لفائف نباتيّة ما يحقق وحدة وتنوّع في التّصميم وحركة جميلة للوحدات والعناصر الزّخرفيّة ومن ثم يتحقق البعد الرّابع الزّمن من خلال حركة عين

المتلقي وهنا نجح المصمم المسلم في إشراك المتلقي في التّصميم من خلال تأمله له.



تحليل عينة البحث الرّابعة



اسم التّصميم الزّخرفيّ	تجريد زخرفي على شكل قوس تحشيه تجريدات نباتية وخط عربي
الخامة	حجر
البناء الفني	عمودي
زمن التنفيذ	القرن السابع–الثامن الهجري
مجال التطبيق	احد جدار القصر

المسح البصريّ والتّحليليّ للعينة الرّابعة

يتكوّن التّصميم الزّخرفيّ من قوس كبير وما يثير الانتباه في هذا التّصميم، أنّ ثمّة بنية تحتانية أساسها لفظ الجلالة (الله) وكذلك عبارة (ولاغالب الا الله)، تدور حولها وتنمو منها تجريدات زخرفيّة وقد كتبت العبارات المقدّسة على شكل أقواس تبدأ بقوس في الوسط، تنمو أسفله زهرة الصنوبر وتنطلق منها أوراق نباتيّة، ثم يجاور هذا القوس قوسين مقرنصين تعلوهما نفس الزهرة وتلتفّ قمتا هذين القوسين لتكوّن شكلا هندسيّا ذا اثني عشر فصّا تحشوه عبارة (عمل مولانا السلطان بن عبد الله) ثم يعلو الشّكلين الهندسيين عند قمتيهما كوز الصّنوبر، ثم إن قاعدة التّصميم الزّخرفيّ تنشأ على عبارة (ولاغالب الا الله) في حين ثمة حشوة كاملة للتصميم انطلاقا من مبدأ شغل الفضاء

وهناك تآليف إيقاعيّة يحقّقها اللون الأحادي (المونوكراميّ) للحجر ما يحقّق حركة واضحة محقّقة بدورها البعد الرّابع (الزّمن).

تحليل عينة البحث الخامسة



(و لا غالب الا لله) بخط الثّلث قصيرة وطويلة على حدّ سواء على الأقواس والنّوافذ المحيطة والمنقوشة على أفاريز خشبيّة وتمتدّ على طول قمم الجدران . يشكّل نظيره الكوفيّ خطوطًا مثيرة للاهتمام في عدة زوايا . هنا في مثلثات قاعة الأختين. يمثّل حشو من الجصّ المحفور بزخارف هندسيّة متشابكة و يتوسطها زخارف كتابيّة «لا غالب الا الله» قصر الحمراء، وقد تنوّعت الخطوط المستخدمة بين خطّ الثلث بمنتصف الجدار والخطّ الكوفيّ بأسفله. ومن الصفات المميّزة للحشوات الجصّية الأندلسيّة اختفاء المساحات الخالية من الزّخرفة و انقسام التّعبيرات الزّخرفيّة المختلفة إلى تفريعات رفيعة صغيرة تتكوّن من مجموعها أشكال تشبه الدانتيلا.[1]

تحليل عينة البحث السّادسة



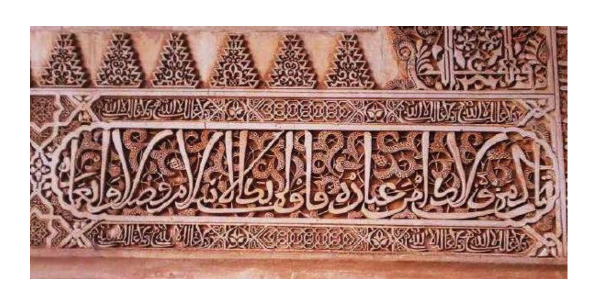
من روائع شعر ابن زمرك، هذه المنقوشة الجداريّة بقصر الأسود، فنلاحظ استطالة

(1) **ديماند .م.س** (1954 م) " الفنون الإسلاميه " ترجمة **أحمد محمد عيسى**، مراجعة وتقديم أحمد فكري، الطبعه الثانيه، دار المعارف ، صفحة 12 .

الحروف إلى الأعلى:

فبين يدي مولاي قامت لخدمةٍ ومن خدم الأعلى استفاد المعاليا

تحليل عينة البحث السّابعة



نقش شعريّ في فناء الريحان بحمراء غرناطة للوزير الشاعر ابن زمرك، يمدح فيه السلطان محمد الغنيّ بالله :

تبارك من ولّاك أمر عباده نجم فأولى بك الإسلام فضلًا وأنعما

تحليل عينة البحث الثّامنة



الشاعر ابن زمرك بهو الأسود – المكان قاعة بني سراج

وتهوي النجوم الزهر لو ثبتت به ولم تك في أفق السماء جواريا

تحليل عينة البحث التّاسعة



وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة ففتحت بابًا كان للنصر فيها

فناء الريحان نقشت علي الإفريز الرخاميّ الأوسط لهذا الفناء قصيدة من اثني عشر بيتًا للوزير ابن زمرك، ركيكة وبها الكثير من الأخطاء ويرجع ذلك إلى أنّ كثيرًا من نقوش الحمراء الحاليّة من صنعٍ محدث، نقلت بالرسم عن النقوش القديمة تحت إشراف الأثريين الإسبان وتسربت إليها عند النقل أخطاء كثيرة.

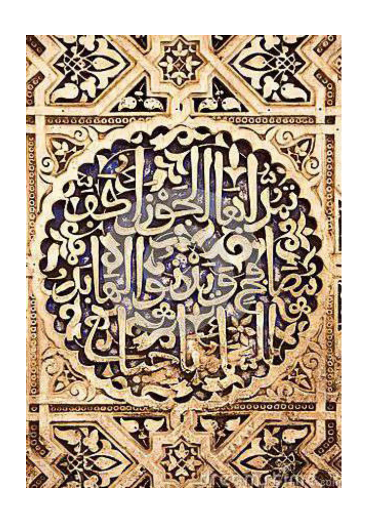
تحليل عينة البحث العاشرة



قاعة الأختين في قصر الحمراء، من شعر ابن زمرك:

بها البهْوُ قد حاز البهاء وقد غدا   بهِ القصرُ آفاقَ السماءِ مُباهيا

تحليل عينة البحث الحادية عشرة



تمدُّ لها الجوزاء كفّ مصافحٍ ويدنو لها بدر السماء مُناجيا

نتائج البحث

1. تعدّ فنون بلاد الأندلس المتأثّرة بالفنون الإسلاميّة بما تحمله من قيم و جماليّات مصدرًا هامًّا لابتكار تصميمات تصلح لتصميم أقمشة المعلّقات النسجية المعاصرة.
2. أظهر البحث مدى ثراء العصر الأندلسيّ من الناحية الفنّيّة، ما يجعلنا نؤكّد أنّه يستحقّ اسم الفردوس المفقود إذ إنّ البحث قدّم دراسة تاريخيّة وتحليليّة، للنّماذج المختلفة من الفنون الأندلسيّة ساعدت في معرفة الأسس التي قامت عليها.
3. تسليط الضّوء على النّماذج وكيفية بنائها، أسهم في رفع مسيرة البحث والتّجريب للوصول الي صيغ ابتكاريّة جديدة في مجال تصميم أقمشة المعلّقات النسجيّة.
4. قدّم البحث مجموعة من الأفكار التّصميميّة مع نماذج لتوظيفها فعليًّا وذلك باستخدام إمكانات الحاسب الآلي الذي يسهم بشكل كبير في إثراء العمليّة الإبتكاريّة.
5. إنّ تجربة الفنّ المزخرف في قصر الحمراء تنطوي على حركة إيقاعيّة لا سكونيةّ، محقّقة الزّمن بين طيّاتها.
6. اتّخذ الفنّان المسلم في قصر الحمراء الزّخارف النباتيّة إشارات تحيلنا من خلالها إلى اتّخاذ كلّ السّبل المؤدّية إلى الإيقاع المتصاعد. وقد اتّخذ الفنّ المزخرف في هذا القصر من الأشكال الطّبيعيّة استعارات تجريديّة متحرّكة، تحيلنا إلى نوع من الحركة المنطوية على زمن ما.
7. عبّر الفنّان المسلم عن الحركة بالزّخرفة في قصر الحمراء من خلال استخدامه للعناصر التّكوينيّة والتي تضمّنت التّناظر الذي أوجد منها حركة معكوسة، كما أوجد في التّباين حركة متضادّة وتضمّن التّكرار حركة مستمرّة تصاعديّة والحركة في التنوّع لكسر رتابة التكرار والملمس لإيجاد حركة كامنة على سطوح الأشكال وعلاقة التّوازن هي تحصيل حاصل لمجمل حركة المنظومة الزّخرفيّة، أمّا الحركة الحلزونيّة فهي أيضًا محصّلة نهائيّة للاتجاه الحركيّ للمقرنصات، محقّقة زمنًا غير متعيّن.

التوصيات

1. ضرورة الاهتمام بدراسة الفنون الأندلسيّة المتأثّرة بالفنون الإسلاميّة لما لها من قيم فنّية وتشكيليّة تجعلها معينًا لا ينضب. فهذا الفنّ لم ينل من الدّراسة و التقييم بالرغم من قيمته الكبيرة.
2. ضرورة الاهتمام بتدعيم مجال تصميم طباعة المنسوجات بتصميمات جديدة مبتكرة ذات طابع خاص ومستلهمة من فنون بلاد الأندلس تصلح لطباعة أقمشة المعلقات النسجية.
3. ضرورة المحافظة على روحيّة الزّخارف أثناء أيّة عمليّة تطوير للمبنى أو ترميمه.
4. الاهتمام بتوثيق الآثار وبخاصّة الآثار الإسلاميّة بالوسائل التوثيقيّة المختلفة.

الاستنتاجات

تكمن أهميّة الزّخرفة الإسلاميّة في كونها تحمل المتلقّي إلى الفكر الإسلاميّ. فالزّخرفة الإسلاميّة لم تعبّر عنه بل تجعلنا نعمل الفكر فيه، لأنّ أساسيّات منهج الجمال المطلق الذي أشار اليه الفنّ المزخرف من خلال الحركة المستمرّة الحلزونيّة، ممثّلة بآراء المفكّرين المسلمين. كما وأنّ الزّخرفة وما تضمّنته من حركة حلزونيّة تلتقي مع الفكر الإسلاميّ والذي يؤكد صلة الكثرة بالوحدة. إذ إنّ الوجود رغم تعدّد أشكاله وتنوّع ماهياته فإنّ مرجعه إلى الواحد الأحد.

المقترحات

استكمالا للدّراسة الحالية يقترح الباحث الدراسات الآتية:

1. الزّمان والمكان في التّصميم الزّخرفيّ لقصر اشبيلية.
2. الحركة والزّمن في العناصر العماريّة لمسجد قرطبة.
3. الحركة والسّكون في الزّخرفة الهندسيّة لقصر الحمراء.

الخاتمة

المادة الرّئيسة التي نفّذت عليها معظم النّقوش سواء كانت زخرفة التّوريق (الأرابسك أو الزّخرفة الخطّيّة)، هي الجبس (كاربونات الكالسيوم) والخشب، نفّذت جميعها بطريقة الحفر اليدويّ. واستخدم في تزيين الأقبية والعقود والنّوافذ لقصر الحمراء نوعان من الخطّ العربيّ هما الكوفي والثلث الأول هو من النّوع المزويّ المورّق، ترتفع قمم حروفه لتكوّن تشكيلات زخرفيّة هندسيّة ومعماريّة تحصر بينها تشكيلات زخرفيّة بنصوص خط الثّلث. والنوع الثّاني من الخط المستخدم في تزيين قصر الحمراء هو الثّلث وهو خط ليّن بعكس الكوفيّ المربع، تميل رؤوس وقمم حروف الثّلث نحو اليمين وهو لأوّل مرّة يتّخذ هكذا أسلوب في تمثيل الخط ويمتاز أيضًا بارتفاع قمم حروفه من الأعلى وتمتدّ بانسيابيّة وليونة وهو أمر يصعب نقشه على المواد الصّلبة، بعكس الكوفيّ الذي يتلاءم مع الرسم الهندسيّ على العمارة والموادّ الصلبة. معظم الاقتباسات الممثّلة على قصر الحمراء هي شعريّة ودعاء وعبارات تفاؤل استخدمت كنوع من الطّلاسم لجذب الانتصارعلى العدو إضافة إلى وظيفتها الجماليّة والزّخرفيّة.

المصادر والمراجع

1) **ابن الأثير**، «الكامل في تاريخ» ، تحقيق عبد السلام تدمري،الطبعة الأولى ، الجزء السادس،دار الكتاب العربي بيروت1997.

2) **أبو صالح الألفي** ، «الفن الاسلامي أصوله وفلسفته ومدارسه»، دار المعارف، الطبعة الثالثة 1984.

3) **أرنست، كونل.** ترجمة د. أحمد موسى الفن ،لإسلامي ، طبعة 2/1966.

4) **اسامة، محمد أحمد** ، الأزياء كحوركللثقافات بين الشرق والغرب – الأندلس دراسات تحليلية وتاريخية رسالة دكتوراه، مصر، جامعة حلوان 2011.

5) **انتونيو ، فرنانديز** : فن الخط العربي في الاندلس ،بحث منشور ضمن الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، ج .

6) **اميلو، غارسيه كوميز:** اشعار عربية على جدران قصر الحمراء ، مدريد 1996.

7) **بعيون ، سهى محمود** : كتابة المصاحف في الاندلس ، مجلة البحوث القرآنية العدد 7، مؤتمر الملك فهد الرياض.

8) **جورج، فلانجان**، حول الفن الحديث، ترجمة: كمال الملاخ، م ا رجعة: صلاح طاهر، نشر دار ،المعارف بمصر، القاهرة: 1962.

9) **زيغريد، هونكه** ،» شمس العرب تسطع على الغرب» ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت،الطبعة الثامنة 1993.

10) **سالم ، السيد عبد العزيز** : المساجد والقصور بالاندلس ، القاهرة 1986.

11) **السامرائي، خليل** وآخرون ، «تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس» الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة ،بيروت 2000.

12) **عبد الفتاح، رياض**، التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة: 1973.

13) **عبدلله، عنان محمد**، «دولة الإسلام في الأندلس» الجزء الرابع ، والخامس «دولة المرابطين في الأندلس»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997.

14) **عبية، طه عبد المقصود:** موجز تاريخ الاندلس، القاهرة.

15) **عطية، محمد عطية**، مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية، نظمها جامعة عمان الاهلية، اتحاد الكتاب والادباء الاردنيين، دار يافا العلمية للنّشر والتوزيع 2011.

16) **علي ، كرد** : غابر الاندلس وحاضرها ، القاهرة 2013.

17) **غوستاف، لوبون** ، «حضارة العرب» (ترجمة عادل زعيتر) ، مطبعة البابي الحلبي، 1969.

18) **فريد، شافعي** : العمارة الاسلامية في عصر الولاة ، مصر 1980.

References

19) **Antonio, Cuello& Bilal Marraco Epigrafía árabe**, Historia y Arqueología, del Reino de Granada.

20) **Barrios Rozúa, Juan Manuel.** «LA ALHAMBRA DE GRANADA Y LOS DIFÍCILES LA RESTAURACIÓN ARQUITECTÓNICA (1814-1840)». DE COMIENZOS www.alhambra-patronato.es. Consultado el 2018-12-04T22:27:28Z.

21) **JOSÉ MIGUEL PUERTA:** Alhambra y el Generalife de Granada Artigrama, núm. 22, 2007.

الحرب الأهليّة في لبنان 1975 – 1990 وتفكّك أوصال الدّولة[1]

د. حسن شقور

مقدمة

الحرب الأهليّة اللّبنانيّة هي نزاع دمويّ وصراع معقد دامت لأكثر من ستة عشر عامًا، من 13 نيسان 1975 ولغاية 13 تشرين الأوّل 1990، وتعود جذور هذه الحرب إلى الصّراعات السّياسيّة والطّائفية والامتيازات والتّدخّلات الخارجيّة والتّنازلات السّياسيّة التي فُرضت على اللّبنانيّين ومزّقتهم شيعًّا وطوائف خصوصًا في حقبة الانتداب الفرنسيّ على لبنان وسوريا.

والكتابة عن هذه الحرب شاقة ووعرة المسالك ومتشعّبة، سبب ذلك تداخل الأسباب الخارجيّة مع الصّراعات الداخليّة والانقسامات الدّوليّة السّياسيّة والاقتصاديّة الحادة وتضارب المصالح الإقليميّة والدّوليّة السّياسيّة والاقتصاديّة.

وإذا كانت الحرب العسكريّة قد حطّت أوزارها مع اتّفاق الطّائف، إلا أنّ الغموض ما زال يلفّ الكثير من أسبابها وأهدافها وإن تجلّى بعض أهدافها على الصّعيد الاقتصاديّ في ضرب استقبال لبنان لسيل من الموارد الماليّة والكفاءات البشريّة النّازحة من مختلف البلدان العربيّة في الشّرق الأوسط[2].

وقد حدّد الرّئيس سليم الحص الوجه الحقيقي للأزمة اللّبنانيّة في وجهها الدّاخليّ، ويستشهد برأي «دافيد جلمور» الذي يقول: من المتعذّر تحديد تاريخ معيّن لبداية الحرب اللّبنانيّة، حتى سنة بدايتها فهي محلّ إشكال، هناك من يقول بأنّ الأزمة التي تفجّرت سنة 1975 لم تكن سوى امتداد لأزمة 1973 وقبلها أزمة 1969. لعلّ الحرب الأهليّة لم يكن لها بداية فعليّة كما قد لا يكون لها حسب ما يبدو نهاية. فهي لم تقترن ببيانات مسبقة من التّحدّي الحاسم، فقد تصاعدت تدريجيًّا من مستوى الأحداث الصّغيرة المنفردة إلى مستوى الأحداث الكبرى والمترابطة[3]. ويرى الرّئيس سليم الحص أنّ الطّائفية هي

(1) بحث في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر

(2) سليم الحص: لبنان على المفترق، ص 113، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت ط1، 1984.

(3) David Gilmour, Dix possed, the ordeal of the Palestinians sidguich and jachson, 1980, p.196.

مصدر العلّة الأوّلى في المشكلة اللّبنانيّة»[1].

أمّا الهدف السّياسيّ المباشر للحرب اللّبنانيّة فكان مشكلة التّواجد الفلسطينيّ المسلّح على الأرض اللّبنانيّة، وهنا يرد ياسر عرفات رئيس السّلطة الفلسطينيّة السّابق أسباب الحرب إلى الأطماع الإسرائيليّة في لبنان من جهة وإلى مؤامرة تستهدف ضرب وتصفية القضية الفلسطينيّة من جهة أخرى. فالهدف الأوّل حسب رأيه «أنّ هناك قرارًا إسرائيليًّا دوليًّا يتعلّق بالدّور الذي يقوم به لبنان [كونه] مصفاة المال للخليج والسعودية».

ويضيف الرّئيس عرفات أنّ لبنان هو مطمع إسرائيل بعدما التهمت فلسطين، والمطمع الذي يمكن أن تؤثّر إسرائيل في السّيطرة عليه، ومن خلاله على المنطقة بأسرها، انطلاقًا من الموقع الإعلاميّ الذي وصلت إليه حريّة الصّحافة في بيروت والموقع الماليّ والموقع الثّقافيّ، وأنّ الهدف هو ضرب الثّورة الفلسطينيّة في لبنان «بمعنى أصح ضرب بضعة عصافير بحجر واحد، ضرب لبنان، ضرب الثّورة الفلسطينيّة، ضرب الأمة العربيّة»[2].

المشهد الدّاخليّ والخيارات المحدودة 1970 - 1972

ربيع 1970 الساخن

كانت الصّدامات التي وقعت في 23 و24 نيسان 1969 وما تلاها قد افتتحت الأزمة السّياسيّة الوطنيّة التي تمحورت حول الوجود الفلسطينيّ في لبنان والتزامات لبنان العربيّة. ونتيجة لجهود واتّصالات عربيّة مكثفة مع السّلطات اللّبنانيّة طيلة سبعة أشهر تم توقيع اتّفاق القاهرة في 23 تشرين الثّاني 1969 بزعامة الرّئيس جمال عبد الناصر بين السّلطة اللّبنانيّة ومنظمة التّحرير الفلسطينيّة، نظمّت هذه الاتّفاقية الوجود الفلسطينيّ في لبنان على قاعدة حريّة النّشاط الفلسطينيّ داخل المخيّمات، وأعطت للمقاومة ممرًا حرًا في منطقة العرقوب الجنوبية لممارسة العمليّات الفدائيّة ضدّ إسرائيل فضلًا عن تسهيلات للتّحرّك من وإلى الجنوب[3].

أجبر اليمين اللّبنانيّ على قبول اتّفاقية القاهرة فأخذ ينظّم الميليشيا ويستعد لمجابهة عسكريّة مع الوجود الفلسطينيّ وسط تصعيد سياسيّ مكشوف يهدف إلى إعادة النّظر

(1) المرجع السابق، ص 120.
(2) النّهار العربي والدولي، مقابلة مع ياسر عرفات، العدد 382، الإثنين 27 آب – 2 أيلول 1984، ص23.
(3) نص الاتفاق منشور في العمل الشهري عدد (4) حزيران 1977، ص 54 – 55.

بما أُتّفق عليه، وتكاملت الأدوار الداخليّة مع الضّغط الإسرائيليّ المتصاعد طيلة ربيع 1970.

وكان لرئيس حزب الكتائب بيار الجميل موقفًا مما وصلت إليه الأمور على الأرض، فرأى أنّ وضع المنظّمات الفلسطينيّة يعني بالنّسبة للجميل ازدواجيّة في السّلطة، وليس معقولًا أن تكون على أرض لبنان دولتان تتنازعان السّلطة والنّفوذ كما ليس معقولًا أن تحمل أرض لبنان جيشين... بل عدّة جيوش بدلًا من واحد[1]. ورأى أنّه لا مانع من استمرار ما يحدث في الجنوب إذا كان ذلك يخدم القضية الفلسطينيّة، أما أن يكون كل هذا بلا فائدة بل ضرر أكيد على الفريقين فاستمراره جنون، ورأى أنّ المخيّمات لم تعد مخيّمات لاجئين بقدر ما أصبحت قلاعًا مسلّحة، وملجأ لكل هارب من القانون[2].

يرد ياسر عرفات على مسألة تسليح المخيّمات فيقول إن ذلك حصل بالاتّفاق مع السّلطة اللّبنانيّة، وقد قرر عبر القمم العربيّة وإنّ السّلاح جاء من مصدر واحد للجيش اللّبنانيّ والمقاومة الفلسطينيّة، وجاء ذلك بعد الغارات الإسرائيليّة الوحشية على المخيّمات وكان رد السّلطات اللّبنانيّة «أنّ لا دعوى للجيش بحماية المخيّمات لأنّها شأن فلسطينيّ». وقال عرفات: «...وصلت بعض الأسلحة العربيّة، أسلحة ليبيّة وصلت لنا وللجيش اللّبنانيّ للدّفاع عن المخيّمات»[3].

إلا أنّ بيار الجميل ركّز على تجاوزات عناصر المقاومة الفلسطينيّة، وراح يطلق التّصريحات التي ينذر فيها من خطورة ما يحصل على المقاومة وعلى لبنان وعلى الدّول العربيّة. وبتاريخ5 – 4 – 1970 عقد مؤتمرًا صحفيًّا يدين فيه ممارسة المقاومة الفلسطينيّة، ويقول إنّ المقاومة تورّط لبنان في حرب مع إسرائيل غير متكافئة.

ويغمز من دور الوجود الفلسطينيّ الدّاخليّ معتبرًا أنّه بات يهدد الوطن والكيان والنّظام[4] وجريدة العمل الكتائبيّة بتاريخ 14 أيار 1970 تقول: الغير يقرّر لجيشنا و من دون معرفته زمان المعركة ومكانها، ويزجّه في معركة غير متكافئة.

(1) المرجع نفسه، ص 16.
(2) النّهار العربي والدولي، عدد 382، ص 24، 12 أيلول 1977.
(3) النّهار العربي والدولي، مرجع سابق، عدد 382، ص 24.
(4) جريدة الجريدة – تاريخ 5 نيسان 1970، ص الأولى.

و«نداء الوطن» المقربة من بكركي تقول في 15 أيار 1970 «يريدون أن يجعلوا لبنان بالقوة دولة مواجهة أو يرحل أهله. اللّبنانيّون يرفضون والذين لا يعجبهم ذلك فهم أحرار».

العدوان الإسرائيليّ يتكرّر على الجنوب وتبدأ الدّوريات الإسرائيليّة بالتّغلغل في عمق الأراضي اللّبنانيّة، وجريدة العمل الكتائبية تقول: لبنان يدفع ضريبة الدّم للذين ورّطوه في حرب، ووزير الدّفاع الإسرائيليّ موشي ديان يتفقّد الحدود.

رئيس الجمهورية يدعو لاجتماع طارئ يضم وزير الدّفاع وكبار الضّباط يثير خلاله خبر دخول جنود سوريين إلى الجنوب، الخبر يتفاعل، رئيس الحكومة رشيد كرامي يعلن عن إجراء اتّصالات لبحث الأمور، وزير الداخليّة كمال جنبلاط ينفي الخبر ويستغرب افتعال القضية، وحزب الوطنيين الأحرار يطالب بالتّوضيح وينتقد مواقف جنبلاط، والأوساط الوطنية تعدّ الخبر استفزازًا لسوريا. كرامي وجنبلاط وفرنجية وعثمان الدّنا يزورون سوريا تباعًا للتّنسيق، وبيار الجميل يطالب بالتّعاون مع سوريا، ويعلن ضرورة إنشاء تمثيل دبلوماسيّ مع سوريا... الأوساط الرجعيّة تطالب بتقديم شكوى لمجلس الأمن والجامعة العربيّة ورئيس حزب النّجادة الإسلامي يزور سوريا في 21/5.

الإمام موسى الصّدر رئيس المجلس الشيعيّ الأعلى يدعو لإضراب عام في 26 أيار 1970 ويوجّه رسالة عن وضع الجنوب، والانعزاليون يحاولون استغلال الإضراب ضد الوجود الفلسطينيّ[1].

علماء الدّين المسلمون يحمّلون الدّولة بتاريخ27 – 5 – 19970 مسؤولية الوضع في الجنوب، ويطالبون بتسليح المواطن وبناء الملاجي والتّحصينات، والأحزاب التّقدمية تدين تخاذل الدّولة، ومجلس النّواب يفتح مناقشة حول الوجود الفلسطينيّ والجنوب فيطالب نائب الكتائب إدمون رزق ونائب الأحرار سمعان الدويهي بإلغاء اتّفاقية القاهرة تحت شعار عدم إمكان وجود دولة أخرى على أرض لبنان تشارك الدّولة السّلطة[2].

في 9 – 6 – 1970 الرّئيس كميل شمعون يخرّج دفعة جديدة من الميليشيات ويدعو للتّصدي لأعداء لبنان، وحزب الهيئة الوطنيّة (الإسلامي) يناشد حزب الكتائب عدم طرح

(1) سليمان تقي الدين: المسألة الطائفية في لبنان – الجذور والتطور التاريخي، ص 384، دار ابن خلدون، بيروت.
(2) د. فريد الخازن: تفكك أوصال الدولة في لبنان – 1967 – 1976، ص 257، دار النّهار، ط/ثالثة، شباط 2005.

الوجود الفلسطينيّ للبحث في الشّارع. وحزب النّجادة (الإسلامي) يردّ على مذكرة قدّمها بيار الجميل ويقول: يجب التّسليم المطلق بعروبة لبنان وموجباته العربيّة[1].

قامت المظاهرات في بيروت احتجاجًا على سياسات الحكومة اللّبنانيّة حيال القضايا العربيّة والثّورة الفلسطينيّة، وكانت الشّعارات التي رفعتها تلك المظاهرات مرآة عكست الفسيفساء المتضاربة للسّياسات العربيّة، فغدا الرّئيس شارل حلو يقارن بنوري السّعيد، رجل العراق القوي أيام الملكية الهاشميّة، وإذا بتلك الشّعارات تطالب بإسقاطه. هذا ما دفع صحيفة النّهار إلى القول تعليقًا «لو افترضنا أنّ كل الرّؤوساء العرب لاقوا مصير نوري السّعيد، فهل هذا يجعل مصير إسرائيل شبيهًا بمصير نوري»[2].

إحدى المواجهات وقعت في شهر آذار 1970، وقد بدأت الصّدامات في بلدة الكحالة ثم امتدت إلى مشارف بيروت وضواحيها. استمرت تلك الاضطرابات 3 أيام، لكن المسحة الطّائفية التي رافقتها كانت أقوى من أية حوادث سبقتها[3].

بعد الحادث مباشرة بدأت محاولة التّوفيق بين الجانبين، فالتقى جنبلاط بوصفه وزيرًا للداخليّة ممثلين للفلسطينيّين ولسكان بلدة الكحالة. لكن هذه الجهود لم تمنع امتداد المواجهات إلى المناطق المحيطة بالمخيّمات في الدّكوانة وحارة حريك. فهاجم الفدائيون مركزًا لحزب الكتائب، واختطافهم ابن رئيس الحزب، بشير، الذي لم يكن في حينها قد انخرط في العمل الحزبيّ، ومع أنّ الجميل ورفيقيه قد أفرج عنهم في اليوم نفسه من مكتب لحركة فتح في الحمراء[4]، إلا أنّ المواجهات امتدت إلى ضواحي بيروت الجنوبيّة، برج البراجنة، وحارة حريك والشّياح واستمرت يومين متواصلين وتخللتها مواجهات بين قوى الأمن اللّبنانيّين والفدائيين[5].

انتخاب فرنجية وحقبة الهدوء الإقليميّة

كان صيف 1970 حقبة إعداد للانتخابات الرّئاسيّة وكانت المعارضة بقيادة ريمون إده وكميل شمعون وبيار الجميل وصائب سلام وكامل الأسعد مصممة على إنهاء

(1) سجل العالم العربي – موسوعة سياسية، دار الأبحاث – 1970، ص 589 – 758، لبنان.
(2) النّهار، 22 آذار 1970، (يا عروبة ثوري ثوري خلي حلو يلحق نوري).
(3) جريدة النّهار: 26 آذار 1970.
(4) المرجع نفسه.
(5) المرجع نفسه.

«اثنتي عشرة سنة من السّيطرة الشّهابية»[1]. وقد نجح هؤلاء في هزم الياس سركيس بفارق صوت واحد وانتخاب سليمان فرنجيّه مرشح ائتلاف الوسط. فكان في طليعة المهام التي أوكلت للعهد الجديد أن يقوم بتصفية التّركة الشّهابية في سياستها العربيّة المتوازنة وفي سياستها الداخليّة.

تولى رئاسة الحكومة في السنوات الثّلاث الأوّلى من عهد الرّئيس فرنجية صائب سلام الذي وضع انتخاب فرنجيّه في خانة «الانقلاب الأبيض»[2].

انطلق عهد فرنجيّه بتأليف حكومة برئاسة صائب سلام، لكن أعضاء هذه الحكومة عجزوا، وإن بدرجات متفاوتة، عن وضع سياساتهم الإصلاحيّة موضع التّنفيذ. ولم تمض بضعة أشهر على بداية العهد حتى أجريت عملية تطهير واسعة في صفوف ضباط الجيش، استهدفت بشكل مباشر الضّباط الشّهابيين في الجيش مع تركيز خاص على المكتب الثّاني الذي اتّهمه صائب سلام واتّهم رئيسه العقيد غابي لحود بوضع أجهزة تنصت على خطوط الهاتف[3]. اعتقل ضباط المكتب الثّاني، وحوكموا بتهم مختلفة شملت المسّ بالحريات العامة، وانتهاك القوانين والقواعد العسكريّة، وتبذير الأموال العائدة إلى المؤسّسة العسكريّة[4]. عملية التّطهير هذه كانت سياسيّة الدّوافع، وتركت أثرًا سلبيًا في معنويات الجيش وفي فاعلية عمل أجهزته المخابراتيّة.

مرّت سنتا عهد فرنجية الأوّليان خاليتين من أيّة أزمة لها علاقة بالفلسطينيّين، وذلك عائد في جزء منه إلى مدّة الارتياح من الغليان الإقليميّ التي مرّ بها لبنان، وكانت نتيجة ثلاثة تطورات غير متوقعة وفاة الرّئيس المصري جمال عبد الناصر المفاجئة في أيلول 1970، ووصول حافظ الأسد إلى السّلطة في سوريا، والحرب الفسلطينية – الأردنية في 1970 – 1971.

لقد أثّرت وفاة عبد الناصر في أيلول 1970 تأثيرًا عميقًا في مجرى السّياسات العربيّة في السّبعينيّات، ذلك أنّ العلاقات العربيّة – العربيّة قد تغيّرت نتيجة ذلك الغياب وخسر الفلسطينيّون برحيله مصدر نفوذ كبير الأهمية قادرًا على التأثير في نزاعهم مع الملك

---

(1) فريد الخازن: تفكك أوصال الدولة في لبنان، 1967 – 1976، ص259، دار النّهار، بيروت 2005.
(2) جريدة النّهار، تاريخ 19آب 1970، ص 2.
(3) جريدة النّهار، تاريخ 11 كانون الأول 1970.
(4) عبده عويدات: الحكم في لبنان، ص 130، منشورات عويدات، بيروت، باريس.

حسين تأثيرًا يعدل من تطرّف المواقف، وهو النفوذ الذي كانوا بأمس الحاجة إليه[1].

التّطوّر الآخر الذي كان له تأثير في السّياسة اللّبنانيّة في مطلع السّبعينيّات كان مجيء حافظ الأسد إلى الحكم في سوريا، رصد الأسد سنتي حكمه الأوّليين لتثبيت أركان الحكم والسّلطة ولمد الجسور مع الأنظمة العربيّة، ما أسهم في تخفيف الضّغوط السّوريّة المعهودة على لبنان[2].

مدّة السّماح الأخرى التي تنفّس فيها لبنان شيئًا من الصّعداء كانت خلال الحرب الفلسطينيّة – الأردنية في السّبعينيّات. ولأنّ تلك الحرب قد أوجدت خلافات قوية بين الفصائل الفلسطينيّة فقد اضطرت القيادة الفلسطينيّة إلى القيام بخطوات تراجعيّة تكتيكيّة في لبنان، كانت أولها إغلاق عرفات بضعة مراكز عسكريّة في مناطق مختلفة داخل المخيّمات وخارجها[3].

1973 سنة العيش في دائرة الخطر:

إذا كان العام 1972 عام التّخبط والقلق والاضطرابات السّياسيّة والأمنية، فالذي تلاه 1973 كان عام الأزمات الخطيرة للفلسطينيّين واللّبنانيّين على السواء.

فعلى الصّعيد اللّبنانيّ برزت مسألة خلافيّة جديدة: المشاركة في السّلطة، إلى جانب المشكلات الاجتماعيّة الاقتصاديّة.

بعد الانتخابات النيابية في العام 1972 شكّل صائب سلام في 27 أيار حكومة جديدة ضمّت سياسيّين وعكست بتشكيلها الأكثرية النيابية في المجلس الجديد، لكنّها لم تضمّ كمال جنبلاط بسبب التّوتر الذي ساد علاقته بصائب سلام قبل تشكيل الحكومة وبعده. واستقالت هذه الحكومة بعد سنة على تأليفها إثر الغارة الإسرائيليّة على بيروت في نيسان 1973[4].

الغارة الإسرائيليّة على بيروت وأثارها السّياسيّة

دفعت غارة الكوماندوس الإسرائيليّ على قلب بيروت في العاشر من نيسان وقد أودت

(1) د. فريد الخازن، المرجع السابق، ص 261.
(2) جريدة النّهار، 18 و23 كانون الأول 1970.
(3) جريدة النّهار، 31 كانون الأول 1970.
(4) د. فريد الخازن: الأحزاب السياسية في لبنان: حدود الديمقراطية في التجربة الحزبية، ص 42، المركز اللبناني للدراسات، سن الفيل، بيروت 2002.

بحياة اثنين من كبار قادة فتح هما محمد يوسف النجار (أبو يوسف) وكمال عدوان، كما قتل فيها الناطق الرسمي باسم منظمة التّحرير الفلسطينيّة الشاعر كمال ناصر. استغرقت الغارة نحو أربعين دقيقة[1]، وكانت من أدق وأخطر عمليات الكوماندوس التي نفذتها إسرائيل خارج أرضها تخطيطًا وتنظيمًا وتنفيذًا.

القادة الفلسطينيّون قتلوا بوحشية مشهودة، كل في شقته كما استهدف رجال الكوماندوس الإسرائيليّون أحد مباني حركة فتح في مخيم صبرا[2]، كان معروفًا أن ياسر عرفات يرتاده لكن لم يتضح إذا كان أبو عمار شخصيًا مستهدفًا أم لا[3].

ليس غريبًا أن تطرح تساؤلات كثيرة حول هذه العملية وتبقى هذه التّساؤلات من دون أجوبة شافية مثلًا، لماذا استهدف هؤلاء القادة الثّلاث بالذّات دون سواهم من القادة الفلسطينيّين، ولماذا نفذّت إسرائيل هذه العملية في قلب بيروت على الرّغم من قدرتها على تصفيتهم في أماكن كثيرة، ومن كان المستفيد الأكبر من هذه العملية المنفذة بمنتهى الدقة.

ما من أجوبة واضحة لهذه التّساؤلات ، لكن إذا كان هدف إسرائيل زعزعة الاستقرار في لبنان بين اللّبنانيّين وبين السّلطة اللّبنانيّة والفلسطينيّة، تكون إسرائيل قد أصابت أهدافها بنجاح[4]. فبالنسبة إلى الحكومة اللّبنانيّة كانت الغارة الإسرائيليّة على قلب العاصمة مصدر حرج يكاد يكون معيبًا، وكانت النّتيجة الفورية للعملية الخلاف العلني بين الرّئيسين فرنجية وسلام، فبالنسبة إلى هذا الأخير كان لا بد أن يتحمل شخص مسؤولية نقص الإجراءات الأمنية السّليمة ودعا إلى إقالة قائد الجيش العماد اسكندر غانم. لكن فرنجيّه رفض إقالة غانم، لأنّ الغارة لم تكن مواجهة عسكريّة وإنما عملية معقّدة، نفّذت بدقّة. هذا التناقض بين الرّئيسين زاد التوتر بينهما عما قبل[5] وأدّى إلى الطلاق السّياسيّ بينهما.

---

(1) جريدة النّهار، 10 نيسان 1973.

(2) د. فريد الخازن: المرجع السابق، مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع شفيق الحوت بتاريخ 14 آب 1994.

(3) جريدة النّهار، 15 نيسان 1973.

(4) د. فريد الخازن: تفكك أوصال الدول في لبنان 1967 – 1976، ص 274، دار النّهار للنشر، بيروت.

(5) Gorid, Wade R. Soverecgnty and Leader ship In Lebanon. 1943-1976, p 154, (London: Ithaca press, 1985).

قدم صائب سلام استقالته مسجلًا فيها موقفه وخلفه الرّئيس أمين الحافظ وقد واجه معارضة شديدة بين القيادات الإسلاميّة السّنيّة طوال الشّهرين الذين قضاهما رئيسًا للحكومة[1] وخصوصًا من رئيس الحكومة الأسبق رشيد كرامي.

كان لأزمة 1973 تأثيرها المتمادي في السّياسة اللّبنانيّة، وقد فتحت على البلاد مصادر زعزعة الاستقرار من جهات متعدّدة داخليّة وخارجيّة، وبرز في أزمة 1973 بعدان جديدان: خلافات فلسطينيّة داخليّة وضعت حركة فتح في مواجهة المنظّمات الرّاديكالية، والتّدخل السّوريّ العسكريّ والسّياسيّ المتزايد في السّياسة اللّبنانيّة[2].

تضاعف التوتر العسكريّ بعد تعرض مواقع الجيش في الجنوب في هجوم قتل فيه جنديان وجرح ثالث، ولم تمض بضعة أيام حتى اعتقل في 27 نيسان ثلاثة عناصر من حركة فتح يحملون متفجرات في مطار بيروت[3].

أما الحادث الذي صب زيتًا فوق نار التوتر فكان اختطاف ثلاثة جنود لبنانيين[4] على أيدي عناصر من الجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين[5] اتخذت وحدات من الجيش مواقعها حول المخيّمات الفلسطينيّة في ضواحي بيروت وأوقف عددًا من العناصر الفلسطينيّة خصوصًا من منظمات نايف حواتمه وأحمد جبريل والدكتور جورج حبش.

على أثر هذه الأحداث، اندلع قتال واسع بين الجيش والقوّات الفلسطينيّة وسادت حالة حرب حقيقية في البلد، عمّت المواجهات معظم المناطق في بيروت وضواحيها واستخدمت فيها الأسلحة الثقيلة حتى بلغت المواجهة ذروتها عندما استخدم الجيش سلاح الطيران ضد المواقع الرمان العسكريّة في صبرا وشاتيلا[6]. لكن الهجمات الجوية سرعان ما أوقفت نتيجة الضغوط العربيّة التي مورست على الرّئيس فرنجيّه وخصوصًا من سوريا[7]، وكانت الخسائر فادحة بعد يومين من القتال، فقد خسر الجيش اثني عشر عنصرًا وأصيب أربعون بجروح، بينهم ثلاثة ضباط، أما الفلسطينيّون فسقط لهم تسعة

(1) النّهار: عدد 15 نيسان 1973.
(2) جريدة النّهار:3 أيار 1973.
(3) المصدر نفسه: عدد 15 نيسان 1973.
(4) جريدة النّهار: عدد 20 نيسان 1973، ص 3.
(5) بطرس لبكي: جردة حساب الحروب من أجل الآخرين على أرض لبنان 1975 – 1990، وخليل أبو رجيلي، ص 11، بيروت 2005.
(6) جريدة النّهار: 9 أيار 1973.
(7) Gorid, Ibid, P. 144-145.

عشر قتيلًا وجرح ثمانية وتسعون[1].

كان موقف الرّئيس فرنجيّه واضحًا: لبنان مستعد للتّعامل مع الفلسطينيّين تمامًا كما تعاملت معهم الحكومات العربيّة الأخرى، بيار الجميل وكميل شمعون دعما موقف الرّئيس فرنجيّه[2]، أما القادة الفلسطينيّون فقد ندّدوا بالسّلطة اللّبنانيّة واتّهموا فرنجيّه بأنّه «عميل الإمبريالية الأمريكيّة وبأنه يريد «تصفية الثّورة»[3].

ففي حين أن الجيش اتّخذ موقف الهجوم وكان متفوقًا عسكريًا على القوّات الفلسطينيّة، لم يتمكّن من إكمال مهمته والدّخول على مخيمي صبرا وشاتيلا[4]، ولم يكن ممكنًا القيام بأي عمل عسكريّ إذا لم يكن مدعومًا بشكل واضح من قبل القيادات الإسلاميّة وخصوصًا من رئيس الحكومة، وبغياب هذا الدّعم كان فرنجيّه والجيش على حد سواء غير قادرين على الإتيان بأي عمل.

وبالفعل أيّدت القيادات السّنيّة الموقف الفلسطينيّ وأدان معظمها الحكومة اللّبنانيّة[5]. وحين طلب فرنجيّة وساطة المفتي الشّيخ حسن خالد عن طريق تقي الدّين الصّلح للإفراج عن الجنود الثّلاثة، كان رد فعل المفتي أن المقاومة الفلسطينيّة هي جيش المسلمين[6].

أما اليسار اللّبنانيّ بقيادة كمال جنبلاط فكان دعمة للمنظمات الفلسطينيّة دعمًا غير مشروط، وقد تم توقيف ثلاث سيارات عائدة إلى نواب كتلته، زاهر الخطيب، وفريد جبران وفؤاد الطّحيني، كانت تقوم بنقل الأسلحة إلى الفدائيين وحلفائهم اللّبنانيّين[7]. وكان النّائب زاهر الخطيب في سيارته عندما تم توقيفها وبرفقته رئيس فرع حزب البعث في منطقة الشّوف[8].

الأنظمة العربيّة كانت في موقف إجماع يدين الحكومة اللّبنانيّة، في حين انطوى الموقف السّوريّ على تهديد للبنان وأغلقت حدودها البرية مع لبنان[9] في الثّامن من أيار

(1) جريدة النّهار: 3 أيار 1973.
(2) مجلة الطليعة، أيار 1973، ص 5 – 11، وحزيران 1973، ص 5 – 9.
(3) Goria, Sovereigng.. Ibid, page 150.
(4) في مقابلة مع ميشال سماحة أجراها معه د. فريد الخازن في 8 تشرين الثاني 1997.
(5) النّهار: 9 – 10 أيار 1973.
(6) مقابلة مع منح الصلح: كاتب وسياسي لبناني أجراها معه د. فريد الخازن في 23 أيلول 1995.
(7) النّهار: 8 أيار 1973.
(8) المرجع السابق، تم توقيفه من قبل الجيش اللبناني ثم أطلق سراحه.
(9) النّهار: 9 أيار 1979.

1973 وحكمت على تجارة التّرانزيت اللّبنانيّة بالشّلل. كذلك سمحت دمشق بدخول بضع مئات من لواء اليرموك إلى الجنوب اللّبنانيّ[1]، ولم تمض مدّة قصيرة حتى وصل إلى بيروت المسؤولان السّوريّان عبد الحليم خدام ومحمد الخولي في مهمة وساطة ما كادت تنتهي حتى دخل بضع مئات من المقاتلين الفلسطينيّين ودار قتال حول القاعدة الجويّة للجيش اللّبنانيّ في رياق[2].

اتّفاق ملكارت

وسط تصاعد القتال وصل إلى بيروت أمين عام جامعة الدّول العربيّة محمود رياض محاولًا التّوسّط بين الأفرقاء، وفيما كان يحاول ويبذل الجهود لتعديل الموقف السّوريّ كانت دولًا عربيّة أخرى مثل العراق وليبيا تحاول الاستفادة من ظروف الأزمة، ولم يتردّد الزّعيم الليبي مثلًا، في دعوة القوّات الفلسطينيّة إلى احتلال مطار بيروت[3].

في الثّلاثين من أيار 1973 اجتمع رياض في السّفارة المصرية في بيروت إلى ثلاثة من القادة الفلسطينيّين هم توفيق الصّفدي، صلاح صلاح وياسر عبد ربه، وضابطان لبنانيان هما: أحمد الحاج وديب كمال. افتتح رياض الاجتماع بعرض للوضع العربيّ العام المتردّي في مواجهة إسرائيل بشكل لم يشهده العرب منذ العام 1948 ثم قال: «إذا كان العرب لم يتمكنوا يومًا من ردع إسرائيل عن احتلال الأرض العربيّة، فعلينا على الأقل أن لا نعطي إسرائيل ذريعة لاحتلال المزيد من الأرض والموارد العربيّة، كمياه لبنان وضفة نهر الأردن الشّرقيّة»[4].

ألقى محمود رياض اللّوم على الفلسطينيّين معتبرًا أنهم مسؤولون عن تأجيج الوضع في لبنان بسبب انتهاكهم اتّفاق القاهرة، وعدم التزامهم القرار العربيّ بتجميد العمليّات العسكريّة. كذلك قدّم تفسيرًا لاتّفاق القاهرة يقول إنّ على الفلسطينيّين الانضمام إلى المعركة ضدّ إسرائيل ولكن إلى جانب الدّول العربيّة الأخرى عندما تخوض هذه الدّول الحرب ضدها. كذلك أشار رياض إلى أنّ المنظّمات الفلسطينيّة أعطيت التّسهيلات في لبنان في 1969 لتقوم بعمليات عسكريّة ضدّ إسرائيل وليس في داخل لبنان الذي يجب

(1) النّهار: 4 أيار 1973.
(2) النّهار: 10 أيار 1973.
(3) النّهار: 14 أيار 1973.
(4) نص تقويم محمود رياض عن الوضع 1973 ورد في مذكرات شارل حلو، الجزء الثاني، ص 318 – 319.
Helou, Charles, Memoires Vol II… P318-319, Beyrouth, Librairie Antoine.

احترام سيادته وسلامة شعبه وأراضيه.

هذا العرض الواضح للأمين العام لجامعة الدّول العربيّة عكس أيضًا الموقف المصري من الأحداث الجارية في لبنان، وكان لموقفه وتفسيره للتّطوّرات منذ 1969 أثر إيجابيّ ساعد في تليين الموقف الفلسطينيّ. فهدأت المواجهات وشكّلت لجنة عسكريّة لفرض وقف إطلاق النّار ثم عقدت سلسلة اجتماعات في فندق ملكارت في بيروت في 15 – 16 – 17 أيار 1973 بين وفد فلسطين وممثلين عن الجيش اللّبنانيّ، ضم الوفد الفلسطينيّ أبو الزعيم عن فتح وأبو عدنان ممثلًا الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وصلاح صلاح ممثلًا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. أما الوفد العسكريّ اللّبنانيّ ضمّ العميد أحمد الحاج، العقيد نزيه راشد والمقدم ديب كمال.

أكدّ اتّفاق ملكارت على اتّفاق القاهرة وأضاف إليه بعض البنود العسكريّة وعهد بمراقبة الاتّفاق الجديد وتنفيذه إلى «لجنة تنسيق عليا» شكّلت من ممثلين عن الجيش اللّبنانيّ والمنظّمات الفلسطينيّة[1].

جاء اتّفاق ملكارت شاملًا ومفصلًا. وقد تطرق إلى مختلف نواحي الوجود الفلسطينيّ العسكريّ داخل المخيّمات وخارجها وأهم ما جاء فيه:

أولًا: لا يسمح لقوّات الكوماندوس الفلسطينيّ بدخول المخيّمات، ويعهد بأمن المخيّمات إلى عناصر من الميليشيا، كما يكون لقوى الأمن الدّاخليّ مركز بالقرب من كل مخيم ولا يسمح بغير الأسلحة الخفيفة داخلها.

ثانيًا: لا يسمح بأي وجود عسكري خارج المخيّمات في المناطق الحدودية الجنوبية. ولكل المراكز الأخرى يجب أن تفكك وتزال.

ثالثًا: يتم التّنسيق مع السّلطات العسكريّة اللّبنانيّة حول تنقل العناصر العسكريّة ويتم التّنقل من دون سلاح وفي اللّباس المدنيّ.

رابعًا: لا يسمح بالتّدريب العسكريّ في المخيّمات وإنما في موقع واحد قرب بعلبك في البقاع.

(1) Helou, Charles, Memoires: Presence Palestinienne et Accord du Caire, P:319, vol II (Beyrouth, Librairie! Anotione).

خامسًا: تجمّد كل العمليّات العسكريّة من الأراضي اللّبنانيّة وعليه فإن عمليات الكوماندوس من الأراضي اللّبنانيّة ممنوعة.

أما البنود الأخرى فشدّدت على السّيادة اللّبنانيّة واحترام القوانين والأنظمة التي تضمن سلامة لبنان.

كان اتّفاق ملكارت أكثر استجابة للمصلحة الوطنية اللّبنانيّة من اتّفاق القاهرة، فأعطى الحكومة اللّبنانيّة مزيدًا من السّلطة القانونيّة لفرض النّظام. لكن ذلك لم يكن كافيًا في غياب القرار السّياسيّ. ففي حين كانت الحكومة اللّبنانيّة تمتلك سلطة القانون وتفسيره، كانت المنظّمات الفلسطينيّة تسيطر على الأرض.

في تقويم مفصل لكيفية تنفيذ اتّفاق ملكارت خلال الأشهر الثّلاثة الأوّلى أصدره الجيش اللّبنانيّ[1] تبيّن أن ما تغير على الأرض يكاد لا يذكر.

تمت إزالة مركز عسكريّ واحد في مرج الزّهور في الجنوب. جمدت العمليّات العسكريّة بعض الوقت ثم استؤنفت على نطاق واسع في مطلع العام 1974 في أعقاب الحرب العربيّة – الإسرائيليّة عام 1973 وبدأت تظهر منذ ذلك الوقت معالم صراع كبير بين المسلمين واليسار اللّبنانيّ والقوّات الفلسطينيّة من طرف والمسيحيين الموارنة واليمين اللّبنانيّ من طرف آخر وكان من الممكن للحرب الأهليّة أن تبدأ في تلك السنة ولكن حرب تشرين 1973 أخرت حدوثها حتى العام 1975.

الأسد يطل على لبنان بسياسة العصا والجزرة

في أزمة 1973، كما في التي سبقتها عام 1969، تبقى سوريا البلد العربيّ الأكثر فعلًا في لبنان. فبعد مرور ثلاث سنوات على تسلم الأسد الحكم وإحكام قبضته وأمن رسوخه الدّاخليّ والقبول به إقليميًا. أصبح الآن قادرا على استئناف سياسته المعهودة في محاولة التأثير في السّياسة اللّبنانيّة وفي الوجود الفلسطينيّ في لبنان.

وكان للسياسات الفلسطينيّة أهمية مزدوجة بالنسبة للأسد. فهو معني بالمنافسة العربيّة سياسيّا وإيديولوجيًا من جهة، وخصوصًا حيال النّظام البعثي في العراق، ومعني من

(1) د. فريد الخازن، تفكك أوصال الدولة في لبنان 1967 – 1976، نقلًا عن تقرير للجيش اللبناني «تقييم الوضع» ص 18 – 19.

جهة ثانية بالنزاع العربيّ – الإسرائيليّ[1].

لقد أدت الرمال المتحركة في السّياسة الفلسطينيّة إلى مفاجآت غير سارة للبنان. فالذي بدأ غارة إسرائيلية على أهداف فلسطينيّة سرعان ما تحول مواجهات بين الجيش اللّبنانيّ والفدائيين الفلسطينيّين موفرة الذريعة للتدخل السّوريّ المباشر عسكريًا وسياسيًا ليس فقط في الشأن اللّبنانيّ وإنما في الشؤون الفلسطينيّة أيضًا.

لقد شكّل الدور السّوريّ المزدوج، في تصعيد الأزمة ثم في احتوائها، نمطًا جديدًا في استراتيجية التدخل السّوريّ في لبنان. جرت محاولة لتطبيع العلاقات اللّبنانيّة السّوريّة، أي فتح

الحدود بين البلدين التي كانت دمشق قد أغلقتها قبل ذلك ببضعة أسابيع. رفضت دمشق إعادة فتح حدودها مع لبنان، وإنما أضافت إلى إغلاق الحدود إجراء آخر تمثّل في إغلاق مجالها الجوي في وجه الطائرات اللّبنانيّة[2]، إلا أن خطوة سحريّة كانت كفيلة بكسر الطوق وحل الإشكالات كانت زيارة النائب طوني فرنجيّه نجل الرّئيس سليمان فرنجيّه إلى دمشق، وما هي إلا أيام قليلة حتى عادت علاقات البلدين طبيعية وصرف النظر عن قائمة طويلة من المطالب[3]..

1974... التحضيرات العسكريّة المنظمة

عبقت الأجواء اللّبنانيّة في العام 1974 بمناخ من العسكرة المتمادية والظاهرة، وفي آذار من ذلك العام شهد لبنان منحى لم يكن يعرفه من قبل وهو الشكوى الشيعيّة التي رافقها ظهور السّلاح، ففي لقاء شيعيّ حاشد في بعلبك أعلن الإمام الصّدر ثورة الشّيعة على الحرمان، وفي خطاب ألقاه أمام الآلاف من مناصريه قال السّيد موسى «إن السّلاح زينة الرجال» وما إن أعلن الإمام عن انطلاق حركة المحرومين حتى أخذ أنصاره يقتنون السّلاح ويتدربون تحت إشراف حركة فتح قرب بعلبك[4].

تابع اللّبنانيّون والفلسطينيّون مراكمة السّلاح، وكان التّوتر شديدًا بين بعض الأطراف،

(1) النّهار: 3 حزيران 1973.
(2) المرجع نفسه: 4 حزيران 1973.
(3) تفاصيل المطالب السورية: النّهار 5 و6 حزيران 1973.
(4) Fouad Ajami, The vanished Imam: Musa al Sader and the shia of Lebanon, p. 5-6. (Ithaca: Cornell university press, 1986).

ففي 22 أيلول 1974 وقع اشتباك في قرية ترشيش في المتن الأعلى بين أنصار كمال جنبلاط في المنطقة وأعضاء في حزب الكتائب[1] وقد انتهى الاشتباك بسقوط ثلاثة قتلى وجريحين.

وفي حادث آخر وقع في صيدا قتل فيه أحد أفراد الشرطة مسلحًا فلسطينيًا، انتشر بعده المسلّحون الفلسطينيّون مقيمين الحواجز على الطّرقات ومفجرين العبوات النّاسفة في أنحاء مختلفة من المدينة. وفي بيروت وقع اشتباك مسلح بين فصائل من الأحزاب الناصرية، وكان ذلك عندما نصب كمين مسلح للنّائب الناصريّ نجاح واكيم أصيب فيه أربعة أشخاص بجروح[2]. اتّهم بنصب الكمين ابراهيم قليلات الذي تولى فيما بعد قيادة حركة «المرابطون»[3].

في شهر أيلول 1974 وجد الرّئيس تقي الدّين الصّلح أنّ حكومته أخذت تفتقد الانسجام بين وزرائها، خصوصًا أنّ كمال جنبلاط الذي كان ممثلًا فيها بوزير الدّاخليّة بهيج تقي الدّين قد اتّهم بيار الجميل وكميل شمعون اللذين كانا ممثلين في الحكومة، بجمع السّلاح وتدريب الميليشيات فيما هما يتآمران ضد الفلسطينيّين[4]، وجاء رد الجميل وشمعون على جنبلاط باتّهامه بامتلاك ترسانة من الأسلحة في بلدته المختارة، وبأنّه «أكبر المتآمرين على الفلسطينيّين»[5].

الحقيقة أنّ كلّ من اتّهم الآخر بجمع السّلاح كان اتّهامه في محله، ففي العام 1974 لم يبق فريق لبنانيّ أو فلسطينيّ إلا اقتنى السّلاح وتدرّب عليه وأقام المعسكرات في مختلف المناطق اللّبنانيّة، وكان حزب الكتائب أكثر هذه الأحزاب تنظيمًا والتزامًا[6] كذلك بدأت أحزاب أخرى تنظم صفوفها عسكريًّا، حزب الوطنيين الأحرار بقيادة كميل شمعون، وفريق من المهنيين المسيحيين الشباب كان يدعى «التنظيم» بقيادة الطّبيب فؤاد شمالي.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كافة الأحزاب اليسارية واليمينية، الإسلاميّة والمسيحيّة

(1) النّهار: 23 أيلول 1974.
(2) المرجع نفسه: 23 تشرين الأول 1974.
(3) المرجع نفسه: 1 تشرين الثاني 1974.
(4) النّهار: 22 آب 1974.
(5) النّهار: 27 و29 آب 1974.
(6) – Frank Stoakes, the supervigilantes: The Lebanese Kataeb party as builder, surrogate and defender of the state: 3 11 octobr 1975, p. 231.

لم تكن لتقترب من إمكانيّات وموجودات منظمة التّحرير الفلسطينيّة العسكريّة ومواردها الماليّة[1].

استقالة حكومة تقي الدّين الصّلح

صمدت حكومة تقي الدّين الصّلح أكثر من سنة في وجه العواصف التي هبّت عليها، نتيجة الأعمال الحربيّة الفلسطينيّة – الإسرائيليّة من جهة والغليان الدّاخليّ من جهة ثانية. لكن هذه الحكومة، فقدت القدرة على الاستمرار في شهر تشرين الأوّل 1974. كلّف الرّئيس فرنجيّه صائب سلام تشكيل الحكومة الجديدة. لم ينجح سلام في تشكيل الحكومة[2].

لعلّ أهم التّحديّات التي يمكن أن يواجهها أي رئيس حكومة في أواخر العام 1974 النّفوذ المتزايد لكمال جنبلاط في السّياسة السّنيّة[3]. فقد نجح كمال جنبلاط في إثبات نفوذه بأن جاء إلى رئاسة الحكومة برشيد الصّلح الذي يدين له بالولاء الكامل.

شكّل رشيد الصّلح الحكومة من ثمانية عشرة وزيرًا في 31 تشرين الأوّل 1974 ونالت الثقة في مجلس النّواب بعد ثلاثة أسابيع من تأليفها. وتمثّل فيها كمال جنبلاط وكميل شمعون وبيار الجميل بوزيرين لكل منهم.

المشهد السّياسيّ اللّبنانيّ قبل اندلاع الحرب

كان المشهد السّياسيّ الدّاخليّ في مطلع 1975 كالآتي:

أوّلًا: كان هناك تحالف مع ريمون إده وصائب سلام ورشيد كرامي تحت اسم التّحالف الثّلاثي. وقد حاول إده، المعارض الأبرز لسليمان فرنجيّه، أن ينتزع من الرّئيس القدرة على تأديّة دور مؤثّر في الانتخابات الرّئاسيّة.

ثانيًا: استطاع كمال جنبلاط أن يسجّل تقدمًا سياسيًا مهمًا ويحشد المؤيدين من كل الطّوائف، إلّا أن العائق الأكبر في وجهه كان يكمن في الطّائفة المارونية التي كان عاجزًا عن إزاحة أي من أقطابها. لكن جنبلاط، كان في العام 1975 أكثر قدرة من ذي قبل على التّأثير في مجريات السّياسة اللّبنانيّة بجوانبها كافة.

(1) مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع ضابط لبناني سابق، في 10 شباط 1997.
(2) لويس الحاج: من مخزون الذاكرة، ص 128 – 129، دار النّهار، بيروت 1993.
(3) تعليق للرئيس رشيد كرامي حول «عقدة الخوف السنية لدى جنبلاط» في جريدة النّهار 23 تشرين الأول 1974.

ثالثًا: قوى اليسار كانت تعدّ النّظام السّياسيّ جامدًا ومتخلفًا، لكن الأحزاب اليساريّة استطاعت في هذا النّظام أن توسّع رقعة امتدادها ونفوذها بسرعة فائقة وأن تزيد من تأثيرها الفاعل خصوصًا عن توسيع رقعة امتدادها ونفوذها بسرعة قياسية»[1].

رابعًا: ثمة تيار آخر برز على السّاحة السّياسيّة داخل الطّائفة الشيعيّة بقيادة الإمام موسى الصّدر. ومع أن الطّائفة الشيعيّة لم تنل من حجم التّمثيل السّياسيّ ما يوازي حقّها منه، فإنّ النّظام السّياسيّ بحدّ ذاته لم يمنع الشّيعة من نيل هذا الحقّ في المؤسّسات السّياسيّة[2].

قبل اندلاع أعمال العنف في نيسان 1975 لم يكن هناك نزاع مسلح بين طائفة وطائفة أخرى في لبنان.

لم يكن لبنان بلدًا قابلًا للتقسيم لا على أساس جغرافي ولا على أساس طائفي. أضف إلى كل هذا أن معظم المناطق اللّبنانيّة يسكنها مزيج طائفي من اللّبنانيّين خصوصًا في العاصمة بيروت وضواحيها.

إلا أنّ أعمق مصادر الخلاف الدّاخليّ بين اللّبنانيّين كان الوجود الفلسطينيّ المسلّح. ذلك أنّ المنظّمات الفلسطينيّة تحوّلت في أواسط السّبعينيّات مسألة خلافية داخليّة في السّياسة اللّبنانيّة.

على هذه الخلفية من الانقسام وعدم الاستقرار انفجرت الصّدامات العسكريّة ولا أحد يعرف مداها. لكن قبل الدّخول في بحث الحرب لا بدّ من الملاحظة أن مسألتين محوريتين قد سادتا المداولات السّياسيّة في لبنان ما قبل الحرب: مسألة المشاركة في السّلطة والمشكلات الاجتماعيّة – الاقتصاديّة.

إذًا كان لبنان على موعد مع انفجار لا يعلم أحد مداه، كل شيء ينبئ بذلك، الأزمات السّياسيّة والاجتماعيّة، العلاقات اللّبنانيّة – الفلسطينيّة واللّبنانيّة – السّوريّة، والصّراعات العربيّة التي فجّرت تناقضاتها على السّاحة اللّبنانيّة[3].

(1) د. فريد الخازن: المرجع السابق، ص 315.
(2) الحوادث: 12 آب 1974، العدد 1926، السنة 18، ص 9.
(3) مجلة الحوادث: 17 أيار 1974، العدد 214 السنة 18، ص 8.

وقد علّق صائب سلام على هذه الأحداث إلى مجلة الحوادث فقال[1]: «هل يستغرب أحد منا إذا استفاق ذات صباح ليجد بيروت تحترق؟» ثم وجّه صائب سلام اللّوم إلى السّلطة المطلقة المعطاة لرئيس الجمهوريّة والتي تؤدي إلى تعطيل المؤسّسات الدستوريّة.

كما ألقى الرّئيس سلام باللّائمة على الجمهوريّة العربيّة المتحدّة ذلك أنّ سفيرها عبد الحميد غالب أمّن الغطاء السّياسيّ، محليًّا وعربيًّا إلى فؤاد شهاب وأطلق يده ويد المكتب الثّاني وأعطاهما ورقة بيضاء للتّسلط على المسلمين»[2].

أما بيار الجميل رئيس حزب الكتائب فقد صوّر واقع البلاد بالسّيارة التي تنحدر بسرعة جنونيّة إلى الهاوية وقال: «إذا لم يعد في السّاحة من يقف في وجه «التّيار» ويتصدّى له ويحاول لجم الفوضى، ويقول الحقيقة للبنانيين والعرب والفلسطينيّين على حد سواء فإنّ السّيارة ستستمر في انزلاقها والجميع يتفرجون عليها دون أن يجرأ أحد أن يقول الحقيقة»[3].

أما ريمون إده فعلّق على الأوضاع قائلًا: «إن قضية تعديل الدستور واردة في أي وقت وفق النصوص الدستورية المنظمة لذلك، ويخطئ من يعتقد أن فئة واحدة من اللّبنانيّين هي التي تطالب دومًا بتعديل الدستور[4] ورأى إده في تسلط رئيس الجمهورية (سليمان فرنجيّه) ما أثار كثيرًا من المسيحيين قبل المسلمين، وحسب إده فإنّ قسمًا كبيرًا من المسيحيين أصبحوا يفكرون بأخذ المبادرة لجهة طلب تحديد صلاحيّات رئيس الجمهورية كي لا يتمكّن من الاستئثار بخيرات البلد وإيجاد مشكلات طائفيّة، لذلك فهم يفكرون أنه من الأفضل لهم أن يعملوا هم بالذّات لإيجاد مشاركة صحيحة بين الحكومة ورئاسة الجمهوريّة[5].

وخلص إده إلى وجوب تأمين أجواء مناسبة لإيجاد ميثاق وطني جديد أو تطوير الميثاق الموجود بما يتناسب مع مصلحة البلاد.

أما النائب عبده عويدات فإنه يعيد حرب 1975 إلى الحروب الطّائفيّة التي جرت

(1) المرجع نفسه: 2/ آب 1974، العدد 926، السنة 18، ص 9.
(2) المرجع نفسه: ص 11.
(3) الحوادث: 31 كانون الثاني 1075، العدد 951، ص 12.
(4) الحوادث: المرجع السابق، ص 13.
(5) الحوادث: 4 نيسان 1975، العدد 960، ص 12 – 13.

في العهد العثمانيّ، وأكثر من ذلك فإنّه يرى أنّها تتم بين نفس الطوائف «حتى بأوساط الزّعامات والبيوتات التي استعملت لإشعالها مضافًا إليها المقاتلون الفلسطينيّون الذين انجرفوا إلى الاشتراك فيها كهدف من أهداف الخطة»[6].

وليد فارس (منظّر السّياسة الكيانيّة) يعيد أسباب الحرب في بعض منها إلى أسباب خارجيّة، أما الأسباب المهمة فهي تتعلّق بالجذور التّاريخيّة، والقضية تتعلق بصلب التّركيبة السّكانيّة، من حيث الانتماء الدّيني[7].

بداية الشّرارة: مقتل معروف سعد26 شباط 1975

حوادث صيدا

فيما كان الانقسام الدّاخليّ اللّبنانيّ حول الوجود الفلسطينيّ يتفاقم، وقع حادث خطير في مدينة صيدا حيث تحوّلت مظاهرة لصيادي الأسماك ضد شركة بروتيين لصيد الأسماك التي حصل على امتيازها كميل شمعون إلى معمعة من أعمال العنف العشوائيّة انتهت بمقتل عدد من الأشخاص وجرح عدد آخر. وكان بين الجرحى النّائب السّابق والسّياسيّ الصّيداوي معروف سعد الذي توفي بعد أيام في أحد مستشفيات بيروت وتحوّلت جنازته إلى أكبر تجمع عرفه لبنان الدّعم الفلسطينيّين[8].

كان لحادث اغتيال معروف سعد ردود فعل سريعة، وبعد ساعتين من الحادث أطلق مسلحون النار على سيارة عسكريّة للجيش اللّبنانيّ كانت تعبر أحد شوارع المدينة فأصيب سائقها إصابة خطرة[9]. وفي الوقت نفسه وفي موقع آخر من المدينة انهمرت النّيران على سيارة جيب تابعة للجيش اللّبنانيّ فقتل السّائق وجرح مرافقه[10].

انتقلت الصّدامات بين عناصر من الجيش من جهة والفلسطينيّين وأنصارهم من جهة ثانية، إلى سائر أنحاء مدينة صيدا[11]، فقتل ضابط وخمسة جنود وجرح عشرة آخرون

(6) عبده عويدات: الحكم في لبنان، أسباب السقطة والمسؤوليات والعلاج، ص 169، منشورات عويدات، بيروت، باريس.
(7) وليد فارس: التعددية في لبنان، ص 274 – 275، بيروت.
(8) مصطفى دندشلي: أحداث صيدا 75، يوميات ووثائق. صيدا، المركز الثقافي للبحوث والتوثيق، 1985، ص 99.
(9) النّهار: 27 شباط 1975.
(10) مصطفى دندشلي: «أحداث صيدا 75: يوميات ووثائق» ص 10.
(11) المرجع السابق، 106 – 108.

كما قتل تسع مدنيين[1].

وفي اليوم التالي، الرّابع من آذار 1975 تعرضّت شاحنة عسكريّة تنقل جنودًا غير مسلحين في طريق عودتهم إلى الثكنة في الجنوب لكمين فقتل جندي وجرح تسعة وعشرون[2] وقد وقع الحادث بعد يوم واحد من انسحاب الجيش من صيدا.

من جهة ثانية، انفجرت قنبلة في مكاتب «شركة بروتيين» في بيروت أدّى انفجارها إلى جرح خمسة أشخاص وتدمير مكاتب الشركة[3]. وقد تبنّت الانفجار حركة غير معروفة هي «الحركة الثورية الاشتراكية»[4].

أحزاب اليسار استغلت أحداث صيدا، واتهمت الجيش اللّبنانيّ، وقبل إجراء أي تحقيق أولي، أصدرت الأحزاب اليسارية بيانًا اتهمت فيه الجيش بأنه وراء إطلاق النار على معروف سعد[5]. وأصدرت بيانًا شديد اللهجة دعت فيه الجيش للانسحاب فورًا من المدينة.

لكن الموقف الأكثر لفتًا للانتباه هو موقف كمال جنبلاط، الذي اتخذ فيه منحىً توافقيًا دعا الأحزاب اليسارية إلى الامتناع عن استغلال الأحداث، وأضاف أنّ الجيش لم يفتح النّار إلا في حال الدّفاع عن النّفس[6]. هذا الموقف الحذر من كمال جنبلاط لم يرض القادة اليساريين خصوصًا جورج حاوي ومحسن ابراهيم اللذين اتخذا مواقف تصعيديّة.

الغريب في اضطرابات صيدا أنّ ما بدا مشكلة محليّة ذات طابع اجتماعيّ انتهى مظاهره تضامن لبنانيّ – فلسطينيّ.

الآثار التي ترتبت على تدخل الفلسطينيّين في حوادث صيدا انعكست على الموقف المسيحيّ حيث عدّ العديد من السّاسة والنّاس العاديين المسيحيين أنّ تلك الأحداث لم تكن تتعلّق بحقوق مئات من الصّيادين في صيدا، بقدر ما كانت محاولة لشل قوة الجيش وصولًا إلى إضعاف الدّولة[7].

أحداث صيدا كانت دليلًا واضحًا على أنّ عنصر «كرة الثّلج» كان جزءًا لا يتجزأ

(1) المرجع السابق، ص 126 – 127.
(2) المرجع السابق، ص 141.
(3) أنطوان خويري: «حوادث لبنان 1975»، الجزء الأول، ص 166، جونيه، دار الأبجدية 1976.
(4) مصطفى دندشلي: المرجع السابق، ص 90.
(5) المرجع السابق: ص 48 – 49.
(6) المرجع السابق: ص 232.
(7) النّهار: 4 آذار 1975.

من السّياسة اللّبنانيّة في أواسط السّبعينيّات، فقد بدأنا بمشكلة قابلة للحلّ تتعلّق بحقوق صيادي الأسماك، وإذا بنا غارقون في أزمة سياسيّة معقدة متعددة الطّوائف والأوجه والطّبقات: مسألة اجتماعيّة – اقتصاديّة بين الفقراء والأغنياء، منافسة إيديولوجيّة بين اليسار واليمين، خلاف مارونيّ– سنيّ، حول امتيازات رئيس الجمهوريّة، تسيس دور الجيش اللّبنانيّ ما أدى إلى انسحابه من مدينة صيدا. وخصومة سنيّة – جنبلاطيّة حول النفوذ السّياسيّ[1].

هذا الانعطاف السّريع في مجرى الأحداث يظهر كيف كانت المسائل الداخليّة المحلية سرعان ما تكتسب وجهًا فلسطينيًا. ومن هنا نعبر إلى الحدث الكبير، الصّدام الدامي الفلسطينيّ – الكتائبيّ في عين الرّمانة.

وقائع حادثة عين الرّمانة

اختلفت الروايات في شأن مجزرة عين الرّمانة نظرًا لغياب الصدامات الكبيرة بين الفصائل الفلسطينيّة والجيش اللّبنانيّ التي كان آخرها قد وقع شهري نيسان وأيار من العام نفسه، وعلى الرّغم من المواجهات المتكرّرة بين الفلسطينيّين وإسرائيل في العام 1974 التي أدّت إلى تفاقم المشكلات الاجتماعيّة – الاقتصاديّة، فقد بقيت مؤسّسات الدّولة فاعلة كما لم تؤد تلك الأحداث إلى انقسامات طائفية عميقة. من هنا كان لا بد لأيّة جهة تبغي إثارة الفتنة والاضطراب من أن تثير على المسرح حدثًا من عيار ثقيل لم يعرف البلد مثله من قبل بحيث يؤدي حتمًا إلى انقسام طائفي عميق. وإذا كان هذا هو المطلوب فهل من حدث يمكن أن يصل بالبلد إلى نتائج كارثيّة أكثر من صدام عنيف بين مسلحي الكتائب والفلسطينيّين؟

الاشتباك المسلّح في عين الرّمانة في الثّالث عشر من نيسان 1975 أغرق البلاد في أتون من أعمال العنف، وعمّت ممارسات الخطف العشوائيّ بحسب الهُوية، فتحوّلت هذه الممارسات منهجًا معمول به طوال حرب السّنتين 1975 – 1976، وكان الخطف والقتل جزءًا لا يتجزأ من الأعمال الحربيّة بين المتنازعين يكادان يوازيان اقتناء السّلاح وتطويع المقاتلين. في الثلاثين من شهر أيار 1975، وبعد مقتل فلسطيني في المنطقة الشّرقيّة من بيروت التي يسيطر عليها المسيحيون، أقيمت الحواجز في غرب بيروت

(1) النّهار: 7 آذار 1975.

وخطف العديد من المسيحيين من الشوارع وقتل منهم ثلاثون شخصًا[1].

وفي شهر أيار اندلعت مواجهات كبيرة حول مخيم تل الزعتر في ضاحية الدكوانة شرق بيروت بين الفلسطينيّين وميليشيا حزب الكتائب، وقد سقط فيها ضحايا للطرفين، مع اشتداد المعارك بدأت محاولات التهدئة وعقدت اجتماعات المسؤولين اللّبنانيّين والفلسطينيّين والعرب، فالتقى الرّئيس فرنجيّه ياسر عرفات في الرابع عشر من أيار 1975، ثم التقى بعض السّفراء العرب في الثّاني والعشرين من أيار، في هذا الاجتماع كشف فرنجيّه أمام السّفراء الحاضرين أن «أحد الرؤساء العرب» سمع في مكالمة هاتفية اعترضتها الأجهزة الأمنية يقول «لأحد القادة النافذين» إن «لبنان يجب أن يغرق في حمام الدّم[2] ولم يخف فرنجيّه غضبه مما سماه محاولات بعض الأنظمة العربيّة إثارة الفتنة في لبنان وفي ذلك خدمة كبيرة لإسرائيل[3] وكانت محاولة للتوسط بذلها قبل هذا الاجتماع الأمين العام لجامعة الدّول العربيّة محمود رياض لكنها لم تؤد إلى أي نتيجة ملموسة[4].

حكومة عسكريّة لـ 48 ساعة

ازداد تدهور الوضع الأمني، فلجأ الرّئيس فرنجيّه إلى تدبير غير عادي، فشكّل حكومة عسكريّة في 23 أيار 1975 برئاسة اللواء المتقاعد نور الدّين الرفاعي وعضوية سبعة من كبار الضّباط بمن فيهم قائد الجيش العماد اسكندر غانم ومدني واحد للخارجيّة[5]. وكانت سابقة في تشكيل الحكومات في لبنان، لكن خطوة الرّئيس فرنجيّه فشلت فشلًا ذريعًا واستقالت الحكومة بعد يومين على تأليفها تحت ضغط المعارضة الإسلاميّة التي دعا إليها المفتي الشيخ حسن خالد وشارك فيها القادة السّياسيّون والدّينيون للطوائف السّنيّة والشيعيّة والدرزية.

حكومة غير محاربة في زمن الحرب

إذا كان انهيار الحكومة العسكريّة ضربة سياسيّة قاسية أصابت فرنجيّه، فإن الضربة

(1) النّهار: 1 حزيران 1975. أو:
Chami and castoriades pays of tragedy: Lebanon 75-76, p: 372, Nicosia: printco, 1977.
(2) أنطوان خويري: حوادث لبنان 1975، ص 82 – 84، (جونيه، دار الأبجدية).
(3) المرجع نفسه، ص 83.
(4) النّهار: 17 أيار 1975.
(5) الأسبوع العربي – 21 آذار 1975، ص 18 – 19.

الأوجع منها[1] كان ترشيح رشيد كرامي لرئاسة الحكومة، من قبل الأقطاب السنّة، فكان رشيد كرامي منافسًا سياسيًا لفرنجيّه على صعيدين: الأوّل حين وقف إلى جانب منافسه الياس سركيس في انتخابات الرئاسة في العام 1970، والثّاني كقطب سياسيّ نافذ في منطقة الشمال[2].

بعد بضعة أسابيع من المشاورات، شكّلت حكومة من ستة أعضاء في الأوّل من تموز 1975، وكان اختيار أعضائها دليل ساطع على الإفلاس السّياسيّ الذي بلغه النّظام في منتصف 1975.

ظاهريًّا بدا أنّ الحكومة انبثقت عن تسوية اتّفق عليها بعض النّافذين من السّاسة اللّبنانيّين الذين تركوا وراءهم خلافاتهم، وإن مترددين وعلى مضض، أمّا في الواقع فالذي جعل تشكيل الحكومة ممكنًا لم يكن لا الوفاق الدّاخليّ ولا الوحدة الوطنيّة، إنّما الدور الذي أدّاه الوسطاء السّوريّون والفلسطينيّون. فمن دون تدخل السّوريّين ما كانت الحكومة لترى النور[3]. بكلام آخر إنّ الفيتو الذي كان السّوريّون والفلسطينيّون يمارسونه في سياسة تشكيل الحكومات اللّبنانيّة في أواسط العام 1975 كان كافيًا لنسف أي اتّفاق داخليّ.

في العام 1975 كانت سوريا قد أصبحت قادرة على التأثير في مجرى العملية السّياسيّة. وقد تجلّى ذلك عندما شكّلت الحكومة العسكريّة وسارع على أثرها وزير الخارجيّة السّوريّ عبد الحليم خدام يرافقه اللّواء ناجي جميل إلى بيروت لبحث هذه الخطوة الغير مسبوقة مع الرّئيس فرنجيّه[4]، نجحا خلالها من معالجة مسألتين: استقالة الحكومة العسكريّة وتأمين دعم رشيد كرامي في تكليفه تأليف الحكومة[5]، وفي زيارة لاحقة رافقه فيها رئيس الأركان حكمت الشّهابي أمضى خدّام في بيروت بضعة أيام وضع خلالها اللّمسات الأخيرة على التّشكيلة الحكوميّة برئاسة كرامي، كما أدّى دورًا رئيسيًا في تضييق شقة الخلاف بين عرفات والقيادات السّنيّة وفي تطعيم الموقف الجنبلاطيّ

(1) النّهار: 14 آذار 1976.
(2) فؤاد مطر: سقوط الإمبراطورية اللبنانية، الجزء الأول، ص 24 – 31، دار القضايا – بيروت.
(3) فريد الخازن: تفكك أوصال الدولة في لبنان 1967 – 1976، ص 395، دار النّهار، بيروت.
(4) فؤاد مطر: المرجع السابق، ص 60.
(5) المرجع نفسه، ص 84 – 85.

ببعض الاعتدال. أما تغيير موقف جنبلاط فقد جاء بعد زيارة لدمشق استمرت يومين[1].

البرامج الإصلاحيّة والفوضى والحوار زمن الحرب

تحسن الوضع الأمني بعد تشكيل حكومة كرامي وهدأت الحالة خلال شهري تموز وآب، لكن الحدث الأبرز خلال هذه المرحلة، وفاجأ العديد من اللّبنانيّين كان بروز ميليشيا جديدة هي أفواج المقاومة اللّبنانيّة (أمل) جناحًا عسكريًّا لحركة المحرومين الشّيعة. شدّد الصدر خلال إعلانه عن وجود ميليشيا «أمل» على أنّ هدفها إعداد الرّجال وتدريبهم للدّفاع عن جنوب لبنان ضد العدوان الإسرائيليّ[2].

لكن بالنّسبة إلى بعض اللّبنانيّين وخصوصًا منهم القادة والمثقفين والمسيحيين الذين ساندوا حركة الإمام الصّدر ورأوا فيه قائدًا معتدلًا ذا توجه إصلاحي، شكّل ظهور منظمة مسلحة تابعة له خيبة كبيرة أضيفت إلى فيض من الخيبات والمفاجآت الغير سارة التي كانت تزخر فيها جعبة الحرب[3].

الحدث الثّاني في شهر آب[4] تمثّل بمقال صحافي كتبه حسين القوتلي مدير مكتب مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد نشرته صحيفة السّفير كشف فيه بصراحة «الموقف الإسلاميّ» حيال المسائل المتعلقة بجوهر النّقاش السّياسيّ[5].

كانت الرّسالة موجهة إلى المسيحيين، وعلى الأخص الموارنة.

قال القوتلي إنّ «الصّيغة اللّبنانيّة» كان هدفها أن تستبدل «سلطة الإسلام» بالسّلطة المسيحية، وبتعبير أدق «بالحكم الماروني». مضيفًا أنّ «هذا هو جوهر المشكلة» لأنه يتم «على حساب المساواة وعلى حساب حقوق المسلمين وحصتهم العادلة من السّلطة في النّظام السّياسيّ».

وفي رأي القوتلي أنّ مسلمي لبنان قدّموا «تنازلًا» كبيرًا حين عدلوا عن المطالبة بـ«دولة إسلاميّة في لبنان وهم بذلك قد عرضوا عقيدتهم للانتهاك الخطير». ثم ينتقل القوتلي إلى التّساؤل عن ماهية «التّنازلات» التي قدمها المسيحيون مقابل تنازل المسلمين عن

(1) المرجع نفسه: ص 77 – 80.
(2) جريدة النّهار: 6 تموز 1975.
(3) فضل سرور: الأحزاب والقوى السياسية في لبنان، 1930 – 1980، ص 257 – 258، دار المسيرة، بيروت.
(4) النّهار: 8 آب 1975.
(5) السفير: 19 آب 1975.

العيش في ظل دولة الإسلام وفقًا للعقيدة.

برنامج الحركة الوطنية الإصلاحيّ

كان الموقف المهم الآخر الذي برز في آب 1975 هو برنامج الحركة الوطنيّة اللّبنانيّة التي كانت تجمعًا ائتلافيًا يضمّ أحزاب اليسار والأحزاب القوميّة. وكان الائتلاف بقيادة كمال جنبلاط[1].

لم تعلن الحركة الوطنيّة برنامجًا إصلاحيًا إلا بعد اندلاع الحرب، «فقد أعلن جنبلاط البرنامج في 12 آب 1975 خلال فترة هدوء سادت بين جولتي العنف الأوّلى والثّانية. كان البرنامج مقسّمًا إلى مقدمة وسبعة أقسام[2] وقد تناولت المقدمة طبيعة الأزمات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي زعزعت أركان البلد. ودعت إلى «احتضان الثّورة الفلسطينيّة قوّة تناضل ليس فقط لتحرير أرضها، وإنّما للدّفاع عن لبنان أيضًا»[3].

كانت الحركة الوطنيّة تصوّب على هدف واحد هو النّظام السّياسيّ. معتبرة أنّ علل لبنان السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة ناشئة عن مصدر واحد هو الطّائفية السّياسيّة التي قوّت انعزال لبنان عن السّياسة العربيّة، وطرحت في برنامجها «الإصلاح الديمقراطيّ للتّمثيل الشّعبيّ» وطرحت تغيير قوانين الانتخابات مقدمةً إلى الاقتراحات التّالية: جعل لبنان كله دائرة انتخابيّة واحدة، تبني التّمثيل النّسبي، إلغاء كل تمثيل على أساس طائفيّ، زيادة عدد النّواب وخفض سن الاقتراع إلى ثمانية عشر عامًا، كذلك دعا البرنامج إلى تطبيق اللامركزيّة الإدارية. كما تطرق البرنامج إلى الفصل بين السّلطات الثلاث وطالب بإنشاء مجلس شيوخ وبتحديد سلطة رئيس الجمهورية في حل مجلس النواب، وتعيين الوزراء يخضع لموافقة رئيسي الجهورية والحكومة، ولا تشمل صلاحيات رئيس الجمهورية إقالة الحكومة، والنظر في مسألة الإصلاح الإداريّ وإعادة تنظيم قيادة الجيش[4].

لا شكّ أنّ البرنامج المرحلي للحركة الوطنيّة كان من أكثر الطّروحات الإصلاحيّة التي عرفها لبنان شمولًا وأبعدها طموحًا، لكن عدّة مشكلات حالت دون تطبيقه.

---

(1)Tarek Ismail, The Arab left, p:92. Syracuse university press, 1976, Beyrouth.

(2) البرنامج المرحلي للحركة الوطنية (بيروت: منشورات مكتب الإعلام في الحركة الوطنية 1977).

(3) نفسه: ص 8.

(4) المرجع نفسه: ص 20.

أولًا: طرح البرنامج في توقيت غير مناسب، فقد تم إعلانه بعد اندلاع الحرب وفي ظرف طائفيّ شديد.

ثانيًا: لم تكن مؤسّسات الحكم قادرة أن تتناول برنامجًا إصلاحيّة يؤدي إلى إعلان دستور جديد في ظروف ضرب فيها الشلل العملية السّياسيّة برمتها.

ثالثًا: عندما استؤنفت المعارك وعمّت المناطق اللّبنانيّة كافة في شهر أيلول 1975، لم يعد آنذاك أي فريق أو قيادي لبناني في وضع يؤهله لتطبيق تغيير من شأنه وضع حد للأعمال الحربيّة[1].

تجدد الاشتباكات وتوسعها إلى الشّمال

قبل تجدد القتال على نطاق واسع في نهاية شهر آب، أدلى الرّئيس فرنجيّه بتصريح أعلن فيه أنّ الدّستور ليس «وحيًا منزلًا» وإنّما هو وثيقة يمكن تعديلها بحيث تستجيب لمتطلبات التّغيير[2]. موقف فرنجيّه هذا ترك صدًى إيجابيًا لكنه لم يحد من تدهور الوضع الأمني في مختلف المناطق اللّبنانيّة. وفي هذه الأثناء اندلعت المواجهات المسلّحة في مدينة زحلة في البقاع وفي طرابلس.

في زحلة وقعت المواجهة بين مسلحين من المدينة ومسلحين فلسطينيين واستمرت بضعة أيام لتنتهي بثمانية وعشرين قتيلًا وعدد كبير من الجرحى[3].

أمّا المواجهة الأكثر خطورة فوقعت في طرابلس وامتدت إلى المناطق المجاورة وكان نتيجة حادث سير بين سيارة يقودها سائق من طرابلس وأخرى يقودها سائق من زغرتا[4]، وقد انتهى الحادث بإطلاق النار على السائق الطرابلسي المسلم. بعد الحادث بوقت قصير بدأ مسلحون من طرابلس بخطف مسيحيين من زغرتا، وفي عملية مضادة أقام مسلحون من زغرتا حواجز على الطرقات في ضواحي طرابلس وقاموا بنصيبيهم من عمليات الخطف[5]، وامتدت الاشتباكات وتوسعت لتشمل مواقع الجيش اللّبنانيّ التي

---

(1) مقابلة مع محسن ابراهيم، أجراها د. فريد الخازن، في 6 آذار 1997.

(2) النّهار: 24 آب 1975.

(3) في النّهار: 29 آب و2 أيلول.

(4) Kamal Salibi: Crossroads to civil war, Lebanon 1958 –1976, p.122, (Delmar: Caravan Books, 1976).

(5) أنطوان خويري: حوادث لبنان 1970، ص 159 – 177، دار الأبجدية، بيروت.

تعرضت لقصف مباشر من المواقع الفلسطينيّة أدّت إلى جرح ثمانية عشر جنديًا[1]. منطقة الكورة المجاورة شهدت أيضًا بعض الاضطراب حيث وقعت اشتباكات بين مسلحي زغرتا وبين مناصري الحزب السّوريّ القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي اللّبنانيّ[2]. تصاعدت موجات العنف واشتد معها الضغط على الحكومة حتى تضع حدًا لهذه المواجهات الطّائفية التي لم يكن قادرًا على قطع دابرها سوى الجيش اللّبنانيّ، لكن استخدام الجيش لإنهاء الصدامات بين مسيحيين من زغرتا، بلدة الرّئيس فرنجيّه، وآخرين من طرابلس، مدينة رئيس الحكومة رشيد كرامي، كان أمرًا شائكًا، وقد زادته تعقيدًا معارضة جنبلاط نشر الجيش في طرابلس لأنه رأى أنّ الاستقرار لا يأتي إلا عبر تغيير النّظام السّياسيّ[3].

أمام هذا المنعطف كان الرّئيس كرامي أيضًا معارضًا تدخّل الجيش اللّبنانيّ فطلب إلى جيش التّحرير الفلسطينيّ، الذي تسيطر عليه سوريا، أن يعيد النّظام إلى المدينة[4] هذا القرار اتّخذه كرامي في اجتماع عقده مجلس الوزراء في السّراي ولم يبلغ إلى فرنجيّه[5].

حين علم فرنجيّه بدخول قوّات عسكريّة سوريّة عبر الحدود الشّماليّة اتّصل بالرّئيس الأسد فأطلعه هذا الأخير على القرار الذي اتّخذه كرامي وأوضح له أن القوّات التي دخلت كانت من جيش التّحرير الفلسطينيّ[6].

العنف والحلول المفقودة

في شهر تشرين الأوّل 1975 امتدّت أعمال العنف إلى سائر أنحاء البلاد، ففي بيروت اشتعلت المعارك في منطقة الفنادق واستخدمت فيها المدفعيّة الثقيلة[7]، وقد خلفت الهجومات المتبادلة فنادق بيروت الكبرى هياكل منخورة. كذلك استعر القتال في جوار بيروت وضواحيها، خصوصاً في منطقة المكلس الصناعية قرب مخيم تل الزعتر حيث أحرق العديد من المصانع.

(1) النّهار: 5 أيلول، 1970.
(2) أنطوان خويري: المرجع السابق، ص 165.
(3) النّهار: 9 أيلول 1975.
(4) جريدة النّهار: 21 تموز 1976، خطاب الرئيس الأسد.
(5) مقابلة مع غسان تويني أجراها د. فريد الخازن في شباط 1997.
(6) النّهار: 20 أيلول 1975.
(7) النّهار: 26 و29 تشرين الأول 1975.

أشدّ نواحي الحرب هولًا كان الخطف العشوائي للمدنيين الذي بلغ في شهر تشرين الأوّل 1975 درجة لم يبلغها من قبل. مئات الأبرياء خطفوا على أساس انتمائهم الطّائفي. وكان الخاطفون، جماعات وأفراد، يهدفون إلى مبادلة مخطوفيهم لدى الفئات الأخرى بمن لديهم مخطوفين، ولكن عمليّات الخطف المجنون هذه أدّت إلى قتل مئات الأشخاص وإخفاء المئات دون أن يظهر لهم أي أثر.

في تشرين الثّاني جاء دور الوسطاء غير العرب للتّوفيق بين اللّبنانيّين، فقد وصل إلى بيروت الكاردينال باولو برتي موفدًا من الفاتيكان وعقد سلسلة اجتماعات مع قادة مسيحيين ومسلمين[1]. بعد ذلك ببضعة أيام وصل الموفدان الرّئيسيان الفرنسيان، رئيس الوزراء السّابق موريس كوف دو مورفيل والوزير السابق جورج غورس وقاما بعدد من الزيارات والمباحثات[2]، لكن المبادرتين لم تثمرا بأية نتائج ذات فائدة. ففي تلك المرحلة لم يعد لا الفاتيكان ولا فرنسا ولا أية جهة غربية قادرة حتى على التأثير في مجرى الأحداث.

وفي 6 كانون الأوّل 1975 عثر على أربع جثامين الأعضاء من حزب الكتائب فقامت الميلشيات المسيحية بوضع نقاط تفتيش وقتلت المئات من الفلسطينيّين واللّبنانيّين المسلمين بناء على بطاقات الهوية فيما عرف لاحقا بالسّبت الأسود.

التّصعيد العسكريّ المنظم

حمل العام 1976 تصعيدًا عسكريًّا، ففي 19 كانون الثّاني 1976 هاجمت الميليشيات المسيحيّة منطقة الكرنتينا عند المدخل الشّمالي لبيروت الشّرقيّة. وكانت قبلها ببضعة أيام احتلّت مخيمًا فلسطينيًا صغيرًا في الضّبية قرب مدينة جونيه. كذلك وقعت مواجهات عسكريّة بين الكتائب والقوى اليساريّة في حارة الغوارنة قرب انطلياس شمال بيروت أجبر بنتيجتها عناصر الميليشيات اليسارية على مغادرة تلك المنطقة.

بعد هذه الهجومات صدرت دعوات من القادة المسلمين وخصوصًا من مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد، إلى سوريا للتّدخل والدّفاع عن الفلسطينيّين والقوى الإسلاميّة[3].

---

(1) Rène Chamassy, chronique d›une Guerre: Le L:iban 1975-1977, p.p.114-119, (Paris 1978).

(2) Maurice Couve de Murville, La crise Libanaise et l’évolution du proche-orient, n°2, p:89, 1976.

(3) مقابلة مع كريم بقرادوني، أجراها د. فريد الخازن، 16 آب 1995.

وفي شباط 1976 هاجمت القوّات الفلسطينيّة واليساريّة بلدة الدّامور وقد ساندت سوريا هذا الهجوم، لكن تحالفها مع جنبلاط والمنظّمات الفلسطينيّة لم يعمر طويلًا[1]. الهجوم على الدّامور وبلدتين مسيحيتين مجاورتين هما الجيه والسّعديّات التي كان يسكنها كميل شمعون أوقع عددًا كبيرًا من الضّحايا وانتهى بتهجير جماعي لسكان الدّامور[2].

أدى سقوط الدّامور والسّعديّات إلى اندلاع الاشتباكات على نطاق واسع بين الميلشيّات فانقسمت بيروت ولبنان معها إلى منطقتين عرفتا بالمنطقة الشّرقيّة وأغلبها مسيحيين والمنطقة الغربيّة وكانت مختلطة مع أكثرية إسلاميّة.

التّدخل السّوريّ

في حزيران 1976، كانت الميلشيات المارونية على وشك الهزيمة، طالب الرّئيس فرنجيّه سوريا بالتّدخل بحجة أنّ ميناء لبنان سيغلق وهو مصدر أساسي للمنتجات الواردة لسوريا[3]. كان التّخوّف المسيحيّ قد نما بعد مجزرة الدّامور. ردّت سوريا بإنهاء دعمها لجبهة الرفض الفلسطينيّة وبدأت دعم الحكومات ذات الأغلبية المارونية.

بناءً على طلب الرّئيس فرنجيّه دخلت القوّات السّوريّة لبنان واحتلّت طرابلس وسهل البقاع متفوقة بسهولة على قوّات الحركة الوطنية اللّبنانيّة والميليشيات الفلسطينيّة[4].

تابعت سوريا في هذه الأثناء الحشد العسكريّ، خصوصًا في بيروت، حيث نشرت ثلاث كتائب من قوّات الكوماندوس في محيط مطار بيروت[5].

الصّدام السّوريّ – الفلسطينيّ

بدأ الهجوم السّوريّ الرّئيسي الأوّل في 6 حزيران 1976[6]. أعلنت المنظّمات الفلسطينيّة وأحزاب اليسار العزم على صد «الغزو السّوريّ للبنان[7]، لكن سوريا كانت تخطو على أرض صلبة وقد أيّد الرّئيس فرنجيّه تدخلها العسكريّ كما أيّده كرامي والزّعماء المسيحيون.

(1) مجلة الوسط: مقابلة مع محسن دلول، 10 آذار 1997، ص 34.
(2) الشيخ حسن خالد: المسلمون في لبنان والحرب الأهلية، ص 262 – 276، (دار الكندي 1978).
(3) لوسيان منير الدحداح: «الموارنة ومرشحوهم، سوريا ولبنان والوفاق»، ص 5، بيروت 1989، دون ناشر.
(4) جورج حاوي: الوسط، 17 حزيران 1996، ص33.
(5)Yezid Sayigh: The Palestinians, In Laurence Freedman, p:37.
(6) السفير: 7 حزيران 1976.
(7) Joseph Chami and Gerard Castoriades: Days of Tragedy: Lebanon 75-76, p.385 (Nicosia: printco 1977).

كان تحرّك القوّات السّوريّة على محورين، الأوّل باتجاه بلدة صوفر الجبليّة حيث وقعت مواجهات بينها وبين تحالف القوى اليساريّة والفلسطينيّة والثّاني باتّجاه مدينة صيدا فيما كانت بيروت الغربية محاصرة من قبل القوّات السّوريّة[1].

في المدّة ذاتها كان الفلسطينيّون يخوضون مواجهات ضارية مع القوّات المسيحية[2]، ففي الثّاني والعشرين من حزيران 1976، شنّت قوّات من حزب الوطنيين الأحرار هجومًا على مخيم تلّ الزعتر الفلسطينيّ، أحد أكبر المخيّمات الفلسطينيّة في لبنان وأكثرها تسلّحًا. استمر القتال على مدى خمسين يومًا وسقط بنتيجته عدد كبير من الضحايا من الجانبين.

كان سقوط مخيم تل الزعتر الذي تسكنه كثافة سكانيّة مسيحيّة أول هزيمة عسكريّة كبيرة تصيب الفلسطينيّين منذ اندلاع الحرب في نيسان من العام 1975[3].

في الثامن والعشرين من أيلول 1976 شنّ الجيش السّوريّ هجومًا واسعًا على القوّات الفلسطينيّة في الجبل، أجبر خلاله الفلسطينيّين على الانسحاب من منطقة المتن الأعلى وسواها من مناطق الجبل[4].

في الثّاني عشر من تشرين الأوّل استأنفت سوريا هجومها إثر اقتحام جماعة أبو نضال، الذي كان يدعمه العراق، السّفارة السّوريّة في روما. واجهت القوّات السّوريّة مقاومة شديدة في بحمدون وعاليه لكنها تابعت تقدمها إلى بيروت، ثم تحرّكت قوة سورية أخرى من جزين إلى صيدا حيث اندلعت معارك ضارية مع الفلسطينيّين سقط فيها العديد من الضّحايا لدى الجانبين[5].

من المعالم التي ميّزت حرب السنتين 1975 – 1976 كان تحولها في وقت قصير من حرب لبنانية مسيحية – فلسطينيّة إلى حرب لبنانيّة – لبنانيّة، ثم فلسطينيّة – فلسطينيّة وأخيرًا فلسطينيّة – سوريّة، مضافًا إليها كل التّشعبّات الإقليميّة والدّوليّة.

في ضوء ما شهدته حرب السّنتين من تعقّد تشعباتها ما كان النزاع لينتهي حتى استؤنفت الحرب.

(1) المرجع نفسه، صفحة 396.
(2) السفير، 23 حزيران 1976.
(3) فريد الخازن: تفكيك أوصال الدولة في لبنان 1967 – 1976، ص 458.
(4) Karim Pakradouni: La paix manquée, Le mandate d’Elias Sarkis, P: 38 (Beyrouth, Edition, F.M.A 1984).
(5) المرجع السابق، صفحة 42.

وفي آذار 1977 اغتيل رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي الزعيم الدرزي كمال جنبلاط الذي عارض بقوة دخول القوّات السّوريّة إلى لبنان وإثر انتشار الخبر ثارت ثائرة المسلّحين الدروز وقاموا باعتداءات واسعة على مسيحيي الجبل وتهجير عدد كبير من أبناء القرى[1].

وفي العام 1978 قصفت القوّات السّوريّة أحياء بيروت المسيحية بعدما تبدلت التحالفات وتقاربت دمشق من القوّات اليسارية والتقدمية والفلسطينيّة في مواجهة الميلشيات المسيحية التي عززت علاقاتها مع إسرائيل.

وفي 14 آذار 1978 اجتاحت القوّات الإسرائيليّة جنوب لبنان حتى نهر الليطاني ردًا على العمليّات التي كانت منظمة التّحرير الفلسطينيّة تقوم بها ضد إسرائيل منطلقة من لبنان، وكان الهدف من الغزو إيجاد منطقة عازلة بعرض 10 كلم داخل الأراضي اللّبنانيّة وبطول الحدود الفلسطينيّة – اللّبنانيّة.

وعلى أثر الاجتياح أصدر مجلس الأمن القرار 425 الذي يدعو إلى انسحاب اسرائيل من الأراضي اللّبنانيّة إلى ما خلف الحدود دون قيد أو شرط[2].

الاقتتال داخل القوّات اللّبنانيّة

في حزيران 1978 وأثر مقتل عضو بارز في حزب الكتائب على يد قوّات المردة، أرسل بشير الجميل قوّاته بقيادة سمير جعجع لمدينة إهدن لاختطاف طوني فرنجيّه، قائد ميليشيا المردة ونجل الرّئيس سليمان فرنجيّه لإجباره على تسليم المسؤولين عن مقتل العضو الكتائبي. إلا أن العملية انتهت بمقتل طوني فرنجيّه وبعض من أفراد عائلته والمقاتلين التابعين له. سميت المجزرة فيما بعد بمجزرة إهدن. أنهى الرّئيس فرنجيّه على أثرها ارتباط حزبه تيار المردة بالجبهة اللّبنانيّة[3].

في العام 1980 أرسل بشير الجميل قوّاته إلى مدينة الصفرا لقتال داني شمعون، قائد ميلشيا نمور الأحرار الجناح العسكريّ لحزب الوطنيين الأحرار. تم القضاء تمامًا على ميلشيا النمور فيما سمي بمجزرة الصفرا. لم يقتل داني شمعون حيث انتقل ليعيش في

(1) السفير: 27 آذار 1977.
(2) السفير: 28 آذار 1978.
(3) الكفاح العربي: 20 حزيران 1978.

بيروت الغربية[1] وأصبح بشير الجميل المسيطر الأوحد على القوّات اللّبنانيّة.

ما بين حزيران وتشرين الأوّل عام 1978، قام الجيش السّوريّ بمحاصرة بيروت الشّرقيّة معقل القوّات اللّبنانيّة فيما سمي بحرب المئة يوم. تم خلال تلك الفترة قصف شديد لبيروت الشّرقيّة ومنطقة الأشرفية ولم ينه الحصار والقصف إلا بعد وساطة عربيّة أدّت إلى وقف إطلاق النار. وخرج بشير الجميل من تلك الحرب وهو يعدّ نفسه منتصرًا. في العام 1981 تصادمت سوريا مع ميليشيا القوّات اللّبنانيّة مرة أخرى بعد سيطرة القوّات اللّبنانيّة على مدينة زحلة. في تلك المعركة استنجد بشير الجميل بإسرائيل فأرسلت طائرات حربيّة أسقطت مروحيتين سوريتين[2].

التخطيط الإسرائيليّ لغزو لبنان

في آب 1981 أعيد انتخاب رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن لفترة ثانية، وفي أيلول من نفس العام بدأ بيغن ووزير الدفاع أرييل شارون التخطيط لغزو لبنان مرة أخرى لطرد منظمة التّحرير الفلسطينيّة. كانت خطّة شارون حسب قوله هي «القضاء على البنية التحتية العسكريّة لمنظمة التّحرير الفلسطينيّة[3]، الأمر الذي يتطلب ضرب بيروت الغربية، حيث مقرات ومراكز قيادة المنظمة.

أراد شارون تأمين وصول بشير الجميل لرئاسة الجمهورية اللّبنانيّة، مقابل مساعدة إسرائيل لبشير، أراد شارون أن يوقع اتّفاقية سلام مع اسرائيل تضمن أمن حدود إسرائيل الشمالية للأبد وفي نيسان 1982، قابل شارون بشير الجميل على متن سفينة قبالة السّواحل اللّبنانيّة وناقشا خطة تقتضي وصول القوّات الإسرائيليّة إلى مشارف بيروت ومحاصرة بيروت الغربية فيما تقوم ميليشيات القوّات اللّبنانيّة باقتحام بيروت الغربية والقضاء على منظمة التّحرير الفلسطينيّة[4].

الغزو الإسرائيليّ للبنان العام 1982

كانت إسرائيل قد أعدت خطة للغزو وتنتظر الذريعة للبدء بتنفيذ الخطة. في 3 حزيران

(1) الأسبوع العربي: 9 تموز 1980.

(2) جوزف أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب. سيرة ذاتية، ص 83. (بيروت شركة المطبوعات للتوزيع والنشر 1990).

(3) حليم أبو عز الدين: تلك الأيام، مذكرات وذكريات. الجزء الأول، صفحة 113، (منشورات دار الآفاق الجديد 1982، بيروت).

(4) شفيق الحوت: أحاديث الزكريات 1964 - 1984، ص 66، دار الاستقلال للدراسات والنشر 1986.

1982 قامت مجموعة مسلحة من منظمة أبو نضال بمحاولة اغتيال السّفير الإسرائيليّ في لندن[1]. بالرغم من أن أبو نضال كان قد انشق عن منظمة فتح الفلسطينيّة وخروجه من منظمة التّحرير الفلسطينيّة، إلا أنّ اسرائيل اتخذت من العملية ذريعة لتنفيذ مخططها باجتياح لبنان والقضاء على منظمة التّحرير الفلسطينيّة.

بدأ قصف بيروت الغربية في الرابع من حزيران 1982، على مباني جامعة بيروت العربيّة والمدينة الرياضية، وعقب القصف الإسرائيليّ العنيف المركّز صرح رئيس منظمة التّحرير الفلسطينيّة ياسر عرفات أنّ المنظمة تجنبت خرق اتّفاق موقّع عبر الأمم المتحدة لوقف النار على الحدود اللّبنانيّة ولو أدى ذلك الاستعمال القوة»[2] .

وفي السّادس من أيلول بثّت الإذاعة الصّهيونيّة إلى الشعب اللّبنانيّ عامة والجنوبيين خاصة البيان الأوّل: «إنّ جيش الدفاع الإسرائيليّ اضطر إلى دخول جنوب لبنان كي يزيل الكابوس الذي يخيّم على السّكان. وهدف جيش الدّفاع الإسرائيليّ هو القضاء على المخربين فقط مع بذل كل مجهود للامتناع عن المس بالمواطنين...»[3].

في 13 حزيران وصل الجيش الإسرائيليّ إلى بعبدا وقطع طريق بيروت – دمشق[4]، كل ذلك يحصل وما زال شارون يلعب على الرأي العام العربيّ والعالمي ويقول «إن جنودنا لن يدخلوا بيروت مطلقًا. سنترك الأمر للجيش اللّبنانيّ والحكومة اللّبنانيّة إذا أرادوا مساعدتنا...»[5].

وعندما اجتمعت الحكومة الإسرائيليّة للموافقة على خطة الغزو، وصف شارون الخطة وأهدافها وصول القوّات الإسرائيليّة إلى 40 كلم في العمق اللّبنانيّ للقضاء على معاقل منظمة التّحرير الفلسطينيّة وخلق «منطقة أمنية موسعة» تجعل شمال إسرائيل خارج مدى صواريخ منظمة التّحرير. كما ادعى شارون أن بيروت هي خارج الصورة[6].

في الواقع أمر رئيس الأركان روفائيل إيتان ووزير الدفاع الإسرائيليّ أريال شارون القوّات

(1) كريم بقرادوني: السلام المفقود، ص 238 – 239، عبر الشرق للمنشورات 1984.
(2) النّهار العربي والدولي: 27 آب – 2 أيلول. السنة الثالثة، العدد 382، ص 25.
(3) مها معتوق: وقائع الحرب الإسرائيلية – الفلسطينية في لبنان، ص 30 – 31، بيروت 1984.
(4) النّهار العربي والدولي: 27 آب – 2 أيلول. السنة الثالثة، العدد 382، ص 25.
(5) مها معتوق: وقائع الحرب الإسرائيلية – الفلسطينية في لبنان، ص 30– 31.
(6) مها معتوق: المرجع السابق، ص 374. صحف 20 تموز 1982.

الإسرائيليّة بالتوجه مباشرة إلى بيروت وفقًا لخطة كان وضعها شارون في أيلول 198ذ[1].

خلال الفترة الزمنية ما بين بدء الاجتياح ولغاية 15 آب 1982، حصلت مفاوضات دولية شاركت فيها الولايات المتحدة الأمريكيّة بقوة ومارست ضغوطات كبيرة لإخراج كوادر ومقاتلي منظمة التّحرير الفلسطينيّة من لبنان إلى عواصم عربيّة أخرى.

وفي هذا الوقت بعد أن كان بشير الجميل قد أعلن ترشيحه لرئاسة الجمهورية، أعلنت الجبهة اللّبنانيّة في 18 آب 1982، أن بشير الجميل هو مرشحها لمنصب رئيس الجمهوريّة جاء ذلك في بيان تلاه الرّئيس الأسبق كميل شمعون «وبعد التداول في انتخابات رئاسة الجمهورية... قرر المجتمعون اعتبار بشير الجميل المرشح باسم الجبهة لمنصب رئاسة الجمهورية». وعلّق الرّئيس كرامي على ترشيح بشير الجميل بقوله «وهل يعقل بعد أن احتلت اسرائيل لبنان ودنّست أرضه، أن يفرض علينا الأمر الواقع فننتخب من نحن وهو على طرفي نقيض في ظل الحراب»[2].

حصار بيروت

بحلول 15 حزيران 1982، كانت القوّات الإسرائيليّة تعسكر خارج بيروت. طالبت الولايات المتحدة منظمة التّحرير بالخروج من لبنان. أصدر شارون الأوامر بشن غارات واسعة على بيروت الغربية لاستهداف 16,000 من الفدائيين الفلسطينيّين المحصنين فيها. استمر الحصار لمدة 7 أسابيع قطعت خلالها اسرائيل الكهرباء وإمدادات الماء والطعام عن المدينة. هاجمت القوّات الإسرائيليّة بيروت الغربية عن طريق البر والبحر والجو وأدى القصف العشوائي إلى مقتل آلاف المدنيين.

في هذه الأثناء كان فيليب حبيب مبعوث الولايات المتحدة في المنطقة يتفاوض مع اسرائيل ومنظمة التّحرير الفلسطينيّة لإنهاء الحصار. في 12 آب توصل حبيب إلى هدنة تقتضي بخروج منظمة التّحرير الفلسطينيّة من لبنان وانسحاب القوّات الإسرائيليّة ووصول قوّات أميركية وفرنسية وإيطالية للإشراف على خروج مقاتلي منظمة التّحرير الفلسطينيّة وتأمين الحماية للمدنيين العزّل من الفلسطينيّين[3].

---

(1) النّهار: 19 آب 1982.
(2) السفير: 19 آب 1982.
(3) عادل مالك: من رودوس إلى جنيف، ص 53 – 57، دار النّهار للنشر – بيروت 1974.

وصلت القوّات الفرنسية والأمريكيّة والإيطالية تباعًا في 21 و24 و26 آب وفي 30 آب أشرفت هذه القوّات المتعددة الجنسيات على خروج مقاتلي المنظمة من بيروت بحرًا إلى اليونان ومنها إلى سوريا وتونس والأردن والجزائر. رغم خروج منظمة التّحرير إلا أن اسرائيل ادعت أن 2000 من الفدائيين ما زالوا يختبئون في مخيّمات اللاجئين على أطراف بيروت، انسحبت القوّات المتعددة الجنسيات مبكرة من لبنان بعد أسبوعين فقط من وصولها وقبل انسحاب القوّات الإسرائيليّة كما كانت تنص اتّفاقية وقف إطلاق النار[1].

في هذه الأثناء في 23 آب 1982 وتحت الاحتلال الإسرائيليّ، انتخب بشير الجميل رئيسًا للجمهوريّة اللّبنانيّة بهامش بسيط وبمقاطعة بعض النّواب المسلمين للجلسة. كانت الدّوائر المسلمة تتخوّف من علاقة بشير بإسرائيل ودعمها له بالسّلاح في أثناء الحرب. وفي 11 أيلول قابل بشير الجميل رئيس الوزراء الإسرائيليّ مناحيم بيغن في إسرائيل ووعده باتخاذ الخطوات الكفيلة لبدء علاقات دبلوماسية بين لبنان وإسرائيل بمجرّد أن يتسلّم رئاسة الجمورية اللّبنانيّة، وفي 14 أيلول 1982 تم اغتيال بشير الجميل وقبل أيام من الموعد المحدّد لتسلّمه الرئاسة.

مجزرة صبرا وشاتيلا

قام شارون وإيتان بإرسال القوّات الإسرائيليّة إلى بيروت الغربيّة في خرق لاتّفاقية حبيب. قامت تلك القوّات بنقل 200 مقاتل من ميلشيا القوّات اللّبنانيّة بقيادة إيلي حبيقه إلى المخيّمات بحجة القضاء على 2000 مقاتل من منظمة التّحرير الفلسطينيّة مجهزين بأسلحة حديثة وثقيلة ومختبئين في المخيّمات[2]، اقتحمت القوّات اللّبنانيّة مخيمي صبرا وشاتيلا، في السادسة مساءً من 16 أيلول وقتلت ما يقارب 3500 فلسطيني بمساعدة الجيش الإسرائيليّ الذي كان يحاصر المخيمين والذي كان يشعل القنابل المضيئة في السماء ليتمكّن مقاتلي القوّات اللّبنانيّة من الرؤية طوال الليل. كان شارون وقادة الجيش الإسرائيليّ يتابعون المجزرة من فوق سطح مبنى سفارة الكويت المطل على المخيمين، وفقًا للتقارير الإسرائيليّة.

(1) Shimon Schiffer: operation Boule de neige, (Les secrets de l’intervention irraélienne au Liban, p: 209. France 1984.

(2) د. محمد علي الأغا: الاتجاهات السياسية في لبنان (1920 – 1982)، ص 573، مؤسسة الرسالة، بيروت.

حصلت مجزرة صبرا وشاتيلا وأدت إلى سخط دولي على إسرائيل ومطالبة شعبية دولية للتدخل، عادت القوّات المتعددة الجنسيات كقوّات حفظ سلام وانتخب البرلمان اللّبنانيّ أمين الجميل ليخلف أخيه في رئاسة الجمهورية.

في هذه المجزرة كانت «أشكال القتل متنوعة بين الخناجر والبلطات وإطلاق الرصاص والنسف بالقنابل اليدوية، كما أن القوّات الإسرائيليّة اعتقلت على ما يزيد عن ألف شخص من سكان المخيمين[1].

وبعد أن أنهت قوّات العصابات الصهيونية وقوّات الكتائب مهامها في بيروت الغربية، استدعت وزارة الخارجيّة الأمريكيّة السّفير الإسرائيليّ في واشنطن وطلبت إليه أن ينقل إلى حكومته طلب الولايات المتحدة القاضي بسحب الجيش الإسرائيليّ فورًا من بيروت الغربية، وأصدرت وزارة الخارجيّة الأمريكيّة بيانًا قالت فيه إن دخول القوّات الإسرائيليّة إلى بيروت الغربية يعتبر خرقًا واضحًا لاتّفاق وقف النار الذي رتبه المبعوث «الأميركي» فيليب حبيب وأنه «ليس هناك من وجهة نظرنا أي تبرير لاستمرار الوجود الإسرائيليّ في غرب بيروت وأنا أدعو الانسحاب فوري»[2].

معاهدة 17 أيار وانسحاب اسرائيل

في 17 أيار 1983 وقّع أمين الجميل والولايات المتحدة وإسرائيل على اتّفاق نص على انسحاب القوّات الإسرائيليّة من لبنان بشرط انسحاب القوّات السّوريّة. كما نص الاتّفاق أن «حالة الحرب بين لبنان وإسرائيل قد انتهت ولم يعد لها وجود»[3]، وهو ما جعل فعليًا الاتّفاقية معاهدة سلام. اعتبر المسلمون في لبنان الاتّفاقية محاولة لإسرائيل للسيطرة الدائمة على جنوب لبنان، واعتبر البعض أمين الجميل خائن وأن الاتّفاقية هي اتّفاقية استسلام. ورفضت سوريا الانسحاب.

في آب 1983، انسحبت إسرائيل من جبل الشوف مزيلة الفاصل ما بين الدروز والمسيحيين لتندلع معارك عنيفة ودامية بين الحزب التقدمي الاشتراكي مدعومًا من بعض قوى الأحزاب الوطنية والفلسطينيّة في مواجهة القوّات اللّبنانيّة والجيش اللّبنانيّ.

---

(1) النّهار – السفير: 16 أيلول 1984.
(2) المركز العربي للمعلوماتية: (ش.م.م) يوميات الغزو الإسرائيلي، وثائق وصور، توزيع دار الأندلس، بيروت، دون تاريخ. 3
(3) النّهار: 18 أيار 1983.

ارتفعت بسرعة وتيرة المعارك على مختلف جبهات سوق الغرب – عاليه – بدادون – رأس الجبل لترتفع معها أعداد القتلى والجرحى بسرعة هائلة. إذ كان يسقط مئات المقاتلين من الطرفين كل أسبوع[1]، اعتبرت حرب الجبل إحدى أعنف فصول الحرب اللّبنانيّة. انتهت المعارك بهزيمة مدوية للقوّات اللّبنانيّة وانسحاب المقاتلين المسيحيين إلى بلدة دير القمر من ثم إلى بيروت الشّرقيّة. ارتكبت مجازر متبادلة من الطرفين وسقط المئات من الأبرياء خصوصًا في بلدات كفرمتى – عبيه – البنية – الشحار – كفرنبرخ وغيرها[2].

من نتائج حرب الجبل فتحت الطريق للمقاومة نحو الجنوب وأصبح السّوريّين قادرين على تسليح المقاومة كما أنها أدت إلى بداية سقوط اتّفاق 17 أيار. لم تدم سيطرة الحزب الاشتراكي على مدينة سوق الغرب التي عاد وسيطر عليها الجيش اللّبنانيّ بقيادة قائد اللواء الثامن العميد ميشال عون[3]. وبقيت سوق الغرب منطقة صراع حتى دخلها الجيش السّوريّ وانتهاء الحرب الأهليّة.

الهجمات على الأهداف الأمريكيّة

ما بين عامي 1983 – 1984، تم استهداف العديد من المصالح الأمريكيّة، في نيسان 1983، قتل 63 شخصًا في انفجار انتحاري استهدف السّفارة الأمريكيّة في بيروت[4]. وفي تشرين الأوّل 1983 قتل 241 جنديًا أميركيًا و58 جنديًا فرنسيًا استهدف معسكرًا لهذه القوّات في بيروت. وفي كانون الثّاني 1984 قتل رئيس الجامعة الأمريكيّة في بيروت. وفي أيلول 1984 وقع هجوم آخر على السّفارة الأمريكيّة في مبناها الجديد الأكثر تحصينًا، أدى التفجير إلى مقتل سبعة لبنانيين وأميركيين اثنين[5].

في تلك الأعوام ظهر حزب الله كقوى شيعيّة تقاوم الاحتلال الإسرائيليّ في الجنوب، انبثق حزب الله من صفوف حركة أمل الشيعيّة، تبنّى حزب الله فكر الثّورة الإسلاميّة في إيران وحصل منذ بداياته على الدّعم من حرس الثّورة الإيرانية.

(1) الصحف اليومية: النّهار – السفير – اللواء، أيلول 1983.
(2) النّهار: تشرين الأول 1983.
(3) السفير: 12 كانون الأول 1983.
(4) المركز العربي للمعلوماتية: يوميات الحرب اللبنانية، المرجع السابق، ص 280.
(5) السفير: 12 أيلول 1984.

حرب المخيّمات

بانسحاب القوّات المتعددة الجنسيّات من لبنان، سيطرت حركة أمل على بيروت الغربية. ففي نيسان 1985 وبدعم من سوريا، هاجمت حركة أمل والحزب التقدميّ الاشتراكيّ تنظيم المرابطون واحتلّوا المراكز التّابعة له[1]. وفي أيار 1985 هاجمت حركة أمل الفلسطينيّين في صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة، استمرت حرب المخيّمات ما بين عامي 1985 و1986 تم أثناءها حصار المخيّمات ومنع المساعدات من الوصول إليها وتدميرها تدميرًا شبه كليًا[2].

وفي العام 1987 عاد الجيش السّوريّ مجددًا إلى بيروت الغربية على أثر اشتباكات ضارية بين حركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي والأحزاب اليسارية، إلا أنه لم يتمكن من إنهاء الحرب التي استمرت في حدتها ودمويتها وسعة انتشارها. كما زاد عدد الأطراف الإقليميّة المتورطة والمعنية بها وهو الأمر الذي أدّى إلى بدء الوساطة السعودية في لبنان والتي استمرت حتى العام1989 [3].

حكومة ميشال عون و«حرب التّحرير»

قبل انتهاء مدّة رئاسة أمين الجميل في العام 1988، عيّن الجنرال ميشال عون الماروني رئيسًا للوزراء في مخالفة للميثاق الوطني الذي كان ينصّ بأن يكون رئيس الوزراء مسلم سنيّ. رفض اللّبنانيّون المسلمون هذه المخالفة للميثاق الوطني وأعلنوا دعمهم للرّئيس سليم الحص ليكون رئيسًا للوزراء.

بذلك أصبح للبنان حكومتين، حكومة عسكريّة مسيحيّة في بيروت الشّرقيّة مؤلّفة من اللواء إدغار معلوف واللّواء عصام أبو جمرا إلى جانب ميشال عون وحكومة مدنيّة في بيروت الغربيّة[4].

وفي آذار 1989، بدأ ميشال عون حربًا ضد الجيش السّوريّ في لبنان سماها «حرب التّحرير» وادّعى أنّه يحارب من أجل استقلال لبنان. طالت قذائف جيشه المواقع السّوريّة على كافة الأراضي اللّبنانيّة وصولًا إلى البقاع الأوسط والغربيّ وأدّت هذه الحرب إلى

(1) السفير: 15 نيسان 1985.
(2) اللواء: 22 تشرين الأول 1986.
(3) مها معتوق: المرجع السابق، ص 160 – 180.
(4) النّهار: 21 شباط 1988.

تدمير كبير لبيروت الشّرقيّة وهجرة كبيرة للسكان المسيحيين[1].

اتّفاق الطّائف وإنهاء الحرب

في آب 1989، توصّل النواب اللّبنانيّون في الطّائف بوساطة المملكة العربيّة السعوديّة إلى اتّفاق الطّائف الذي كان بداية لإنهاء الحرب الأهليّة، حيث أدخل لبنان في مرحلة جديدة من التوازن بين الطوائف والسّلطات. ومع عودة النّواب اللّبنانيّون من مدينة الطّائف انتخبوا رينيه معوض رئيسًا للجمهورية اللّبنانيّة ولكن ميشال عون الذي كان على رأس حكومة من العسكريّين المسيحيين رفض الاتّفاق كما رفض الاعتراف بمعوض، ذلك لأنّ الاتّفاق يقضي بانتشار سوري على الأراضي اللّبنانيّة. قُتل رينيه معوض بعد انتخابه ب 16 يومًا وخلفه الياس الهراوي. رفض ميشال عون الاعتراف بالياس الهراوي أيضًا. تم إقصاء ميشال عون من قصر بعبدا الرّئاسي بعد عملية عسكريّة شارك فيها قوّات من الجيش اللّبنانيّ من الألوية السّادس والعاشر والحادي عشر والقوّات السّوريّة في تشرين الأوّل 1990 وبمباركة أميركية حيث لجأ الجنرال ميشال عون إلى السّفارة الفرنسية وتوجّه من بعدها إلى منفاه في باريس[2].

انتهت الحرب اللّبنانيّة الأهليّة بإقصاء ميشال عون وتمكين حكومة الياس الهراوي من الحكم وبإصدار البرلمان اللّبنانيّ في آذار 1991 قانون العفو عن كلّ الجرائم التي حصلت منذ 1975. وفي أيار تمّ حل جميع الميليشيات باستثناء حزب الله وبدأت عملية بناء الجيش اللّبنانيّ كجيش وطني غير طائفي[3].

يرى البعض أنّ توصيف الحرب التي وقعت بين عامي 1975 – 1990 على أنّها حرب أهلية فقط بين اللّبنانيّين وبين اللّبنانيّين والفلسطينيّين، ليس توصيفًا دقيقًا لأنّ هذه الحرب في العديد من مراحلها كانت حربًا خارجيّة على لبنان تمثّلت في ذروتها بالغزو الإسرائيليّ للبنان 1982 الذي افتتح مرحلة من مراحل الحرب اللّبنانيّة هي الأكثر خطورة والأكثر سفكًا للدماء والأكثر تفكيكًا لأواصر المجتمع اللّبنانيّ ووحدته. وحتى في اللحظات التي كانت فيها هذه الحرب تتخذ مظهرًا أهليًا وداخليًا بحتًا، لا يستطيع أحد أن ينكر وجود العنصر الخارجي والإسرائيليّ تحديدًا في التحريض والتفجير والإثارة.

(1) السفير: 9 أذار 1988.
(2) أنطوان خويري: موسوعة الحرب اللبنانية، ص 612 – 613، دار الأبجدية للطباعة والنشر.
(3) النّهار: 14 تشرين الأول، 1990.

المصادر والمراجع العربيّة

1 – **الآغا، محمد علي:** الاتجاهات السّياسيّة في لبنان – 1920 – 1982، مؤسسة الرسالة، بيروت.

2 – **أبو خليل، جوزف:** قصة الموارنة في الحرب – سيرة ذاتية – بيروت شركة المطبوعات للتوزيع والنشر 1990.

3 – **أبو عز الدّين، حليم:** تلك الأيام، مذكرات وذكريات، الجزء الأوّل – منشورات دار الآفاق الجديد 1982، بيروت.

4 – **بقرادوني، كريم:** السلام المفقود – عبر الشرق للمنشورات 1984.

5 – **تقي الدّين، سليمان:** المسألة الطّائفية في لبنان – الجذور والتّطوّر التاريخي – دار ابن خلدون – بيروت.

6 – **الحاج، لويس:** من مخزون الذاكرة – دار النهار – بيروت 1993.

7 – **حاوي، جورج:** الوسط: 17 حزيران 1996.

8 – **الحص، سليم:** لبنان على المفترق – المركز الإسلامي للاعلام والإنماء – بيروت – ط 1 – 1984.

9 – **الحوت، شفيق:** أحاديث وذكريات 1964 – 1984، دار الاستقلال للدراسات والنشر 1986.

10 – **الخازن، فريد** ،: الأحزاب السّياسيّة في لبنان . حدود الديمقراطية في التجربة الحزبية، المركز اللّبنانيّ للدراسات – سن الفيل – بيروت لبنان.

11 – **الخازن، فريد** ، تفكك أوصال الدّولة في لبنان: 1967 – 1976 – دار النهار – ط. ثالثة – شباط 2005.

12 – **خالد، حسن:** المسلمون في لبنان والحرب الأهليّة، دار الكندي 1978.

13 – **خويري، أنطوان:** حوادث لبنان 1975 – الجزء الأوّل، جونيه، دار الأبجدية 1976.

14 – **خويري، أنطوان:** موسوعة الحرب اللّبنانيّة – دار الأبجدية للطباعة والنشر.

15 – **الدحداح لوسيان منير:** الموارنة ومرشحوهم، سوريا ولبنان والوفاق، بيروت 1989 – دون ناشر.

16 – **دندشلي، مصطفى:** أحداث صيدا 75. يوميات ووثاق.

17 – **سجل العالم العربيّ** – موسوعة سياسيّة، دار الأبحاث – 1970 – لبنان.

18 – **سرور، فضل:** الأحزاب والقوى السّياسيّة في لبنان 1930 – 1980، دار المسيرة، بيروت.

19 – **عويدات، عبده:** الحكم في لبنان: أسباب السقطة والمسؤوليات والعلاج، منشورات عويدات – بيروت، باريس.

20 – **فارس، وليد:** التعددية في لبنان – بيروت.

21 – **لبكي، بطرس:** جردة حساب الحروب من أجل الآخرين على أرض لبنان 1975 – 1990، بيروت 2005.

22 – **مالك، عادل:** من رودوس إلى جنيف – دار النهار للنشر – بيروت 1974.

23 – **مطر، فؤاد:** سقوط الإمبراطورية اللّبنانيّة، الجزء الأوّل – دار القضايا – بيروت

42 – **معتوق، مها:** وقائع الحرب الإسرائيليّة – الفلسطينيّة في لبنان – بيروت 1984.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- **David Gilmour**: Dix possed, The ordeal of the Palestinians sidguich and jachson 1980.

2- **Gord ward R.**: Sovereignty and Leader ship in Lebanon 1943-1976, London: Ithaca press 1985.

3- **Charles Helou**: Memoires, vol II, Beyrouth Librairie Antoine.

4- **Charles Helou** : présence palestinienne et accord du Caire. Vol.II. Beyrouth – librairie Antoine.

5- **Fouad Ajami** : The vanished imam: Musa al sader and the shia of Lebanon.(Ithaca: Cornell university press, 1986).

6- **Frank stoakes**: The super vigilantes: The Lebanese kataeb party as builder, surrogate and defender of the state. 11 october 1975.

7- **Chami and castoriades**: Pays of Tragedy, Lebanon 75-76, Nicosia, Printeo, 1977.

8- **Tarek Ismail**: the Arab left, Syracuse university press 1976, Beyrouth.

9- **Kamal Salibi**: Crossroads to civil war 1958-1976. (Delmar: caravan Books, 1976)

10- **Rène Chamassy**: Chronique d'une guerre de Liban 1975 – 1977, Paris 1978.

11- **Maurice Cauve de Murille** : La crise libanaise et l'évolution du Proche-Orient, n°2 – 1976.

12- **Yesid Syigh** : The Palestinians in Laurence freedman.

13- **Shimon Schiffer**: opération Boule de neige (le secret de l'intervention israélienne au Liban, France 1984).

الصحف والدوريات والمنشورات

1. **النهار العربيّ والدّولي:** العدد 382 – الإثنين 27 آب – 2 أيلول 1984.
2. **العمل الشهري:** عدد (4) حزيران 1977.
3. **جريدة الجريدة:** 5 نيسان 1970.
4. **النهار:** 22 و26 آذار 1970 – 19 آب، 11 و18 و23 كانون الأوّل 1970، 10 و15 و20 نيسان 1973، 3 و4 و8 و9 و10 و14 أيار 1973.
5. **النهار:** 3 و4 و5 و6 حزيران 1973.
6. **النهار:** 23 أيلول، 23 تشرين الأوّل، 1 تشرين الثّاني 1974.
7. **مجلة الطليعة:** 10 أيار 1973، حزيران 1973.
8. **النهار:** 22 و27 و29 آب 1974.
9. **النهار:** 23 تشرين الأوّل 1974.
10. **النهار:** 9 كانون الأوّل 1974.
11. **الحوادث:** 12 آب 1974، العدد 926، السنة 18.
12. **الحوادث:** 17 أيار 1974، العدد 214، السنة 18، ص 8.
13. **الحوادث:** 31 كانون الثّاني 1975 العدد 951.
14. **الحوادث:** 4 نيسان، العدد 960 – 1975.
15. **النهار:** 4 و7 و14 آذار 1975. 1 حزيران 1975، 17 أيار 1975، و6 تموز 1975.
16. **الأسبوع العربيّ:** 21 آذار 1975.
17. **النهار:** 8 و 24 وآب 1975، و2 و5 و9 و20 أيلول 1975.
18. **السّفير:** 19 آب 1975.
19. **البرنامج المحلي للحركة الوطنية:** بيروت منشورات مكتب الإعلام في الحركة الوطنية 1977.
20. **النهار:** 21 تموز 1976.
21. **النهار:** 26 و29 تشرين الأوّل 1975.
22. **مجلة الوسط:** 10 آذار 1997.
23. **السّفير:** 7 و23 حزيران 1976.
24. **السّفير:** 27 آذار 1977 و28 آذار 1978.
25. **الكفاح العربيّ:** 20 حزيران 1978.
26. **الأسبوع العربيّ:** 9 تموز 1980.

27.**النهار**: 19آب 1982 و16 أيلول 1984.

28.**السّفير**: 19 آب 1982 و16 أيلول 1984.

29.**المركز العربيّ للمعلومات (ش.م.م)**: يوميات الغزو الإسرائيليّ، وثائق وصور – توزيع دار الأندلس، بيروت – دون تاريخ.

30.**المركز العربيّ للمعلومات**: يوميات الحرب اللّبنانيّة، توزيع دار الأندلس، دار بيروت، النهار 18 أيار 1983، أيلول 1983.

31.**اللواء**: أيلول 1983 و22 تشرين الأوّل 1986.

32.**النهار**: 12 تشرين الأوّل 1983 و21 شباط 1988.

33.**السّفير**: 12 كانون الأوّل 1983 و12 أيلول 1984 و15 نيسان 1985.

34.**السّفير**: 9 آذار 1988.

35.**النهار**: 14 تشرين الأوّل 1990.

- **المقابلات:**
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع شفيق الحوت بتاريخ 14 آب 1994.
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع ميشال سماحة في 8 تشرين الثّاني 1997.
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع منح الصّلح وهو كاتب وسياسيّ لبناني في 23 أيلول 1995.
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع ضابط لبناني سابق في 10 شباط 1997.
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع محسن إبراهيم في 6 آذار 1997.
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع غسان تويني في شباط 1997.
- مقابلة أجراها د. فريد الخازن مع كريم بقرادوني في 16 آب 1995.
- مقابلة أجرتها مجلة الوسط مع محسن دلول في 10 آذار 1997.

التّوافق النّفسيّ وعلاقته بتقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة

د.ريتا هيكل حسّون

الملخص

هدف البحث هو دراسة علاقة التّوافق النّفسيّ بتقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة، وقد تبين من خلال النّتائج أنّ تقدير الذّات هو عامل أساسيّ في بنية الشّخصيّة التّكوينيّة وهو يؤثّر بصورة مباشرة في الرّضا والتّوافق النّفسيّ الذي يظهر من خلال التّوافق العلائقيّ بين الأساتذة، فكلما زادت سنوات الخبرة والتّجارب والخبرات المكتسبة ارتفع معها تقدير الذّات والرّضا عن النّفس وعن الحياة لدرجة ممكن أن تؤدّي الى انخفاض في العزلة الاجتماعيّة و قدرة على التّواصل البنّاء والسّوي لدى أساتذة المدرسة.

الكلمات المفتاحيّة: التّوافق النّفسيّ- تقدير الذّات - الرّضا -العزلة الاجتماعيّة- التّوافق العلائقيّ

Abstract

L’article vise à identifier la relation entre l’estime de soi et l’ajustement chez les enseignants de l’école officielle à Ebrine.

Les résultats ont montré une corrélation entre l’estime de soi, la perception du sujet de son image personnelle inconsciente, l’isolement social et la satisfaction de vivre parmi les enseignants de l’établissement scolaire. Dans cette étude, l’approche descriptive corrélative est adoptée, afin de réaliser les hypothèses de recherche. Les années d’expérience agissent directement sur les expériences professionnelles, les images de soi, les relations interpersonnelles des enseignants, la satisfaction de vivre et l’isolement social.

Mots clés : satisfaction psychique- estime de soi- ajustement- isolement social - satisfaction de vivre

1 - الإطار العام للدّراسة

1-1 المقدمة

يشهد العالم تغيّرات كثيرة ونمو في التّطوّر التكنولوجيّ التّواصلي يطال جميع المجالات منها العلاقات الاجتماعيّة والأسريّة، كما ازدادت المشاكل والاضطرابات وسمّي العصرالحديث عصر القلق والتّوتر، وانعكست هذه التّغيرات كذلك على المناهج واستراتيجيات التّعليم والتّعلّم حيث أصبحت العملية التّعليميّة- التّعلّميّة أكثر تعقيدًا وشمولًا.

من هنا أصبح الإرشاد المدرسيّ حاجة ملحّة من أجل مساعدة المسترشد (طالب، معلّم، أهل)على فهم الذّات وتحمّل المسؤوليّة واتّخاذ القرارات وفهم العالم والتّعلّم والاندماج في الحياة الاجتماعيّة والمهنيّة.

إنّ تطوير وتحقيق المعارف يؤدّي إلى حدوث تغيير في السّلوك الذي يستوجب اكتساب مهارات معرفيّة، نفسحركيّة، ذهنيّة، وجدانيّة واجتماعيّة.

إنّ الإرشاد يساعد المسترشد على تنمية شخصيّته وكفاءته الذّاتية واكتساب القيم الاجتماعيّة والدّيمقراطيّة لتحقيق تكيّف أفضل والتّصرّف بسلوك إيجابيّ في البيئة المدرسيّة خاصة و في حياته عامة (Williamson 1979-1900).

إنّ شخصيّة الإنسان تبرز من خلال الجماعة التي ينتمي اليها، بحيث تشكّل مصدرًا لمعاييره الاجتماعيّة، فالإنسان كائن اجتماعيّ بطبعه يميل إلى العيش مع البيئة يتأثّر بها ويتفاعل معها، لذلك فإنّ الشّعور بالعزلة يُعدّ من المشاعر الإنسانيّة السّلبيّة خاصة إذا كان مُجبَرًا به وليس ناتجًا عن رضًا وقبولٍ منه (العيسوى، 2001)

إن الشّعور بالرّضا عن الحياة يمثّل مظهرًا مهمًّا من مظاهر حياة الفرد، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بصحته النّفسيّة وتكيفه الشّخصيّ والاجتماعيّ، فعملية الرّضا هي أحد المكوّنات الجوهريّة لتحقيق الصّحة النّفسيّة الإيجابيّة وعاملًا محدّدًا لسير حياة الفرد ومآله، حيث يشعر الفرد بالفرح والسّعادة والرّاحة والطّمأنينة وإقباله على الحياة بحيوية نتيجة تقبّله لذاته وعلاقاته الاجتماعيّة، ورضاه عن إشباع حاجاته، كما أنّه يُشير إلى تقدير الفرد للرّضا العام عن حياته التي يعيشها وتقييمه لنوعية هذه الحياة وفقًا لنسقه القيمي، ويعتمد

هذا التّقييم على مقارنة الفرد لظروفه الحياتيّة بالمستوى الأمثل الذي يعتقد أنّه مناسب لحياته (علي، 2018).

إنّ مفهوم الرّضا عن الحياة يرتبط بالخبرة الذّاتية للفرد التي تنبثق من داخله، ما يعني تأثيرًا مباشرًا للعوامل الأكثر التصاقًا بالشّخص في شعوره بالرّضا، كسمات شخصيّته، وأساليبه في التّعايش، ودرجة تدينه، وحالته الجسديّة والتّقييم الشّامل لكافة جوانب حياته على نحو متكامل، فضلًا عن غياب الوجدان السّلبي كالشّعور بالقلق، والاكتئاب، واليأس

ويُعد الرّضا عن الحياة Satisfaction Life تقييم معرفيّ لحياة الفرد يعبر عن مدى تقبّله لحياته، فهو تقييم كيفيّ لنوعية الحياة التي يعيشها الفرد (Oladipo et al, 2013).

1-2 الإشكالية

يهدف الإرشاد المدرسيّ إلى تحقيق النّمو النّفسيّ الشّامل لأفراد الهيئة التّعليميّة، ولا يقتصر ذلك على مساعدتهم في ضوء قدراتهم وميولهم في البيئة التّعلّميّة التّعليميّة، بل يمكن أن يصل إلى حلّ مشكلات الأفراد، وتوثيق العلاقة مع الأسرة والمجتمع، وتغيير السّلوك نحو الأفضل، وهذا بدوره يقود إلى تحقيق الهدف نحو تحسين العلاقات التّفاعليّة الاكاديميّة وتاليًّا تطوّر العمليّة التّربويّة.

ولذلك تحدّدت مشكلات البحث على الشّكل الآتي:

ما هو تأثير التّوافق النّفسيّ على تقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة؟

1-3 أهمية البحث

السّلوك الإنسانيّ هو مجموع النّشاط النّفسيّ والجسديّ والحركيّ الفيزيولوجيّ واللّفظيّ الذي يصدر عن الإنسان من خلال التّفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به. نواجه في البيئة المدرسيّةّ عددًا من المشكلات والصّعوبات التي تعيق سير العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة، ما قد يؤدّي إلى مشكلة للمتعلّم والمعلّم. يجب تطبيق الدّور التّربويّ الأساسيّ في التّدخل في هذه المشكلات أو إحالتها إلى المرشد المدرسيّ في حال تعذّر إيجاد الحلول المناسبة. (الفتلاوي، 2005)

تكمن أهمية الدّراسة الحاليّة في ناحيتين:

من النّاحية النّظريّة

- تكمن أهمية هذه الدّراسة في الكشف عن طبيعة التّوافق النّفسيّ والعوامل المؤثّرة فيه.

- تسليط الضّوء على تقدير الذّات لدى الأساتذة العاملين في البيئة المدرسيّة.

من الناحية التّطبيقيّة

- إعطاء صورة واضحة عن مدى علاقة التّوافق النّفسيّ بتقدير الذّات لدى الأساتذة العاملين في البيئة المدرسيّة.

- مساعدة الأساتذة العاملين في البيئة المدرسيّة في تنمية الشّعور بالتّوافق النّفسيّ وزيادة الثقة بالنّفس وتنمية القدرة على المواجهة.

1-4 أهداف البحث

يهدف هذا البحث الى دراسة تأثير التّوافق النّفسيّ وعلاقته بتقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة. ولذلك تم اختيار جميع أساتذة المدرسة، واعتمدت دراسة المنهج الوصفيّ وقد أثبتت النّتائج وجود علاقة بين التّوافق النّفسعلائقيّ وتقدير الذّات الأمر الذي يظهر من خلال التّواصل بين أفراد الهيئة التّعليميّة في البيئة المدرسيّة.

1-5 فرضيات الدّراسة

توجد علاقة ارتباطيّة بين التّوافق النّفسيّ وتقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة.

1-6 مجتمع الدّراسة

تكوّن مجتمع الدّراسة من جميع أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة للعام الدّراسيّ 2022-2023، وتمّت الدّراسة على جميع الأساتذة وهم جميعًا من الإناث ذوات مؤهلات علميّة متنوّعة.

تمَّ وضع الاستبيان وتطبيق أداتي الدّراسة «مقياس كوبر سميث لتقدير الذّات» و«مقياس هستون للتّوافق النّفسيّ» لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن أسئلته والتّحقّق من فرضياته.

8-1 منهج الدّراسة

يُعنى البحث بدراسة التّوافق النّفسيّ وعلاقته بتقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرّسميّة. بحسب المنهج العلميّ، والمنهج العلميّ هو من الأساليب الفعّالة لتنظيم مجموعة من الأفكار المتنوّعة والهادفة للكشف عن حقيقة تشكّل هذه الظّاهرة أو تلك (عليان وغنيم، 2000)، ولتحقيق أهداف البحث وبناءً على فرضيّاته، اقتضت هذه الدّراسة اتباع المنهج الوصفيّ الارتباطيّ، والذي يهدف إلى توصيف الظّواهر توصيفًا علميًا، وإلى محاولة الكشف عمّا بينها من علاقات وتفسيرها وتحديد هذه العلاقات الّتي توجد بين الوقائع.

1 - 9 الدراسات السابقة

1. دراسة كابراس وموندو (Mondo & Cabras ,2018)، تحت عنوان: استراتيجيات المواجهة والتفاؤل والرّضا عن الحياة بين طلاب السنة الأولى بالجامعة في إيطاليا: الفروق بين الجنسين والعمر"Coping strategies, optimism, and life satisfaction among first-year university students in Italy: هدفت الدّراسة الى الكشف عن مستوى الرّضا عن الحياة لدى طلبة الجامعة ومستوى التّوافق النّفسيّ والاجتماعيّ لديهم. وتم استخدام أداة الرّضا، وأداة التّوافق وأداة التفاؤل.

2. دراسة خرباش وتزكرات وطوبال (2018)، تحت عنوان العزلة الوجدانيّة والاجتماعيّة لدى الطّالب الجامعيّ في ضوء بعض المتغيرات: السّن، المستوى الدّراسيّ، مستوى التّحصيل، وظروف الدّراسة (مقيم /غير مقيم):هدفت الدّراسة إلى تسليط الضّوء على أبعاد العزلة الوجدانيّة والاجتماعيّة لدى الطّالب الجامعي من خلال عرض نتائج دراسة وصفيّة ميدانيّة أجريت على طلبة جامعة ستيف، وقد استخدمت الدّراسة المنهج الوصفيّ الارتباطيّ.

3. دراسة تلمساني (2016)، تحت عنوان: الرّضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذّات لدى طلبة المدرسة العليا: هدفت الدّراسة إلى التّعرف على وجود علاقة ارتباطيّة بين الرّضا عن الحياة وتقدير الذّات. وكذلك التّعرف على الفروق في مستوى الرّضا عن الحياة وتقدير الذّات بين طلبة المدرسة العليا بوهران.

4. دراسة محمد وقاسم (2012)، تحت عنوان: قياس العزلة الاجتماعيّة لدى طالبات كليتي التّربيّة والتّربيّة للبنات وعلاقتها بالتّحصيل الدّراسيّ والتّخصّص والصّف الدّراسيّ : دراسة مقارنة:هدفت الدّراسة إلى التّعرّف على مستوى العزلة الاجتماعيّة لدى طالبات كليتي التّربيّة والتّربيّة للبنات وعلاقتها بالتّحصيل الدّراسيّ والتّخصّص والصّف الدّراسيّ.

1 – 10 التّعقيب على الدّراسات السّابقة

بعد الاطلاع على بعض الدّراسات السّابقة لاحظنا أهمية موضوع البحث من حيث وجود دراسات حول المتعلّمين من ناحية الرّضا عن الحياة، تقدير الذّات والتّحصيل الأكاديميّ، ولكن بالنّسبة إلى لأساتذة ما زالت الدّراسات قليلة خاصة في المدارس الرّسميّة في لبنان وقد تكون معدومة.

2 – الإطار النّظريّ للدّراسة

2 – 1 التّوافق النّفسعلائقيّ

يمكن تعريف التّوافق النّفسيّ من خلال تحديد ظواهر السّلوك الإنسانيّ وخصائص شخصيّته. فهو حسب نظريّة التّحليل النّفسيّ (Freud) 1939يعكس مراحل النّمو لدى الأفراد.

إنّ مساهمة التّحليل النّفسيّ أساسية في فهم السّلوك الإنسانيّ وتوضيح خفاياه. ورغم أنّ هذه النّظريّة اهتمت أساسًا بالاضطرابات النّفسيّة على اختلاف أشكالها بالإضافة الى إرجاع أسبابها إلى المراحل الطفولّية الأوّليّة. كما ساعدت العاملين في الميادين التّربويّة على وضع خطط تربويّة، نمائيّة ووقائيّة. وطوّرت الأساليب التّربويّة التقليديّة التي تعتمد على مبادئ العالم النّفسيّ سكنر وهي تطبيق وسائل اكتساب السّلوك الإيجابيّ من خلال استراتيجيّة الثّواب والعقاب.

اعتمدت النّظريّة التّحليلية لفهم الشّخصيّة الإنسانيّة على تحليل المكوّنات النّفسيّة الأساسيّة:

1 – العلاقات مع الوالدين والمعلّمين.

2 – التماهيات الأوّليّة.

3 – الحرمان العاطفيّ.

4 – مشاعر الذّنب والنّقص.

5 – المركّب الأوديبيّ.

بالنّسبة إلى دراسات علم النّفس التّحليلية الفرويديّة التي طوّرت النّمو العاطفيّ الانفعاليّ بتطوّر الحياة الجنسيّة sexualité عند الطّفل، وهي أسلوب لفهم السّلوك السّوي وغير السّوي عند الأفراد، موليًا أهمية تكوين أنماط معينة من السّلوك للبناء الأساسي لشخصيّة الفرد .(سليم، 2002)

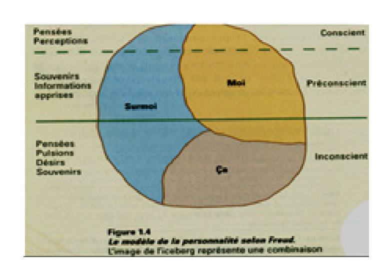
حسب النّظريّة التّحليليّة إنّ الشّخصيّة تتكوّن من ثلاثة نظم هي الأنا – الهو – الأنا الأعلى. ينظر إلى السّلوك من خلال التّفاعل بين الجوانب الثلاثة للشخصيّة:

«الهو» : رأى فرويد «الهو» الجانب الأساسيّ للشّخصيّة، وهي مخزن الطّاقة الجنّسية أطلق عليها فرويد اسم الغرائز الإنسانيّة، وأهم غريزتين عنده هما الجنس والعدوان.

«الأنا»: تنمو الأنا مع تفاعل الفرد مع البيئة، ووظيفتها التوسّط بين مبدأ اللذة الذي تعمل «الهو» بمقتضاه وبين العالم الخارجي.

«الأنا الأعلى »: الأنا الأعلى هو نوع من وسائل التحكّم الداخليّ. وظيفته الرئيسّية هي التحكم في الهو التي قد تؤدي الى سلوك غير مقبول.

أما الشّكل الواقعيّ أو النّمط الذي يتخذّه التّفاعل بين هذه الأنظمة الثّلاثة فهو نتاج نمّو الفرد وتطوره خلال المراحل النّفس– جنسيّة.



	الهو	الأنا	الأنا الأعلى
بداياتها	موجودة مع الإنسان منذ ولادته	تنبثق عن الهو وتتكوّن خلال الفطام	تظهر بعد انتهاء عقدة أوديب
موقعها	لا واعية	جزء واع وآخر لاواع وثالث في ما قبل اوالوعي	جزء واع والآخر لا واع
عملها	تحقيق فوري للذة	توفّق بين متطلبات الانا الاعلى ونزوات الهو	المنظم الاجتماعيّ للبناء النّفسيّ
المبدأ	تعمل ضمن مبدأ اللذة	تعمل تبعًا لمبدأ الواقع الاجتماعيّ	الالتزام بالقوانين وبالمعايير الأخلاقيّة، والدينيّة
مكّوناتها	تتكون من غرائز فطرية و موروثات	الحاجات ضمن مبدأ الواقع مع احتمال استخدام آليات دفاعية	المعايير المختلفة
نتائج قوّتها	تؤدي إلى اضطرابات أو أمراض نفسية/ عقلّية وحتى للانتحار	قوّتها تحقّق السّلوك السويّ	الشّعور بالذنب، السّلوك المتصوّف

مكونات الشّخصيّة (أحمد أبو أسعد، أحمد عريبات، 2009)

أثبتت النّظريّة التّحليلية أنّ القلق ينتج من صراع لاواعٍ بين المكوّنات الثّلاثة .

أنواع القلق هي: واقعيّ، عصابيّ وأخلاقيّ ويؤدّي الى عدم توافق نفسيّ بسبب محاولة الفرد لمجابهة القلق في حين أن الأساليب اللاواعيّة تلتف حوله لمجابهته.

الآليات الدفاعيّة اللاواعيّة حسب النّظريّة التّحليليّة

هي استراتيجيات نفسّية لا واعية تلجأ إليها الأنا تحت ضغط الأنا الأعلى والعالم الخارجيّ للتخلّص من القلق وهي الكبت، الإنكار، الإزاحة، التّخيّل، التّماهي، الإسقاط، العقلنة، التحويل العكسي، النّكوص، التّسامي (Gerrig R. & (Zimbardo, 2013)

نتج عن التّحليل النّفسيّ طرق علاجيّة أخرى عُرِفَت بالتّحليليين الجدد: يونج وآدلر وهورني. عرّفت السّلوك الإنسانيّ بالتّوازن بين العوامل البيولوجيّة والاجتماعيّة. فهي تعدّ الأنا تنظيم مستقل له قوته الذّاتيّة. والشّخصيّة هي نتاج لمجموعة من العوامل أهمها الاجتماعيّة كما عرّفها ألفرد أدلر.

الفروق الأساسيّة بين النّظريّة التّحليليّة ونظريّة العلاج الفردي

سيجموند فرويد	ألفرد أدلر
الإنسان كائن بيولوجي	الإنسان كائن اجتماعيّ
الأولوية للحاجات البيولوجيّة	الأولويّة للحاجات الاجتماعيّة
الشّخصيّة مقسمة إلى أنا ، أنا أعلى والهو	الشّخصيّة وحدة واحدة متكاملة
التركيز على اللاوعي	التركيز على الوعي
العلاج طويل الأمد	العلاج مختصر

حسب نظرية آدلر أنّ سوء التّوافق ينتج عن اعتقادات خاطئة حول الذّات والعالم الاجتماعيّ. السّلوك غير التّكيّفي ناتج عن الشّعور بالنّقص من خلال الفشل في تحقيق أهدافه في التّفاعل الاجتماعيّ. إنّ العجز البدنيّ أو الأمراض أو الإعاقات الجسدّية تولّد شعورًا بالنقص وتؤدّي إلى عدم التكيّف وتصبح عائقًا لأدائه السّويّ. بالنّسبة إلى آدلر التّغلب على العجز يكون عبر التّركيز على وظائف أخرى تعوّض هذا العجز.

يظهر الجدول التالي النّمط التّربويّ بالتّبعات السّلوكية حسب نظرية آدلر(1937–1870)

النمط التّربويّ	التبعات السّلوكية
1 - الإهمال	العزلة – لفت الانتباه – الحسد – العدوان – الوحدة – انعدام لتقدير الذّات - العناد
2 - الوقاية	الاتكالية – انعدام الإحساس بالواقع وفرص اختباره – عدم تطوّر المهارات الضروريّة – الخمول – الشّعور بالعجز
3 - التدليل	عدم تقدير الذّات- عدم الاستقلالية- نقص في المهارات الاجتماعيّة
4 - المطالب 5 - المتشدّدة	عدم المبادرة ، انعدام العفويّة والتلقائيّة النمائيّة
6 - المعايير 7 - الخلقيّة 8 - الجامدة	التذمر من الأشياء وانتقادها – القسوة على الذّات – العجز عن تقويم السّلوك – الثورة المفاجئة والانحراف – تجمّد الشّخصيّة وقصورها .
9 - تنافس 10 - الأشقّاء	زعزعة الأمن – السّلوك غير المألوف لجذب الانتباه - النكوص – العدوانية

يرى كارل روجرز مؤسس نظريّة الإرشاد المتمركز حول الذّات (1902–1987)، أنّ الشّخصيّة الإنسانيّة إيجابيّة، وأنّ الفرد اجتماعيّ ولديه حوافز تدفعه إلى الأمام. إنّ نزعة تحقيق الذّات هي الدّافع الأساسيّ والوحيد لكل كائن إنسانيّ، فهو يستحق

الاحترام ولديه القدرة على تحقيق الذّات في منظومة قيميّة تشكّل إطاره المرجعيّ الذي يتفاعل معه. بالنّسبة إلى روجرز لدى الفرد إمكانيّة للتّغيير نحو الأفضل. كما حدد أبعاد الذّات الاربعة:

1 - الذّات الحقيقيّة: هي ما يكون الفرد عليه في الحقيقة.

2 - الذّات المدركة: هي اعتقادات الفرد عن نفسه، أفكاره، مشاعره، اتجاهاته وتوقّعاته وذلك من خلال تفاعله في مجاله وقد تكون الذّات المدركة واقعيّة أو غير واقعيّة.

3 - الذّات الاجتماعيّة: هي صورة الذّات عن نفسه كما يعتقد بوجودها لدى الآخرين.

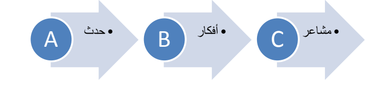
4 - الذّات المثاليّة: هو تصور الذّات كما يتمنى الفرد أن يحقّقه.

بالنسبة إلى أسباب سوء التّوافق لدى الفرد حسب نظريّة التمركز حول الذّات:

يمّر الفرد في حياته بسلسلة متراكمة من الخبرات في إطار مرجعيّ محدد، بعض هذه الخبرات يتوافق مع مفهوم الفرد لذاته مما يؤدّي إلى التّوافق والانسجام، والبعض الآخر لا يتوافق مع مفهوم الذّات فينشأ سوء التّكيّف والاضطراب.

حدّد روجرز التّعاطف الذي عُرِّفَ بالإحساس بمشاعر الآخر، وفهم معنى هذه المشاعر من دون إصدار الأحكام المسبقة وإدراك الأسباب الحقيقية التي تتحكّم بهذه المشاعر بالعودة إلى الإطار المرجعّي للفرد والتقّبل غير المشروط لهذا الإطار المرجعيّ.

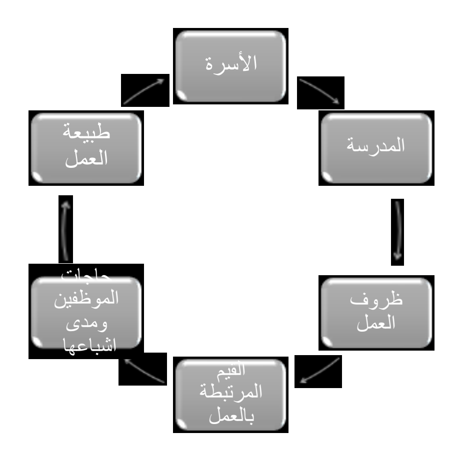
يعدّ التّعاطف عنصرًا مهمًّا في البيئة المدرسيّة لأفراد الهيئة التّعليميّة فهو يسهم في النّمو الانفعاليّ للإنسان ونموّ إدراكه بنفسه وحالته النّفسيّة، كما يكسبه التّعاطف قدرة على فهم مشاعر وأحاسيس وانفعالات الآخرين وتفسيرها.



جدول النّظريّات

النّظريّة	بناء الشّخصيّة	المفاهيم الأساسيّة	أسباب المرض النّفسيّ (السّلوك غير المتكيّف/ المتوافق)	دور المرشد	استخدام النّظريّة في الإطار المدرسيّ
التّحليلية	الإنسان محكوم بالحوافز البيولوجية	الوعي اللاوعي القلق– الآليّات الدفاعيّة	الصراع بين مكوّنات الشّخصيّة	التفريغ الإنفعالي القلق	– التركيز على العائلة والجماعة.
علم النّفس الفرديّ آدلر	العوامل الاجتماعيّة والعلاقة مع الأمّ	الإهمال عقدة النقص	معتقدات وأهداف غير مناسبة ما يؤدّي إلى سلوك غير فعّال	تحديد الأهداف تحديد الصعوبات بناء الثقة بالذّات	تحليل الخبرات الأسرية التشجيع
العقلانية– الانفعالية(إلبرت إليس)	أفكار الفرد تؤثّر على مشاعره–ميل فطريّ للتفكير بالطريقتين العقلانيّة أو اللاعقلانيّة تحت تأثير البيئة	الأفكار اللاعقلانية	المعتقدات الخاطئة المفسّرة للأحداث	تحديد الأفكار اللاعقلانيّة– مجابهة هذه الأفكار	حلّ المشكلات
الإرشاد المتمركز حول الشخص	تحقيق الذّات الإطار المرجعيّ للفرد التّفاعل مع البيئة ومع الآخرين الخبرات والقيم	بناء الذّات –الإطار المرجعيّ للفرد–القيم	عدم الانسجام مع الخبرات التي يمرّ بها الفرد	مساعدة الفرد على إدراك خبراته المهدّدة. مساعدة الفرد على التوفيق بين مفهومه عن ذاته وخبراته مساعدة الفردد على إزالة الصعوبات التي تقف أمام تحقيقه لذاته.	حل المشكلات– مواجهة الصعوبات–برامج نمائيّة

عناصر تؤثّر في مفهوم الذّات (Durkheim 2004)



2-2 مفهوم الذّات

هو بناء تراكميّ تتنظم فيه معارفنا واعتقاداتنا عن أنفسنا في جوانبها الجسدية، المعرفيّة، الانفعاليّة والاجتماعيّة. ينمو مفهوم الذّات في المواقف والخبرات الّتي يمرّ فيها الفرد من الطّفولة إلى المراهقة بشكل أساسيّ، ويعدّ الأهل والمعلّمون نماذج أساسيّة لتفعيل هذه الخبرات وتعزيز مفهوم ذات إيجابيّ قد يؤدّي إلى تقدير ذات إيجابيّ، وتطوير الكفاءة الذّاتيّة وتوكيد الذّات.

إنّ العلاقة بين البيئة المدرسيّة ومفهوم الذّات وتقدير الذّات هي علاقة تفاعليّة تبادليّة، فالبيئة المدرسيّة الإيجابيّة تسهّل فرصًا معزّزة لمفهوم وتقدير ذات إيجابيّين. والمتعلّم الّذي لديه مفهوم وتقدير ذات إيجابيّين، يكون احتمال نجاحه الأكاديميّ مرتفعًا.

إنّ المفهوم السّلبي أو الإيجابي الّذي يكوّنه الفرد عن نفسه واعتقاده بقيمته السّلبيّة أو الإيجابيّة وكفاءتها عناصر ثابتة نسبيًّا، وإنّ احتمال تعديلها تراكميّ يخضع للخبرات والظّروف العامّة والخاصّة.

مفهوم الذّات هو معرفة الأفراد واعتقاداتهم عن أنفسهم، أفكارهم، مشاعرهم، اتّجاهاتهم وتوقّعاتهم. تكوين مفهوم ذات بناء تراكمي يبدأ في الأسرة ويستكمل بشكل أساسيّ في المنظومة التّعليميّة التّعلّميّة

إنّ إدراك المتعلّم لسماته الشّخصيّة وتعزيز الإيجابيّ منها والعمل على العوامل الّتي تحتاج إلى تطوير، يساعد المتعلّم في تكوين قيمة إيجابيّة عن ذاته، أي تقدير ذات إيجابيّ. إنّ كفايات التّعلّم الاجتماعيّ الانفعالي تسهم في تطوير مفهوم ذات إيجابي ببعديه الأكاديمي والاجتماعيّ.

تقدير الذّات

هذه القيمة قد تكون إيجابيّة أو سلبيّة، وتتكوّن بشكل تراكميّ خلال مراحل النّمو.

هناك علاقة طرديّة بين تقدير الذّات والتّحصيل الأكاديميّ والحياة الاجتماعيّة.

تقدير الذّات هو القيمة الّتي يعطيها الفرد لخصائصه وقدراته وسلوكه. وتستند إلى معرفة الفرد واعتقاداته عن أفكاره، مشاعره، اتّجاهاته وتوقّعاته. يعتمد تقدير الذّات، بشكل أساسيّ، على التّقدير الدّاخليّ للذّات ممّا قد يؤدّي إلى استخدام كلّ طاقات الفرد وإمكاناته ومواهبه.

التّقدير الإيجابيّ لدى المتعلّمين يؤدّي إلى التّقدّم في إنجازاتهم الأكاديميّة وتطوير الكفاءة الذّاتيّة.

من العوامل المساعدة على تطوير تقدير الذّات: الخبرات والمواقف السابقة، الإطار الاجتماعيّ.

تطوير الكفاءة الذّاتية

للكفاءة الذّاتية عوامل، منها:

- النّجاحات والإخفاقات الفردية السابقة

1 – الوضع الانفعالي

2 – رسائل الآخرين (التغذية الراجعة)

3 – نجاحات وإخفاقات المجموعة

4 – الشّعور بالكفاءة الذّاتية

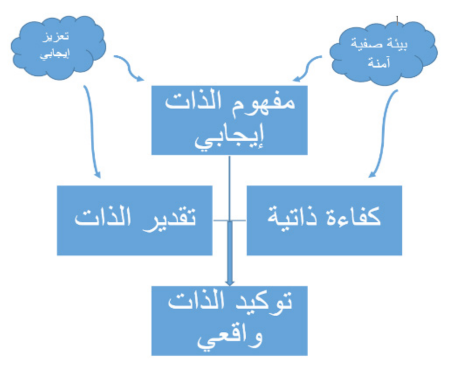
5 – هي اعتقاد الفرد بأنه كفوء في مجال معيّن أو في مهمة معينة.

6 – وبأنّه يمتلك كفاءة ذاتية للتعلّم وكفاءة ذاتية للأداء.

7 – مصادر تعزيز الكفاءة الذّاتية هي وسائط التّنشئة الاجتماعيّة المباشرة وغير المباشرة (الأسرة– المدرسة– الرفاق– مؤسسات المجتمع المدني– الإعلام....)

توكيد الذّات

توكيد الذّات هو تعبير المرء عن أفكاره وانفعالاته واتّجاهاته بكل ثقة ووضوح من دون أن يجرح مشاعر الآخر، فهو يتعلّم كيف يدافع عن حقوقه ووجهة نظره بطريقة مؤدبة معترفًا في الوقت نفسه بحقوق الآخر. وهذا يستدّعي مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات.



إن تطوير كفايات التّعلّم الاجتماعيّ الانفعالي يسهم في بناء مفهوم ذات وتقدير ذات إيجابيين، تطور هذه الكفايات الكفاءة الذّاتية وتوكيد الذّات، وذلك من خلال بيئة صفيّة آمنة تعزز الشّعور بالأمن والانتماء، وبناء متعلّم مستقل يتحمّل مسؤولية تعلّمه، ويحافظ على الكفاءة الذّاتية لحل مشكلاته وأزماته النمائية وغير النمائية.

نظرية الذّات(Theory Seff)

تؤكّد نظرية الذّات أنّ الفرد يعيش في عالمه الذّاتي ويكون سلوكه تبعًا لإدراكه الذّاتي، وترى أنّ مفهوم الذّات ينمو تكوينيًا كنتاج للتّفاعل الاجتماعيّ بالتّوافق مع العالم الدّاخلي لتأكيد الذّات، ويتفاعل مع المحيطين به، ويتابع مراحل النضج والنّمو، ويتأثّر بالحاجات، كما يتأثر بالقيم والاتجاهات والأخلاقيات، كما أنّ الفرد يمر في حياته بالخبرات المتعددة التي يتفاعل معها، ويؤثر فيها ويتأثّر، يقوم بتحويل خبراته إلى

قيم في ضوء مفهوم الذّات أو يشوهها، ان الاختلاف بين سمات الشّخصيّة والقوانين الاجتماعيّة، يسبب تهديد ويضفي قيمة سالبة، وعندما تدرك الخبرة على هذا النحو تؤدّي إلى تهديد مركز الذّات، والتّوتر والقلق، وسوء التّوافق النّفسيّ، وتنشط وسائل الدفاع التي تعمد إلى تشويه الإدراك غير الدّقيق للواقع عندما يعمل الفرد جاهدا للسّعي إلى لوصول للتّكيف المناسب.(محمد، 2012)

النّظريّة السّلوكية (Theory Behavioral)

تفترض النّظريّة السّلوكية أنّ كل أنواع السّلوك الإنسانيّ مكتسبة، و السّلوك هو نتيجة تفاعل الفرد مع المحيط، فالإنسان لا يأتي إلى الحياة بسلوكه السّوي أو اللا سوي بل يأتي بشكل طبيعيّ، وسلوكه يعتمد على البيئة التي سوف يعيش فيها، كما أنّ قدرة الفرد على التّكيف مع البيئة التّعليميّة الجديدة تأتي من خلال اكتسابه مجموعة من العادات والسّلوكيات المقبولة اجتماعيًّا والتي تمكنّه من التّوافق مع نفسه ومجتمعه (إبراهيم، 1988).

ولا يساعد الإهمال والتّربية القاسية في التنشئة في تدعيم تعلّق الفرد بعائلته، ويؤدّي إلى غياب التّفاعل الإيجابي لديه، وعدم شعوره بالأمن والطمأنينة، وتاليًا تدني مستوى التّفاعل الاجتماعيّ، مما يؤدّي إلى سلبيته وعدم انسجامه مع محيطه وشعوره بالعزلة والانطواء (عبد الله، 2000).

النّظريّة المعرفيّة(cognitive theory)

اهتمت هذه النّظريّة بتطبيق استراتيجيات العلاقة بين المسبب والنتيجة، فيصدر عن الدّماغ عمليات عقلية تظهر من خلال السّلوكيات، ويمثل هذا الاتّجاه كل من نظريّة التّعلّم الاجتماعيّ (باندورا وولتز) والنّظريّة العقليّة العاطفيّة (البرت اليس). فتغيير السّلوك التّقليديّ يركّز في الاشتراط الكلاسيكي الذي يعمل على إهمال الفرد لذاته، ولمشاعره وعواطفه وأفكاره، فالإجراءات العلاجيّة تشمل مشاركة المتعالج نفسه في تصحيح سلوكه، والتي تسمّى التحدث الذّاتي أو التفكير التلقائي، في محاولة لتغيير الأفكار الخاطئة.

ويرى ألبرت آلس (Albert Ellis) أنّ المعتقدات غير المنطقية تسهم في أن يقوم

المنعزلين اجتماعيًّا بعقاب أنفسهم، وإظهار السّلوك غير المنطقي وسلوك العزلة الاجتماعيّة، من عدم الراحة والاضطراب في علاقاتهم مع الآخرين(أبو خيران، 2017).

نظرية التّكيفAdaptation theory

بحسب هذه النّظريّة فإنّ النّاس واعتمادًا على نمط شخصياتهم ودورهم وأهدافهم في الحياة، يتصرّفون بشكل مختلف تجاه الأحداث الجديدة التي تمرّ عليهم في حياتهم، ولكنّهم يعودون إلى النقطة الاساسيّة التي كانوا عليها قبل وقوع الأحداث، بعد التّعوّد والتأقلم مع هذه الأحداث ومع مرور الوقت، كما أنّ الأفرد برأي هذه النّظريّة لا يتكيفون بالطريقة نفسها أو بشكل مطلق مع الأحداث والظروف المحيطة بهم (شقورة، 2012).

2 – 3 مدى التّوافق النّفسيّ وعلاقته بتقدير الذّات

يُستخلص مما سبق أنّ التّوافق النّفسيّ يتمثّل في تقدير الأفراد لنوعية حياتهم، وفي محاولة التّقبل والتّكيف مع كل ما يعترضهم من عقبات ومشاكل. كذلك تحقيق أهدافهم وطموحاتهم وفقًا للإمكانات المتاحة، حيث أنّ التّوافق يتحقّق إذا استطاع الفرد إدراك حقيقة أهدافه وتمكن من توجيهها نحو الواقع، وفي تقبله لذاته ولأسلوب الحياة التي يحياها في محيطه، وكذلك في محاولة تكيفه مع كل ما يستجد من حوله من تغيرات، مدركًا للخبرات السارة التي تحقق له المتعة، راضيًا على انجازاته الماضية متفاعلًا مع ما ينتظره من مستقبل، مسيطرًا على بيئته.

3 – الإطار التطبيقي للدّراسة

3-1 الأساليب الاحصائيّة المستخدمة في الدّراسة

إنّ نتائج هذا البحث مبنية على أساليب إحصائيّة مناسبة منها:

-المتوسطات والانحراف المعياريّ والتكرارات والنّسب المئويّة.

-معامل ارتباط بيرسون (Pearson) لتحديد مدى صدق الاتساق الداخليّ لكل أداة، فضلًا عن معرفة العلاقات الارتباطيّة بين الدرجات على المقياسين.

-معادلة سبيرمان براون (Spearman- Brown) لحساب تصحيح معامل الارتباط بين الفقرات الفرديّة والزوجيّة للمقاييس المستخدمة في الدّراسة الحاليّة.

-اختبار (ت) أو (T–Test) لتحديد دلالة الفروق الاحصائية بين المتوسطات.

3-2 تحليل الفرضية والنتائج

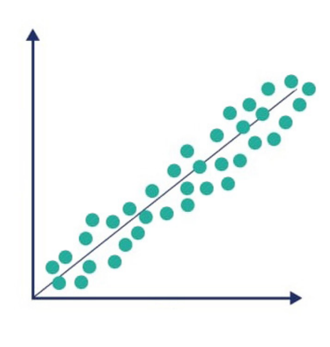
لمعرفة وجود علاقة ارتباطيّةٌ ذات دلالةٍ إحصائيّةٍ بين أداتي الدّراسة، أجرينا معامل ارتباط بيرسون (Pearson correlation)، وجاءت النّتيجة على الشّكل التالي:

جدول رقم (1): جدول يبين معامل ارتباط بيرسون بين أداتي الدّراسة

المقياس	العدد	الدلالة الإحصائية	قيمة بيرسون	النتيجة	القرار
التّوافق النّفسيّ	36	0.000	0.627	دالة إحصائيًا	علاقة ارتباطية
تقدير الذّات					

r>0.625

تقدير الذّات



التّوافق النفسي

توجد علاقة ارتباطيّة بين التّوافق النّفسيّ وتقدير الذّات لدى الأساتذة في مدرسة عبرين الرسمية.

يوضح الجدول أعلاه معامل ارتباط بيرسون بين مقياسي التّوافق النّفسيّ وتقدير الذّات، حيث تساوي قيمة الدّلالة الاحصائية (0.000) وهي أصغر من مستوى الدّلالة المعنويّة ألفا (0.05)، وهذا يعني أنَّ العلاقة بينهما دالّةٌ إحصائيًّا، وتاليًا نقبل الفرضيّة البديلة والقائلة بوجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائيّة بين مقياس التّوافق النّفسيّ

ومقياس تقدير الذّات لدى الأساتذة في مدرسة عبرين الرسمية.

وقد بلغت قيمة بيرسون والّتي تدل على قوّة العلاقة بينهما (0.627) وهي تدلّ على علاقة ارتباطيّة إيجابيّة بين المقياسين. (كلما كانت هذه القيمة قريبة من 1 كلما كانت العلاقة أقوى).

كشفت نتائج التّحليل الإحصائيّ في الجدول عن صحة الفرضيّة وترابط التّوافق النّفسيّ وتقدير الذّات لدى أساتذة مدرسة عبرين الرسمية للعام الدّراسيّ .2023-2022

إنّ الأعراض النّاتجة عن الفشل في التّعامل مع الأزمات والضّغوطات التي تواجه الفرد خلال مراحله النمائيّة تؤدي الى عدم توافق نفسيّ. فالمؤسّسات التّربويّة تستوجب صفات محددة لشخصيّة المربي والمعلّم من ناحية التّوافق النّفسيّ، بالإضافة الى نظام تدريبي يتحكّم في السّلوك. السّلوك غير التكيّفي ناتج عن الشّعور بالنّقص من خلال الفشل في تحقيق أهدافه في التّفاعل الاجتماعيّ. إن العجز البدنيّ أو الأمراض أو الإعاقات الجسدّية تولّد شعورًا بالنّقص وتؤديّ إلى عدم التكيف وتصبح عائقًا للآداء السويّ. وهذه العوامل تساهم في عدم التّوافق النّفسيّ بسبب دورها المباشر في الأداء الوظيفي لدى المعلّم. فالبيئة التّعلّميّة الصحية والسليمة والآمنة هي حاجة من الحاجات الأساسية المُستوجب تأمينها لكي يتمكن المعلّم من الشّعور بالانتماء والقدرة على التكيف والتّوافق النّفسيّ داخل البيئة المدرسيّة.

هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانيّة

الأبتكار
حل المشاكل
تقبل الحقائق
الحاجة لتحقيق الذات
تقدير الذات، الثقة، الإنجازات
أحترام الأخرين، الأحترام من الأخرين
الحاجة للتقدير
الصداقة، العلاقات الأسرية، الألفة الجنسية
الحاجات الإجتماعية
السلامة الجسدية، الأمن الوظيفي، أمن الموارد،
الأمن الأسري و الصحي، أمن الممتلكات
حاجات الأمان
التنفس، الطعام، الماء، النوم، الجنس، التوازن، الإخراج
الحاجات الفسيولوجية

قسّم ماسلو الحاجات ضمن فئتين رئيسيتين:

1 - حاجات تعمل على تصحيح النقص وهي ضرورية لبقاء واستمرار الفرد

2 – حاجات من المستوى العالي التي تعمل على تحقيق نمو الذّات

هناك ارتباط كبير بين حاجات الأمان والانتماء والمكان الذي يتواجد فيه المعلّم. إن تنظيم المكونات الماديّة ومن ثم العلائقيّة في المكان يؤدّي إلى الأمن النّفسيّ والمعنوي واستقرار الفرد وانتظام عمله. ومشاعر انتماء المعلّم إلى البيئة التّعليميّة ومشاركة التجارب والخبرات مع الآخرين يتكون في بنية مكانية منظمة ماديًا وبشريًا.

ان أهمية وجود ترابط على الأصعدة التّربويّة كافة، الاجتماعيّة والاقتصادية متناسق مع حاجات أفراد البيئة التّعلّميّة من مديرين وأساتذة ومتعلّمين يؤدّي إلى تكوين إدارة سليمة وناجحة ومتماسكة في كافة الميادين والقطاعات وخاصة التّربويّة.

4 – التوصيات والخاتمة

4 – 1 التوصيات

في ضوء النّتائج التي وصلت إليها الدّراسة، أوصت الدّراسة بضرورة عمل برامج توعية من أجل تنمية مستوى استخدام الأفراد لاستراتيجيات التّكيف، مما يخفض من مستوى سوء التّوافق النّفسيّ وتقدير الذّات لدى أفراد الهيئة التّعليميّة، وبضرورة مساعدة الأفراد على اكتشاف قدراتهم وتنميتها، مما ينمّي لديهم دافع العطاء والانجاز عليه ينمّي الشّعور بالرّضا عن الحياة، بهدف المساعدة على كيفية التّعامل مع الضغوط النّفسيّة والذي ينعكس على أدائهم داخل الغرف الصفية، والقدرة على مجابهة المستجدات في الحياة بمرونة.

4 – 2 الخاتمة

إنّ توفير معايير البيئة الصّفية الآمنة يساعد المعلّمين والمتعلّمين على الشّعور بالأمان والانتماء والتّعبير عن انفعالاتهم ومشاركة الآخرين المواقف التي يتعرّضون لها. إنّ الشّعور بالأمن والانتماء الواردتين في هرم الحاجات لدى ماسلو، يساعد المعلّمين على بناء مفهوم ذات وتقدير ذات إيجابيين.

إنّ توافق المعلّم مع نفسه وبيئته ومحيطه ومجتمعه سيعود بالإيجاب على أدائه في حياته عامة وداخل البيئة المدرسيّة خاصة، مما سيثمر عنه مستقبلًا مزهرًا وواعدًا للمتعلّمين.

ان أهمية الدراسات والتّطوّرات والاستراتيجيّات بالإضافة الى أهمية استحداث وسائل تخطيط وسياسات تعليم ترفع من المستوى التّحصيليّ وتقلل من المشاكل التّعلّميّة، لذلك إنّ ورش العمل والتّقييم المستمر والدّورات التّثقيفية المستمرة هي حاجة ملحة للمعلّمين، بهدف تحسين أدائهم وتمكنّهم من تحديد نقاط القوّة ونقاط الضعف لديهم، بهدف إيجاد الحلول وتطوير وتعزيز استثمار القدرات لديهم من أجل بيئة تعلمية آمنة. إنّ تطوير كفايات التّعلّم الاجتماعيّ الانفعاليّ لدى المعلّمين يسهم في تلبية هذه الحاجات وبناء مفهوم ذات أكاديمي واجتماعيّ إيجابي الذي ينتج عنه توافق نفسي وتقدير ذات.

المراجع

المراجع بالعربية

- احمد ابو اسعد, احمد عريبات. نظريات الارشاد النّفسيّ والتّربويّ – دار المسيرة عمان 2009.
- أحمد عبد اللطيف أبو أسعد المهارات الإرشادية دار المسيرة عمان الطبعة الثالثة 2015.
- إيهاب الببلاوي، أشرف محمد عبد الحميد، (2004) ، التوجيه والإرشاد النّفسيّ المدرسيّ، دار الزهراء ، الرياض.
- جان كوترو، (2016)، (ترجمة مريم سليم)، العلاج النّفسيّ السّلوكي والمعرفي، دار النهضة العربية بيروت.
- رياض نايل العاسمي، المبادئ العامة لعلم النّفس الإرشادي دار الشروق رام الله 2012.
- سهيلة محسن كاظم الفتلاوي(2005)، تعديل السّلوك في التدريس، دار الشروق، عمان، الأردن.
- صالح أحمد الخطيب الارشاد النّفسيّ في المدرسة، أسسه ونظرياته وتطبيقاته دار الكتاب الجامعي العين 2009.
- صبحي بن سعيد الحارثي نظريات التوجيه والإرشاد النّفسيّ وتطبيقاتها في الإرشاد المدرسيّ مكتبة المتنبي الدمام 2016.
- عباس محمود مكي، (2007)، هواجس العمل: من قلق المؤسسة إلى تحديات العلاج النّفسيّ والإداري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- مريم سليم: علم نفس النّمو ، دار النهضة العربية ، بيروت 2002.
- مريم سليم: الاضطرابات النّفسيّة عند الأطفال والمراهقين ، دار النهضة العربية ، بيروت 2010.

Ouvrages généraux :

- FREUD S., 1920, Au-delà du principe de plaisir, Paris , PUF, p.46
- Laborit H.,(1985) L'éloge de la fuite,Paris Gallimard,p.136
- Seyle, H. (1956). The Stress of Life. New York: McGraw Hill. p. 333

- **Dictionnaire et manuels:**

- Grmek, M.D. (1970–1980). "Bernard, Claude". Dictionary of Scientific Biography. 2. New York: Charles Scribner's Sons. pp. 24–34
- Maslach, C.; Jackson, S.E.; Leiter, M.P. (1996–2016). Maslach Burnout Inventory Manual (Fourth Edition). Menlo Park, CA: Mind Garden, Inc.

- **Journaux et revues:**

- Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman.
- Billings, D. W., Folkman, S., Acree, M., & Moskowitz, J. T. (2000). Coping and physical health during caregiving: The roles of positive and negative affect. Journal of Personality and Social Psychology, 79, 131–142
- Carver, C. S. (1998). Resilience and thriving: Issues, models, and linkages. Journal of Social Issues, 54, 245–266.
- Carver, C. S., Scheier, M. F., & Weintraub, J. K. (1989). Assessing coping strategies: A theoretically based approach. Journal of Personality and Social Psychology, 56, 267–283.
- Cohen, S., & Hoberman, H. N. (1983). Positive events and social supports as buffers of life change stress. Journal of Applied Social Psychology, vol(13),No(2), p.99-125.
- Folkman, S. & Lazarus, R.S. (1980). An analysis of coping in a middle-aged community sample. Journal of Health & Social Behavior, 21(3), 219-239.
- Folkman, S., Lazarus, R. S. (1988). Coping as a mediator of emotion. Journal of Personal and Social Psycholog,. 54, 466-75.
- Holmes, T., & Rahe, R. (1967). The Social Reajustment Rating Scale. Journal of Psychosomatic Research, 12,(4), p. 213–233.

- Kobasa, S. C., Maddi, S. R., & Courington, S. (1981). Personality and constitution as mediators in the stress-illness relationship. Journal of Health and Social Behavior 22(4), 368–378.
- Kobasa, S. C., Maddi, S. R., & Kahn, S. (1982). Hardiness and health: A prospective study. Journal of Personality and Social Psychology 42(1), 168–177.
- Kobasa, S. C. (1979). Stressful life events, personality, and health – Inquiry into hardiness. Journal of Personality and Social Psychology, 37(1), 1–11.
- Lazarus, R. S., & Folkman, S. (1987). Transactional theory and research on emotions and coping. European Journal of Personality, 1, 141–169.
- Maslach, C.; Jackson, S.E. (1981). "The measurement of experienced burnout". Journal of Occupational Behavior, vol(2),p. 99–113.
- Rahe R. H., Mahan J. L., & Arthur R. J. (1970). Prediction of near-future health change from subjects' preceding life changes. Journal of Psychosomatic Research, vol14) No(4),p.6-401.
- Shepperd, J. A., Maroto, J. J., & Pbert , L. A. (1996). Dispositional optimism as a predictor of health changes among cardiac patients. Journal of Research in Personality vol(30), p.517–534.
- Selye H.,(1946) "The General Adaptation Syndrome and the Diseases of Adaptation" (two parts), Journal of Allergy [later and Clinical Immunology] p.231–247
- Selye H.,(1946) "The General Adaptation Syndrome and the Diseases of Adaptation" (two parts) Journal of Allergy p. 98-358.

أدوات الذّكاء الاصطناعيّ مرحلة جديدة في البحث اللّغويّ

د. سارة ضناوي

المقدمة

منذ الأزل والعقل البشريّ يحاول اكتشاف المستقبل المجهول، نظرًا لما يمتلكه من خلايا عصبيّة تمكّنه من إدراك الأشياء ودلالتها ومعرفة دورها في الحياة ، وذلك من خلال تشابك هذه المنظومات العصبيّة في الدّماغ وبدورها تؤلّف رابطًا متينًا للحفاظ على الأفكار في الذّهن، والبحث عن حلول لأيّ مشكلة يقع بها الإنسان. ولأنّ العقدة العصبيّة هي محور رئيس في الذّكاء الإنسانيّ الذي تميّز به عن الحيوان في التّفكير والتّعلّم وحلّ النّزاعات، وهذا الأخير يُسهم في صناعة الإبداع والتميّزوالتّطور للثّقافات.

ولاشكّ أنّ هذه الميزة دفعت الباحثين في العالم الرّقميّ على سبر أغوار النّفس البشريّة، وابتكار برامج حاسوبيّة تحاكي التّفكير الذّهنيّ للإنسان، ومن هنا انتشرت أدوات الذّكاء الاصطناعيّ المساعدة في تطوير العمل الإنسانيّ على المستويات كافّة.

بناءً على ماتقدّم فإنّ مشروعنا سيبحث في ثلاثة اتجاهات: نشأة الذّكاء الاصطناعيّ وتوجيه البحث العلميّ إلى الذّكاء الاصطناعيّ، ومن ثمّ الحديث عن بعض الأدوات المقترحة في إعداد البحث العلميّ في اللّغة العربيّة.

مشكلة البحث

هل يطوّر الذّكاء الاصطناعيّ بأدواته التّقنيّة الحديثة مهارة الباحثين في كتابة أبحاثهم؟!
وهل من تحديّات يواجهها الباحث اللّغويّ في ظلّ تقدّم آليّات الذّكاء الاصطناعيّ المتسارع؟!

أسباب اختيار الموضوع

لأنّ البحث العلميّ مستمرّ في تقديم الأفضل، لذلك يُعدّ رؤية حديثة منتظرة للباحثين والمتابعين المهتمين باللّغة العربيّة وتطوّرها، ونحن نحتاج إلى توسيع مدارك المعلومات كلّ يوم تباعًا للمستجدّات العالميّة الرّقميّة التي تعتمد التّقنية في إعداد الأبحاث.

ونظرًا إلى تضخّم المواقع الرّقميّة المسعفة للباحث، وما تبثّه يوميًّا كمقترح جديد للإضافة أو للتّجربة قد ولّد حاجة ملحّة لاكتشاف هذا العالم.

ولأنّ الذّكاء الاصطناعيّ دخل في الحياة الإنسانيّة بشكل لافت، ومنها توظيف أدواته الحديثة في عمل بحثيّ لغويّ، انطلاقًا ممّا سبق اخترنا القيام بهذا البحث.

الأهداف

- نشأة الذّكاء الاصطناعيّ.
- توجيه البحث اللّغويّ إلى الذّكاء الاصطناعيّ.
- أدوات الذّكاء الاصطناعيّ المقترحة في إعداد البحث العلميّ في اللّغة العربيّة.
- مدى استفادة الباحث اللّغويّ من هذه الأدوات.

الفرضيّة

قد يحققّ البحث اللّغويّ مبتغاه من هذه التّطبيقات، ويضفي ميزة جديدة على مكتبتنا العربيّة، وقد يغيّر مجرى تفكير الباحث اللّغويّ في كتابة بحثه وتحليله للمعلومة ضمن أساليب حديثة متطوّرة.

منهج الدراسة

اخترنا المنهج التّحليليّ القائم على وصف الظّاهرة و نشأتها، وأسباب ظهورها، ودراستها بشكل دقيق، والخروج بنتائج مفيدة تصبّ في مدى الإفادة من هذه الأدوات، والبرامج الإلكترونيّة في إعداد الأبحاث العلميّة مستقبلًا.

1 - نشأة الذّكاء الاصطناعيّ وماهيّته

مرّ المجتمع بعدّة ثورات صناعيّة، أوّلها اكتشاف «المحرّك البخاري»، وثانيها كانت انطلاقتها في القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأهمّ اكتشاف فيها «الكهرباء»، أمّا الثّالثة ظهرت مع تطوّر الحواسيب الرّقميّة والإنترنت وصولًا إلى الذّكاء الاصطناعيّ، وتطبيقاته بالإضافة إلى انتشار التّواصل الاجتماعيّ والاندماج في العالم الرّقميّ[1]. لكن

---

(1) الذّكاء الاصطناعيّ ، مركز البحوث والمعلومات ،رؤية ، المملكة العربية السعودية،2021.
https://www.abhacci.org.

ثمّة دراسات تحدّد نشأة هذا العلم الفذّ الذي حقّق الرّقم القياسيّ في استخدامه، والاعتماد عليه في الحياة الإنسانيّة على اختلاف مجالاتها.

أمّا عن انطلاقة الذّكاء الاصطناعيّ وامتداده السّريع في مجالات علميّة مختلفة، فيُقال إنّ نشأته تعود لما قدّمه «آلان تورنغ»[1]عندما فكّ شفرة آلة إنجما، ومن ثمّ بروز حاسوب يطوّر نظريّة الأوتوماتا[2]، ومن هنا برز مصطلح الذّكاء الاصناعيّ. ومن جهة أخرى قد يتميّز بإمكانات تؤهله لمحاكاة العقل البشريّ أو تصرفاته، وهو أداة تجمع بين التّقنية والمهام الإنسانيّ[3].

كما تشيرُ بعض الدّراسات «أنّ الذّكاء الاصطناعيّ ظهر في الخمسينيات، وتمّ تداول هذا المصطلح أو استخدامه في مؤتمر «جامعة دار تموث في هانوفر في الولايات المتحدة الأميركيّة عام 1956». ويُعدّ John McCarthy[4] جون مكارثي أوّل من وضع مصطلح الذّكاء الاصطناعيّ، وقد عرّفه بعلم وهندسة صناعة الآلات الذّكيّة». [5]وبعد ذلك أخذ الباحثون المبادرة في نشره، وقد بلغ عدد المناشيرالمتعلقة به 1.6 مليون»[6]، ولكن يعدّ هذا الأمر رغم ميزته عرضة للنّهضة والرّكود بين الآونة والأخرى، وما ساعده على التّطوّر هو مثابرة علماء التّكنلوجيا على تكثيف أبحاثهم بهذا الشّأن، ومحاولتهم تجميع بيانات كثيرة متعدّدة المجالات،وهذه الأخيرة ساهمت في امتداد عمله[7]. ومن جهة أخرى فإنّ نشأة هذا العلم قد بدأت مع «شانون Shannon» [8] وكان ذلك في العام 1950»، حين استحدث لعبة الشطرنج، وكان دور هذه المرحلة هو حلّ مشاكل الألعاب

(1) آلان ماتيسون تورنغ Alen Matson Toring (23حزيران 7-1912حزيران 1954): عالم في الرياضيات والحاسوب وفيلسوف وعالم أحياء رياضيّ.

(2) عمل الأعضاء والخلايا على نحو ميكانيكي كخفقان القلب ونحوه ، أو أداء عمل ما من غير سيطرة واعية كما في الأفعال المنعكسة واللاإراديّة (البعلبكي ، منير : موسوعة المورد العربيّة . دار العلم للملايين ، بيروت ، المجلد الأوّل ،القسم الأوّل ، ط1 ، 1990)

(3) https://jpsa.journals.ekb.eg/article_269199.html

(4) جُونْ مَكَارْثِي John McCarthy (4 سبتمبر 1927 – 23 أكتوبر 2011) هو عالم أمريكي في مجال الحاسوب حصل عام 1971 على جائزة تيورنغ لمساهماته الكبيرة في علم الذّكاء الاصطناعيّ حيث يعود له الفضل في اختيار لفظ الذّكاء الاصطناعيّ وإطلاقه على هذا العلم.(ويكيبيديا).

(5) آل القاسم ، فهد: الذّكاء الاصطناعيّ . موقع ماي ايدرز .أنفو ، وللمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على الموقع الآتي : www.myreaders.info

(6) المرجع السّابق نفسه

(7) لمحة تاريخيّة عن الذّكاء الاصطناعيّ واربط المقال :
https://www.wipo.int/tech_trends/ar/artificial_intelligence/story.html

(8) كلود إيلود شانون Claude Elwood Shannon (30أبريل 24-1916 فبراير 2001) :عالم أمريكي في مادة الرياضيّات وقد أسس نظريّة المعلومات وقد ساهم في علم التعيمية والإلكترونيكة .(ويكيبيديا)

وكشف ألغازها بواسطة الحاسوب، وفي السّتينيات جاء العالم مارفن مانيسكي Marfen Menisci الذي[1] وضع إطارات خاصّة لتمثيل المعلومات، ونجراد Negrad فعّل نظامًا لفهم الجمل الإنجليزيّة مثل القصص والمحادثات، كذلك قام العالمان ونستونWinston وبراون بتلخيص كلّ ماتمّ تطويره في معهد Masichostech للتكنولوجيا، وهذه الأخيرة تحتوي على الأبحاث التي تعالج اللّغات الطبيعيّة، والإنسان الآليّ، والمعالجة الشكليّة أو الرمزيّة»، كما ظهرت المرحلة الثّالثة في منتصف التّسعينيات التي تميّزت بظهور التّقنيات المختلفة التي تعالج كثيرًا من التّطبيقات التي أدّت إلى انتقال جزء كبير من الذّكاء الإنسانيّ إلى برامج الحاسبات ،وله عدّة ميادين[2].

وفي مقال انتشر مؤخّرًا يشير أنّ شركة « أوبن إيه آي open. Ai»[3] التي اخترعت «شات جي بي تيchatgpt »[4] أنّه لا يشكّل خطرًا على البشريّة وخاصّة في سوق العمل، كما جاء قول «ألتمان Altman»[5] مستطردًا تارّة يعدّه مدمّرًا للبشريّة، وطورًا يعدّه وسيلة للبحث عن أفكار جديدة»[6].

وقد ظهرت شركة (openAI) العام 2015، وهو الآن موقع إلكترونيّ لترجمة النّصوص، وقد اختار هذا الاسم «إيلون ماسك «، وقد دخل الذّكاء الاصطناعيّ قطاع التّعليم، فنتج عن ذلك أنواعًا ومكوّنات مساعدة في إلحاق التّعليم بعالم التّكنولوجيا.

وفي دراسة أخرى للذّكاء الاصطناعيّ ذُكرت عدّة مكوّنات أهمّها: الرّوبوتات وهو مقسّم إلى التّسلّق والتّشغيل والحركة والانتقال والاستشعار، والرّؤية الحاسوبيّة مقسّمة إلى التّعرّف على الأشياء وتحليل الحركة واستعادة دقّة الصّور، وإعادة بناء المشاهد، والفرع الثّالث معالجة اللّغة الطبيعيّة ينقسم إلى النّصيّة والكلاميّة.

---

(1) مارفن مينسكي Marfen Menisci (9أغسطس 24-1927 يناير2016): عالم مختصّ بالعلوم الإدراكيّة المعرفيّة في مجال الذّكاء الاصطناعيّ. (ويكيبيديا).

(2) كاظم ، أحمد : الذّكاء الاصناعي .كلية تكنولوجيا المعلومات ، 2012 وللمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على الرابط الآتي :
https://books-library.net/files/download-pdf-ebooks.org-ku-11098.pdf

(3) Open.Ai:هي شركة تكنولوجيّة تأسست بهدف تطوير AI ويعتبر نموذج للتعلّم العميق ويمكنه إنتاج نصوص ومحتوى مكتوب بشكل طبيعيّ.

(4) : Chatgpt هو نموذج تعلّم آليّ تمّ تطويره بواسطة chatgpt generative باستخدام تقنيّة open .Ai

(5) سام ألتمان Sam Altman هو الرئيس التنفيذيّ لشركة OpenAi التي أنشأت ChatGpT (ويكيبيديا)

(6) عباس ، نورهان :مؤسس «شات جي بي تي « : التطبيق لا يدمّر ملايين الوظائف حول العالم .مجلة اليوم ، 2023 .ورابط المقال :
https://www.alyaum.com/articles

ومن ثمّ أتمتة التّخطيط والجدولة مقسّم إلى أتمتة التّخطيط وأتمتة الجدولة، والتّحسين مقسّم إلى الخوارزميّات التّطويوريّة والجينيّة والتّطور التّفاضليّ وتحسين سرب الجسيمات، والأنظمة المبنية على المعرفة الأنظمة المختصّة، والعوامل الذكيّة، والأنظمة المثلّة، وإدراك الحالات أما مكونات الذّكاء من النّاحية التّعليميّة: التّعليم والتّخطيط والتّواصل والأفعال والتّصوّر كما أنّ أنواع الذكاء: الذّكاء الاصطناعيّ الفائق، والذّكاء الاصطناعيّ العام والضيّق، وتعليم الآلة مقسّمة إلى التّعلّم تحت إشراف، التّعلّم من دون إشراف، التّعلّم المعزّز والتّعلّم العميق[1].

- ماهيّة الذّكاء الاصطناعيّ

بعد قراءات معمّقة في هذا المضمار، يمكن تلخيص ماهية الذّكاء الاصطناعيّ بأنّه عمل حاسوبيّ آليّ مبرمج يحاكي التّفكيرالإنسانيّ وطبيعته وذكائه، واليوم أصبح حاضرًا في كلّ ميادين الحياة الإنسانيّة وجزءًا منها. [2]

وفي مصادر أخرى يعرّف الذّكاء الاصطناعيّ أنّه ينتمي لعلم الحاسوب، ومن صنيع التّكنولوجيا حاليًّا، وأنّه قادر على محاكاة السّلوك البشريّ، وينفذ كلّ رغباته، ويفهم طبيعته ،وقد يحتمل تعريفًا آخر: «هو مجموعة من الأساليب المستخدمة في برمجة الحواسيب، والمطوّرة لأنظمة تحاكي طبيعة البشر في كلّ تصرفاتهم وتفكيرهم عدا عن ذلك استخلاص قوانين يمكن حفظها في ملفّ خاصّ داخل الحاسوب.»[3]

كما يعرّف بأنّه مجموعة التّقنيّات والأنظمة التي تهدف إلى جعل الأجهزة والبرمجيّات قادرة على محاكاة بعض من قدرات البشر في الفهم والتّفكير يتضمن ذلك معالجة اللّغة الطبيعيّة وتعلّم الآلة. والرّؤية الحاسوبيّة، وتقديم حلول للمشكلات، واتّخاذ قرارات،

---

(1) الذّكاء الاصطناعيّ ، مركز البحوث والمعلومات ،رؤية ، المملكة العربية السعودية ،2021 للمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على الرابط الآتي:
Regona, Massimo & Yigitcanlar, Tan & Xia, Bo & Li, R.Y.M. (2022). Opportunities and adoption challenges of AI in the construction
industry: A PRISMA review. Journal of Open Innovation Technology Market and Complex-ity, 8(45).
https://doi.org/10.3390/joitmc8010045

(2) https://www.abhacci.org.pdf

(3) الغامدي ، بدر : دور الذّكاء الاصطناعيّ في فحص نسبة الاستلال . موقع دراسة ،الرياض، 2023
https://drasah.com/Description.aspx?id=7453

والتّعرف على أنماط، والتّفاعل مع البيئة المحيطة.[1]

ويُقال عنه أيضًا: «إنّ تطوير الأنظمة المعلوماتيّة، والأدوات الرّقميّة التي من شأنها أن تتمّم مهام الحاسوب التي ترتكز في عملها على الذّكاء الإنسانيّ من أجل الحصول على صياغة منطقيّة في البحث، وإعطاء النتائج.»[2]

ومن التّعاريف الأكثر اندماجًا مع هذا العلم: «علم ذكيّ يهدف إلى جعل الحاسوب الآليّ ينفّذ أنشطة إنسانيّة أيّ يقوم بها الإنسان حاليًّا».[3]

2- توجيه البحث العلميّ إلى الذّكاء الاصطناعيّ

يتوجّه العالم اليوم إلى غزو رقميّ ضخم دخل الحياة الإنسانيّة ،وساهم في تحريك وتيرة السّلوك البشريّ من التّفكير الفرديّ في مركز العمل إلى التّفكير الآليّ بمساعدة أدوات الذّكاء الاصطناعيّ التي ساهمت بكلّ جهوزيتها في تفعيل بثّ رقميّ بواسطة أذهان البشر. كما ساهم خبراء مواقع التّواصل في ابتكار هذه الأدوات المفيدة ممّا زاد فضول الإنسان الطامح لاكتشاف خفايا هذه القدرة التّكنولوجيّة العالية الجودة ،وتقدير فعاليتها في تسهيل عمله ،فغاص نحو المجهول، يجرّب ،ويكتشف حتّى حظيَ بتنميّة على الصَّعيد الفرديّ يمكن اكتسابها من هذه الآليّات الدّاعمة والمواكبة للثّورة الرّقميّة الحاليّة . ممّا حسّنَ مهارات الفرد اللّغويّة لوجود أدوات معدّة للتّعليم ،وعدّل مسار الباحث في النّطق والكتابة، ثمّ وطّد علاقاته بالآخرين من خلال التّواصل معهم بالإضافة إلى تمكينه في الحديث ،وعرض أفكاره بلغة سليمة واضحة كذلك ساهم في تقدّم مهارته العقليّة أيّ ما يتعلّق بمجال تعليم الفرد، وهذا الأخير يحتاج إلى وسائل مفيدة في تنمية الذَّاكرة ،وتحسين مستوى التَّركيز والانتباه ، ومحاولة ربط المناهج التَّعليميّة ببرامج وتطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ ،وذلكَ باستخدام برامج متطوّرة في التّعليم ،تحدّد مستوى المتعلّم وتدعمه إن اقتضى الأمر، ومن شأنّها أيضًا أن تُقدّم وسائلَ توضيحيّة تحفّز المتلقي ،وتحلّل تفاعله مع المواد المعدّة لتنميّة مستواه الدِّراسيّ، واندماجه في الدَّرس، وتصحّح الأخطاء اللّغويّة ، أمّا المجال الرّياضيّ فيساعد في حلّ المسائل الرِّياضيّة

(1) التعريف عن طريق شات جي بي تي .

(2) OECD & AIM preparing for the future and attitudes and values. 8th informal working group (IWG) meeting 29-31 october 2018, OECD Conference center, Paris France, JI 03438116., p 3-12. & No. 24.

(3) آل القاسم ، فهد : **الذّكاء الاصطناعيّ** .المرجع السّابق .

،وتحليل البيانات المتعلّقة بها .[1]

ومن مجالات هذا العالم الافتراضي الذّكيّ : الرّوبوت الآليّ الذي يُحاكي السّلوك الإنسانيّ في القول والعمل، أو طائرة دون طيّار أو التّطبيقات الحاسوبيّة في التّشخيص الطبيّ ، والتّطبيقات المتعلّقة بتعليم اللّغات أو الألعاب الإلكترونيّة أو البرامج المتعلّقة بنظام الهاتف الخلويّ .[2]

3- أدوات الذّكاء الاصطناعيّ المقترحة في إعداد البحث العلميّ في اللّغة العربيّة

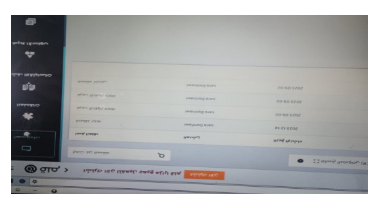
نظرًا لاكتساح الذّكاء الاصطناعيّ المعروف (artificial intelligent(Ai العالم في الآونة الأخيرة وامتداد أنظمته الحاسوبيّة إلى صلب العقل البشريّ وسلوكياته ،وبات بحوزته أدوات خاصّة لكلّ عمل إنسانيّ سواء في الزّراعة أو الصّناعة أو الخدمات أو المعلوماتيّة التّطبيقيّة والهندسة والطب وغيرها من المجالات . واليوم اتّخذ الباحثون من هذا العلم وسيلة ممتعة لاتمام عملهم بنجاح ،وبإنتاجية عالية في أقلّ وقت ممكن .وفي هذا المضمار وجدنا أدوات مميّزة تتوفّر فيها أغلب المجالات البحثيّة التي يطلبها الباحث، ومن بينها المواضيع المتعلّقة باللّغة العربيّة .

ونذكر أهمّها :

أ – **مُساعد الكتابة الذّكي «قلم»** (إصدار 2023) :صدر حديثًا وهو متخصّص في تقنيات وتطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ وعلم البيانات للّغة العربيّة .

- **التوصيف** :يتضمّن أقسام عدّة أولّها :

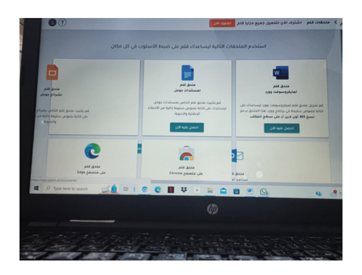
– **المستندات** هي الملفّات الكتابيّة المحمّلة من قبل المستخدم ويتمّ تحميل الملفّ للتّدقيق.



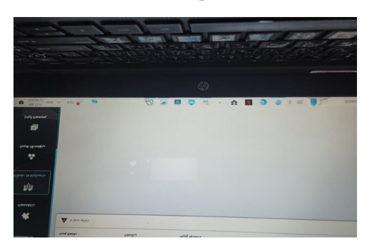
(1) مخزوم، فيولا:الذّكاء الاصطناعيّ والإنسان: الاختلافات والتكامل .للمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على الرابط الآتي: https://www.almayadeen.

(2) الذّكاء الاصطناعيّ، المرجع السابق.

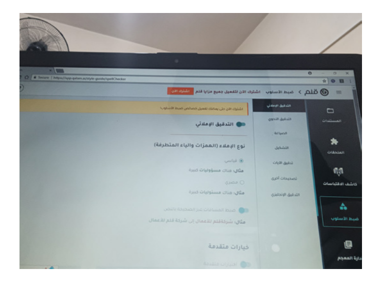
-**الملحقات** هي البرامج التي يعتمد عليها في العمل مثل word ومستندات Google والشّرائح ومتصفّح كروم chrome و Edgeو safari و word press و SDK\API .



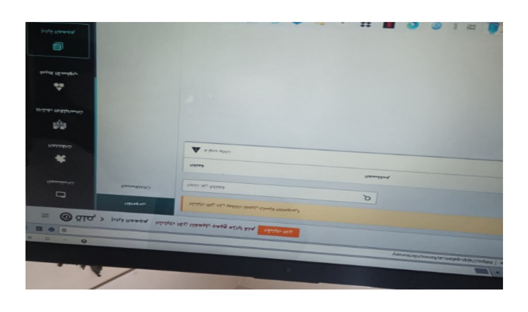
كاشف الاقتباسات : يطّلع على الملف المكتوب ،ويعطي نتيجة الاقتباس والإجراءات الواجب الأخذ بها من أجل تجنّب الاقتباس.



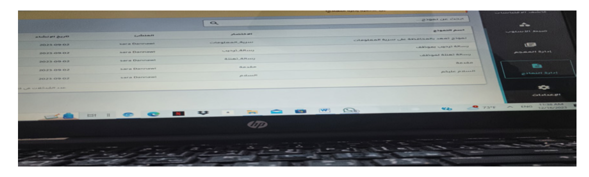
-**ضبط الأسلوب** : يدخل في التّدقيق الإملائيّ والنّحويّ وصياغة النّص السّليمة من الأخطاء المذكورة آنفًا، والتّشكيل،وتدقيق الآيات القرآنية مع فهرسة لها ، وتصحيحات أخرى كعلامات التّرقيم وضبط المسافات الزّائدة في النّص ، بالإضافة إلى التّدقيق باللّغة الإنكليزيّة.



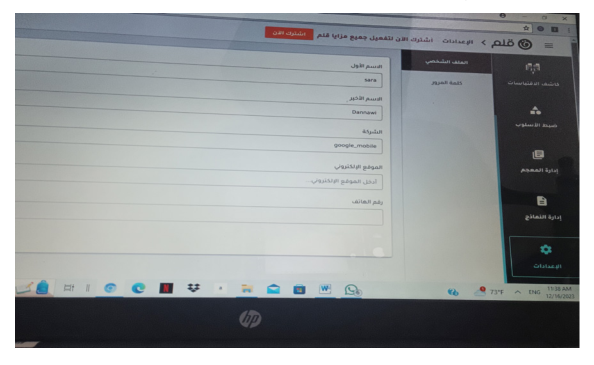
-**إدارة المعجم:** أي البحث عن الكلمة المستخدمة ،والتّأكد من دلالتها ،وإمكانيّة استعمالها في السّياق.



إدارة النماذج: أي أنّ الملفّات المحمّلة من قبل قلم في سريّة تامّة مع تنظيمها بملفٍّ خاص يحمل عنوانات عدّة اسم المُنشئ، والنّموذج، والإجراءات، وتاريخ الإنشاء .



-**الإعدادات** : تسجيل معلوماتك الشّخصيّة .



أهميّة البحث في محور البحث «قلم»:

- يساعد محور البحث قلم في ضبط البحث العلميّ أو الملف المرفق من خلال نظام اللّغة العربيّة المتعارف عليه نحوًا وإعرابًا وإملاء، ومن النّاحية التقنيّة يُحفظ الملفّ بصيغة رقميّة مثبتة بالعنوان، وتاريخ الإنشاء .
- آليّة دقيقة في تصويب الأخطاء وتعديلها .
- يقدّم منهجيّة في كتابة البحث اللّغوي .
- يحفظ معلومات الباحث الشّخصيّة .

ب–Litmaps.com (إصدار 2015)

يعدّ تطبيق Litmaps

من الأدوات الذّكيّة منذ فترات طويلة ،ولكنّ الإنسان مجبول على التّجارب ،والبحث ليحصل على النّتيجة السّليمة في اكتشاف يستحق العمل عليه في المستقبل، ومن هنا تقدّم بخطوات تجريبيّة في العام 2018، واحتوت على الأوراق البحثيّة المتعلّقة بالأدب، وحصرها في خريطة واحدة .

وتمّ وضع خوارزميات رقميّة من شأنها تجميع المقالات ممّا يساعد الباحث على اكتشافها وتصفحّها .[1]

ولأنّ فكرة التّطبيق مبنيّة على إنشاء خريطة متفرّعة للموضوع المطروح، لذا تمّ ابتكار أدوات تحلّل الاقتباسات، وتفعّلها في نظام البيانات الخاص بها، والعمل على بناء أدوات قادرة على التّصور الشَّخصيّ وذلك من خلال مقالات مصغّرة مساعدة. ولانّه قاعدة رئيسة للبحث ،اتّخذ تدابير بأن يدخل المستخدم عبر الموقع : «إنشاء ساحة عمل» ، وصناعة خريطة ، وإضافة مقالات» .[2]

ويمكن تعريفه على أنّه خريطة تصنّف كلّ الأوراق البحثيّة المنوطة بالأدب واللّغة أو المقالات كما يقدّم المراجع المساعدة للباحث وفق المجال الذي اختاره، وكلّ ما يتعلّق به، ويمكن أن يستحضر كلّ الأبحاث والمقالات التي تناولت الموضوع أو مايسمى بالدّراسات السّابقة، كما تساعد في رسم صورة توضيحيّة للموضوع. وفي هذا الموقع أيقونات عدّة تتولى هذه المهمّات :

– **Seed (البذرة أو الفكرة):** الدّراسات السّابقة والدّراسات المتعلّقة بالموضوع، ويقدم للباحث ثلاث طرق :

–مرجع مكتوب يمكن رفعه والاستناد إليه أو صورة عن الملف .

– **Discover(يكتشف):** حفظ كلّ حركات البحث عن المقال .

– **Map (خريطة):** يرسم تصوّرًا واضحًا لموضوع الباحث كالخريطة الذّهنيّة .

(1) https://www.litmaps.com/spotlight-articles/litmaps-2023-redesign

(2) المرجع السابق نفسه

-your Library (المكتبة): صناعة مكتبة داخل الموقع ويمكن أن يضمّ الباحث فيها كلّ المراجع التي يريدها.

-Recent Activity (النشاط الأخير): آخر نشاط أو مقال كتبه الباحث

وإذا أجرينا محاولة في هذا التطبيق فقد ندخل عنوانًا أو فكرة البحث سنجد مجموعة من الأبحاث المماثلة أو القريبة منه يمكن أن نتخذها مرجعًا مهمًا في مشروعنا البحثيّ، بالإضافة إلى الدّقة في تاريخ النّشر، وعدد مشاهداتها،ومدى الاستفادة منها، وهذه الأخيرة تحتلّ المركز الأوّل في التّرتيب ضمن المقالات التي يستخرجها بشكل منظَّم .

ولأنّ المعلومة المطلوبة في البحث العلميّ موثّقة فلا ريب في طرح سؤال أو الدّخول إلى الأيقونة المسؤولة عن المصدر الذي أخذت منها . وبالتّالي تُضمّ المقالات التي تمّ التّأكد من مصدرها

وأهميتها إلى المكتبة الإلكترونيّة .[1]

أهميته :

-له فائدة هامّة للباحثين العرب والمهتمين باللّغة العربيّة ، كما يعمل على ضبط وتنظيم المصادر المتعلّقة ببحث اللّغة العربيّة، كما يوفّر ميزة تحميل أيّ مقال أو كتاب أو ورقة بحثيّة على ملف المستخدم الشّخصيّ .

- يسمح للباحث بتصفّح الكتب المتنوّعة ، ويعرّفه على أهمّ المكتبات الضَّخمة في العالم، وما يتوفّر فيها من كتب مرجعيّة له .

-يطلع الباحث على قائمة بأسماء الكتب الأكثر استخدامًا ،وقد يجد بينهم ما يلبّي حاجته العلميّة .

-يشارك الموقع الدّراسات السّابقة وبخاصّة التّقييمات والملاحظات في الكتب أو الأبحاث المعمولة سابقًا .

-البحث عن معلومات تاريخيّة نقديّة متعلّقة بالكتب المفضّلة للباحث .

-يعرّف الباحث على القرّاء والمهتمين بمطالعة الكتب ،ويسمح للباحث بالانضمام

---

(1) https://www.litmaps.com/

إليهم ،وتبادل الأفكار والآراء حول المحتوى المقروء .

ج- ResearchRabbit.ai [1] :

هي أداة مفيدة توجّه الباحثون والكتّاب وطلاب الدّراسات العليا ،وكلّ من يهتمّ بالبحث العلميّ .

-كيفيّة الاستخدام :

-إنشاء ملفات (New collection) : يضغط المستخدم على هذه الأيقونة فتظهر له خانة فارغة ليكتب عليها اسم أو عنوان المقال الذي يريده ،فيضغط على العنوان الذي سجّله .

-يضغط على إضافة ورقة (Add paper+) وبدوّن العنوان المطلوب .

-تظهرالمقالات المرتبطة بشكل مباشر بالموضوع .

-يقدّم الأوراق البحثيّة مثبتة بتاريخ النّشر ،واسم المجلّة .

-يختار المستخدم الورقة الأنسب لموضوعه ،ويمكن أن يطلع عليها أو أن يطلب أوراقًا أخرى شبيهة بها لإثراء بحثه .

-الضغط على خانة Samiliar work : ترسم شبكة كبيرة من الأيقونات البحثيّة وبإمكان الباحث اختيار واحدة وفق تاريخ النّشر .

أهمّيته :

-السّرعة في إتمام المهمَّة ، وتجهيز الباحث بالمقالات العلميّة المرتبطة بموضوعه .

-ينظّم ويصنّف المقالات والمراجع ،ويبرزها للمستخدم بسهولة .

-يوفّر المراجع بشكل أسرع .

هـ-[2] typest.io :

هي قاعدة بيانات كبيرة ، يبحث عن الموضوع المطلوب، ويحاول دعم الباحث بأغلب

---

(1) https://www.researchrabbit.ai/
(2) https://typeset.io/search?q=what+is+a+chat+Gpt&has_pdf=true

المقالات التي تتعلّق بموضوع البحث .

يوفّر مقترحات لأشكال البحث ،كما يحدّد عدد الأبحاث المتاحة للمستخدم مشاهدتها أو الاطلاع عليها، وإذا أراد المستخدم تحديد التوقيت الذي يريده على الشّكل الآتي مثلًا (من سنة 2020إلى 2023) .

– **طريقة الاستفادة من المقال :** يوفّر هذا الموقع اختيارات أمام الباحث تسهّل عمله سواء أراد تلخيص جزءًا من المقال المُختار أو يطلب النتائج مباشرة، أو الأبحاث المستقبليّة أو الخلاصة من البحث .كما يوفّر التّرجمة بلغات متعدّدة وهذا مؤشر إيجابيّ للعرب والأجانب ،ومن ثمّ يحفّظ المقال بملفٍّ خاصّ.

– **المراجع :** يوفّر المراجع التي استند إليها الكاتب سواء أكانت متاحة للمشاهدة أم غير متاحة

ويذكر عدد المستفيدين من البحث .

– **توثيق البحث :**

ApA–MLA–RIS–Chicago–Harvard–Vancouver–Bibtex–EndNot

–**إعادة الصياغة:** يُعيد الصّياغة لأيّ مقطع يظلّله الباحث. وفق عدد الكلمات المطلوبة واللّغة المختارة .

– **سلامة المقال :** يمكن التّأكد من صحّة المقال إذا كان من صنع الذّكاء الاصطناعيّ أم من الذّكاء الإنسانيّ العاديّ .

– **حفظ المقال :** يسهّل الموقع تحفيظ المقال في ملف خاصّ .

و– **chatopen.ai.com** [1]: هو من أدوات الذّكاء الاصطناعيّ المبتكر من أجل دعم الباحثين في مقالهم أو تساؤلهم في أي فكرة يطرحونها، ويمكن طرح السّؤال باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة، وقد يجيب باللّغة الإنكليزيّة إذا لم تكن اللّغة العربيّة متوافرة .

وهو موقع مخصّص لطرح الأسئلة المرتبطة بموضوع البحث ، كما يدعم الباحث بمقالات نُشرت في سنوات محدّدة، ويُظهر عدد المشاهدات، واسم المجلّة التي نُشرفيها

---

(1)https://chat.openai.com/auth/login

البحث ،وتكون محفّظة بصيغة Pdf

كما يحدّد المقال الذي يريده المستخدم بإشارة النّجمة (ستار) ،ويمكن أن يطلب زيادة عدد البحوث في ذات الموضوع المطلوب بصيغة Pdf ، ولكلّ بحث ملخّص .كما يستخرج العيّنة من كلّ بحث إن أُثبتت ووُجدت ويُعطي النّسبة بالأرقام .

استبيان لمعرفة مدى استفادة الباحث اللّغويّ من هذه الأدوات

أجرينا استبيانًا للتّأكد من مدى استفادة الباحث من هذه الأدوات في إعداد البحث العلميّ في اللّغة العربيّة ،والتّحديات التي واجهته ، فحصلنا على النتائج الآتية :

1-هل استخدمت أدوات الذّكاء الاصطناعيّ

(litmpas.com-ChatopenAI-typest.io –ResarchRabbit.Ai-)

في إعداد البحث العلميّ ؟

- نعم
- لا
- خيارات أخرى

2- اذكر مدى الإفادة منها . (رأي شخصيّ)

3 -مالتّحديات التي واجهتك ؟ (رأي شخصيّ)

النتائج : 1- نعم **10%** - لا **40%** خيارات أخرى Chatgpt-Arab.Ai **50%**

2- **الفائدة المحققة من هذه الأدوات**

- تُقدّم نماذجًا بحثيّةً مختلفة تساهم في توضيح فكرة البحث

-إطلاع الباحث على أساليب وطرق البحث العلميّ بدراية واهتمام كبيرين.

-إثبات تاريخ النّشر، والمجلّة المحكّمة ،وعدد المشاهدين للبحث .

-تُساهم في مضاعفة إنتاجيّة الباحث العربيّ بأقل وقت ممكن.

-تثري مشروع البحث ،وتدعمه بالشّواهد .

-توسّع مدارك البحث، وتفكير الباحث العلميّ .

-إطلاع الباحث على مشاريع بحثيّة مماثلة نُشرت في مجلات عالمية .

-يلجأ الباحث إلى ترجمة الأبحاث من الأجنبية للعربيّة إن كان يريد بعض المعلومات المفيدة للبحث.

-إتقان الباحث لهذه الأدوات لأنّها مساعد ذكي في توجيهه ودعمه علميًا .

-التّعرّف على سلسلة معروفة من المجلّات المحكّمة والاختصاصات التي تمنحها فرصة النّشر .

-يسأل الباحث الموقع الذي اختاره عن مدى فعاليّة الأبحاث التي يقدّمها بالنّسبة للعنوان الذي طرحه .

3-التّحديات التي تواجه الباحث في أثناء استخدامه لهذه التقنيّات

- عدم امتلاكه مهارة العمل على الأدوات الرّقميّة .
- ضعف الإنترنت
- يلزمه اشتراك بمبلغ ماليّ كلّ شهر أو فترة محدّدة
- قد لا تعمل هذه التقنيّة في البلدان العربيّة إلّا في شروط معيّنة
- قد لا يجد المستخدم كلّ مايريده في الأوراق البحثيّة .

التّوصيات

-تخفيض نسبة الاقتباس لأنّه يقلّل من شأن البحث.

-عدم الاعتماد الكلّي على أدوات الذّكاء الاصطناعيّ .

-الكتابة بأسلوب علميّ بعيد عن التّكلّف والتّصنّع .

-تفادي النّقل الحرفيّ من المصادر والمراجع .

-تقويم البحث عبر أدوات الذّكاء الاصطناعيّ .

–قد لا تعمل الأداة المختارة إلا في بلدان محدّدة ، وقد تكون غير مجانيّة ، لذا يجمع الباحث المصادر والمراجع سواء أكانت ورقيًّا أو إلكترونيًّا ويتقيّد بمعايير الكتابة العلميّة الصّحيحة لأنّ تطبيقات الكشف عن نسبة الاقتباس من المراجع المأخوذ منها أو أدوات الذّكاء الاصطناعيّ الكاشفة باتت حاضرة في الجامعات، وإن لم تكن جميعها فمستقبل الجيل الحاليّ والمستقبليّ في استخدام هذه المواقع والأدوات.

–يمكن الاستفادة من تطّور أدوات الذّكاء الاصطناعيّ في البحث العلميّ إلى حدّ ما دون القضاء على تقنيّة الكتابة العلميّة، وأسلوب الباحث، وثقافته في النّقد والتّحليل.

الخاتمة

لكلّ زمن أدواته وإنجازاته ،فمن يتعمّق في الماضي التّليد ،يجدُ أنَّ الحبرَ وورق البرديّ هما السّلاحان الوحيدان للتَّدوين، ومن ثمّ نشأة الآلة الكاتبة،وبعد ذلك الطابعة الورقيّة ،والتي لازال يستعين بها الباحثون في سحب كتبهم ومؤلفاتهم وإصدارها للقرّاء ،وهذه العادة أغنت المكتبة العربيّة بالفكر الإنسانيّ الرّاقي، والذي أتاح لكلّ المهتمّين التَّعرّف على اللّغة وعلومها ومفكّريها، وكلّ مسألة تُكتب في مضمارها ،ولا يتوقف الأمر على الكتابة بل البحث عن المعلومة المكتوبة ،وأصل وجودها كان السّفر والاغتراب لشراء الكتب ،وحضور المؤتمرات يحتاج عناء في المسافات ، لكنّ اليوم تقدّم الفكر وقد خاض الدّارسون والعلماء تجاربًا ضخمة في الاتّجاه الرّقميّ حتّى ابتكروا أدوات ذكيّة اصطناعيّة صالحة لأغلب متطلّبات البشر، ولايزال صنّاع البرمجيّات الإلكترونيّة مواظبين على الابتكار لكلّ مايطرأ على الإنسانيّة من حاجات ملموسة في البحث والتّحليل والحوار والكتابة وإنشاء الصّور المتحرّكة مع الأصوات المناسبة ،وما سعينا إليه هو ذكر أهمّ التّطبيقات المُساعدة في عرض الأوراق البحثيّة باللّغة العربيّة وفق الطلب، ولكن الأكثر ملائمة لنظام اللّغة العربيّة ومسائله هو مساعد الكتابة الذّكيّ «القلم» و Litmaps.com . وانطلاقًا ممّا جاء سابقًا نستخلص أنّ اللّغة العربيّة جزء من هذا التّطور الإلكترونيّ ،وأنّ أجهزة وتقنيات الذّكاء الاصطناعيّ كانت أكثر حرصًا في إعداد شامل لأغلب حاجيات ومتطلّبات المستخدم مهما كانت هُويّته ولغته ،وقد حصّلت العربيّة حيّزًا مناسبًا في ميدان البحث العلميّ .

مواقف القوى والأحزاب اللّبنانيّة

من إعلان دولة الكيان الصّهيونيّ والحرب العربيّة «الإسرائيليّة» العام 1948

The positions of the Lebanese forces and parties

From the declaration of the Zionist entity state and the Arab-"Israeli" war in 1948

Nabil Abdullah Noureddine

نبيل عبدالله نور الدّين [1]

المقدمة

كان للنّاحية الإنسانيّة في القضية الفلسطينيّة الأثر الأبرز في ردود أفعال القوى اللّبنانيّة، فقد شكّل التّعاطف القوّة المحرّكة، لذلك كنا نرى في بداية النّكبة إجماعًا شبه كامل لم يشذّ عنه إلا القلّة القليلة، وهذا الإجماع الدّاخليّ ارتبط بشكل كبير مع الإجماع العربيّ الذي عدّ القضية الفلسطينيّة قضية مقدسة، لذلك قام بإصدار المراسيم والقرارات ذات الصّلة، ومن أجلها جيّش الجيوش لتحريرها.

ولم يخلُ الواقع الدّاخليّ اللّبنانيّ من بعض العاملين وفقًا لأهوائهم السّياسيّة التي كانت تتعارض مع المصلحة الوطنيّة، فكنا نرى أحزابًا تعارض مقاطعة البضائع الصّهيونيّة، بل كانت تعمل على مخالفة القوانين التي تمنع استيراد وتوريد البضائع إلى الصّهاينة في فلسطين، وأكثر من ذلك فقد قامت حركة تهريب اليهود من لبنان إلى فلسطين قبل قيام الكيان الإسرائيليّ على أكتاف عملاء لبنانيين مع الشّبكات اليهوديّة.

على الرّغم من كل ذلك بقيت مواقف العديد من الشّخصيّات الرّسميّة والصّحفيّة والشّعبيّة والأحزاب مشرفة ودافعت بكل ما أوتيت من قوة في سبيل رفع الضيم عن الشّعب الفلسطيني الذي لاقى ما لاقاه من الويلات والمآسي.

---

(1) طالب دكتوراه في جامعة بيروت العربية

Email: noureddinenabil@yahoo.com- Doctoral student at Beirut Arab University.

المواقف من إعلان دولة الكيان الصّهيونيّ

على إثر إعلان قرار تقسيم فلسطين العام 1947، أصدر المكتب السّياسيّ للحزب الشّيوعيّ اللّبنانيّ بيانًا شجب فيه قرار التّقسيم ودعا إلى تضامن الشّعوب العربيّة مع فلسطين وإلى اليقظة والحذر لإفشال المؤامرات الأجنبيّة الموجهة لتنفيذ التّقسيم وتفريق صفوف العرب والقضاء على استقلال سوريا ولبنان(كريم مروة، 2016، ص96).

وفي بيان آخر نشرته صوت الشّعب –الجريدة النّاطقة باسم الحزب الشّيوعيّ اللّبنانيّ– يقول: «إن واجب الوطنيين العرب في نضالهم ضد التّقسيم أن يقاوموا جميع المحاولات التي تحمل لواءها بعض الأوساط العربيّة الرّجعية المرتبطة بالأجنبيّ التي ترمي إلى إخراج حركة التّضامن العربيّ مع فلسطين من نطاق النّضال ضد الاستعمار والاحتلال والصّهيونيّة إلى نضال عرقي عربي–يهودي وأن العالم يعرف ويقتنع بأنّ نضال العرب هو قبل كل شيء نضال وطنيّ ضد الاستعمار والاحتلال في سبيل الاستقلال والجلاء والديمقراطية (صوت الشّعب، 20 تشرين الأول/أكتوبر 1947، عدد 1508).

لكن المفاجأة عند الشّيوعيّين كانت عندما طُرح مشروع التّقسيم على التّصويت في الجمعية العموميّة لهيئة الأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947 حيث وقف المندوب السّوفياتي وأيد زميله المندوب الأمريكيّ في موافقته على تقسيم فلسطين وتاليًا في قيام دولة الكيان. ولم يتحقّق الوعد الذي طالما سعى إليه الشّيوعيّون لحثّ الجماهير العربيّة على تعزيز تضامنهم والوقوف إلى جانب النّضال الفلسطينيّ في سبيل إقامة الدّولة الديمقراطيّة على أرض فلسطين. ولم تكن المسوّغات التي صدرت عن الشّيوعيّين كافية لإعادة الثقة بهم خاصة وأنّه قامت أحزاب قوميّة عربيّة على السّاحة اللّبنانيّة ونافست الحزب الشّيوعيّ، وضخّمت أخطاءه وحاولت تشويه مواقفه مما جعل المكتب السّياسيّ للحزب الشّيوعيّ اللّبنانيّ يدعو في بيانه في 12 كانون الأول/ديسمبر 1947 بعد التّقسيم «إلى تضامن الشّعوب العربيّة مع فلسطين لإحباط قرار التّقسيم» (بيان المكتب السّياسيّ للحزب الشّيوعيّ في 12 كانون الأول/ديسمبر 1947).

وفي مؤتمر الأحزاب الشّيوعيّة الذي انعقد في لندن في شباط/فبراير 1947، أكّد الحزب الشّيوعيّ اللّبنانيّ على لسان رئيسه فرج الله الحلو أنّ الحزب الشّيوعيّ سيدافع عن قضية فلسطين وقضايا الجلاء والاستقلال في كل المشرق العربيّ(صوت الشّعب،

12 شباط/فبراير 1947، 1934).

وعقب قرار تقسيم فلسطين كتب الصّحافي الشّيوعيّ كامل مروة: «صلبوا فلسطين، فالمروءة، المروءة، يا أبناء لبنان، أردنا لبنان حرًا مستقلًا فلا يكون للاستعمار مقرًا ولا ممرًا، ولكن الجبروت الأمريكي جاء يقيم الآن دعامة جديدة للاستعمار على حدودنا تهدد استقلالنا وكياننا، واذكروا أيها العرب في مختلف دياركم أن الاستعمار البريطاني أسس الوطن اليهودي في فلسطين وأنّ الاستعمار الأمريكي وطده وأنّ الاستعمار الرّوسيّ والفرنسي أيده»، ويحذّر مروة العرب «بأنّ الدّولة الصّهيونيّة في فلسطين هي بقعة الزّيت التي تهدد العرب في كل قطر»(كامل مروة، 1986، ص150).

أما الحزب القوميّ السّوري، وبعد قرار تقسيم فلسطين «وما أصاب السّوريين من إرهاق وخسائر في النّفوس والأموال، وبعدما انفضح عجز السّياسات الخصوصيّة التي عالجت المسألة الفلسطينيّة علاجًا خصوصيًا، وبعدما اشتدت الحالة وعظمت الفوضى، قامت الإدارة الحزبيّة المركزيّة باتّصالات وبعدة محاولات لتنظيم تعاون بين العاملين لإنقاذ فلسطين، وقام عميد التّدريب الأمين أديب قدورة باتصال مع مكتب فلسطين الدّائم عارضًا فكرة تشكيل جحفل سوريّ قوميّ اجتماعيّ يتولى الأعمال الحربيّة في جبهة تقرر مع القيادة العامة، ولكن مساعي العميد لم تلاق روح تعاون، وقيل له إنّ المكتب لا يتألف من أحزاب ولا يعمل مع أحزاب، ولم تصل مساعي الحزب بجميع الطّرق، للوصول إلى التّسليح إلى نتيجة إيجابية»(أنطون سعادة، 1991، ص176).

وعدّ ميشال شيحا المقرب من الرئيس بشارة الخوري أنّ إقامة دولة يهوديّة في فلسطين ستؤدي إلى حرب دينيّة (ميشال شيحا، 1994، ص100).

وكان حزب الكتائب وبعد قرار التّقسيم قد أعلن أنّه بات على الدّول العربيّة ومنها لبنان أن تتحمّل عبء المسؤولية بالتّصدي إلى هذا القرار الجائر الذي لم يعر اهتمامًا لصفوف العرب في فلسطين، وأعلن الحزب وجوب عدم إنشاء حكومة عربيّة على قسم من فلسطين لأنّ ذلك يفهم منه قبولًا ضمنيًا بالتّقسيم، ودعا إلى إنشاء حكومة عربيّة واحدة تشمل سلطتها كل فلسطين كوحدة لا تتجزأ (بيار الجميل، 1970، ص135).

وبعد احتدام القتال في فلسطين وإعلان دولة «إسرائيل» العام 1948 وتدفّق آلاف اللاجئين إلى لبنان، دعت الكتائب إلى بناء الدّولة القادرة على التّوفيق بين قرار المنظمة الدّوليّة وحقّ فلسطين، وكأنّ الكتائب كانت تستبق الأحداث لتمكن الدّول العربيّة من إيقاف الكارثة عند قرار التّقسيم ولا تتعداها إلى ما وصلت إليه (جان شرف، د.ت، ج3، ص29).

أما حزب النّجادة، فقد تحرّك محذرًا من الخطر الصّهيونيّ وداعيًا لنصرة فلسطين، ففي 25 نيسان/أبريل 1948، دعا محي الدين النّصولي، صاحب جريدة بيروت وعضو النّجادة، إلى محاسبة اليهود على جرائمهم داعيًا الملوك والرؤساء العرب لخوض غمار الحرب مع الكيان الصّهيونيّ وهو السّبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين (محي الدين النصولي، 1992، ص133).

وفي 28 نيسان/أبريل 1948، رأى محي الدين النّصولي «أنّ حديث فلسطين حديث العرب في أقطارهم وبيوتهم ومجتمعاتهم، وكما يدعي البعض أنّ لبنان عضو في مؤسّسة الأمم المتحدّة وهو لا يستطيع إلا أن يتقيد بقوانينها ونظمها، وأن يقف من قضية فلسطين كما تقف أية دولة غربية، ولكن غاب عن بال هؤلاء أن لبنان أصبح مهددًا بعد أن احتلّ اليهود حيفا وأصبحوا على قاب قوسين أو أدنى من النّاقورة وراحوا يطلقون تهديداتهم إلى لبنان» (محي الدين النّصولي، 1992، ص134).

وبعد هزيمة العرب عام 1948 وضياع فلسطين، نشأت في مطلع الخمسينيات حركة القوميين العرب عندما تنادت مجموعة من الطّلاب العرب في الجامعة الأمريكيّة في بيروت على رأسها جورج حبش ووديع حداد وصالح شبل وهاني الهندي إلى تأسيس حركة القوميين العرب ورفعت شعار (وحدة–تحرر–ثأر) وولدت هذه الحركة كرفض مطلق لهزيمة 1948 ورأت أنّ خلق دولة عربيّة موحدة هو الهدف الأساسي الذي يؤدي إلى تحرّر الأرض العربيّة، وأنّ الأنظمة العربيّة فقدت شرعيتها بسبب تخاذلها في حرب فلسطين. انشطرت هذه الحركة إلى تيارين، تيار يساريّ لبنانيّ أبرز أركانه محسن إبراهيم وعدنان شرارة ومصطفى صالح، وتيار فلسطينيّ من ابرز أركانه جورج حبش ونايف حواتمه وانعكس عن هذا الانقسام تنظيمات ماركسيّة لينينية عديدة. وعملت الحركة من خلال جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأمريكيّة في بيروت، وهيئة مقاومة

الصّلح مع «إسرائيل» (محمد جمال براوت، 1997، ص64). وكانت هذه الحركة تركّز على الخطر الصّهيونيّ وأهمية الوحدة في مواجهته ودور النّخب العربيّة في التّعبير، ونادت الحركة بتوحيد طبقات المجتمع لمواجهة العدو المتمثّل بالخطر الصّهيونيّ ورأت «أن لا طبقيّة في حرب العرب مع الصّهيونيّة، وأمام الخطر الصّهيونيّ الذي يتهدد الجميع تتساوى كل الطبقات ويقف العرب في صف واحد يفرض عليهم موقفًا قوميًا واحدًا»(معن زيادة، 1979، ص329).

الموقف من الحرب بين الدّول العربيّة والكيان الصّهيونيّ 1948

عندما انعقد مجلس جامعة الدّول العربيّة في عاليه بين 5 و7 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، تقرّر تنفيذ مقرّرات مؤتمر بلودان السّريّة الذي كان قد انعقد بتاريخ 8 و12 حزيران/يونيو 1946، والذي تقرّر فيه جملة من القرارات التي من شأنها الدّفاع عن فلسطين في حال تعرضها لأي خطر، وأوصى مجلس الجامعة بالتّعاون والتّنسيق المشترك وتقديم المساعدات الماديّة والمعنويّة إلى عرب فلسطين لتقويتهم في الدفاع عن أنفسهم وعن كيانهم ورصد الأموال اللازمة لهذا الغرض(القضية الفلسطينيّة والخطر الصّهيونيّ، 1977، ص249).

ومع انطلاق الحرب بين الدّول العربيّة والكيان الصّهيونيّ سنة 1948، وقف الشّيوعيّون في لبنان مع هذه الحرب التي من شأنها إستعادة فلسطين من الصّهيونيّة، وتظهر هذه المواقف من خلال مواقف أطلقها كامل مروة في حينه، حذّر فيها العرب «بأنّ الدّولة الصّهيونيّة في فلسطين هي بقعة الزيت التي تهدّد العرب في كل قطر»، ويرى مروة أنّ أسباب نكبة فلسطين هي عدم توحد العرب، ويبين مروة خطر "إسرائيل" ويدعو إلى عدم اليأس، «وأنّ استعادة فلسطين هي أمانة في عنق كل عربي، بل هي حبل يهدد كل قطر مجاور بالخنق والشنق ما دامت الدّولة اليهودية قائمة»(كامل مروة، 1986، ص150).

أمّا الحزب القوميّ السّوريّ فلم يكتف بإطلاق المواقف من الحرب العربيّة الصّهيونيّة، بل تعدّاها إلى تشكيل فرق عسكريّة تمركزت في منطقة صفد في فلسطين وسقط منها العشرات من الشّهداء، كما كان للحزب القوميّ مساعدات فنيّة في معركة فلسطين من نقل سلاح وذخائر للمقاومين في الدّاخل الفلسطينيّ، وقد «اشترك القوميون في معركة عكا، فقاوموا ستة أيام متواصلة بالنّذر اليسير من المؤن والذّخيرة وأبوا أن يسلموا المدينة

بلا مقاومة» (أنطون سعادة، 1991، ص176، 180، 197).

وعدّت الكتلة الدستورية أنّ الصّهيونيّة العالميّة التي تجسدت في قيام دولة «إسرائيل» هي أخطر حركة وأشرس غزو ظهر في التّاريخ، وكان لقيامه في قلب الوطن العربيّ تهديد الدّول العربيّة عامة لأنّه لا مجال في الشّرق لقوتين عربية وصهيونيّة، لأنّها تهدد القيم الرّوحية والخلقيّة كما تهدد الحرية والسّيادة العربيّة بالإضافة إلى أطماعها التّوسعيّة. الأمر الذي يجب أن يتوّج بتجهيز الجيوش لمحاربة هذا الكيان(محي الدين النّصولي، 1992، ص136-135).

أما بالنّسبة إلى حزب الكتائب، فإنّ موقفه من القضية الفلسطينيّة قد أصابه تحوّل باتّجاه التّنسيق مع الكيان الصّهيونيّ، ففي العام 1948 «كانت الكتائب قد دخلت في علاقات إسرائيليّة لبنانيّة غير رسمية، وأصبحت لبّ المعارضة لرياض الصلح وبشارة الخوري(كريستين شولتزة، 1998، ص58)، واستمرت الاتّصالات مع «إسرائيل» وجرى أوّل اتّصال إسرائيليّ-كتائبي مباشر في خريف 1948 لدعم التّعاون العسكريّ والسّياسيّ. «ففي تشرين الأول/أكتوبر 1948 التقى الياس ربابي -رئيس تحرير جريدة العمل الكتائبيّة- في باريس برافر وآرازي وكون عنه هذان المسؤولان الإسرائيليان انطباعًا جيدًا جدًا، وقدما له قرضًا وحثًا وزارة الخارجيّة على القيام بعمليات متابعة وأرفقا ذلك باقتراح موازنة لهذا الغرض»(كريستين شولتزة، 1998، ص60).

وتحرّك حزب النّجادة محذرًا من الخطر الصّهيونيّ وداعيًا لنصرة فلسطين، ففي 25 نيسان/أبريل 1948، دعا محي الدّين النّصولي، صاحب جريدة بيروت وعضو النّجادة إلى محاسبة اليهود على جرائمهم قائلًا «لقد فات وقت الكلام وانقضى زمن المؤامرات، وتصرّمت ساعة إلقاء القصائد والخطب والتّصريحات، فالكلمة اليوم للعرب، لأصحاب الجلالة، ملوكهم وأصحاب الفخامة رؤسائهم، والكلمة اليوم لهذه الجيوش المتأهبة للزحف، المستعدة للقتال وخوض غمرات الحرب لإنقاذ فلسطين»(محي الدين النّصولي، 1992، ص133).

الموقف الرّسميّ اللّبنانيّ من الحرب مع الكيان الصّهيونيّ 1948:

انطلق الموقف الرّسميّ اللّبنانيّ في مقاربته للقضية الفلسطينيّة من عدّة مبادئ أهمها،

مسألة الخطر الصّهيونيّ على لبنان ومشاركة الدّول العربيّة في الدفاع عن فلسطين، وإرضاء الفئات الشّعبية اللّبنانيّة المطالبة بدعم قضية فلسطين.

وقد برزت هذه المواقف من رأس الهرم في الدّولة اللّبنانيّة آنذاك، الرّئيس بشارة الخوري، ففي احتفال في الجامع العمري الكبير في بيروت في كانون الثاني/يناير 1948، وبحضور رئيس الوزراء اللّبنانيّ رياض الصلح، ومفتي الجمهورية اللّبنانيّة الشيخ محمد توفيق خالد، ألقى الرّئيس الخوري كلمة أكّد فيها تأييده للقضية الفلسطينيّة، وعدّ علاقته بالأوساط الإسلاميّة جيدة نظرًا لمواقفه المؤيدة للقضية الفلسطينيّة (د. حسان حلاق، 2002، ص194).

كما أكّد رئيس مجلس الوزراء رياض الصلح الموقف الدّاعم لقضية فلسطين، ففي تصريح له أمام لجنة الشّؤون الخارجية بالمجلس النّيابيّ اللّبنانيّ وبحضور رئيس اللّجنة النّائب عبدالله اليافي، أكد بأنّ لبنان قرّر أن يساعد فلسطين بالمال والعتاد والرّجال، ورأى رئيس الوزراء أنّ الدفاع عن فلسطين إنّما هو لمصلحة لبنان لأن «عليه أن يحافظ على خط دفاعه، وقد سبق القول إنّ فلسطين هي خط الدّفاع الأوّل للبنان خاصة وللأقطار العربيّة عامة» (د. حسان حلاق، 2002، ص196).

ولم يكن الموقف اللّبنانيّ من القضية الفلسطينيّة داخليًا فقط، إنّما تعدّاه في محاولة من السّاسة اللّبنانيّين لتأدية دور للتّوفيق بين الزّعامات العربيّة لخدمة القضية الفلسطينيّة، فقد سافر رئيس الوزراء رياض الصلح إلى القاهرة ومنها إلى عمّان لمقابلة الملك عبدالله الذي اشتكى من الأوضاع العربيّة واشترط لاشتراكه في الحرب ضد الصّهيونيّة أن يكون هو القائد الأعلى للجيوش العربيّة، كما حاول الرئيس الصلح تقريب وجهات النّظر بين الملك فاروق وبين الوصي على العرش في العراق الأمير عبدالإله من جهة وبين الملك عبدالله وبين هذا الأخير، والرئيس السّوري شكري القوتلي من جهة أخرى لكنّه فشل في ذلك، ثم تابع الصّلح جهوده في السّعوديّة مع الملك عبد العزيز آل سعود الذي وعد خيرًا، ثم إلى بغداد ودمشق حيث أُتّفق على دعوة اللّجنة السّياسيّة لجامعة الدّول العربيّة للاجتماع في دمشق في 11 أيار/مايو 1948 (بشارة الخوري، 1960، ج3، ص102-100).

وكان وزير الدّاخليّة والصّحة كميل شمعون قد دعا إلى نبذ الخلافات العربيّة وتجنيد الطّاقات لمحاربة «إسرائيل» قبل فوات الأوان وقال: «إن قيام الدّولة اليهودية في فلسطين المقسمة ليس إلا مقدمة لقيام الدّولة اليهودية الكبرى في لبنان وسوريا وشرق الأردن وسواها، وغدًا يأتي يوم لا نسمع فيه بيهودي تائه بل بعربي تائه لاجئ منكوب»(النهار، 9 أيار/مايو 1948، عدد3880).

وفي السّياق نفسه لم تختلف مواقف النّواب، ففي جلسة مجلس النّواب بتاريخ 5 كانون الأول/ديسمبر 1947، استنكر المجلس قرار التّقسيم وصادق على وضع مليون ليرة لبنانية للدفاع عن فلسطين، كما أنّ النواب قرّروا التّبرع براتب شهر لإنقاذ فلسطين(محضر جلسة مجلس النواب، 5كانون الأول/ديسمبر 1947، ص 327-311).

وفي الجلسة ذاتها ألقى النائب سامي الصلح كلمة أوضح فيها الظلم الدّولي من جراء تقسيم فلسطين، وأشار إلى أهمية القدس عند المسلمين والمسيحيين(مذكرات سامي الصلح، 1960، ص195). أما النّائب حسين العويني فاعتبر أن المحنة لا تهدد عرب فلسطين فحسب بل تحيط لبنان بخطر دائم وتهدد كيان العرب من أساسه، كما استنكر النّواب ميشال فرح، حبيب أبي شهلا، محمد صفي الدين، إبراهيم عازار، جوزيف سكاف، رفعت قزعون وشبلي العريان قرار التّقسيم، وعدّ النائب شبلي العريان «تقسيم فلسطين جريمة، لا يزيلها غير السّيف ولا يمحو أثرها غير القوّة، فنحن سيوف في قضية فلسطين العربيّة وصدورنا مرهونة لنفتديها لأن العرب يستهينون بالموت ولا ينامون على الضيم»(محضر جلسة مجلس النواب، 5كانون الأول/ديسمبر 1947، ص 327-311).

وفي حين كان النّواب يتسابقون في الدّفاع عن فلسطين كانت فئات شعبيّة لبنانيّة تتطوّع للدّفاع عن فلسطين مما دفع النّائب نصوح فاضل إلى اقتراح أن ترعى الدّولة اللّبنانيّة قضية التّطوعّ لحفظ الدم اللّبنانيّ من الهدر، كما اقترح النّائب إبراهيم عازار أن تتقدّم الحكومة اللّبنانيّة بإضافة ضريبة خاصة باسم فلسطين فيما عدّ النّائب سكاف الدّفاع عن فلسطين دفاعًا عن لبنان(محضر جلسة مجلس النواب، 5كانون الأول/ديسمبر 1947، ص 318).

وكان النّائب سامي الصّلح قد علّق على التّقصير الحاصل من قبل الحكومة اللّبنانيّة بخصوص قضية فلسطين، وقد تساءل في 3 آب/أغسطس 1948 قائلًا: «كنا طلبنا منها أن تستعد لليوم العصيب بإنشاء قوة جوية وبإعداد الشبان على استعمال الوسائل الحربية الحديثة، كما طلبنا إنشاء اسطول للغرض نفسه وإعلان التجنيد الاجباري تداركًا لما أصاب جيوش الدّول العربيّة في مواقع فلسطين(مذكرات سامي الصلح، 1960، ج3، ص 202).

وفي 15 أيار/مايو 1948 وجّه رئيس الجمهورية نداءًا إلى عناصر الجيش اللّبنانيّ يشرح فيه فشل الجهود المبذولة لأجل السّلام «ولم يعد بد من جهاد تتكتلون فيه على الله وعلى أنفسكم وتبلون فيه بلاء حسنًا حتى يتسبب الحقّ في نصابه والعدل في ميزانه»(بشارة الخوري، 1960، ج3، ص103).

لذلك تقدّم الجيش اللّبنانيّ مع الجيوش العربيّة ولما وصل إلى منطقة المالكيّة على الحدود مع فلسطين اتّخذ لنفسه مواقع دفاعيّة وليس هجوميّة على طول الحدود الجنوبيّة بقيادة قائد الجيش اللّواء فؤاد شهاب وكان عدد القوات المرابطة ثلاثة آلاف جندي من أصل خمسة آلاف هو عديد الجيش اللّبنانيّ كلّه آنذاك(بشارة الخوري، 1960، ج3، ص105).

وكانت المواقف الشّعبية اللّبنانيّة لا تقلّ أهمية عن تلك الحزبيّة والرّسميّة، وقد برز في هذا المجال نضال الشّهيد معروف سعد في حرب 1948، وكان الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربيّة العليا لفلسطين، يقوم بشراء السّلاح بمساعدة التّجار والمجاهدين، ويرسله إلى مدينة صيدا التي أصبحت في حينها مركزًا لاستقبال السلاح وتدريب الثّوار، وكان الشّهيد معروف سعد يشرف وبشكل مباشر على علميات استلام السّلاح وتجهيزه وإرساله للمجاهدين في فلسطين، حتى «إنّ الظاهرة البطوليّة الفردية لمعروف سعد وصلت ذروتها في حرب 1948 في فلسطين عندما رمى بكل ثقله في أتونها، فنظم مجموعة شابة من صيدا وذهب على رأسها إلى بنت جبيل والمالكية. والتقى هناك بشاب هو الملازم محمد زغيب، الذي ترك الجيش ليعمل فدائيًا، وشكّل الاثنان وحدة تنظيمية مسلحة، قاتلت وأعطت كل ما تستطيع وحدة صغيرة مقاتلة أن تعطي وأن تقاتل..»(خالد الكردي، 2006، ص141-140).

الخاتمة

ظلت مواقف القوى والأحزاب اللّبنانيّة وحتى الرّسميّة اللّبنانيّة تقف الى جانب القضية الفلسطينيّة معتبرة أن حق الشّعب الفلسطيني في أرضه لا يمكن أن يغيره شيء، وأن قيام الكيان الصّهيونيّ على أرض فلسطين أمر مرفوض وخطر على لبنان، أمام كل هذا الدعم كان تحرك الجيش اللّبنانيّ نحو الحدود اللّبنانيّة الفلسطينيّة في مواجهة مع القوات الصّهيونيّة أمر تماهى مع ما فعلته الجيوش العربيّة الأخرى، وجاء هذا الأمر منسجمًا مع ما ارادته شريحة كبيرة من الشّعب اللّبنانيّ الذي عبر ومن خلال أحزابه ونوابه وزعمائه عن تعاطفه مع القضية الفلسطينيّة.

المصادر والمراجع

1) أنطون سعادة، 1991، مختارات في المسألة الفلسطينيّة، بيروت.
2) بشارة الخوري، 1960، حقائق لبنانية، منشورات أوراق لبنانية، بيروت.
3) بيار الجميل، 1970، لبنان واقع ومرتجى، دار العمل للنشر، بيروت.
4) جان شرف، د.ت، تاريخ حزب الكتائب، دار العمل للنشر، بيروت.
5) خالد الكردي، 2006، صيدا واحد وستون عامًا عربيًا 1961-1900، دار الجنوبية للطباعة، صيدا.
6) د. حسان حلاق، 2002، موقف لبنان من القضية الفلسطينيّة 1952-1918، ط2، دار الشروق، عمان، الأردن.
7) القضية الفلسطينيّة والخطر الصّهيونيّ، 1977، مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة، بيروت.
8) كامل مروة، 1986، قل كلمتك وامش، المجموعة الكاملة لافتتاحياته في جريدة الحياة، الجزء الأول:1950-1946، ط1، بيروت.
9) كريستين شولتزة، 1998، دبلوماسية إسرائيل السرية، ترجمة أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت.
10) كريم مروة، 2016، الشّيوعيّون الأربعة الكبار في تاريخ لبنان الحديث (فؤاد الشمالي، فرج الله الحلو، نقولا شاوي، جورج حاوي)، دار الساقي، بيروت.
11) محاضر الجلسة الثامنة عشرة لمجلس النواب اللّبنانيّ، 1947.
12) محمد جمال براوت، 1997، حركة القوميين العرب النشأة التطور، المركز العربيّ للدراسات الإستراتيجية، بيروت.
13) محي الدين نصولي، 1992، من قلب بيروت 1961-1898، دار النهار للنشر، بيروت.
14) مذكرات سامي الصلح، 1960، منشورات مكتبة الفكر العربيّ للنشر والطبع والتأليف، بيروت.
15) معن زيادة، 1979، تقييم تجربة حركة القوميين العرب، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت.
16) ميشال شيحا، 1994، فلسطين، منشورات مؤسسة شيحا، بيروت.

الصحف:

1) جريدة النهار
2) جريدة صوت الشّعب

الاتّجاه الإسلاميّ في دستور دولة الكويت

محمد جاسم المحميد[1]

مقدمة

قبل صدور دستور الكويت في 11 نوفمبر العام 1962م، لم تكن الأحكام المرعية مطابقة لأحكام الشّريعة الإسلاميّة بقدر مطابقتها للعُرف والعادات. وكان تطبيق أحكام الشّريعة في الكويت، منحصرًا في الأحوال الشّخصيّة. حتى إنّ النّظام الأساسي للحكم في حقبة الانتقال، أو ما يسمّى الدّستور المؤقت، وجّه نحو سنّ دستور دائم يستند إلى المبادئ الدّيمقراطيّة لا إلى الشّريعة الإسلاميّة. لكن دستور 1962م حاول التّوفيق بين الدّيمقراطيّة التي تتناسب مع أعراف وتكوين المجتمع وبيئته، ومبادئ الشّريعة، ليس فقط من خلال إدخال عبارتين أساسيتين في المادة الثّانية منه وهما: (دين الدّولة الإسلام)، (والشّريعة الإسلاميّة مصدر رئيسيّ للتّشريع). بل حاول استلهام الآيات القرآنية في تبرير المواد الواردة فيه، لا سيما المزج ين الدّيمقراطيّة والشّورى، مع اختلاف المنطلقات جذريًّا بين هذين المصطلحين.

هذا البحث يرصد الاتّجاه الإسلاميّ في الدّستور الكويتيّ، دواعيه، وظروفه، وأهدافه التّوفيقيّة. وفي البدء، يشرح مفهوم الدّستور، ومهامه وصنوفه، ثم قيام دستور دولة الكويت الدّائم في مطلع ستينيّات القرن الماضي بعد استقلالها وإلغاء معاهدتها مع بريطانيا عام 1961م. كما يتناول البحث طبيعة الدّستور الكويتيّ وأقسامه، وصولًا إلى النّظرة التّوفيقيّة التي جمعت بين مواد الدّستور والجانب الإسلاميّ، تتبّعًا للمواد التي أخذت الطّابع الإسلاميّ وفي مقدّمتها المادة المرتبطة بدين الدّولة، ومن ثَمّ عرض مواد الدّستور المتعلّقة بحقوق وحريّات الإنسان، ذلك، بحسب رأي فقهاء الدّستور والباحثين، مع التطرّق في نهاية البحث إلى نظرية الشّورى الإسلاميّة ومقارنتها بمبادئ الدّيمقراطيّة وأنواعها.

الكلمات الافتتاحية: الكويت- الدّستور- الدّيمقراطيّة- الشّورى

(1) باحث دكتوراة – العلوم الدينية – جامعة القديس يوسف.

- **دستور دولة الكويت**

كلمة دستور المستعملة في اللّغة العربيّة، «كلمة فارسيّة تعود جذورها إلى اللّغة البهلويّة القديمة. والكلمة مكوّنة من (دست) ومعناها قاعدة، و(ور) ومعناها صاحب. وكلمة الدّستور (بفتح الدال) في اللّغة البهلويّة، تعني الوزير المستشار، وصاحب المنصب. ولكنها أصبحت تعني في اللّغة الفارسيّة المعاصرة: القاعدة، أو القانون، أو التّرخيص، أو المرسوم. وفي الماضي، استعمل العرب هذه الكلمة بمعنى سجلّ الجند، ثم بمعنى مجموعة قوانين الملك. وأخيرًا، أطلقها العثمانيون على دستورهم الأول الصادر في العام 1876م. وشاع استخدامها، منذ نهاية القرن التّاسع عشر، بمعنى القانون الأساسيّ الذي يتضمّن القواعد الخاصة بنظام الحكم في الدّولة»[1].

يُعرّف الدّستور بشكل عام، فيقال إنه «الأداة المنظّمة لشؤون الحكم في الدّولة، والأساس الذي تمارس بموجبه السُّلطات العامة اختصاصها وحدود واجباتها، والمبيّنة لحقوق وحريات الأفراد، والفلسفة السّياسيّة التي تعتنقها الجماعة السّياسيّة؛ فالدّستور هو القاعدة الأساسية لكافة القواعد القانونيّة في الدّولة، ومنه تستمدّ وجودها وشرعيتها»[2]. والمعنى القانونيّ له أنّه «الأداة المنظّمة لعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، أو وبينهم وبين السُّلطة العامة»[3]. وللدّستور بُعد سياسيّ أضافته الثّورة الفرنسيّة في نصّها لإعلان حقوق الإنسان والمواطن La Déclaration des Droits de l’Homme et du Citoyen العام 1789م الذي جاء فيه «أنّ المجتمع لا يمكن أن يكون له دستور، ما لم تُضمّن فيه حقوق الإنسان، وما لم يقم على مبدأ الفصل بين السُّلطات»[4]. ومن النّاحية اللّغويّة، الدّستور «هو مجموعة من القواعد التي تحدّد للجماعة – أيًا كانت – طريقة تكوينها، وقواعد تنظيمها الأساسية؛ فالدّستور هو الذي يخلق الجماعة، ويحدّد الأسس العامة لوجودها، ثم يخلق بعد ذلك الأداة المهيمنة على شؤونها المختلفة»[5]. ويمكن القول كذلك «إنّ الدّستور هو قانون القوانين، وهو الأداة التي تعبّر عن رأي الأمّة. ولا أحد

(1) المجذوب، محمد، **القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان وأهم النظم الدستورية والسياسية في العالم**، (ط4، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2002)، ص6-5.
(2) الطبطبائي، عادل، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، (ط5، الكويت، مكتبة الكويت الوطنية، 2009)، ص11.
(3) المرجع نفسه، ص13.
(4) المرجع نفسه.
(5) الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص12.

يملك حق التّعبير عن رأي الأمّة سوى الأمّة ذاتها التي لها أن تختار من يمثّل إرادتها وطريقة اختياره»[1].

ويُعدّ الدّستور «الوثيقة القانونيّة والسّياسيّة الأسمى في الدّولة، أو الإطار العام الذي يحدّد نظام الدّولة، وينظّم عمل السُّلطات فيها، ويكفل حقوق الأفراد والجماعات، ويجسّد تطلعات الشّعب. ولهذا، فإن أيّ تغيير أو تبديل يطرأ على البنية السّياسيّة أو الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة للدّولة يستتبع، حتمًا، تبديل دستورها أو تعديله بما يتلاءم مع الأوضاع والظّروف الطّارئة أو المستجدّة. ولأنّ الدّستور هو القانون الأعلى للدّولة، فإن كافة التشريعات والقوانين التي تصدر في الدّولة يجب أن تخضع له وتتلاءم معه من حيث الشّكل والمضمون»[2]. أما الدّستور في معناه الغربي، فيرادف الأساس أو التّنظيم أو التّكوين، أي أداة تنظيم الدّولة والمجتمع. وهو القانون الرّئيسيّ التي تستمدّ منه القوانين الفرعيّة والعاديّة[3]. وكون الدّستور تنظيمًا للسُلطة، يرى البعض بأنّه يكون موجودًا فقط في الدّول ذات الحُكم الدّيمقراطيّ كما ذهب إلى ذلك الفقه الدّستوريّ التّقليديّ. ويكون موجودًا أيضًا في الدّول ذات الحُكم الأوتوقراطيّ بنظرة الفقه الدّستوريّ الحديث. لذا، يوجد بالضّرورة في كلّ دولة أيًا كان النّظام السّياسيّ السّائد فيها، لأنّه وجوده يرتبط بوجود الدّولة وأركانها، ويقوم بدوره في تنظيم وظيفة الحُكم[4].

وُضع دستور دولة الكويت الدّائم بصورة (عقد)[5]. وجمع العقد في الدّستور الكويتيّ بين ناحيتين مختلفتين؛ النّاحية النّظريّة بحيث تكون فيه السُّلطة التّأسيسيّة شراكة بين الحاكم والشّعب أو الإرادة الشّعبيّة بواسطة هيئة انتخبت لهذا الغرض، ومن النّاحية العمليّة، وُضع بواسطة الجمعيّة التّأسيسيّة التي يجب أن يكون أعضاؤها مُنتخبين من قبل الشّعب (المجلس التّأسيسيّ). فالدّستور هنا عمل مشترك يسهم فيه الحاكم والمحكومون، وعقد

(1) الجاسم، محمد عبد القادر، **روح الدستور– نظرية التوزان – مدخل إلى فكرة الدولة والقانون**، (ج1، الكويت، دار قرطاس للنّشر، 2007)، ص44.

(2) المجذوب، **القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان وأهم النظم الدستورية والسياسية في العالم**، ص6.

(3) المرجع نفسه، ص30.

(4) رعد، نزيه، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، (لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2011)، ص66–65. أنظر أيضًا: مجذوب، **الوحدة والديمقراطية في الوطن العربي**، ص51.

(5) **«يتم وضع الدستور سندًا لأسلوب العقد بإحدى طريقتين: فإما أن يقوم الحاكم بإعداد مشروع الدستور ليعرضه بعد ذلك على ممثلي الشعب من مجلس نيابي أو خلافه، وإما أن يقوم ممثلو الشعب بوضع مشروع الدستور ليتم عرضه بعد ذلك على الحاكم للقبول أو الرفض»**. المرجع، حوري، عمر، القانون الدستوري، (ط2، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2011)، ص33.

باتفاق الطّرفين، حيث تتلاقى الإرادتان على إنشاء الدّستور بهذا الأسلوب بعد أن قطع نظام الحُكم شوطًا ومرحلة تطوّر في الطّريق نحو الدّيمقراطيّة[1]. وهذا ما حصل في دولة الكويت التي تميّزت أيضًا من بين بلدان الخليج العربي بدستورها الذي أُقرّ على صورة عقد، حيث جاءت أغلبية دساتيرها أو النّظام الأساسي فيها بنمط منحة مكتوبة على هيئة وثيقة من الحكام إلى المحكومين[2]. ويُعد الأسلوب الذي صدر عنه الدّستور في صورة عقد أو ميثاق من الأساليب الدّيمقراطيّة في وضع الدّساتير، والتي تقرّ بآليتها بأن صاحب السُّلطة الرئيسية في وضع الدّستور هو الشّعب وحده دون غيره، بعكس دساتير المنحة أو الهبة التي يتمّ إقرارها بأساليب غير ديمقراطية، وهي التي تظهر فيها إرادة الحاكم وحده كسُلطة تأسيسيّة تضع الدّستور وتنشئ السُّلطات. ومن أمثلة الدّساتير التي صدرت في شكل عقد، الدّستور اليوناني الصادر عام 1844م، والدّستور العراقي الصادر عام 1925م، والدّستور السوداني الصادر عام 1973م[3].

يتكوّن الدّستور الكويتيّ الدّائم والصّادر في 11 نوفمبر 1962م[4] من 183 مادة، ويعدّ الوثيقة الكبرى التي تحدّد نظام الدّولة وتنظيم العلاقة بين السُّلطات الثّلاث، والمصدر الأوّل للقواعد الدّستوريّة في البلد الذي يستمدّ منها نظامه ووجوده[5]. وهو أخذ في تنظيمه للسُّلطة التّشريعيّة بنظام المجلس النّيابيّ الواحد. ويُصنّف من ضمن الدّساتير الجامدة، وهي «تلك الدّساتير التي تختلف طريقة تعديلها عن طريقة تعديل القوانين العادية التي تتطلّب إجراءات أكثر تعقيدًا وصرامة عند محاولة تعديل أيّ مادة من موادها، إلى جانب أنّ بعض الدّساتير الجامدة تشترط لتعديلها أيضًا أن تكون هناك حالة ضرورة تمرّ بها البلاد كالحروب مثلًا أو الكوارث الإنسانيّة»[6]، على عكس الدّساتير التي توصف بالمرنة

---

(1) الصالح، عثمان عبد الملك، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، (ج1، ط 2، الكويت، مؤسسة دار الكتب، 2003)، ص199. أنظر أيضًا: الجاسم، **روح الدستور- نظرية التوازن - مدخل إلى فكرة الدولة والقانون**، ص96.

(2) مجموعة باحثين، **المواطنة في تيارات الخليج**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2019)، ص35.

(3) المجذوب، **القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان وأهم النظم الدستورية والسياسية في العالم**، ص-50 53. أنظر أيضًا: رعد، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، ص73-70-67.

(4) «**في التاسع عشر من يونيو 1961 تم إعلان الكويت دولة مستقلة، وبناء على ذلك فقد ألغيت المعاهدة الكويتية مع بريطانيا التي وقعت عام 1899**». المرجع: الحملي، عماد، وآخرون، **الكويت دولة الدستور**، (الكويت، وكالة الأنباء الكويتيّة، 2012)، ص37.

(5) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، (ج1، الكويت، إدارة الفتوى والتشريع، 2015)، ص59. أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت - دراسة مقارنة -**، ص335.

(6) الحملي، وآخرون، **الكويت دولة الدستور**، ص111.

كونها لا تحتاج تدابير معقدة لتعديلها. وتمنح بعض الدّساتير المرنة حق اقتراح تعديل الدّستور إلى السُّلطة التّنفيذيّة وحدها، وهذه في حالة الأنظمة الأوتوقراطيّة والملكيّات المُطلقة، أو يكون هذا الحق للسُّلطة التّشريعيّة التي باستطاعتها الانفراد بأيّ تعديل دستوريّ في أيّ وقت وعلى أيّ مادة من دون أن تحتاج موافقة السُّلطة التّنفيذيّة[1]. «ويعتقد واضعو الدّساتير الجامدة، أنّه من أجل استقرار النّظام السّياسيّ، يجب وضع إجراءات صعبة عند القيام بتعديل الدّستور. وكلما ازدادت هذه الإجراءات صعوبة، كلما كان النّظام السّياسيّ ثابتًا ومستقرًا»[2]. ويرى مؤيديها أيضًا أنّ سهولة تعديل أو تنقيح الدّساتير المرنة عاملًا يؤدّي إلى ضعف الدّستور وفقدان قوذته في المجتمع، ومن ثَمّ ضعف الدّولة؛ فسهولة إجراءات تعديله يجعله أداة للأغلبيّة البرلمانيّة أو الحزبيّة في الدّولة التي ربما تسخّرها في اتّجاه مصالحها[3]. ومن نماذج الدّساتير الجامدة، الدّستور اللبناني 1926م، والدّستور الفرنسي 1958م، والدّستور المصريّ 1971م[4].

وبهذا، يمنح الدّستور الكويتيّ الدائم والمكتوب، أي الوثيقة الرّسميّة المدوّنة الصّادرة من المشرّع الدّستوريّ، والمختصر على المبادئ الأساسيّة[5]، حق التّعديل أو التّنقيح على نُصوصه ومواده، لكن بمشاركة متوازنة ومتوافقة بين كلٍّ من السُّلطتين التّشريعيّة والتّنفيذيّة، ليحفظ الدّستور نفسه من الانفراديّة في القرار، وإساءة استخدام هذا الحق؛ فالمادة 174 منه نصّت على أنّ «للأمير ولثلث أعضاء مجلس الأمة حقّ اقتراح تنقيح هذا الدّستور بتعديل أو حذف حكم أو أكثر من أحكامه، أو بإضافة أحكام جديدة اليه»[6]. ويشترط كلّ من التّنقيح أو التّعديل أو الإضافة موافقة ثلثي أعضاء المجلس، وتصديق الأمير عليه، وإصداره، وحقّ التّصديق في إدخال أيّ تعديل على أحكام الدّستور بالمعنى الكامل لا مجرّد حقّ اعتراض توفيقيّ كما هو الشّأن في التّشريعات العاديّة، كما أنّه لا يجوز اقتراح التّعديل في الدّستور قبل مضيّ خمس سنوات على العمل به، ويقصد به (الحظر الزّمنيّ)، أي عدم إمكان تعديل مواد الدّستور في أثناء حقبة زمنية

(1) المرجع نفسه، ص 110. أنظر أيضًا: **الطبطبائي، النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص126.
(2) رعد، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، ص85.
(3) الحملي، وآخرون، **الكويت دولة الدستور**، ص111-110.
(4) المجذوب، **القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان وأهم النظم الدستورية والسياسية في العالم**، ص61. أنظر أيضًا: رعد، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، ص86.
(5) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص185
(6) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص57.

بيّنها الدّستور خلال الخمس سنوات التالية لتاريخ العمل به[1]. ففي هذه المدّة – أي من يناير 1963م إلى يناير 1968م – كان الدّستور الكويتيّ غير قابل للتّغيير أو التّعديل بهدف وضعه قيد التّجربة العمليّة. وإذا رفض اقتراح التّنقيح من حيث المبدأ أو من حيث موضوع التّعديل في نطاقه المسموح بعد مدة الحظر الزّمنيّ، فلا يجوز عرضه من جديد قبل مضيّ سنة من هذا الرّفض. والرّفض هنا شامل لحالتي حصوله من جانب الأمير أو من جانب مجلس الأمة[2].

وبما أنّ دستور الكويت مختصر، يضاف إليه توضيح مفصّل في المذكرة التّفسيرية المرفقة التي تُعدّ جزءًا لا يتجزأ من الدّستور ومتمّمًا له. وتقتصر المذكرة على إيضاح مدلول النصّ وغاية المشرع منه، وتكشف عن أمور لا تُذكر عادة في النّصوص. ويُجمع الفقهاء الدّستوريّون على أنّ المذكرة التّفسيريّة للدّستور الكويتيّ ملزمة بالتّفسير الوارد بها للنّصوص الدّستوريّة لكافة السُّلطات العامة في الدّولة؛ لأنها وُضعت فور الانتهاء من إقرار مواد الدّستور، وأُخذت من واقع مناقشات المجلس التّأسيسيّ عند نظره في مواد مشروع لإقرارها. وللمذكرة وضعها الخاص الذي يسمو إلى مرتبة أحكام الدّستور، لأنها أُقرّت وصدرت من نفس الجمعية التّأسيسية التي ناقشت وأقرّت مواد الدّستور[3].

أما ما يخصّ الدّستور الكويتيّ المكتوب، فلكي يُعد الدّستور مدوّنًا وليس عُرفيًّا «يجب أن تدوّن معظم أحكامة في وثيقة أو عدة وثائق تتصف بالقوة القانونيّة التي تضعها في مرتبة أسمى من القوانين العادية والأعراف الدّستوريّة. فتدوين القواعد الدّستوريّة بقوانين مكتوبة، يبيّن لنا بوضوح امتيازات أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم، كما تظهر لنا شكل الحكومات، وتحديد اختصاصات السُّلطات العامة»[4]. أما الدّستور العرفيّ أو غير المدوّن، فهو الذي يتكوّن بطبيعته من عدة وثائق وسوابق وأعراف وأحكام تراكمت عبر مدّة طويلة من الزمن. وتتميّز الدّساتير المدوّنة عن الدّساتير العرفية بمميّزات منها: الثّبات، والدّقة، والوضوح. وهي تساعد السُّلطات العامة على معرفة حدود صلاحياتها، وتحدّ من استبداد السُّلطة أو الحكام، وتوفّر السُبل والضّمانات بحماية الحقوق والحريات

(1) المصدر نفسه، ص69–57. أنظر أيضًا: الطبطبائي، النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –، ص428–132.
(2) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص70–57.
(3) الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص358–357–344.
(4) رعد، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، ص74.

للأفراد، كما تسهم في ترسيخ الوعي السّياسيّ لدى الشّعوب[1]. وقد انقسم الدّستور الكويتيّ إلى خمسة أبواب؛ الأول اختص بالدّولة ونظام الحُكم، ويليه الباب الثّاني الخاص بالمكوّنات الأساسيّة للمجتمع الكويتيّ. أما الثّالث، فارتبط بالحقوق والحريّات والواجبات العامة، والرابع للسُلطات، والخامس والأخير اختصّ بالأحكام العامة والمؤقتة[2]. وأهم ما جاء في الباب الأوّل، تعريف الكويت كدولة وشعب وسيادة، وتوضيح دين الدّولة، ومصادر التشريع، وتبيين المفهوم الموضوعي للدّستور بمعناه القانونيّ عن طريق وضع قواعد أسلوب اختيار الحكام[3]، وحصره بالنّمط الوراثيّ لترتيب بيت الحُكم. ويُختتم الباب الأول بإيضاح نظام الحُكم فيها، وفيه تُحدّد المادة السّادسة أنّ «نظام الحكم في الكويت ديمقراطي، السّيادة فيه للأمة مصدر السُّلطات جميعًا، وتكون ممارسة السّيادة على الوجه المبيّن بهذا الدّستور»[4].

- **الاتّجاه الإسلاميّ في الدّستور الكويتيّ**

لم تكن الأحكام المرعية في مرحلة التّأسيس المبكر لدولة الكويت مطابقة لأحكام الشّريعة الإسلاميّة بقدر مطابقتها للعُرف والعادات الشّائعة. وكان تطبيق أحكام الشّريعة في الكويت، منحصرًا في الأحوال الشّخصيّة، وهي السّائدة والمطبَّقة. وحتى في هذا الحيّز الضيق لم يكن باستطاعة الحاكم آنذاك المساس بها أو تعديلها، وما كان له إلا سُلطة تنفيذها، وإلا عُدّ بمثابة المخالف لها. ويمكن القول إنّ ذلك يسهم في عزله أو الإطاحة به، ولو من النّاحية النّظريّة على الأقل، والاكتفاء بذلك عن طريق الاستعانة برأي رجال الدّين لتفسير القواعد الشّرعيّة دون وجود حُكم إسلاميّ أو أيّ سُلطة دينيّة[5]. لذا، تُعدّ قواعد الشّريعة الإسلاميّة القواعد القانونيّة بمفهومها في مسائل الشّرع الواضحة، كما شكّل العُرف أحد مصادر القاعدة القانونيّة في تلك الفترة؛ ولا يمكن لأحد إسقاطها أو تبديلها حتى الحاكم نفسه، لأنها تستمدّ نفوذها ومتانتها من تعارف الناس والجماعة

(1) المجذوب، **القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان وأهم النظم الدستورية والسياسية في العالم**، ص57-60.
(2) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص57-29-25-21-19.
(3) المصدر نفسه، ص20-19، أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت - دراسة مقارنة -**، ص14.
(4) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص20.
(5) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص41. أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت - دراسة مقارنة -**، ص257.

عليها، واستمرارية تطبيق أحكامها[1].

من جهة أخرى، يرى الباحث السّياسيّ والقانونيّ الكويتيّ محمد عبد القادر الجاسم أنّ أصول نظام الحُكم في الكويت لم تكُن ذات بعد عقائديّ أو دينيّ، وليس صحيحًا ما يُتناقل على أنّ قاعدة التّشاور التي أقيم عليها الحُكم في الماضي بأنّها كانت تطبيقًا لمبدأ الشّورى في الإسلام، وإلزام الحاكم منهم بالتّشاور مع التّجار ما قبل الحكُم الفردي لحاكم الكويت مبارك الصباح وأبنائه جابر وسالم (1896 – 1921م)، كان من أجل الحفاظ على استمرار سُلطته وعلى ما يحصل عليه من عوائد مالية لا من أجل تطبيق قواعد الدّين؛ فطبقة التّجار هي التي تموّل خزينة الامارة. أما عن إصرار التّجار على التزام الحاكم بمشاورتهم، فكان لضمان مصالحهم وليس لضمان تطبيق الشّريعة؛ فقاعدة التّشاور هنا أيًا كان أساسها، ما هي إلا التزام سياسيّ لا ديني، وبذلك كان نهوض واستمرارية قاعدة السُّلطة التي تأسّست بينهم بالرّضا والقبول من خلال التّشاور[2].

لقد عاش المجتمع الكويتيّ في ذلك الوقت حياة اجتماعيّة بسيطة متعلّقًا بعاداتها، وأعرافها الموروثة، وقيمها الإسلاميّة التّقليديّة، وغلبت الحياة فيه على تلك الوتيرة سنوات طويلة. ومع تطوّر المعيشة وقصور القواعد القانونيّة المتمثّلة في أحكام الشّريعة والعرف المحلي عن إيجاد حلول تمكّن الحاكم من إدارة شؤون إمارته المالية وإيراداتها، ظهرت بعض القواعد التّشريعيّة لمواجهة الأحداث والمشاكل عن طريق استخراج بعض الأحكام الجديدة لتنظيم الأمور على الرغم من بساطتها. وارتبط ظهور تلك القواعد بظهور الإدارات الحكومية في البلد. واقترن تطوّرها أيضًا بالمعاهدة البريطانية وبالمجالس التّشاركية السابقة[3]، إضافة إلى تأثّر الكويت بالحركات السّياسيّة والإصلاحية في المنطقة العربيّة، وصولًا إلى تنظيم قضائي موحّد ومتكامل وذلك في مرحلة 1959 – 1961م، وإصدار سلسلة من التّشريعات والقوانين التي تلبّي جميع احتياجات مرافق البلد[4].

---

(1) الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص258.

(2) الجاسم، **روح الدستور– نظرية التوازن – مدخل إلى فكرة الدولة والقانون**، ص69–63.

(3) **أُسست في الكويت عدة مجالس تشاركية وتشريعية سابقة لم يكتب لها النجاح والاستمرار، مجلس الشورى الأول 1921م، المجلس التشريعي الأول 1938، المجلس التشريعي الثاني 1938 – 1939م**، المرجع: الحملي، وآخرون، **الكويت دولة الدستور**، ص34–30–26.

(4) الباز، علي، **النظام الدستوري والسياسي الكويتي تطوراته الدستورية والسياسية منذ نشأة الدولة وحتى نفاذ دستورها الدائم (1963–1756)**، (الكويت، جامعة الكويت، 2008)، ص79. أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص270–268–260.

وحين أصدر حاكم الكويت الشّيخ عبد الله السّالم الصّباح (1895 – 1965م) القانون رقم 1 لسنة 1962م الخاص بالنّظام الأساسي للحكم في حقبة الانتقال، أو ما يسمّى الدّستور المؤقت، جاءت المادة الأولى منه لتنصّ على ما يلي: «يقوم المجلس التّأسيسي بإعداد دستور يبيّن نظام الحكم على أساس المبادئ الدّيمقراطيّة المستوحاة من واقع الكويت وأهدافها»[1]. وخلا القانون المكوّن من 38 مادة من ذكر أنّ الدّستور الجديد يجب أن يستمدّ أحكامه من الشّريعة الإسلاميّة – بمعنى الفقه الإسلاميّ – أو مبادئها. والدعوة كانت صريحة لإعداد دستور وضعي يستقي أسسه من الدّيمقراطيّة، التي تتناسب مع أعراف وتكوين المجتمع وبيئته وغاياته في ذلك الوقت، إلا أنّ البعض قد رأى أنّ هناك نظرية توفيقيّة استخدمت في عملية صياغة وإصدار الدّستور الكويتيّ، جمعت بين الشّرع الإسلاميّ ونصوص الدّساتير السائدة في ذلك الوقت وعلى رأسها دستور المملكة المصريّة 1923م – دستور مملكة مصر والسودان –[2]، سعيًا من المشرّع إلى تناغم الدّيمقراطيّة مع واقع وروح المجتمع الكويتيّ ومصالحه ونظامه الاجتماعيّ. ويؤكد هذا الأمر أنّ قيم وفطرة الدّين مستمرة في ضمير الشّعب. فالدّين ذاته قد يكون جزءًا من التكوين الثقافي للمجتمع وجزءًا من التكوين النفسي لأفراده، وقد يكون أيضًا جزءًا من التّكوين السّياسيّ والاقتصاديّ. لذا، بدا الاتّجاه الإسلاميّ واضحًا في بعض نصوصه، ومنسجمًا مع النّظرية التّوفيقيّة التي استعملت في وضع مواد الدّستور. كما كان للأصداء المتفاوتة لتردّد ذكر الإسلام في أغلب دساتير البلاد العربيّة وتأثّرها بالشّريعة الإسلاميّة في ذلك الوقت، أثرٌ في دستور دولة الكويت[3].

ظهر الاتّجاه الإسلاميّ في الدّستور الكويتيّ بدايةً في ديباجة إعداده، التي حرصت على استعمال لفظ الشّورى في الحُكم، كما تردّد في المذكرة التفسيرية للآية 159 من سورة آل عمران ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، والآية 38 من سورة الشّورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[4]. وذكر الدّستور الكويتيّ مثل غالبية الدّساتير العربيّة في بداية مادته الثّانية عبارة (دين الدّولة الإسلام)، وأضاف حُكما آخر فيها: (والشّريعة الإسلاميّة مصدر رئيسي للتّشريع)، والذي

(1) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص12.

(2) العلوي، حسن، **أسوار الطين في عقدة الكويت وأيديولوجيا الضم**، (بيروت، دار الكنوز الأدبية، 1995)، ص34. أنظر أيضًا: الصادق، مصطفى، إبراهيم، وايت، **مبادئ القانون الدستوري المصري والمقارن**، (ط2، مصر، المطبعة العصرية، 1925)، ص291.

(3) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص240–239.

(4) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص63–11.

أخذ شوطًا في نقاشات لجنة إعداد الدّستور وجلسات المجلس التّأسيسيّ، وقد نجح المشرّع في تحديده. وبطبيعة الحال، فإن ذِكر عبارة (دين الدّولة الإسلام) بما أنه هو الدّين الذي يؤمن به الأغلبية الكاسحة من الشّعب الكويتيّ، هو بيان يوضّح الانتماء الدّينيّ للشّعب. وبهذا، يعزّز عُصبته الدّينيّة ويزيدها قوة وتماسكًا. وأكّد الدّستور وجود أمّة مرتبطة بشريعة واحدة، مثلما هو حال بيان الانتماء القوميّ، حين استثمر في المادة الأولى والثّالثة عنصرًا من عناصر العُصبة والوحدة للأمة حين ذكر أنّ الكويت دولة عربية مستقلة، واللّغة العربيّة هي لغة الدّولة الرّسميّة، بسبب الأفكار التي كانت تموج بها الأرض العربيّة في تلك الحقبة. أما جعل الدّين الإسلاميّ دينًا رسميًا للدولة، فلا يعني أبدًا أنّ الكويت دولة دينية، ولا يتعارض الأمر مع حرية الاعتقاد؛ فدين الإسلام بطبيعته يدعو إلى احترام الشرائع جميعًا[1].

ومن أمثلة وضع الإسلام كدين للدّولة في الدّساتير العربيّة السّائدة، قبل إقرار الدّستور الكويتيّ وبعده، دستور المملكة المصرية 1923م في الأحكام العامة المادة 149: «الإسلام دين الدّولة واللّغة العربيّة لغتها الرّسميّة»[2]، ودستور المملكة الأردنيّة الهاشميّة لسنة 1953م في مادته الثّانية التي نصّت على «الإسلام دين الدّولة واللّغة العربيّة لغتها الرّسميّة»[3]، ودستور الجمهورية التونسية الصادر 1959م الذي جاء في مادته الأولى: «الإسلام دينها، والعربيّة لغتها»[4]، وكذلك دستور جمهورية مصر العربيّة لسنة 1971م في مادته الثّانية التي نصّت على أنّ «الإسلام دين الدّولة، واللّغة العربيّة لغتها الرّسميّة، ومبادئ الشّريعة الإسلاميّة المصدر الرّئيسي للتّشريع»[5]، والدّستور البحرينيّ لسنة 1973م في المادة الأولى (أ) «البحرين دولة عربية إسلاميّة مستقلة ذات سيادة تامة، شعبها جزء من الأمة العربيّة، وإقليمها جزء من الوطن العربيّ الكبير»[6]، وفي المادة الثّانية: «دين الدّولة الإسلام، والشّريعة الإسلاميّة مصدر رئيسيّ للتّشريع، ولغتها الرّسميّة هي اللّغة العربيّة»[7].

---

(1) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص241. أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص497. أنظر أيضًا: الجاسم، **روح الدستور– نظرية التوازن – مدخل إلى فكرة الدولة والقانون**، ص144.

(2) **دستور المملكة المصرية وقانون الانتخاب**، (مصر، مطبعة هندية، 1923)، ص32.

(3) إسماعيل، عصام نعمة، **دساتير الدول العربية**، (بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2008)، ص27.

(4) المرجع نفسه، ص119.

(5) المرجع نفسه، ص570.

(6) **الجريدة الرسمية لحكومة دولة البحرين**، (البحرين، وزارة الإعلام، ملحق العدد 1049، 6 ديسمبر 1973)، ص5.

(7) المرجع نفسه.

ويعتقد بعض الباحثين أنّه من الخطأ تحديد دين للدّولة على النّحو الذي اتبعته الدّساتير العربيّة ومن ضمنها الدّستور الكويتيّ، لأنّ الدّولة تتكوّن من شعب وإقليم وسُلطة، وبهذا الوصف تكون الدّولة شخصًا وكيانًا معنويًّا، وقد أشار إلى هذا جان جاك روسّو في مؤلفه (العقد الاجتماعيّ) بأنّ الدّولة أو المدينة لا تُعدّ غير شخص معنوي (اعتباري). وبهذا لا يكون للشّخص المعنوي أي الدّولة، دين؛ فالدّين بطبيعته للشّخص الطّبيعيّ بافتراض أنّ الدّين هو عقيدة وعبادات، والدّول لا دين لها، وإنما الدّين لسُكانها، بينما يُعد لكل دولة مذهب أو منهج سياسيّ أو اقتصاديّ أو أيديولوجيّة معيّنة تدار وفقًا لها، سواء كان الدّين هو المصدر أو كان فكرًا وضعيًا، وهذه الأيديولوجيّة يمكن أن تكون متغيّرة بحسب مصالح الدّولة العليا، وهذا التّغيير لن يغيّر دين سُكان الدّولة[1]. كما أنّ الدّول التي تعتمد على أسلوب دين الدّولة في دساتيرها، تعدّ حرية الدّين والمعتقد التي هي أحد أهم حقوق الإنسان الأساسية مقيّدة في أغلب الأحيان، حيث إنّ الحكومة هي من تمنح تصاريح الممارسات الدّينية للطوائف الأخرى إلى جانب الدّين الرسمي للدولة[2].

إضافة إلى ذلك، فقد بدا الطّابع الإسلاميّ واضحًا في بعض نصوص الدّستور الكويتيّ والمذكرة التّفسيرية بشكل مباشر وغير مباشر؛ فطبقًا للمادة الرابعة منه والمادة السّادسة من قانون توارث الإمارة، يشترط في رئيس الدّولة وولي عهده أن يكونا مسلمين، وكذلك أبناء شرعيين لأبوين مسلمين. وقد تأثّر الدّستور بأسلوب ولفظ المبايعة في طريقة اختيار ولي العهد، بدلًا من (موافقة) رغم أنّ المبايعة تأتي بتصويت المجلس والموافقة عليه[3]. وفي بيان العدل والتعاون بما ورد في المادة السّابعة «العدل والحرية والمساواة دعامات المجتمع، والتعاون والتراحم صلة وُثقى بين المواطنين»[4]، نجد التّأقلم مع الآية 90 من سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، والآية الثّانية من سورة المائدة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[5]. وحرص الدّستور أيضًا في مادته 12 على وجوب

(1) روسو، جان جاك، **العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي**، ترجمة بولس غانم، (ط3، بيروت، المكتبة الشرقية، 2016)، ص50. أنظر أيضًا: الجاسم، **روح الدستور– نظرية التوازن – مدخل إلى فكرة الدولة والقانون**، ص139-138-137.

(2) عبد، خا نزاد أحمد، **العلاقة بين الدساتير الحديثة والاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان**، (بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2019)، ص472.

(3) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص90-19. أنظر أيضا: الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص243.

(4) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص21.

(5) الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص501.

صون التّراث الإسلاميّ «تصون الدّولة التّراث الإسلاميّ والعربيذ، وتسهم في ركب الحضارة الإنسانيّة»[1]. وفي خاتمة المادة 18 فرض حُكم الشّريعة بقضايا حقوق الميراث «والميراث حق تحكمه الشّريعة الإسلاميّة»[2]. واستوحت المادة 29 «النّاس سواسية في الكرامة الإنسانيّة، وهم متساوون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللّغة أو الدّين»[3]، عند تحدثها عن المساواة من الآية 13 من سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ومن لفظ الحديث النبوي: «والناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، فذكرت المادة أنّ «النّاس سواسية في الكرامة الإنسانية»[4].

ويمكن اعتبار نصّ المادة 31 والخاصة بحرية التّنقل والإقامة «لا يجوز القبض على إنسان أو حبسه أو تفتيشه أو تحديد إقامته أو تقييد حريته في الإقامة أو التنقل إلا وفق أحكام القانون»[5]، كتطبيق للنصّ القرآني في الآية 15 من سورة المُلك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. كما ذكرت المذكرة التّفسيريّة في شرحها للمادة 33 من الدّستور «العقوبة شخصية»[6]، أنّ ذلك تطبيق للآية 18 من سورة فاطر: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[7]. وارتكزت المادة 35 التي جاء فيها «حرية الاعتقاد مطلقة، وتحمي الدّولة حرية القيام بشعائر الأديان»[8]، إلى أحكام الشّريعة الإسلاميّة في الإقرار بحرية المعتقد عبر قوله تعالى في سورة البقرة من الآية 256: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، والآية 99 من سورة يونس: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. فجوهر الإسلام منذ نشأته أنّه دين يحترم المعتقدات الأخرى[9]. والفقرة الأولى من المادة 36 المتعلّقة بحريّة الرّأي

(1) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص22.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه، ص25.
(4) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص244. أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص501.
(5) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص25.
(6) المصدر نفسه، ص26.
(7) المصدر نفسه، ص77.
(8) المصدر نفسه، ص26.
(9) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص288. أنظر أيضًا: الطبطبائي، **النظام الدستوري في الكويت – دراسة مقارنة –**، ص502.

والبحث العلميّ، «حرية الرّأي والبحث العلمي مكفولة»[1]، فقد ورد معناها في ختام آيات كثيرة من القرآن ﴿يَتَفَكَّرُونَ، يَعْقِلُونَ، يَتَدَبَّرُونَ، يَفْقَهُونَ﴾. والمادة 40 التي كفلت حرية التعليم وإلزاميته في مراحله الأولى للقضاء على الأُميّة، «التعليم حقّ للكويتيين، تكفله الدّولة وفقًا للقانون وفي حدود النّظام العام والآداب. والتّعليم إلزاميّ مجانيّ في مراحله الأولى وفقًا للقانون»[2] هي من خلال ما دعا إليه الإسلام بطلب العِلم في الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، والآية 11 من سورة المجادلة: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]. ونصّت المادة 38 من الدّستور أنّ «للمساكن حرمة، فلا يجوز دخولها بغير إذن أهلها، إلا بالأحوال التي يعيّنها القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه»[4]. وبهذا، استعانت المادة بالآية القرآنية 27 من سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5]. وأخيرًا أوجب الدّستور في المادة 60 والمادة 91 والمادة 126، على كلٍّ من الأمير وولي العهد، والوزراء وأعضاء مجلس الأمة أن يؤدوا يمينًا دستورية قبل القيام بأداء أعمالهم وواجباتهم يغلب عليها الطّابع الدّيني الإسلاميّ والتي تستهل بـ (أُقسم بالله العظيم)[6].

لذا، يمكن أن نلاحظ أنه وبحسب رغبة المشّرع بالإضافة إلى الآراء التي تمّ ذكرها، قد ينطبق هذا الربط على النظرية التّوفيقيّة التي جمعت بين أحكام الدّستور الوضعية والتوجه الدّيني الإسلاميّ وإرشاداته من حيث الشكل والصياغة في بعض المواد، وليس جميع ما ذُكر منها. فمن الواضح، أنّ بعض مواد الدّستور قد كانت ذات طابع إسلامي، لكنّها قليلة جدًا، فيما يوجد العديد من المواد الأخرى أُضفي عليها الصبغة الإسلاميّة بهدف أسلمتها لإظهارها كأنّها مستقاة من القرآن والسنّة. كما عملوا على تكييفها وفوق النّصوص الدّينيّة. وفيما بعد أصبح هنالك توافق وتماهٍ بين نصوص المواد والقرآن والسنّة دون وجود أيّ تعارض أو تضارب بينها.

(1) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص26.
(2) المصدر نفسه، ص27.
(3) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص289-287.
(4) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص26.
(5) الصالح، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، ص244.
(6) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص47-38-31.

وعليه، نعدّ أنّ بعض مواد الدّستور فعلًا قد أخذت جوانب شرعيّة وإسلاميّة، لكن بعض الأحكام الدّستوريّة ونصوص المواد الأخرى الخاصة بالحقوق والحريّات العامة تمّ إسقاط الرأي الإسلاميّ عليها، لوجود جذور حريات وحقوق الإنسان ومبادئها الإنسانية والاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والثقافية في الإسلام كحقوق طبيعية وشرعيّة، وهي أيضًا من أهداف الشّريعة الإسلاميّة، فلا مناص من من الإقرار بوجود أصول لحقوق الإنسان في الإسلام[1]، إلّا أنّ البُعد البشري أكثر من مرة وفي عدة أماكن هو من صاغ ركائزها وبنودها ونصوصها، التي سبقت الدّساتير الحديثة الغربية والعربيّة والإعلانات والمواثيق الإقليمية والدّينيّة، ومن ضمنها دستور دولة الكويت، وفي مقدمة ذلك الإعلان الفرنسيّ لحقوق الإنسان والمواطن، ثم تقنّنت ثمرة الكفاح والنّضال والصّراع المتوالي لحرص الحركة البشريّة على مرّ القرون والتاريخ في انتزاع الحقوق الإنسانية وعدم التفريط فيها في مجمعهم الكوني من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان Universal Declaration of Human Rights والصّادر عن الأمم المتحدة عام 1948م[2].

كما أنّ دستور دولة الكويت سُنّ وعًمل به بمدة زمنية، قبل صدور الإعلان الخاص بحقوق الإنسان وواجباته في الإسلام المعتمد من رابطة العالم الإسلاميّ والذي صدر العام 1979م، وكذلك البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام المنبثق عن المجلس الإسلاميّ الأوروبي والصادر العام 1981م، يليهما إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام الصّادر عن مؤتمر العالم الإسلاميّ عام 1990م[3]. واعتمد بعد ذلك الميثاق العربيّ لحقوق الإنسان في تونس العام 2004م. وقد أنشأت جامعة الدّول العربيّة في وقت سابق، وتحديدًا العام 1970م لجنة حقوق الإنسان، التي حصرت نشاطها في حقوق الشّعب الفلسطيني والقضية الفلسطينيّة[4].

ووجود إلهام وجانب إسلامي في الدّستور الكويتيّ أمر طبيعي، كون المجتمع يرجع

---

(1) الموصللي، أحمد، **جدليات الشورى والديمقراطية – الديمقراطية وحقوق الإنسان في الفكر الإسلامي**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص139–137. أنظر أيضًا: مجموعة مؤلفين، **حقوق الإنسان في الفكر العربي – دراسات في النصوص**، (ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص311.

(2) دغمان، محمد رياض، **الوجيز في حقوق الإنسان والحريات العامة**، (لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2016)، من ص105 إلى ص113. أنظر أيضًا: رعد، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، ص65.

(3) مجموعة باحثين، **حقوق الإنسان الرؤى العالمية والإسلامية والعربية**، (ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص73.

(4) المرجع نفسه، ص77، أنظر أيضًا: سعد، جورج، **حقوق الإنسان**، (بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2017)، ص129.

بعقيدته إلى الإسلام، كما كان هناك إلهام دينيّ مسيحيّ كاثوليكيّ للإعلان الفرنسيّ لحقوق الإنسان والمواطن، وذات الشّأن لإعلانات الحقوق للولايات الأمريكية منذ 1776م، والتي استلهم أحد مصادرها من العقيدة الطهورية[1]، أي البريتوريانية[2].

أما ما يخصّ موضوع ورود كلمة الشّورى في ديباجة الدّستور الكويتيّ، ودعم هذه الكلمة في المذكرة التّفسيريّة من خلال الآيات القرآنية، نودّ أن نستعرض هنا ونضيف رأي المفكر المغربي محمد عابد الجابري (1935 – 2010م)، بما يخصّ عامةً مصطلح الشّورى الإسلاميّ وارتباطه بالدّستور والدّيمقراطيّة حيث يقول: إنّ العرب عندما بدأوا الاحتكاك مع العالم الغربي وفكره الليبراليّ في القرن السابق، عمد فريق منهم إلى البحث لكل مفهوم من المفاهيم الليبراليّة الأوروبيّة عما يوازيه أو يقاربه في الفكر الإسلاميّ العربيّ الماضي، وإنّهم لم يجدوا أيّ صعوبة في المطابقة بين مفهوم الدّيمقراطيّة الأوروبي ومفهوم الشّورى الإسلاميّ[3]. «ومنذ ذلك الوقت والدّيمقراطيّة تعني لدى المفكر الذي يفكر داخل المرجعيّة التّراثيّة وبواسطة معطياتها وحدها شيئًا واحدًا هو: الشّورى»[4]. ثم يُكمل بأنّ اعتمادهم الموازنة بين الدّيمقراطيّة والشّورى لا لأنهم كانوا يطابقون بينهما أو يجهلون الفروق التي تباعد بينهما، بل من أجل أنّ المناداة بالدّيمقراطيّة لا تعني إدخال بدعة جديدة ودخيلة على دار الإسلام؛ إذ الدّيمقراطيّة ماهي إلا اسم يطلقه الفكر الغربي على ما يعبّر عنه (الشّورى) في الجانب الإسلاميّ[5]. ويذكر الجابري في موقع آخر: «أما إذا تركنا الماضي جانبًا ونظرنا إلى الحاضر والمستقبل، فإنه لا شيء يمكن أن ينزع من الشّورى كونها حقًّا للأمة بنصّ القرآن والسنّة، وأنّ للأمة

(1) «طهورية (Puritamismus): (الاسم مشتق من اللاتينية). الطهورية اسم جمعي أطلق على مجموعات دينية وسياسية غلب عليها التأثير الكاليفيني. حاربت مختلف التفريعات التي أخذت بالأفكار الطهرية الوظيفية الأسقفية، كما حاربوا الليترجية والوظيفة التعليمية في الكنيسة الإنجليكانية. وبسبب أعمال القمع من جانب الدولة هاجر العديد من الطهوريِّين حوالي العام 1620 إلى شمال أمريكا، بوصفهم ما يعرف بـ ''الآباء الحجاج''. عرّف ماكس فيبر مفهوم الطهورية كما يلي: ''نستخدم هذا التعبير هنا، وحيث نستعمله عامة، بالمعنى المحدّد الذي انتشر في اللغة الشعبية في القرن السابع عشر: الحركة الدينية الزهدية التي ظهرت في إنجلترا وهولندا، دون تمييز بين برامج كنسية وعقائد، أي أنها تسمية تشمل المستقلين والمجمعيين والمعمدانيين والمنونيين والصاحبيين''». المرجع: فيبر، ماكس، الجماعات الدينية، ترجمة جورج كتورة، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2020)، ص488.

(2) عبد، **العلاقة بين الدساتير الحديثة والاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان**، ص134–129–112.

(3) الجابري، محمد عابد، **الديمقراطية وحقوق الإنسان**، (ط5، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015)، ص40.

(4) المرجع نفسه، ص41–40.

(5) المرجع نفسه، ص41.

الحق في أن تمارسها بالطريقة المناسبة للعصر»[1].

كما يشير المُفكر والكاتب المصري خليل عبد الكريم (1930 – 2002م)، إلى أنّ نظام الشّورى نظام مدنيّ قديم عرفه وعمل به العرب قبل ظهور البعثة المحمديّة، لأنّها وثيقة الصلة بسياسة الحُكم، وهي من أمور الدّنيا. حيث كانت القبيلة العربيّة آنذاك هي الوحدة الاجتماعيّة والسّياسيّة التي تتكوّن من الرئيس أو الشيخ بالإضافة إلى مجلس شورى القبيلة الذي يضمّ كل فرد من أفرادها الخلّص والصّرحاء النّسب ممن بلغ الأربعين من عمره ويتمتع بعقلية راجحة، ودرجة ملحوظة من الجانب الاجتماعيّ أو اليسر الماديّ. وفي هذا المجلس يتشاور أعضاؤه في الشّؤون التي تُهم القبيلة بحرية وبصراحة تامة، ولكن آراءهم استشاريّة بحت غير مُلزمة لشيخ القبيلة، فله أن يأخذ بها أو يرفضها. وإذا انقسم المجلس في رأيه فمن حق الرئيس أن يتبنى رأي الأغلبية أو رأي الأقلية، أو يرفض الرأيين معًا ويستقرّ على رأي ثالث يرى أنه الأصوب؛ فالشّورى هي مشورة أو نصيحة بالمعنى الدقيق للكلمة، وهناك أمثلة في التاريخ قبل البعثة تُدل على ذلك. ويُكمل حديثه بأن الإسلام قد استعار هذا النّظام منهم. وهذه الخاصية التّشاورية غير الإلزامية توضح مضمون الآية القرآنية 159 من سورة آل عمران والتي جاء فيها ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]. وكما ورد في تفسير أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (1214 – 1273م) لهذه الآية، أي «أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام إذا عزم على أمر أن يمضي فيه، ويتوكل على الله، لا على مشاورتهم»[3]. وهناك تفسير آخر لعبد الله بن أحمد النسفي (1240 – 1310م) يذكر فيه: «فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشّورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة»[4]. أما الآية 35 من سورة الشّورى التي جاء فيها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، فنجد تفسيرها: «أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه»[5]، وأنها ذكرت بحق الأنصار في المدينة «أي: يتشاورون في الأمور.

(1) المرجع نفسه، ص225–224.

(2) عبد الكريم، خليل، **الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية**، (القاهرة، سينا للنشر، 1995)، ص–133–135 136.

(3) القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان**، (ج5، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006)، ص383–384

(4) النسفي، عبد الله بن أحمد، **تفسير النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (ط2، بيروت، دار المعرفة، 2008)، ص194.

(5) المصدر نفسه، ص1090.

والشّورى مصدر شاورته، مثل البُشرى والذّكرى ونحوه. فكانت الأنصار قبل قدوم النبي إليهم إذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه، ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به؛ قال النقاش. وقال الحسن: أي إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمرهم متفقون لا يختلفون؛ فمُدِحوا باتّفاق كلمتهم. قال الحسن: ماتشاور قوم قطُّ إلا هُدُوا لأرشدِ أمورهم. وقال الضحاك: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله»[1].

أما الدّيمقراطيّة «هي النّظام الذي لا تتمثّل فيه سُلطة الحُكم في الملك أو الطبقة الأرستقراطية بل في الشّعب الذي يستطيع عبر ممثليه أن يحكم نفسه بنفسه[2]»، ويشير قاموس الفكر الفلسفيّ في هذا الشّأن إلى أنّ «الدّيمقراطيّة هي النّظام السّياسيّ الذي يمارس فيه الشّعب، صاحب السّيادة، السُّلطة. يقال إنها مباشرة عندما يشرّع المواطنون مباشرة في المجالس الشّعبية، ويقال إنها تمثيلية عندما يمارس الناس سُلطتهم من خلال وسيط الممثّلين»[3]. وقد أصبحت ممارسة الدّيمقراطيّة التّمثيلية هي الدّارجة في المجتمعات الحديثة، بعد أن أخذ مفهوم الدّيمقراطيّة المباشرة بالتّراجع نظرًا لطابعه غير العمليّ، وانحصر اليوم فقط في عمليات الاستفتاء العام[4]، وقد تبنّى الدّستور الكويتيّ مبدأ الدّيمقراطيّة النيابية (النّظام النّيابيّ)[5].

خاتمة

اتّسم الدّستور الكويتيّ بنزعة توفيقيّة بين المبادئ الدّيمقراطيّة الغربية المنشأ، وبين مبدأ الشّورى، وكأنّما الدّيمقراطيّة عبارتان مترادفتان في المعنى والأبعاد، كمثل ما سعى

---

(1) القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان**، (ج18، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006)، ص487-486.

(2) غدنز، أنتوني، **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص471.

(3) ناي، أوليفيه، وآخرون، **قاموس الفكر السياسي – الأفكار والمذاهب والفلاسفة**، ترجمة لطفي السيد منصور، (بيروت، دار الرافدين، 2020)، ص67.

(4) غدنز، **علم الاجتماع**، ص474-473.

(5) للديمقراطية ثلاثة صور: أولاً: الديمقراطية المباشرة، وهي حكم الشعب لنفسه بنفسه دون وساطة نواب عنه. وهي تطبيق كامل لفكرة الديمقراطية. ثانيًا: الديمقراطية شبه المباشرة، وهي صورة تجمع بين صورة الديمقراطية المباشرة، وصورة الديمقراطية النيابية في نظام واحد، بحيث ينيب الشعب عنه ممثلين يجتمعون في هيئة مجلس، ويمارسون معظم السُلطات نيابة عن الشعب ويعملون باسمه (ديمقراطية نيابية)، ولكن الشعب يحتفظ لنفسه ببعض السُلطات الهامة، ويتولى ممارستها مباشرة بنفسه وفقًا لوسائل تختلف من نظام إلى آخر. وهذه الوسائل تأتي عن طريق الاقتراح الشعبي، الاستفتاء الشعبي، الاعتراض الشعبي، الحل الشعبي، حق الناخبين في إقالة نائبيهم، ويكون للشعب أو الناخبين حق التدخل لتملي إرادتها العامة على السُلطات، وكأنها سُلطة رابعة (ديمقراطية مباشرة). ثالثًا: الديمقراطية النيابية، وهنا لا يزاول الشعب سُلطاته بنفسه، بل يقتصر دوره على اختيار نواب عنه، ولا يخضع النواب لإرادة الناخبين خلال مدة نيابة البرلمان. المرجع: الصالح، النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت، ص219-220-221-222.

إليه الفقهاء الدّستوريّون والباحثين إلى استلهام الآيات القرآنية في تبرير بعض مواده ذات العلاقة بحريّات وحقوق الإنسان. لكن الشّورى التي مارسها العرب في حقبة ما قبل البعثة النبويّة، بدايةً في النّظام القبليّ والعشائريّ، ومن ثُم أصبحت مبدأ معتبرًا في الإسلام، لا يمكن مقارنتها بما تعنيه الدّيمقراطيّة، وهي عبارة عن نظام سياسيّ متكامل له أسسه واعتباراته ومنطلقاته المختلفة. فإذا كانت الشّورى، هي ما يدعو الإسلام إليه، من أجل المشاورة في أخذ القرار، فإن الدّيمقراطيّة هي حكم الشّعب لنفسه، في سنّ القوانين، وفي اختيار الحكام، وغيرها. لذا، فإن الجمع بين مصطلحين مختلفين في الدّستور الكويتيّ وكأنهما شيء واحد، هو نوع من التّلفيق والتّهجين. فالدّيمقراطيّة تخالف الشّورى في أنّ مرجعيتها الشّعب، بخلاف الشّورى التي مرجعيتها الوحي. وفي هذا يقول المتحدّث الرّسميّ باسم الدّعوة السّلفيّة في جمهورية مصر منذ العام 2011م عبد المنعم الشّحات: «نحن نرفض الدّيمقراطيّة، ونرى أنّها ليست هي الشّورى الإسلاميّة، والشّورى الإسلاميّة مقيّدة بالوحي؛ فالمرجعيّة في الإسلام للوحي، والشّورى إنما تكون في كيفية تطبيقه. وأما «الدّيمقراطيّة»، فالمرجعيّة فيها للشّعب لا لأيّ شيء آخر»[1]. كما ذكر الشّيخ السّلفي عبد الرّحمن عبد الخالق (1939 – 2020م) «أنّ النّظام الدّيمقراطيّ الذي يجعل الحكم للشّعب، ويجعل الشّعب مصدر السُّلطات جميعًا نظام غير إسلاميّ، يناقض الإسلام في أخصّ خصوصياته، وفي أُسّ أساسه وهو السّيادة؛ فلا حكم إلا لله، في الصّغير والكبير. وكلّ حكم يعارض حكمه فهو باطل. وكلّ من حكم غير متقيّد بأمر الله وشرعه فهو طاغوت. وكلّ من رضي بحكم غير حكم الله وهو يعلم مناقضته لحكم الله فهو كافر»[2].

ويرى المرجع الشّيعيّ محمد مهدي الشيرازي (1928 – 2001م) وجوب إقامة الدّولة الإسلاميّة، وأنّ الحُكم الإسلاميّ أفضل من الحُكم الدّيمقراطيّ. ومن وجهة نظره، من الأرجح أن يكون للأمة ثلاث انتخابات، الأولى: انتخابات السُّلطة العليا من الفقهاء الذين هم مراجع تقليد الأمة، فيكون لهم مجلس شورى؛ فإذا كانوا في مجلس الشّورى تزعّموا الحُكم والتقليد معًا. الثّانية: انتخاب رئيس الدّولة، ومن الأفضل أن يُسمّى برئيس

(1) سالم، أحمد، بيوني، عمرو، **ما بعد السلفية قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر**، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2015)، 452.

(2) عبد الخالق، عبد الرحمن، **مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة**، (الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، 1993)، ص30.

الدّولة الإسلاميّة، إذ الأحسن أن تُسمّى حكومة البلد الإسلاميّ بالدّولة الإسلاميّة. وهذا الانتخاب يتمّ بالموافقة بين السُّلطة العليا، ومجلس الأمة، وجماهير الأمة. الثّالثة: انتخاب مجلس الأمة لنواب الأمة في انتخابات حرة[1]. «وعلى هذا، يكون الفارق بين (الحكم الإسلاميّ) و(الحكم الدّيمقراطيّ): 1- وجود سلطة عليا من الفقهاء. 2- تقييد الحكم بأن يكون في الإطار الإسلاميّ. ولذا، فمجلس الأمة إنّما هو للتّطبيق، لا للتّشريع»[2]، وأتبع «هذا بالإضافة إلى أنّ حكم الإسلام فيه من العدالة والحريّة، ما لا يوجد مثله في الحكم الدّيمقراطيّ الذي يكون التّشريع فيه بيد الأمة»[3]. أما ما جاء في دستور الكويت المادة السّادسة منه «نظام الحكم في الكويت ديمقراطي، السّيادة فيه للأمة مصدر السُّلطات جمعيًا[4].

المصادر والمراجع

- **المصادر**

- **دستور المملكة المصرية وقانون الانتخاب**، (مصر، مطبعة هندية، 1923).
- غيدنز، أنتوني، **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005).
- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان**، (ج5، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006).
- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان**، (ج18، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006).
- **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، (ج1، الكويت، إدارة الفتوى والتشريع، 2015).
- ناي، أوليفيه، وآخرون، **قاموس الفكر السياسي – الأفكار والمذاهب والفلاسفة**، ترجمة لطفي السيد منصور، (بيروت، دار الرافدين، 2020).
- النسفي، عبد الله بن أحمد، **تفسير النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (ط2، بيروت، دار المعرفة، 2008).

---

(1) الشيرازي، محمد الحسيني، **السبيل إلى إنهاض المسلمين**، (ط7، بيروت، مؤسسة الفكر الإسلامي، 1994)، ص241-240-39.

(2) المرجع نفسه، ص241.

(3) المرجع نفسه.

(4) **مجموعة التشريعات الكويتية، الدستور الكويتي والمذكرة التفسيرية والقوانين المكمّلة**، ص20.

- **المراجع**

- إسماعيل، عصام نعمة، **دساتير الدول العربية**، (بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2008).
- الباز، علي، **النظام الدستوري والسياسي الكويتي تطوراته الدستورية والسياسية منذ نشأة الدولة وحتى نفاذ دستورها الدائم (1756-1963)**، (الكويت، جامعة الكويت، 2008).
- الجابري، محمد عابد، **الديمقراطية وحقوق الإنسان**، (ط5، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015).
- الجاسم، محمد عبد القادر، **روح الدستور- نظرية التوزان - مدخل إلى فكرة الدولة والقانون**، (ج1، الكويت، دار قرطاس للنّشر، 2007).
- **الجريدة الرسمية لحكومة دولة البحرين**، (البحرين، وزارة الإعلام، ملحق العدد 1049، 6 ديسمبر 1973).
- الحملي، عماد، وآخرون، **الكويت دولة الدستور**، (الكويت، وكالة الأنباء الكويتيّة، 2012).
- حوري، عمر، **القانون الدستوري**، (ط2، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2011).
- دغمان، محمد رياض، **الوجيز في حقوق الإنسان والحريات العامة**، (لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2016).
- رعد، نزيه، **القانون الدستوري العام المبادئ العامة والنظم السياسية**، (لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2011).
- روسو، جان جاك، **العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي**، ترجمة بولس غانم، (ط3، بيروت، المكتبة الشرقية، 2016).
- سالم، أحمد، بيوني، عمرو، **ما بعد السلفية قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر**، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2015).
- سعد، جورج، **حقوق الإنسان**، (بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2017).
- الشيرازي، محمد الحسيني، **السبيل الى انهاض المسلمين**، (ط7، بيروت، مؤسسة الفكر الإسلامي، 1994).
- الصالح، عثمان عبد الملك، **النظام الدستوري والمؤسسات السياسية في الكويت**، (ج1، ط 2، الكويت، مؤسسة دار الكتب، 2003).
- الصادق، مصطفى، إبراهيم، وايت، **مبادئ القانون الدستوري المصري والمقارن**، (ط2، مصر، المطبعة العصرية، 1925).
- الطبطبائي، عادل، **النظام الدستوري في الكويت - دراسة مقارنة -**، (ط5، الكويت، مكتبة الكويت الوطنية، 2009).
- عبد الخالق، عبد الرحمن، **مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية وقبول الولايات العامة في ظل الأنظمة المعاصرة**، (الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، 1993).
- عبد، خا نزاد أحمد، **العلاقة بين الدساتير الحديثة والاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان**،

(بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2019).

- عبد الكريم، خليل، **الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية،** (القاهرة، سينا للنشر، 1995)، ص136-135-133.
- العلوي، حسن، **أسوار الطين في عقدة الكويت وأيديولوجيا الضم،** (بيروت، دار الكنوز الأدبية، 1995).
- فيبر، ماكس، **الجماعات الدينية،** ترجمة جورج كتورة، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2020).
- المجذوب، محمد، **القانون الدستوري والنظام السياسي في لبنان وأهم النظم الدستورية والسياسية في العالم،** (ط4، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، 2002).
- مجموعة باحثين، **حقوق الإنسان الرؤى العالمية والإسلامية والعربية،** (ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007).
- مجموعة باحثين، **المواطنة في تيارات الخليج،** (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2019).
- مجموعة مؤلفين، **حقوق الإنسان في الفكر العربي – دراسات في النصوص،** (ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010).
- الموصللي، أحمد، **جدليات الشورى والديمقراطية – الديمقراطية وحقوق الإنسان في الفكر الإسلامي،** (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007).

الطّبيعة في شعر محمود نون «فاصلة لكل الأزمنة» أنموذجًا

زينب راضي

مقدمة

قال عنه البروفيسور «علي مهدي زيتون»[1] هو شخصيّة ثقافيّة نادرة. لم يبدأ رسوليته بشعارٍ باهرٍ بل سمّى المؤسسة الثّقافيّة التي أنشأها «حركة الريف»، ولقد تكشّف هذا التواضع عن هموم ثقافية تصل الضيعة بآخر ما وصلت إليه الثقافة العالمية الحديثة، فكان قامةً ثقافيةً وأخلاقيةً رفيعة. إنه الشّاعر «محمود نون».

التعريف بالشّاعر: «محمود نون» شاعر لبناني من مواليد بلدة «حربتا» البقاعية سنة (1952–2023)، عمل في حقل التربية والتعليم. كان ناشطًا ثقافيًا أسس «حركة الريف الثّقافيّة في لبنان سنة 1993 كما أسس ملتقى الحوار الادبي في البقاع، وهو صالون أدبي استقبل الكثير من الحركات الثّقافيّة وأكمل نشاطاته في حربتا واستطاع محمود نون ان يراعي ويواكب حركة الادب والفكر في البقاع ويفعّل التلاقي والتواصل الثقافي في مختلف المناطق اللبنانية والعربية.

كما شارك الشّاعر «محمود نون» في الكثير من المؤتمرات والمهرجانات الشّعريّة العربية من خلال حضوره الشخصي، واشتراكه في الأبحاث والمقالات التي تخدم الحركة الفكرية والثّقافيّة العربية.

كتب في شعره ونتاجه الادبي الكثير من الرسائل الجامعيّة، وهو حائز الكثير من تقدير الهيئات الثّقافيّة والمؤسسات الفكرية.

صدر له:

- **النهر أنتَ والبحر مداك (شعر)، دار النعيم، 1991**
- **العودة قصة، حركة الريف الثّقافيّة، 1996**
- **نوافذ المطر (شعر)، حركة الريف الثّقافيّة، 1997**
- **الشّعر الشعبي في البقاع (دراسة)، اتحاد الكتاب اللبنانيين، 1999**

(1) ناقد وباحث وأستاذ جامعي

- **الشرفة والضوء (شعر)، إتحاد الكتّاب اللبنانيين، 2004**
- **بنية العلاج الروحاني وأدواته (دراسة)، حركة الريف الثّقافيّة، 2006**
- **حبات العقيق (قصص قصيرة جدًا)، إتحاد الكتّاب اللبنانيين، 2008**
- **قلق الذات الشّاعرة (دراسة)، حركة الريف الثّقافيّة، 2009**
- **ياسمين الطريق (كتابات)، حركة الريف الثّقافيّة، 2010**
- **رحلة بلا فصول (شعر)، حركة الريف الثّقافيّة، 2012**
- **سحاب فوق الرمال (دراسة)، دار العودة، 2013**
- **فاصلة لكل الأزمنة (شعر)، دار غوايات، 2017**

يعالج هذا البحث « الطّبيعة في شعر محمود نون « وذلك من خلال النّقاط التالية:

مدخل نظري، الطّبيعة مصدر إلهام وإبداع – الأسلوب المتّبع – نقد المدونة – الطّبيعة وسيميائية العناوين في ديوان «فاصلة لكل الأزمنة» – الطّبيعة في عنوان الديوان «فاصلة لكل الأزمنة» – الطّبيعة في قصائد ديوان «فاصلة لكل الازمنة» – الخاتمة.

مدخل نظريّ

«الرّعشة التي تجتاح المتلقّي لحظة وقوعه في أسر القصيدة، هي بسبب الجديد الذي قدّم له، بسبب رؤيته ما لم يعتد أن يراه في أحد جوانب العالم. والجمال في ما يسمّى فنًّا، هو عمق جديد مكتشف»[1].

ليس الشّعر الا التحام الفكر والروح، واندماج العقل والقلب، ليولّد ذلك انبثاق القصيدة التي ستبقى متربّعة على عرش الادب العربي بالرغم من التطوّرات التكنولوجية المتسارعة، والآراء التي تدك صرح الكتاب بالتشاؤم. والخوف على مصيره. هذا وإن كانت بعض الإشارات تشير الى تراجع القراءة في العالم العربي، ولكن يبقى الامل داعمًا للقلم والقراءة والعطاءات الأدبية التي لن تنضب طالما يرددها الكثير من المثقفين والادباء والشّعراء الراعين للمشهد الثقافي العربي

(1) علي مهدي زيتون، الشّعريّة بين الرمز والعرفان، دار المعارف الحكمية، ط1، 2017، ص46.

وسيبقى الشّعر ملاذ الأرواح التّائقة الى الهروب من الواقع الأليم، والأمان المستعصي في زمان استحالت فيه الافراح زخات متفرقات، حيث يقول فرناندو بيسوا[1]» الشّعر دليل على ان الحياة وحدها ليست كافية لان الشّعر سيبقى دليل الفرادة والتميّز الذي يزين الحياة فتسمو به لإكمال المسيرة الكونية بزخرف يسهل على البشرية صعوبات التأقلم مع كل ما هو جلمود متعجرف».

الطّبيعة مصدر إلهام وإبداع

كانت الطّبيعة ومازالت مصدر ثرمن مصادر الإبداع التي ينغمس فيها الشّاعر، فتتجلّى أحلى سماتها وأسمى معانيها في أسس القصيدة الملهمة. ولاستقاء عناصر الطّبيعة في رؤى القصيدة لا بدّ من تكاثف الخبرات والاستعداد التلقائي لدى الشّاعر» تتفاعل الخبرات المكتسبة، على مر الزمن، لدى المبدع تفاعلًا خاصًا بين خبراته المكتسبة، يحدث في بوتقة خاصة يتميّز بها عن الآخرين هي بوتقة الموهبة والاستعداد الفطري، وذلك يعني أنّ مصدر الإبداع لا يمكن بعيدًا عن ذات الانسان، فالإبداع يسكن في أعماق الشّخصيّة، والدّليل على ذلك أنّ الافكاروالاشياء والعلاقات التي تتخلل نسيج العمل الفنيّ مستقاة من واقع الفنان، وإن امتزجت بتصوّراته وتداعيات أفكاره» [2].

لكي تتكامل عناصر الإبداع الفنيّ، لا بدّ من وجود الطّبيعة بكل عناصرها الجميلة والمخفية والقريبة والبعيدة الحسيّة والمجرّدة لأنّ الشّاعر على تماس دائم مع الطّبيعة حيث تتكامل معها العملية الإبداعيّة والفنيّة دون الفصل بين العناصر المختلفة التي يتناولها خيال الكاتب وذهنيته الشّعريّة « عندما تتفاعل العملية الإبداعيّة تحتشد عدة أدوات وعناصر متمازجة في لحظة تغير الدلالات التي يهوم فيها الشّاعر متحررًا من الواقع العملي، وتظل هذه العناصر بطبيعتها الأولى قبل الانصهار في بوتقة العملية الإبداعيّة قيودًا تعوق

الشّاعر لكنها سرعان ما تتفاعل وتنبثق القصيدة في دفعات متوالية وثبات حاملة كل سمات عناصر الابداع بشكلها الجديد وبمحاولة الفصل بين العناصر المختلفة التي تكون القصيدة سنجد أن شيئًا ما قد فقه أن أحدًا لن يستطيع تحديد العنصر الحيوي في

(1) شاعر برتغاليّ.
(2) كمال أحمد غنيم، عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، ط1، 1997، ص13.

القصيدة تحديدًا قاطعًا [1]، والطّبيعة برمتها منطلق أساسي لرؤى الشّاعر وهواجسه حيث هي طاقة حيّة لإيحاءات ترتاد قلب الشّاعر وفكره، فتساعده في طرح الأسئلة الوجودية التي تعنى بما قبل وبما بعد الوجود. والطّبيعة عنصر إلهام وإبداع وحيرة وتساؤل أحيانًا وأحيانًا أخرى عنصر أمان واستقرار وثقة بل هي وسيلة عبور وكشف يصل منها الشّاعر الى خزين العالم وموجوداته وتحدياته « الطّبيعة تحدّ فاتن لنا، تغرينا وتخيفنا، نتوّهج في حضنها كالأسئلة، الطّبيعة أجمل التحدّيات»[2].

وأودّ أن أشير إلى أن محمود نون شاعر ريفي تفتّح وعيه الإنسانيّ على الرّيف وطبيعته الخلابة المغرية وانبثق وعيه الشّعريّ من عناصرها الجمالية المتعدّدة وهو الذي وقع في أسر قصيدته شاعرًا يؤم العالم بلغته الشّعريّة والممهورة بالصّور المكثفة التي أثرت في المتلقي فجعلته يكتشف قدرة محمود نون على سبر قصيدته الشّعريّة الموثقة بعناصر إبداع متكئة على كتف الطّبيعة.

الأسلوب المتّبع

سيتّبع البحث الأسلوب السّيميائي الذي يهتم بما يرويه النص ويعمل على انتاج المعنى وشرح تشكّلاته العميقة حيث ستدرس الإشارات والعلامات. لان السيميائية تدفعنا لأن تكون « مقاربة النص متناسبة مع طبيعته والمقاربة عبارة عن محاولة لقراءة سيميائية تتناول كلا من العنوان والإيقاع والنّظام اللّغويّ، بمعجمه وصرفه ونحوه والمجاز، والشّيفرات الثّقافيّة والرموز لنطل بعدها على مرجعية النّص وإيديولوجية قائلة».[3]

هذا بالإضافة الى منهج أسلوبي قوامه الاعتراف أن لكل كلمة تأثيرها في إنتاج الدلالة العامة للنص بكليّته، إذ لا وجود لحيادية الكلمة في المعنى العام للقصيدة، فلكل كلمة موقعها وبعدها الدلالي الذي يستثمره الشّاعر في بناء قصديته الشّعريّة، وتدعيم وصولها الى المتلقّي الذي سيقرأ القصيدة أولًا والشّاعر ثانيًا ولا بدّ «من مراقبة ما تتبادله التّراكيب فيما بينها من فعل إضاءة واستضاءة لأنّ وجود التّركيب الى جانب التّركيب يعني تدخّلًا حتميًا متبادلًا في توجيه الدّلالة وتحديدها. وهذا الفعل يشمل النص بأكمله يعني اننا أمام شبكة مكثّفة من العلاقات، وبقدر ما نستطيع الإمساك بخيوطها نكون قد أمسكنا

(1) محسن حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، القاهرة، دار المعارف 1981، 21-20.
(2) جريدة الرأي، حوار مع جودت فخر الدين، قليل هو الشعر الجيد، 2009-6-1.
(3) علي ديب الخطيب، طابة الخلفاء الراشدين، بيروت، العمادة، رسالة ماجستير كلية الآداب، 2014-2013.

بالدلالة، التي تظل عصية على السّبر بسبب طبيعة الشّعر نفسه»[1].

وإذا كان الشّاعر نون قد جعل من عناصر الطّبيعة رافدًا أساسيًا لإنتاجه الشّعري وعونًا مهمًا للتعبير عن دواخله المتماهية مع الطّبيعة التي هي من سنخها.

وهذا البحث عمد إلى دراسة الطّبيعة في « شعر محمود نون فاصلة لكل الأزمنة أنموذجًا»، واصفًا نصب عينه دراسة تأثير الطّبيعة في شعره وتبيين تأثّره بعناصرها وتأثير هذه العناصر على مسار قصيدته وتطوّرها ومحاكاتها لعالمه الشّعري المميّز.

نقد المدونة

«ديوان فاصلة لكل الأزمنة» قصائد شعرية أنتجت سنة 2017 عن دار غوايات. يقع الديوان في 122 صفحة موزعة على سبعة أبواب، كل باب اشتمل على عدة قصائد تنوعت عناوينها بين الامل والسؤال والايمان والحلم. وفي كل ذلك نجد شاعرًا متألقًا عميق التفكير واسع المعرفة.

الطّبيعة في عنوان الديوان « فاصلة لكل الأزمنة»

عند معاينة عنوان الديوان « فاصلة لكل الأزمنة» تتفتّح أمامنا الكثير من الإيحاءات والكثير من العلامات السيميائية وشيفراتها التي لا تسلمنا نفسها إلا بعد عناء وتفكر، فالدلالات منغلقة قد تدفعنا الى لكز ذاكرتنا لإيقاظ ثقافتنا واستحضار معارفنا لكي نستخلص علاماتها. والملاحظ أنّ الطّبيعة حاضرة في العنوان ولكن بمصداقها المجرد المجموع على أزمنه جمع زمان وزمن وكلا المفردتين مصداق مجرّد من مصاديق الطّبيعة الهائمة في رمزية الكون، حيث هي مفردة تجمع تحت لوائها آلاف المصاديق والمعاني في مجرّد ومحسوس. أما الفاصلة التي استخدمها الشّاعر مدخل الى العنوان فهي أداة معنوية تفصل بين زمان وزمان، إذ لكل زمان خاصياته وانبثاقاته ومعطياته ولا بدّ من فاصلة فاعلة تضع كل زمن في خانةٍ منفردة ولكنّها غير مستقلّة استقلالًا تامًا، فهناك دائمًا مساحة رماديّة تفرض نفسها كفواصل بين الأزمنة وفاصلة محمود نون ديوان شعري مؤثّر.

والسّؤال الذي يطرح نفسه عند الانغماس في هذا العنوان هو أي أزمنة يعنيها الكاتب؟

(1) علي زيتون، السيّاب شاعرًا، ص8.

هل هي أزمنة الحياة أم أزمنة العمر أم أزمنة الفكر أم غيرذلك؟ من هنا نجد أنّ الدلالة السّيميائية والشيفرة الدلالية ليست إلا تخمينات وتوقّعات تشرحها صفحات الدّيوان ومضمونها حيث نعرج على ذات الكاتب وندخل عالمه من خلال قصائده لنتبين ما تكنزه من معانٍ ودلالات بل وجسور ممتدّة ما بين الشّاعر والطّبيعة التي تحاكي نفسيّة الكاتب وانتاجاته الشّعريّة، فنكون إزاء فاعل ومتفاعل مع الطّبيعة المكون الأساسي للوجود والعالم المرجعي لشعرية الشّاعر « فشعرية الشّاعر ليست سوى فرادته وفرادته عين ما مكنته ثقافته من أن يراه العالم المرجعي مادة شعره. فالشّعر كشف عن عمق من أعماق العالم المرجعي لا يمكن لأي شاعر أخر أن يدركه بسبب اختلاف الرؤى، فالرؤية بصمة لا يشارك فيها أحدًا من خلق الله».[1]من هنا تأتي دراسة رؤية المتلقي للعنوان مختلفة باختلاف قرائها إذ لكل قارئ نظرته واستقراءه، ناهيك عن ضمير الكاتب ساعة انبثاق قصيدته.

الطّبيعة وسيميائية العناوين

«خاصرني اليمام» عنوان يأنس فيه الشّاعر اليمام واليمام من الطّيور البرية والحضريّة ترفض التّدجين لكنها اجتماعيّة، لذا اختار الكاتب طائر اليمام ليخاصره ويكلمه، ففعل المخاصرة والقول ليسا من صفات الطيور بل خيال الكاتب جعل من اليمام رديفًا لوجدانه الإنساني المتلاطم مع أمواج الحيرة والتساؤلات فوضعه ندًّا لنظرة الشّاعر التفاؤلية، فاليمام عرّاف يرى بالعين اليقظة فيقول قوله والشّاعر نون شاعر واسع الصدر يرى بالعين التي تؤمن باليسر بعد العسر وبالفرج بعد الضّيق. « لكن بالأصابع الخمس/ يفرحني ان ارسم الشمس». ويبقى ان اليمام عنصر حي من عناصر الطّبيعة التي تآلف معها الشّاعر وجعل من مفرداتها نسيج متين وجميل يسكب عليه احاسيسه ومشاعره لينتج شعرًا تأمليًا متفرّدًا. وخاصرني اليمام ملتصق بالطّبيعة من خلال عنصر من عناصرها رحيل الزمان: الرحيل الذي يومئ الى ترك المكان والزمان هو الموت الذي لا رجوع منه والرحيل موجع بذاته، فكيف يكون إذا ما كان الراحلون هم الأعزّة والأحبّة. بل إن الرحيل في الدنيا أثار مواجع البشر وأبكى الشّعراء منهم وجعلهم يكتبون أسمى الشّعر وأعذبه فكيف بالرحيل إذا كان عن الدنيا.

(1) علي زيتون، مجلة المنافذ الثقافية، العدد 1 ص 65.

وعندما يرحل الزّمان فإنه يأخذ أبناءه معه في غياهب التّاريخ، فالزمان يرحل محمّلًا بمحمولات الدنيا في أرواح وذكريات وأمنيات وليس الزمان عند الشّاعر نون إلا الأب (اليمام، المساء، ايمان) والأم (أمومة)

وجوزف حرب (قراءة، حضور، آهة، الزمان، مناجاة). والزمان عنصر معنوي للطبيعة وظّفه الشّاعر لإثبات صلته الدائمة بها.

حربتا الأهل والتّراب: حربتا ليست هي القرية وحسب بل هي الاهل أصل وجود الشّاعر وسبب شغله مساحة في هذا الكون، وفي هذه المعادلة حربتا هي أصل ترنيمة الشّاعر وسطوع حرفه بل هي سبب من أسباب الحياة وعندما تكون حربتا هي الاهل والاهل هم الشّاعر، فهذا يعني ان حربتا هي نفس الشّاعر وروحه. وليس هذا وحسب بل هي التراب الذي يضم الاهل والجدود والاصل والحسب والنسب، بل هي طين انسانها وعجينة إبداعه ونلمس كل ذلك في قصائد هذا الباب التي دلل بها محمود نون قريته فكانت الطيور والغروب والكتاب الجميل والنجمة والهديل والهيام والكينونة والبهاء... وايضًا للطبيعة مكانها في هذا العنوان أيضًا، فالتراب عنصر هام من عناصرها ساعد الشّاعر على إثبات تعلّقه بها.

نوافذ: النافذة كوّة أمل نحو مساحة من الضوء ودليل حياة وانفتاح، فكيف بالنوافذ ففي هذا العنوان تفاؤل وانشراح وجبر خاطر للمرسل والمرسل إليه إن كان مباشرًا أو غير مباشر، فتعدد النوافذ استمرارية حياة مع صبغة أمل وطاقات انفراج والشّاعر هو من خلق هذه النوافذ من وسطٍ ضيّقٍ يقبض عليه إذ لم يكن الشّاعر في سعة من الضوء ولكنه ابتكره ليشغل عالمه ببعض الراحة فيشتعل الفكر وتتبثق المشاعر فتكون الفرصة والفرحة من النوافذ فـ عيناكِ نافذة وذكرى نافذة والمناداة نافذة...ولطالما كانت النوافذ أصل الاطلالة على الطّبيعة ومنفذ إليها.

مدارات: مدارات يعني لا اقتراب ولا ابتعاد بل استتباب أمن لكلا الفريقين الشّاعر وأغراضه التي هو بطور مراقبتها وحمايتها بحذرٍ وعن بعد فهو يوجد آصرة تمثّل القلق الإنساني تجاه وجوده، فهو دائمًا يريد إثبات أهمية وجوده بالنسبة للآخر مهما كان انتماؤه، فالمدارات مراوحة في الزمان والمكان ومزاوجته بين الانتباه والحذر والتضاد، بالإضافة الى جناح الذي هو حماية وزفير هو تعب وصدى هو خيبة امل ولا شكّ إن

أصل التسمية مدارات يعود بمعناه الى مدارات الكواكب وما تحيك السّماء ولهذا عودة الى الطّبيعة الام.

ظلال وغبار: الظل حاجة لمن هو في الهجير والشّاعر نون شاعر وجودي يحمل همومًا ترخي ظلالها على نفسه وروحه وينشغل بتساؤلات تقض مضجعه وتشعل فكره وقلمه وما الغبار إلا تراكمات الواقع وعدم جدوى المثالية التي يحلم بها الشّاعر والغبار لا يكون إلا على الثابت والراكد من الأسئلة الوجودية التي لا جواب لها فهي باقية تثير الحيرة والخوف على المصير فـ ملاذ وسراب وورطة وحيرة عناوين لقصائد تحكي هذا الباب. وهذا العنوان على علاقة مع الطّبيعة، فالظلال مرهونة بالأشجار وعناصر الطّبيعة الفطرية.

الطّبيعة في قصائد الديوان « فاصلة لكل الأزمنة»

اللافت في قصائد الديوان حضور الطّبيعة فيها بمختلف مفرداتها وتجلياتها حيث تشكّل عالمًا مرجعيًا يستند إليه الشّاعر ويعب منه ما يضفي على شعريته فيضًا في الحيوية والواقعية والابهار- فالسّماء والأرض والافق والرمل والضّياء والمدى والحقول والثمر والندى والماء والفراش والزهر والغصن، كلها مفردات من الطّبيعة الام التي لا تني تعطي وتنجب ما يبهر العين ويغذي الفكر ويوقظ الشّاعرية.

واللافت في عنوان القصيدة المطولة « خاصرني اليمام « وهي قصيدة الديوان الأولى أنّ الشّاعر بدا صديقًا حميمًا لليمام حتى خاصره وقال له الكثير الكثير. واليمام ابن الطّبيعة وصديقًا لها حيث السّماء ملعبه والشجر مرتعه وزرعها غذاؤه وماؤها سقياه وتتعدد العلائق فيما بين اليمام والشّاعر والطّبيعة لتعطينا نتيجة حتمية تفضي إلى أن الشّاعر نون صديق اليمام واليمام ابن الطّبيعة فبالتالي محمود نون ابن الطّبيعة وصديقها حيث هي ملاذه من قساوة الدهر وحنق ظروفه.

وبالعودة الى هذه القصيدة « خاصرني اليمام «، يقول الشّاعر:

وقال لي:

وسمعنا يحاصر المدى

ويبصر الرمال والضجر

في الأفق نجمة

رياح تنهب الحقول

جدبٌ ليس بعده غمام أو ثمر

ناقوس ابلٍ وصهيل « داحس»

والله أعلم بما بعد التخوم من رمال او حفر [1]

الشّاعر ينتمي الى الطّبيعة انتماءًا عميقًا ويفيء إليها في أوقات العسر واليسر، ففيها دواء من كل داء وإيجاب لكل سلب فها هو صديق لليمام وسمعهما يخاصره المدى ويبصر الرمال والضجر. فاليمام يرى ما يرى في الأفق من نجمة ورياح وجدب ومجهول ولكن الشّاعر يجعل ذلك نظرة متفائلة فيحوّل العسر الى اليسر متكئا على الطّبيعة جاعلًا من مصاديقها آية إنقاذ من هول التشاؤم فالمطر على النوافذ وانبعاث الندى او استنبات الماء من المدى وامتلاء السّماء بالفراش والزهر جاء كل ذلك ردًا على رؤية اليمام وجعل رؤياه قصيدة إنسانية تحاكي الروح وتأخذها الى عالم السعادة والتجلّي والامتثال للقول الإلهي « ولا تقطنوا من رحمة الله « فكان من رحمة الله ان ارتقى الشّاعر عن شبهة القنوط بالاستعانة بصديقته الطّبيعة التي اتخذها بلسمًا لآلام البشرية وهمومها.

وفي قصيدة «دهشة» يقول الشّاعر:

ما أقرب السّماء

وما تشاؤه النوافذ المطلة على الضّياء

ما أقرب السّماء

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص11.

ما أبعد السّماء[1]

السّماء من مصاديق الطّبيعة والسّماء من السّمو والارتفاع حيث تثير دهشة الكاتب من قربها ومن بعدها في الحين نفسه، وما هذا التناقض سوى انعكاس لإيمان الشّاعر على قدرة السّماء التي طالما ربطها المؤمن بعقيدته إذ إنّ مشيئة السّماء هي مشيئة الله والسّماء كما الخالق قريبة وبعيدة نحاكيها في ألسنتنا وقلوبنا وإذا أردنا ذلك اتجهنا الى النوافذ المطلة على الضّياء، فالنّافذة عيننا الى السّماء التي لها قدسيتها لارتباطها بكل ما هو سام وطاهر وقادر، فالمطر والرّياح والضّياء والفضاء، كل ذلك سماء الخالق والمخلوق.

وفي قصيدة «أمل»، يقول:

يحزنني

أن أقرأ الامس

أن أقرأ الأنين والهمس

لكن

وبالأصابع الخمس

يفرحني

أن أرسمَ الشمس[2]

بكل ارادته وبكل أصابع يده وبعد الياس سيرسم الشّاعر الشمس، والشمس عنوان الامل والتفاؤل والضوء والسّطوع والشمس ابنة الطّبيعة فكما نرى أنّ الشّاعر يعود من تكتلات همومه ويأسه الى حضانة الطّبيعة الأم فهي أساس من أسس الاستقرار والسعادة.

وفي قصيدة عصافير سرت: حيث أراد الشّاعر ان يرثي العمال المصريين[3] شبههم بالعصافير أولاد الطّبيعة وزينتها والعصافير عنصر بريء من عناصرها استحضره الشّاعر لينعت مجموعة من العمال ضربوا في الأرض يفتشون عن لقمة عيشهم فكانوا

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص40.
(2) فاصلة لكل الأزمنة، ص41
(3) مجموعة من العمال المصريين الأقباط، قتلتهم قوى التكفير والإرهاب على شاطئ سيرت في ليبيا، شباط 2016.

طريدة صبح لصيادي الإنسانية وقتلها، قال الشّاعر:

ضربوا في الأرض

عصافير صبح

ليس لهم في وجه الريح سوى

وجه من يمام[1]

وهكذا فهذه العصافير لم تجد سلاحًا في وجه الرّيح سوى وجه يمام. والشّاعر في هذه السطور استعان بالطّبيعة (الأرض، عصافير، الصبح، الريح) ليرسم مشهدًا مأساويًا يلفت به إلى التوغّل في أذية الطّبيعة الإنسانية.

وفي قصيدة إيمان، يقول:

غنية بكل أنوار الشموع

كانت يدا ابي

وكانت الجموع

تصبو إليه

وتبصر الغيوم في عينيه[2]

القصيدة تكشف عن علاقة حميمة وصادقة ونظرة تفاؤلية وتقديرية من الابن لأبيه ولكن الشّاعر عندما أراد أن يُعلن أباه معطاءً كريمًا استخدم التعبير المجازي والكناية وذلك عندما استعار كلمة الغيوم من الطّبيعة ليضعها في عيني أبيه فتصبح مهطالًا بالخير والعطاء والدموع وهذا ما يعكس شيم أبيه وصفاته.

وفي قصيدة « قراءة» المهداة الى الشّاعر الراحل جوزيف حرب، يقول:

مطر الحكيم حبره

يا سيد البياض والخميل

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص49

(2) فاصلة لكل الأزمنة، ص56

وهذه السّماء فيك

وكل ما فيك جميل

ولك الغيوم

والنجوم

من صباحك النهيل إلى

ساعة الرحيل[1]

تحتشد عناصر الطّبيعة في القصيدة (مطر– البياض – الخميل – السّماء – الغيوم – النجوم – الصباح) لتشكل تظاهرة تدعم حب الشّاعر للطبيعة وجعل قصائده مسرحًا لمفرداتها حيث تسانده في التعبير عن شعريته وتحل به حلول المحب بمعشوقه، فالممدوح (جوزيف حرب) حكيم مطره جبرٌ وقصائد وهو سيد البياض والورود وهو واسع الصّدر لتحل السّماء فيه وله الغيوم الهاطلة بالخير المدرارة بالرحب وله النجوم بتعددها واشعاعها وجمالها وكل ذلك له منذ اطلاعه على الحياة وصباح ترحيبها به الى ساعة الرّحيل، وهنا امتزج حب الشّاعر للطبيعة وحبّه لجوزيف حرب فأنتج ذلك شعرًا في غاية الإحساس. ليست الطّبيعة والحب بجديدين على الشّعر العربي لكن الجديد فيهما عند شعراء الحركة الوجدانية انهما يمتزجان بوجدان الشّاعر امتزاجًا يكاد يتّحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الدّاخلي، فتحمل التّجربة دلالات أرحب من الدّلالات المألوفة في التّجربة العاطفيّة التّقليديّة[2].

وفي قصيدة «طيوب» التي أهداها الى قريته، يقول:

أجمل ما فيها الغروب

ففي مسافة المساء

كل جناح صوبها يؤوب

يرمي الرفيف للمدى

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص60.

(2) عبد القادر القطر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة 1978، ص12.

ويخصب الظلال بالطيوب[1]

ربما أنّ الطّبيعة هي «سحر يفوق كل سحر، ولها سلطانها على الانسان وقدرتها على تحرير ذاته من قيود الحياة.»[2] فهي كانت مصدر وحي للشّاعر نون استمدّ منها هذه الصّور الجميلة فبحضور الغروب والمساء والمدى والظّلال والطيوب استطاع بها الكاتب ان يضف قريته وصفًا اثبت فيه مقدرته الفنيّة والشّعريّة، فهي جميلة عند الغروب ومآب الطيور وملاذها وهي قرية الفيء والظّلال والطّيوب. فالطّبيعة غنية بعناصرها والشّاعر فذّ في استقاءها واستخدامها ولهذا قيل الطّبيعة «هي جانب يرمز إلى عالم ثري في المشاعر والاحاسيس.»[3]

وفي قصيدة «بهية»، يقول:

ما يسأل المتعب في ظلال شجرة ندية

من أين هذه الطيور والعطور البهية

أسألها

وأسأل المدى

فيشرق الزمان من ترابها

ويمضي ضاحكًا الى رواسيها العلية[4]

الإنسان بفطرته مغرم بالطّبيعة فكيف بشاعر مفرط الحساسيّة والرّهافة كالشّاعر نون، فالطّبيعة «لا تتغير ولكن تأملات الشّعراء فيها هي التي تتغيّر تبعًا لإحساسهم ومزاجهم.»[5] فالطّبيعة والاحاسيس أس ثرٍ في قصيدة الشّاعر (ظلال – شجرة ندية – الطيور – العطور – المدى – الاشراق – الزمان التراب – رواسيها)، فسيميائية هذه الكلمات كلها تعود لدلالات تشرق في نفس الشّاعر فيوظفها في قصيدته الشّعريّة.

(1) فاصلة لكل الأزمنة، 68.

(2) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، اللذات والآلام والنفس والعقل، منشورات الجمل ط1، 9 – 20، ص13.

(3) محمد زكي العشماوي، الادب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مطابع عابدين 1974، ص405.

(4) فاصلة لكل الأزمنة، ص 75.

(5) إليزابيت درو، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت 1964، ص245.

وفي قصيدة «هيام»، يقول:

أقول

يا سيدة الضياع

ترابك الأهل، وغيمك الرضاع

وبيننا

من الهيام ما يفي هيام نجم بالشعاع[1]

هي ضيعته التي عشقها فكانت بنظره سيدة الضّياع، ففي ترابها المرقد السرمدي للأهل وفي غيمها رضاع لكل أبنائها والشّاعر يضيف «بيننا» مشيرًا بذلك إلى نفسه وقريته، فيبينهما من الهيام والحب والعشق ما شبه هيام النجم بالشعاع المنبثق عنه الذي هو جزء منه وهنا إشارة إلى كون الشّاعر جزءًا منبثقًا من ضيعته. فالشّاعر نون لايني يستعين بعناصر الطّبيعة الصامتة (تراب – غيم – نجم)، مصدرًا للتعبير عن مشاعره وبثّ أشواقه لما أحب وعشق حيث الهيام شدّة العشق والشّاعر ريفي المولد والنشأة والسكن العمر بسنينه فكيف لا يكون ذلك العاشق الرومنسي لضيعته الحافلة بجمال الطّبيعة وفطرتها.

وفي قصيدة «كينونة»، يقول الشّاعر متحدّثًا مع قريته:

فشمسك أهلي

وماؤك في الدم نسغ الحياة[2]

في القرية تتجلّى الطّبيعة من أوسع أبوابها ونون منغرس في القرية وعليه فهو عاشق لطبيعتها وقد لجأ هنا الى التشبيه المقلوب حيث شبّه الشمس بأهله «فشمسك أهلي»، فالشمس مشرقة كأهله دافئة كأهله ومن أسرار الحياة كأهله. وبالتالي فهذه الشمس ككل عناصر الطّبيعة هي أسٌّ أساسي في هذا الوجود كالأهل.

وكذلك ماء قريته يسري كما الدم في عروقه وهو نسغ الحياة والسبب في استمراره حيًّا

---

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص72.

(2) فاصلة لكل الأزمنة، ص73.

وهذا التشبيه البليغ « وماؤك في الدم نسغ الحياة» ما هو الا دليل حي على انحباس الطّبيعة وعناصرها في اصل وجود الشّاعر نون.

وفي قصيدة فرادة، يقول:

يجيئني وجهك يا ندية الجناح

كبجعة مسافرة

يعمّد الغيمَ

يغيث الذاكرة

يجيئني

من صفوة الطيور والملاح

مرفرفًا

بين الضياع والنواح

يحاصر الشمس

ويغني الخاطرة

وفي الغدو والرواح

يزرع ألف شرفة

لكل راية تواعد الصباح[1]

في إحصاء صغير لكلمات هذه القصيدة التي تنتمي الى الطّبيعة يتبيّن إنّها إحدى عشرة كلمة (ندية – الجناح – بجعة – الغيم – الطيور – مرفرفًا – الضياع – الشمس – الغدو – الرواح – الصباح) وهذا كم إحصائي يعطينا الحق ان نصنف القصيدة بأنها منحازة الى الطّبيعة انحيازًا بحيث لو أننا أقصينا مفردات الطّبيعة كما بقي معنى لقصيدة. وهذا دليل حي أن الشّاعر يتبين الطّبيعة في قصائده في مختلف أغراضها الشّعريّة، ففي هذه القصيدة الغزلية يثبت لنا الشّاعران حبيبته تنتمي للقرية كانتماءه فهي

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص80.

ندية الجناح كبجعة ووجهها يعمّد الغيم ويجيء في صفوة الطيور الملاح...وهذا كما أسلفنا ان الشّاعر بكله وعواطفه ومشاعره يخاصر الطّبيعة لانها تشكل هويته الحقيقية والعشرية.

وفي قصيدة «صور»، يقول:

أضعت خط الغيم في الزمان

ودورة الأسماء في المكان

وما يكون في تمام الشجرة

من بذرة الروح

وحضن الثمرة[1]

يرتاح القارئ لهذا التّوافق بين المشاعر والطّبيعة اذ تنعكس تأثيراتها نفسه فمفرداتها وعناصرها تساعده دائمًا في ابراز مكنونات نفسه بصيغة مشاعريّة تطرح المسائل الوجودية التي تتكلم عن ماهية العالم وماهية النفس وتقلباتها والتشتّت في بعض مراحلها. إنّه التيه والضّياع في المكان والزّمان إنّه الغموض والحيرة بمكونات الطّبيعة. إنّه الانسان الباحث دومًا عن الحقيقة التي ما زالت تلتحق بالمجهول.

الخاتمة

الشّعر ابن التجربة وربيب الشّاعر الذي «يخوض غمار الحياة كسائر الناس لكن بطريقة مختلفة، أقصر رؤية مختلفة، مزيّته الكلمة وهو ليس في الواقع شاعر لفرديته، أو لما يتأثر به في الظروف عامها وخاصها، انما هو شاعر بما يمكن أن يعبّر عنه في الحضور الذاتي في العالم، وعيًا وشعورًا، ومن النظام الثقافي الذي يظله، ومن الإبداع».[2]

والشّاعر محمود نون شاعر تبين اللغة المبسطة والمكثفة في آن معًا لإيصال فكره الى المتلقي مستعينًا بالطّبيعة التي امدته بطاقة روحية ومعنوية ومحسوسة ليبث من خلال منح الوجود لتنتصر الحياة.

(1) فاصلة لكل الأزمنة، ص104.
(2) حسام الضيقة «الرؤيا الصوفية في الشعر وألوانها»، حركة الريف الثقافية ط1، ص67.

والتأمّل كان عند نون «هو التفكير بأسمى مراتبه ويقوم في البوذية مقام العبادة في الديانات الأخرى»[1].

وهكذا فان التأمل يكون أولًا في الطّبيعة وما يدور في فنائها ومن بعدها يسترسل الشّاعر في إتمام إعجازه الفكريّ من خلال قصائد تمدّ القارئ برشفة حياة ليبلوَ نفسه أمام عدمية المعرفة لكنّه الوجود فيصير كالشّاعر وجوديًّا حائرًا من مبلسات الكون وغموضه.

الشّعر عند نون مرآة نفسه أولًا اذ وجدناه في كل كلمة وعند كل مفترق شاعرًا يتدرج في مراقي التأمل في الطّبيعة وما ينتمي إليها ليسكن ضجره ويفتّت حيرته على مراسيها. ومن الشّاعر تنتقل إلى المتلقي رومنسية الشّاعر في جهة وحيرته الوجودية من جهة أخرى فيوقع القارئ في شرك التحليل الفكري لعالمه فيتفق مع الشّاعر إن العالم مأسور باليأس حينًا وبالأمل أحيانًا وان الطّبيعة مصدر إلهام وحبّ تأمّل من جهة ومصدر حيرة وطمس وجهل من جهة أخرى.

ويبقى أنّ شاعر الرؤية والوجودية محمود نون أتحف عقولنا وفكرنا بعدًا تفاؤليًا باستدراجه عناصر الطّبيعة لتكون له متّكأً دثيراً مفعمًا بالصور الحية كل قطرة تشي / تشي / بأجمل الكنوز.[2]

وهو شاعر الامل «لكن/ وبالأصابع الخمس/ يفرحني / أن أرسم الشمس.

(1) م.ن، ص77.
(2) فاصلة لكل الأزمنة، 120.

المصادر والمراجع

1 – أيوب، نبيل، الطريق الى نص القارئ المختلف، دار المكتبة الاهلية، بيروت، 1977.

البنية الجمالية في القصيدة العربية الحديثة، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، 1992.

2 – أيوب، علي سعيد، بين الدقّة والمرساة يصبح الحلم حقيقة، دراسة الرمز في شعر عمر شبلي، بيروت، دار الطليعة، ط1، 2019.

3 – بلوط، جنان، الشّعر بين البعد الإنساني والبعد الايديلوجي: كتاب رحلة بلا فصول للشاعر محمود نون أنموذجا، دار العودة، بيروت، ط1، 2016.

4 – بن يعقوب، أحمد بن محمد، مسكويه، اللذات والآلام والنفس والعقل، منشورات الجمل ط1، 2009.

5 – حبشي، رينيه، مقال: الشّعر في معركة الوجود، مجلة شعر، عدد1.

6 – الخطيب، علي ديب، خطابة الخلفاء الراشدين، بيروت، العمادة، رسالة ماجستير.

7 – درو، إليزابيت، الشّعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشواش، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت 1964.

8 – زيتون، علي مهدي، الشّعريّة بين الرمز والعرفان، دار المعارف الحكمية، ط1، 2017.

علي مهدي زيتون، السياب شاعرًا.

9 – الضيقة، حسام، الرؤيا الصوفية في الشّعر وألوانها، حركة الريف الثقافية، ط1.

الوجودية في الشّعر العربي اللبناني الحديث.

النموذج الصوفي في الشّعر، حركة الريف الثقافية، ط1، ص58.

10 – عز الدين، اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر، ط3، 1974.

الشّعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، طبعة 2007.

11 – عبد الله، محسن حسن، الصورة والبناء الشّعري، القاهرة، دار المعارف، 1981، ص–20 21.

12 – العشماوي، محمد ذكي، الاديب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، مطابع عابدين 1974، ص405.

13– غنيم، كمال أحمد، عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، ط1 1998، ص13.

14 – كموني، سعد، إغواء التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2011.

15 – نون، محمود، فاصلة لكل الأزمنة، غوايات، ط1، 2017.

16 – هلال، محمد غنيمي، في النقد التطبيقي والمقارن، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القجالة، القاهرة، د– ت.

المجلات والجرائد:

1 – بشعلاني، دوللي، مقابلة مع محمود نون، الديار، لبنان، 1999-11-12.

2 – بلوط، جنان، في حوار حول الشّعر بين البعد الإنساني والبعد الأيديولوجي، مجلة الشراع، 2015-12-11، عدد 305، ص45-44.

3 – جريدة الرأي، حوار مع جودت فخر الدين، قليل هو الشّعر الجيد، 2009-6-1، كلية الآداب 2013-2014.

4 – زيتون، علي:

- البعد العرفاني في نوافذ المطر، من محاضرة ألقيت على طلاب الدراسات العليا، السنة الأولى، الجامعة اللبنانية، الفرع الرابع، 2001.
- كلمة نشرت في الكفاح العربي في 1997-4-24.
- محمود نون في العودة إيمان شديد بالحياة والوجود، البلاد، لبنان، العدد293، 1996.
- من إصدارات الاتحاد (حفل توقيع الشّعر الشعبي في البقاع لمحمود نون) مجلة إشارات، إتحاد الكتاب اللبنانيين بيروت، العددان 4 و5، 2000.
- في جدلية الحياة والكون عند محمود نون، الحداثة، لبنان، الاعداد23-22-21)).
- مجلة المنافذ الثقافية، العدد 1، ص65.

5 – زين الدين، سلمان، محمود نون باكورة الضوء والظلمة، النهار لبنان، 1991-9-16.

6 – شرف، علي، باكورة محمود نون (النهر أنت والبحر مداك) قصائد متشابهة في الإبداع والاصالة والعمق، النداء، لبنان، 1999-7-18.

قراءة في قصيدة « كهولة السيف لم يشمت بها الغمدُ»

للشاعر عمر شبلي

(شبلي، نواعير على نهر جاف، 2023)

سامي التّراس

وفي ما يلي نصّ القصيدة:

1. كلّ الدروب التي مرّت على جسدي

كـانـت تقــول لـهُ: مـاذا تـريدُ قُلِ

2. ما أبتغيهِ مصيرٌ ليس تنسخُه

كــهـولةُ الســيف بين الغمد والقُلَلِ

3. جثا ليعـبد تـاريخـاً، فقيل لـه:

بعض العبادات لا تخلو من الكسلِ

4. اِبحثْ بصدركَ عن ماء الوضوء، وإنْ

رأيـتَ ظـــمآن فلْتكـرمْــه بالـعَلَلِ

5. قـد علّمتني عبـاداتي على كرمٍ

أن أحمـل المـاء للظمـــآن كالإبلِ

6. تعبتُ حتّى غـدا الإيمان من تعبي

لطـــــهرهِ عنـد بـاب الله يشفع لـي

7.كـانت على تعبي الآفاقُ تصرخ بي

صـبراً على ظمأِ الصحراء يا جملي

8.ولـم أكنْ فـي دروب المجد زوبعةً

بل كنت ما يطلب الإعصارُ في الرّجلِ

9. تــبرّأت قدمــي ممّــن مررتُ بـهم

وأصـبحوا في فمـي رملاً على طللِ

10.كــانت مــؤلّفــةً منّــا جــيوبــهم

وهـــم ونحن كمثل السمّ في العسل

11.لم يقدرِ الدّهرُ أن يقتصَّ من صخبي

يوماً، وظلَّ طـوال العمر يحفر لـي

12.وكان جرحي طوال الدرب يصرخ بي

قـضيت عمـرك بين اليأس والأملِ

13.سـلكتُ دربي برجلٍ لا حذاءَ لـها

إلّا متاخمــها فـــي الشّسع والنّعلِ

14. لا أستــطيع انتهاءً إنّها طـرقي

وســـوف تمتدُّ حتّى ينتهي أجلي

15. بينـــي وبين نجومٍ لا ضياء لـها

يومَ التّفاضل بعدُ الأرض عن زُحلِ

6-9- 2023

منذ ثلاث وعشرين سنةً خرج أسيرٌ من بلادي إلى عالم الحرّيّة، من الزنازين والجدران والأسلاك المنصوبة، إلى السّهل والجبل والسّاحل من بلاد الأرز والحرف والحضارات..

صبر بالشّعر وللشّعر، وتحمّل ما لا يتحمّله بشر، وانتصر على سجنه وسجّانه في نهاية المطاف، رغم تطاول مدّة أسره التي قاربت عشرين عاماً.

بيد أنّه ما زال ينزف شعراً من غير ضماد، وها هو يقول في قصيدة ألقاها يوم تكريمه في دار النّدوة في العاصمة بيروت في السادس من آب 2023:

والشّعر يـصبح شعراً حـين تكتُبه أوجاعُ من عاش تحت الظُّلم والسَّغَبِ

والشّعر جرحٌ فإنْ ضمّدتَه انطفأت تلـك الّتـي رحْتَ تدعوها ولم تُجِبِ

(شبلي، تكريم جرح بغير ضماد، 2023، صفحة 152)

وإذ تلِجُ عالم عمر الشّعري وما يتّسم به من الغنى والفرادة، «تجد الجماليّة الشّعريّة العمريّة حاضرةً في كلّ كلمة من كلمات نتاجه الكبير» (زيتون، 2023، صفحة 72)

لقد صاغ شاعرنا تجربته على ضوء جرحه، فأضاء وصار نقيّا كما يقول:«بنار الأسى صغت هذا النَّقا» (شبلي، تكريم جرح بغير ضماد، 2023، صفحة 152)

ونختار البداية من العنوان الذي انتقاه الشّاعر لقصيدته، والذي يعدّ إشكاليّة بذاته، فتعبير كهولة السّيف يومئ إلى العجز والضّعف وانحسار الدَّور في هذا التّركيب الإضافيّ؛ وتتبعه الجملة المنفيّة « لم يشمت بها» فينزاح معها المعنى من السّلب إلى الإيجاب، كيف لا، وفي بطلان فعل الشّماتة والعتب عن غمد السّيف وحامله/ الشّاعر، رغم تقدمه في العمر –عافاه الله وحماه– قيمة إنسانيّة وقيَميّة عزّت في هذه الأيّام، وهي الرّجولة والمروءة والالتزام.

ها إنّه يعلن من البيت الأوّل في القصيدة، حيث شاء الاستهلال به، بأنّ كلّ ما حفلت به تجاربه في حياته من نضال وصبر وعناد وصمود وأمل والتزام وإبداع... وما عاناه وتحمّله من مسغبات الأسر ونصبه وتطاول مدّته، كلّ ذلك أدهش دروب العمْر العمَريّة، وكأنّها تسأله في كلّ مسلك كان يقدم عليه: قل ماذا تريد من تجشّمك هذه الطّريق المحفوفة بالأخطار والآلام والجلجلة؟

فيجيبها بعد أن بلغ من العمرعتيّاً في البيت الثّاني من القصيدة:

مــا أبتغيه مـصيرٌ ليس تنسَخُه كهولة السّيف بين الغمد والفَلَلِ

إنّه متيقّن أنَّ مصيره لا يمكن أن تغيّره أحوال أمّته العاجزة عن الجهاد والمقاومة، ومقارعة الأعداء واستعادة الأمجاد السّالفة. وإنَّ عجز الأمّة العربيّة عن تحقيق النّصر واستعادة الدّور الحضاريّ مردّه إلى « كهولة السّيف»، وما ذلك إلّا كناية عن عجز السّلاح المكدّس الصّدئ عن محاربة أعداء الأمّة ومغتصبي أرضها وحقّها.

لقد خضع ذلك السّيف، واكتفى بتقديس المجد التّليد، ما استدعى الشّاعر لانتهاره قائلاً: « حتّى العبادات لا تخلو من الكسلِ» في أدائها وممارستها.

ثمّ يستخدم الفعل الطّلبيّ«ابحث» ويكون البحث عن ماء الوضوء الطّهور المطهّر، لكنّ البحث لا يريده عمر بالسّعي والتّفتيش، وإنّما يريده بحثا بالصّدر، أي بالقلب والإيمان واليقين الخالص؛ حتّى وإن صادفْتَ في سعيك ضمآن فلا تزوّده بالماء، بل وجّه إليه أمراً بالعلل، أي بإعادة المحاولة من جديد وعدم الاستسلام لليأس، لأنّ الحاجة الرّوحيّة المعنويّة برأي عمر أهمُّ بكثير من الحاجة التّرابيّة المادّيّة الجسديّة!

ويؤكّد شبلي بأنّ إيمانه وتعبّده علّمه أن يخدم أصحاب الحاجة، وأن يسعفهم ويرفدهم ليخفّف من معاناتهم وعوزهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حتّى ولو كان هو من بحاجة إلى الرّفد والمساعدة، وهو يستحضر في خَلَده قولَ الشّاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظّما والماء فوق ظهورها محمولُ

إنّها رسالة الإنسان للإنسان، وإنّه الإيثار والتّضحية ونسيان الذّات. فما أنبل مشاعرك، وما أكرم بذلك أيّها الشّاعر الرّساليّ العرفانيّ النّبيل !

هي مجاهدة رسالة قوميّة وإنسانيّة إذاً، لذا فهو في نصَب من مُحْدثات الأيّام ونوازلها، ودروب العمر الشّاقة الّتي آلى على نفسه سلوكها مهما كانت التّكلفة، لقد تحوّل معه التّعب المخلص إلى إيمان طاهر نقيّ، متيقّنا بأنّه سيكون في صحيفته يوم الحساب ولقاء الله جلّ في علاه!

ويبالغ عمر في التّعبير عن معاناته ومكابرته في هذه المسيرة الحياتيّة الطّويلة ، وهذه التّجربة الفريدة العجيبة، حيث صرخت الآفاق بكلّ اتّساعها قائلة له:

اصبرْ أيّها الجمل في صحراء حياتك!

وهو إذ يستشرف المستقبل، ويؤمن بأنّ بعد العسر يسراً ، وبعد الضّيق فرجاً، وبعد الصّبر ظفَراً، يكبر فيه الرّجاء، ويحدوه الأمل فتتجلّى رجولتُه وشهامته وبطولاته، ويبرز إصراره على العناد في أحلك الأزمنة والأمكنة، دون أن يقيم الأرض ولا يقعدها، فلم يكن في دروب المجد زوبعة كما يقول، بل كان حاضرا ومستعدّا لمواجهة أعاصير الحياة، وما تستوجبه من صمود وإصرار وبطولات...

ولم أكنْ في دروب المجد زوبعةً		بل كنتُ ما يطلبُ الإعصارُ في الرَّجُلِ

وبالفعل، وقياسا على فرادة التّجربة العمَريّة التي لم تكن زوبعة في صحراء، وإنّما كانت إعصارا ثائرا من داخله، يجابه ويصارع كلّ أزمة ومحنة ومشقّة. لقد أحدث دهشة في تجربته الفرديّة في أسره؛ وحاول الدّهر فيها أن يقتصّ منه فعانده وظلمه، غير أنّه كان ينتصر عليه في كلّ مواجهة، ويعدّ العدّة لما يضمره له في قادم الأيام من مكائد، ومحاولات الإيقاع به ولو بعد حين؛ وكان عمر المنتصر عليه.!

يحضرني في هذا المقام بيت المتنبّي في فخره واعتزازه وتطويعه دهره قائلا:

أريدُ من زمني ذا أنْ يبلّغني		ما ليس يبلُغه من نفسهِ الزَّمنُ

(البرقوقي، 2013، صفحة 467)

وفي مسيرة الشّاعر النّضاليّة، ومجاهدته زنازين وسجون إيران ومعتقلاتها، ظلّ جرحه ينزّ وكأنّه يصرخ به معاتباً: «قضيت عمرك بين اليأس والأمل»

أما آن لك أن ترتاح أيُّها المتأرجح بين التّشاؤم والتّفاؤل، بين الشّيء ونقيضه؟! ويصرّ الشّاعر العنيد على ارتياد درب جهاده بقدمين حافيتين، وإنْ بشسْع ونعل مجاورين لهما. وفي هذا العمل إصرار أيّما إصرار على الوصول إلى الهدف مهما تكدّست العوائق والموانع والأنواء في الطريق إلى المجد.

أليست هذه معموديّة نارعمَريّة اختارها بكامل قناعاته وإرادته متشبّها بجلجلة المسيح –عليه السلام– وآلامه لخلاص الإنسان على هذه البسيطة؟!...

وكان جرحي طوال الدّرب يصرخ بي		قضيت عمرك بين اليأس والأمل

سلـكتُ دربـــي بـرجل لا حذاء لـها		إلّا متاخمــها فـي الشّسْع والنّعلِ

ويبيّن الشاعر قضيّة جوهريّة، وهي أنّه لا يقدر على إنهاء مهمّته وتحقيق مبتغاه، وكفى الله المؤمنين القتال، غير أنّه كلّما أنهى طريقاً تبدّت له أخرى، وسوف تمتدّ به هذه الدّروب ما دام حيّا يُرزق، وما دامت أنفاسه تتحرّك. فهو من اتّخذ شعارَه في حياته قولُ أبيه المتنبّي:

وإذا كانت النّفوس كباراً   تعبت في مُرادها الأجسامُ

(البرقوقي، 2013، صفحة 277)

وقول البارودي أيضا:

ومن تكن العلياءُ همّة نفسه   فكلّ الذي يلقاه فيها مُحبّبُ

ولا نعجب من صنيعه متى سمعناه يصرّح قائلاً: «إنّ حوادث الأسر العجيبة حفرت في وجداني طرقا للرّؤيا، لا يمكن أن تمحوها حوافر خيل الزّمان!» (شبلي، مقبرة مهددة بالحياة، 2018، صفحة 16)، والقائل في موضع آخر: « ما أصعب الانتماء إلى الحجر في زمن البراكين!» (شبلي، الحجر الصبور، 2006، صفحة 12)

إنّها مسيرة الشّاعر وتجربته الإنسانيّة المديدة في الحياة، تتجلّى فيها رسالته العرفانيّة إلى الأجيال العربيّة الآتية ، لتستخلص منها القيم النّبيلة، والنّموذج الفريد في الثّبات على الحقّ مهما غلت التضحيات.!

يريد أن يبقى النّجم المتشظّي خلقا وإبداعا وشاعريّة وأدباً، رغم زمن الخنوع والأفول والتّبعيّة العمياء، والتّطبيع والارتهان... فهو البعيد البعيد عن المستكينين المهادنين المرتهنين «بُعد الأرض عن زحل»؛ ومن سابع المستحيلات أن يكون في مداراتهم الهزيلة.

في زمن التّردّي والاستذلال والوصوليّة والتّخلّي عن القيم والأعراف والأصول، ينبغي أن تكون متمايزاً مجانباً لهذا الزّمن ومستزلميه الأقزام.

إنّ من كان عالي الهمّة في نضاله وتضحياته على مدى عشرين عاماً من شبابه، لن يتراجع أو يؤوب إلى الظلّ الوارف، وهو الكوكب الوضّاء في مسيرة الحياة، تهتدي بسناه النّفوس الطّامحة إلى العزّة والكرامة والإباء والمجد!...

ونختم هذه القراءة بقوله: «نعم، إنّها السياسة هي التي صنعت تجربتي،ولكنّها السياسة التي يحملها أصحاب القضايا الكبرى، ويهبون لها وجودهم، وأعمارهم، حتّى ولو جعلتهم حطباً لغاياتها العليا..». (شبلي، مقبرة مهددة بالحياة، 2018، صفحة 6 و7)

المصادر والمراجع

1. زيتون، علي (2023). تكريم جرح بغير ضماد. بيروت: دار النهضة العربية.
2. البرقوقي،عبد الرحمن (2013). شرح ديوان المتنبي. بيروت: دار الكتاب العربي.
3. شبلي، عمر (2006). الحجر الصبور. بيروت: دار الطليعة.
4. شبلي، عمر (2018). مقبرة مهددة بالحياة (الإصدار 1). بيروت: دار العودة.
5. شبلي، عمر (2023). تكريم جرح بغير ضماد. بيروت: دار النهضة العربية.
6. شبلي، عمر (2023). نواعير على نهر جاف. بيروت: دار النهضة العربية.

العلاقة بين رجال الدّين والمتصرّفِيّة

صراع المتصرّفِين مع الأكليروس –رستم باشا

الطالبة: زينب الجوهري

المشرف الرّئيس: أستاذ الدّكتور أحمد عبده العجمي

المشرف المشارك: أستاذ دكتور محمّد علي القوزي

الملخص

تمحور هذا البحث حول الأوضاع السّياسيّة في حقبة المتصرِّفيّة وعلاقتها مع الكنيسة وكذلك الصّراع الدّيني السياسي الذي تمثّل بالصّراع بين المتصرِّف رستم باشا والمطران بطرس البستاني، والهيمنة السّياسيّة التي فرضت على المتصرِّف نفي المطران إلى النّاصرة في ظلِّ صراع دينيّ سياسيّ، والهدف منه عدم كسر هيبة السّلطة السّياسيّة أيًا كانت الظروف.

الكلمات المفتاحية: المتصرِّفيّة، البطرك، الكنيسة، السّلطة الدّينيّة، الصّراع، دير القمر، النّاصرة.

This research focuses on the political circumstances during the Mutasarrifiya period and its relationship with the Church. It delves into the religious-political conflict exemplified by the struggle between Mutasarrif Rustum Pasha and Bishop Boutros Al-Bustani. The political dominance imposed on the Mutasarrif resulted in the exile of the bishop to Nazareth amid a religious-political strife, aimed at preserving the authority's prestige regardless of the circumstances.

مقدّمة

تعدّ العلاقة بين الدّين والسيّاسة علاقة تأثُّر وتأثير متبادل وذلك على مرّ التاريخ، بحيث أنَّ هذه العلاقة لم تكن وليدة القرن العشرين، وإنّما منذ مطلع الدّولة الإسلاميّة الّتي نشأت في منطقتنا العربيّة كان الدّين هو الوعاء لنشأة دولة، لكن سرعان ما حصل مدٌّ وجزر بينهما بحيث جيّر الدّين لصالح السيّاسة وعمل في خدمتها، والمحطّات التاريخيّة في هذا الخصوص كبيرة منذ قيام الدّولة الأمويّة فالعباسيّة وما تلاها، إلى مدّة حكم العثمانيّين الأتراك، والتي امتدّت لأربعة قرون من الزمن.

وقد حكمت الدّولة العثمانيّة وولاتها المناطق الجغرافية التي ضمّتها باللّين تارة وبالشدّة تارة أخرى، وقد عمد الولاة إلى استمالة العامّة من خلال الأعيان ورجال الدّين أيضًا، لكن لم يكن رجال الدّين ذوي الشّأن في معظم الأحيان أداة طيّعة بيد الولاة بحيث تمرّد الكثير منهم على الولاة وتحوّلت العلاقة بينهم إلى متوتّرة وتشوبها الخلافات، ولم يكن الدّين الاسلامي فقط هو المقصود في هذا السّياق وإنما المسيحيّ أيضًا وخاصّة في مناطق ذات الغالبيّة المسيحية، وعلى وجه الخصوص في لبنان إبّان الحكم العثماني.

حُكِم لبنان بنظام المتصرِّفيّة عقب الأحداث التي جرت سنة 1860م، وما تلاها من انقسام بين الطوائف من جهة والدّولة العثمانيّة والدّول الاوروبية الخمس من جهة أخرى التي عنيت بشأن لبنان، هذا الأمر أوجب على العثمانيين التعامل بحذر مع لبنان واللّبنانيّين من خلال المتصرِّفين، لكن شخصية المتصرِّف لعبت دورًا أساسيًا في نوع ومستوى العلاقة بين المتصرِّفيّة ورجال الطوائف والأكليروس على وجه الخصوص _والأكليروس هو النظام الذي يحكم الكنيسة وجهازها الدّيني_ وفي هذا البحث سأتعرض للعلاقة بين رجال الدّين والمتصرِّفيّة.

أهمية الموضوع

تعدّ العلاقة بين السّلطة والدّين من العلاقات المثيرة للجدل لذا من الأهمية بمكان تسليط الضوء عليها ودراستها، والأمثلة على هذه العلاقة كثيرة في التاريخ، إلا أنني اخترت حالة أقرب إلى التاريخ المعاصر وهي العلاقة بين أحد حكام لبنان من المتصرِّفين وأحد أبرز رجال الأكليروس المسيحي فيه، والهدف من هذا النموذج احتواؤه على الكثير

من الصّراعات والصّدامات، التي لم تكن مجرد صدامات شخصية وإنما لها أهدافها السّياسيّة والتاريخية، والتي لا تخلو من تدخُّل وساطات لتهدئتها أو لتأجيجها، وعليه فكان اختيار هذا الموضوع **العلاقة بين رجال الدّين والمتصرِّفيّة (رستم باشا)** ولِمَا لهذه الدراسة من أهمية في فهم ومعرفة السياسة وعلاقتها بالدّين في لبنان.

الإشكاليات

- ما فحوى الصّراع الذي دار بين رستم باشا ورجال الكنيسة؟
- هل أدّت شخصية رستم باشا دورًا في هذا الصّراع؟
- هل كانت سلطة رستم باشا اتّجاه بطرس البستاني من منطلق عثماني أم من منطلق شخصي؟
- هل تصدّى بطرس البستاني لمشروع رستم باشا من منطلق سياسي أم من منطلق ديني؟

الفرضيات

- أدّى رستم باشا دورًا في الصّراع مع الكنيسة بمعزل عن العثمانيين.
- أخذ هذا الصّراع شكل صراع نفوذ وفرض معطيات على السّاحة اللّبنانيّة.
- عمل بطرس البستاني على الحفاظ على دور الكنيسة في محاربة تعسُّف رستم باشا.
- أثَّرت العلاقة بين رستم باشا وبطرس البستاني على علاقة الأخير مع فرنسا ممّا دفع برستم إلى نفي بطرس إلى القدس.

تقسيم الموضوع

وبناءً عليه اقتضى تقسيم البحث إلى فصلين اثنين على النحو الآتي:

الفصل الأول حياة المتصرِّف رستم باشا والمطران بطرس البستاني

أولًا: رستم باشا أصله وتوليته

ثانيًا: المطران بطرس البستاني

الفصل الثاني الصّراع بين المتصرِّف رستم والأكليروس

أولًا: أرضية الخلاف بين المتصرِّف والمطران

ثانيًا: وقائع الخلاف ونتائجه

تمهيد

تعد الدّولة العثمانيّة من الدّول التي حكمت المنطقة العربية حقبة طويلة من الزمن، وقد كان هذا الحكم غالبًا يتمُّ عن طريق ولاة عثمانيين يُعيَّنون بمراسيم هاميونية من الأستانة، وهذا الأمر في حالة الولايات المستقرة والتي لا تعاني من اضطرابات ونزاعات، لكن في منطقة جبل لبنان وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت المنطقة أحداثًا دموية وصلت أصداؤها وعدواها إلى دمشق وغالبية المدن في بلاد الشام، وهي حرب ال1860م التي دارت بين الموارنة والدّروز، وأسفرت عن الكثير من الضحايا، الأمر الذي فتح الباب لسفراء الدّول الاوروبية للتّدخل في الشّأن اللّبنانيّ وذلك لاعتبارات كثيرة، من أهمها الحفاظ على مصالح هذه الدّول في المنطقة، لكن في الحقيقة الأمر تجلى واضحًا في دعم كل طرف لفريق طائفي.

يذكر أنّ لبنان كان إمارة شهابية منذ العصر الأيوبي يحكمها أمراء دروز، وقد حكم هذه الإمارة أيضًا أمراء معنيون، أبرزهم فخر الدّين المعني الأول، وأبرز الأمراء الشهابيين بشير الثاني الشهابي، وكانت الإمارات الحاكمة في البلاد إقطاعية إلى أن قامت الحرب الأهلية في الجبل.

لكن وبعد حرب ال60، دخلت الدّولة العثمانيّة بقوة مدعومة من سفراء الدّول الاوربية وصاغت بروتوكولًا لحكم لبنان عن طريق متصرِّف يحكم لبنان وتعينه الأستانة بالاتفاق مع هؤلاء السفراء، وقد نص هذا البروتوكول على 16مادّة شملت أغلب النقاط المتعلقة بالحكم، وقد أعيدت صياغته إلى أن شمل 17 مادة في العام 1864م، وقد كانت العلاقة بين المتصرِّف والأعيان وأهالي المنطقة تتّصف باللين والمودة، وذلك في عهد فرانكو باشا، لكنها ساءت أيام رستم باشا وخاصةً بسبب صدامه مع الهيئة الكنسية في لبنان التي تتبع الموارنة والمسماة الأكليروس.

والواضح أنّ سبب هذه العداوة والصدام يعود إلى ولاء أحد المطارنة وهو بطرس البستاني _والذي هو محور البحث بالاشتراك مع رستم باشا المتصرِّف_ يوسف بك كرم، وهو أحد الإقطاعييّن المبعدين من قبل السّلطة العثمانيّة بعد أن كان قائممقام مقاميّة النصارى في جبل لبنان (الخازن، 1938، ص145.150)، الأمر الذي أثار حنق المتصرِّف رستم باشا ضد المطران، لكن الدّولة العثمانيّة عملت على وضع بروتوكول يؤدي إلى تعيين حاكم عثماني.

وقد نصّ البروتوكول على أن يكون للبنان حاكم أو متصرِّف مسيحي عثماني من غير أهله يرشّحه الصدر الأعظم العثماني ويوافق عليه ممثّلو الدّول الكافلة والمشاركة في البروتوكول، ويصدر السلطان إرادة سنيّة بتعيينه إلى خمس سنين قابلة للتجديد، ويمنحه رتبتي الوزارة والمشيريّة (المرشالية) وهي من أعلى رتب الدّولة الإداريّة والعسكرية في الدّولة العثمانيّة، وتخوّله مراجعة الباب العالي مباشرةً دون مرور بالوزارات.

وللمتصرِّف صلاحيات واسعة فهو مستقل داخليًا في إدارة الشؤون، وجباية الضرائب، وحفظ الأمن، وجمع السلاح عند الضّرورة، وتعيين القضاة والموظفين، وعزلهم، وتنفيذ الأحكام ما عدا عقوبة الإعدام فقد كانت تتوقف على صدور إرادة سنيّة بشأنها مقترنةً بموافقة محكمة التمييز العليا في الأستانة، كما أن القضاة منحوا بعد حين حصانة كانت تمنعه من عزلهم أو اتخاذ أي تدبير تأديبي بحقهم إلا بعد تحقيق يشترك فيه المجلس الإداري.

الفصل الأول: حياة المتصرِّف رستم باشا والمطران بطرس البستاني

لا بد في البداية من العرض لتاريخ كلّ من الرّجلين والدور والمناصب التي مرّا بها، بحيث تعد المراحل التاريخية لكل من الرجلين مهمة في وصولهما إلى هذا الموضع والمنصب سواء المتصرِّف أو المطران، إلى أن وصل الأمر إلى الخلاف الحاصل والذي تمخض عنه إبعاد المطران إلى القدس.

أولًا: رستم باشا أصله وتوليته

تعود أصول المتصرِّف رستم باشا إلى جذور إيطالية، بحيث كان والده من عائلة ثرية حسب ما أوردت بعض المصادر التّاريخية. إلا أن هذا الثّراء لم يبقَ نتيجة خسارته

لرهان دفعه لبيع كل أملاكه ومن ثم توفي على أثره تاركًا رستم باشا في حالة اقتصادية صعبة.

وممّا يروى بأن الوالد فقد ثروته بسبب كفالة صديق له لدين كبير تقاعس عن ادائه، فاضطر إلى بيع كل ما يملك ودفع المبلغ المطلوب منه، الأمر الذي أدى إلى حزنه وموته على إثرها وهو في ريعان الشباب.

ورستم باشا هو كونت إيطالي ينتسب إلى أسرة مرياني العريقة في الشرق. ولد في فلورنسا إحدى المدن الإيطالية سنة 1810م وتلقي العلوم واللغات في أشهر جامعات إيطاليا وفرنسا وإنكلترا (خاطر، 1967، ص47).

وقد كتب يوسف مزهر نقلًا عن البطريرك الياس الحويِّك ترجمة مشابهة لرستم باشا جاء فيها: «الأستاذ إلياس الحويِّك في مذكراته المخطوطة: «ومن ترجمته أنه ايطالي الأصل وهو نجل الكونت «ماريني»، وهذا كان من أرباب اليسار والوجاهة لكنه فقد ثروته الواسعة بكفالة التزمها فباع كل ماله ودفع المبلغ المطلوب منه. وقد كبر عليه الأمر وما لبث أن توفي كمدًا وحسرة. وكان ولده حينذاك حديث السن فعنيت به والدته وكان سفير تركيا في روما صديقًا حميمًا لوالده فعطف عليه وعينه موظفًا في السفارة»(مزهر، د ت، ص799).

لم تجد أم رستم بدًا من سبل العيش فانتقلت مع ابنها إلى روما ولجأت إلى السّفير العثماني صديق والد رستم، وطلبت منه فيما بعد مساعدته في وظيفة وهنا كان قد أصبح شابًا في عنفوان شبابه، فاتخذه معاونًا له في السفارة العثمانيّة في روما. ولم يقف الأمر عند هذا الحد من قبل السّفير بل اصطحبه معه إلى إسطنبول، وفيها سعى لإدخاله في إحدى المصالح الحكومية التابعة للسلك الدبلوماسي بعد أن حصل على الجنسية العثمانيّة ودُعي باسم رستم، بهذا الشكل تدرج رستم باشا في المناصب ووصل إلى إسطنبول مركز السّلطنة العثمانيّة (خاطر، 1967، ص47).

وقد جاءت الكتب التاريخية حوله متوافقة بحيث أنه لما نقل هذا السّفير إلى منصب عال في اسطنبول انتقل إليها هذا الشاب ومعه والدته والتحق بإحدى المصالح الحكومية بمساعي ذلك السّفير وأخذ يتقدم في السّلك تقدمًا سريعًا بما أوتي من الدراية والحزم

والعزم وتقلب في عدة مناصب أظهر فيها ما كان كامنًا فيه من المقدرة والدّهاء (مزهر، د ت، ص799).

ويُعدّ ذكاؤه ونجابته الأمرين اللذين ساعداه على التدرج في المناصب في حاضرة الدّولة العثمانيّة وأيضًا ثقافته الواسعة من ناحية اللغات والإدارة، حيث لزم كبار موظفي البلاط العثماني من وزراء وسفراء، ومن المناصب التي تولّاها رستم باشا تعيينه بادئ الأمر ترجمانًا لنجيب باشا وزير خارجية الدّولة، ثم لفؤاد باشا الذي ولّاه في منصبه، وبعد أن عين فؤاد باشا معتمدًا سلطانيًا للدّولة في بوخارست استصحبه معه إليها فكان خير معين له على أداء مهمته (خاطر، 1967، ص47).

وقد تدرج رستم باشا على حد ما أخبرنا المؤرخ لحد خاطر في المناصب العليا في الدّولة العثمانيّة فحين عاد فؤاد باشا إلى الأستانة عيّنه أمينًا لأسرار وزارة الخارجية. وبعد مرور زمن عين معتمدًا للدّولة في تورين، ثم معتمدًا سلطانيًا ومندوبًا مفوّضًا للدّولة لدى الحكومة الإيطالية في فلورنسا، مسقط رأسه، ومن ثم أخذ يتقلّب في مختلف المناصب العالية في الدّولة (خاطر، 1967، ص47).

ولم تكن فلورنسا من البلدان هي محطته الأخيرة فقد تنقّل بين العديد من البدان كسفير حينًا وكحاكم (متصرِّف) حينًا أخرَ، أرسلته السلطنة العثمانيّة سفيرًا لها إلى بطرسبورغ، فأصاب حظوة لدى القيصر اسكندر الثاني وقربه إليه البرنس غورتشاكوف الشهير رئيس وزارة روسيا في ذلك العهد.

وذات يوم تلقى السّفير رستم أفندي برقية من الباب العالي مفادها ان الدّولة العثمانيّة اتفقت مع سفراء الدّول الخمس على تنصيبه متصرِّفا على لبنان. كانت ردة فعله سلبية باعتقاد منه ان موقع المتصرِّف أدنى مرتبة من السّفير، ولجأ إلى البرنس غورتشاكوف ليطلعه على ذلك الخبر. وقد رأى البرنس من حاله المضطرب فسأله عما به فأجاب: «أتسألني عما بي وقد كنت أتوقع الترقي في المناصب وها هم يخفضون منزلتي فانظر إلى هذه البرقية». وما كاد البرنس ينظر إليها حتى أخذ يضحك مقهقهًا وقال: «الظاهر أنك تجهل أهمية منصب المتصرِّف في لبنان فلا يفضله إلّا منصب الصّدارة العظمى ومنصب الخديوية في مصر». وجعل يشرح له تاريخ المتصرِّفيّة اللّبنانيّة وكان رستم أفندي ذا ثقة كبيرة بكلام البرنس فأخذ من ذلك الحين يهيئ عدة السفر إلى الأستانة

(مزهر، د ت، ص800).

أما عن سبب اختياره كمتصرِّف للبنان فقد أورد المؤرخ لحد خاطر الظّروف التي أدت برستم باشا إلى توليته هذا المنصب، فبعد أن أصيب سلفه فرنكو باشا بالمرض الذي أدّى إلى موته عقد اجتماع في ٢٢ كانون الثاني 1873م في الباب العالي بين الصدر الأعظم والسّفراء ممثلي الدّولة الموقعة نظام لبنان اجتمعت فيه كلمتهم على إحالة متصرِّفية لبنان إلى عهدة رستم باشا.

وفي 19 شباط عقد اجتماع آخر صدر فيه المرسوم القاضي بتعيينه ووجِّهت إليه رتبة الوزارة مع لقب مشير، أعلى الألقاب العسكرية في الدّولة. وأبلغ رستم الخبر في بطرسبورغ فعاد منها عن طريق أوديسه على ظهر باخرة روسية ووصل إلى الأستانة يوم الخميس الواقع في 24 من الشهر المذكور وقابل الصّدر الأعظم الذي هنأه بهذا المنصب وتحدّث إليه عما تعلقه الدّولة عليه من آمال في مهمته الخطيرة هذه (خاطر، 1967، ص48).

وقد أتى رستم باشا إلى لبنان قادمًا من الأستانة حيث أقيم له استقبال حافل تقدّمه ثلة من القناصل والسفراء والأعيان، فضلًا عن رؤساء الطّوائف الرّوحيّة في لبنان، كما جاء لزيارته عدد من طلاب المدارس الدّينيّة وألقوا بين يديه القصائد والخطب. وقد انتقل إلى بيت الدّين المقر الصّيفي للمتصرِّفية، وتلا على المستقبلين الفرمان السلطاني، وانصرف إلى تيسير أمور الحكم (خاطر، 1967، ص49).

أمضى رستم باشا عشر سنوات في متصرِّفية جبل لبنان على مرحلتين امتدّت كل واحدة منها خمس سنوات، وقد حكم المتصرِّف الجبل بالشّدة والقوة وقد ألّب اللّبنانيّين عليه ومن ورائهم الأكليروس من خلال الضرائب التي فرضها عليهم، فقد لجأ اللّبنانيّون لرفع العرائض إلى الجهات المعنية بإدارة جبل لبنان من الباب العالي وسفراء الدّول الخمس التي كانت أطرافًا في البروتوكول، وكذلك الأمر لجوء اللّبنانيّين إلى الاستعانة بالمطارنة والكنيسة في رفع هذه العرائض، الأمر الذي جعلهم بعيدين عن المساءلة كونهم يحظون بحصانة أمام المتصرِّف، لكن هذه الحصانة لم تنفع مع رستم باشا، فقد تدخل في الشؤون الدّاخلية الكنسية بعد تفرّق الصّف الكنسي إبّان انتخاب رئيس عام للرّهبانية المارونية ومدبريها الأربع، ورشّح الأب افرام جعجع رئيس الرهبنة نفسه لرئاسة

الرهبنة، ولكن البطريك قرّر الأخذ بنظام التعيين، واختار الأب مرتينوس غسطاوي من كسروان رئيسًا للرهبنة وما تبعه من أحداث.

جعل رستم باشا مركز المتصرِّفيّة في غزير شتاءً وذلك منذ سنة 1877م، كما عمل على إنشاء الطّرقات التي بلغ طولها 95 كيلومترًا و 220 مترا، وقد أشاد معاصرو رستم باشا به وبصفاته العالية وتغنوا بعدله ونزاهته، إلا أنه ارتكب بعض الأغلاط أثناء قيامه بمهام وظيفته اتّجاه اللّبنانيّين واتّجاه الكنيسة المارونية على وجه الخصوص، فقد ارتكبها وهو يظن أنه كان يخدم دولته ولبنان على السواء (مزهر، د ت، ص805).

ولما انتهت مدة ولايته استمرّت المفاوضة دائرة شهرين بين الباب العالي وسفراء دول البروتوكول بشأن تجديد تلك المدة وانتخاب خلف له وأخيرًا تم الاتفاق في 8 أيار سنة 1882م على اختيار متصرِّف جديد وهو واصا أفندي (مزهر، د ت، ص805).

وقد انتهت ولاية رستم باشا كمتصرِّف للبنان وقفل عائدًا إلى الأستانة بعد أن لبث فيها عشر سنوات كمتصرِّف عثماني وحاكم للبنان، ثم عُيّن سفيرًا للدولة العثمانيّة في بريطانيا وبقي فيها حتى وفاته سنة 1894م(خاطر، 1967، ص135).

ومن أوصافه أيضًا أنّه كان عصبي المزاج طويل القامة نحيف الجسم سريع التأثر محافظًا على كرامة الجبل لاعتقاده أن مخالفتها تمسّ كرامته الشخصية. وكان طاهر الذيل يكره الرّشوة والرّاشي والمرتشي.

ثانيًا: بطرس البستاني

يعد بطرس البستاني من روّاد النهضة في العصر الحديث بحيث خلّف الكثير من الكتب والجرائد والمجلات التي جعلت منه مدرسة فكرية، تأثر بها كل من أتى بعده، وخاصة أنه كان مطرانًا في الكنيسة المارونية في ظل البطريرك بولس مسعد. وقد تنقل المطران بطرس البستاني بين العديد من المدارس التي تدرّس اللغات العربية والسريانية والإيطالية واللاتينية، والعلوم اللّاهوتية والفسلفة والمنطق، فقد برع بها البستاني جميعًا، وله العديد من الكتب والمؤلفات، إلا أنني وفي هذا الموضع سأسلط الضوء على حياته بشكل عام وأركز على الخلاف الذي دار بينه وبين المتصرِّف رستم باشا.

ولد المطران بطرس البستاني ابن الخوري يوسف نادر شقيق المطران عبد الله البستاني في الدبية في 29 كانون الأول من سنة 1819م وقد أسموه شبلي في بادئ الأمر، ومن ثم نشأ في بيئة المكارم والنبل والفضيلة والتقوى، وبحكم وضع العائلة الرّوحي والدّيني تحتّم عليه الالتحاق بمدرسة القرية ودرس فيها مبادئ العربية والسريانية والخط والحساب بنباهة، ربما أخذها عن عمه المطران عبد الله البستاني والذي خلفه في مطرانية صور وصيدا، فاستدعاه إليه وأدخله في مدرسة كان قد أنشأها في مشموشة لتثقيف ناشئة الأبرشية(خاطر، 1967، ص67).

لم يقف تحصيل المطران عند هذا الحد بل أبدى تفوقه حتى دفع عمه المطران عبد الله إلى إدخاله مدرسة عين ورقة وهي أشهر مدارس لبنان في ذلك الحين، فتفتحت قريحته على اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية وعلوم المنطق واللاهوت والفلسفة والحق القانوني وعلمي الشّرع والفرائض، وفي سنة 1842م رقي إلى درجة الكهنوت باسم بطرس وأقيم استنادًا أولًا لمدرسة مشموشة، ولم يقف نجاحه عند هذا الحد بل وصل خبره للبطريرك بولس مسعد فاستدعاه إليه واتخذه أمينًا لأسرار البطريركية من سنة 1845م حتى السنة 1856م، وقد أكسبه هذا المركز خبرةً واسعةً وعرفه إلى كثيرين من رجالات البلاد، وجعل الناس، يلهجون بالثناء على جميل أوصافه(خاطر، 1967، ص67).

بلغ المطران عبد الله من الكبر بحيث لم يقدر على القيام بمهامه فطلب من البطريرك مسعد المطران بطرس لكي يعينه في أبرشيته وخدمتها، لكن وبعد بضع سنين أمعن فيه الهرم فتخلى له عن الأبرشية كلها على أن يسوسها بالوكالة، وبعد وفاته سنة 1866م أصبح بطرس المطران الشرعي ونشط في خدمتها بكل ما أوتيه من سموّ مدارك وعلوّ همة ومضاء عزيمة (خاطر، 1967، ص67).

وكانت باكورة أعماله نقل كرسي الابرشية من حيث كان في محله القديم وهو المكان المعروف حتى اليوم بالأنطش، في بيت الدّين، إلى الدار التي كانت مصيفًا للأمير بشير الشّهابي الكبير المعروفة بالمقصف، بعد أن اشتراها بماله الخاص ورممها على شكل زادها رونقًا ووفر فيها أسباب المتعة والراحة(خاطر، 1967، ص67).

يذكر أن بطرس البستاني لم يكن مفكرًا ومطرانًا تقليديًا بل امتاز عن أقرانه بذكائه الذي سخرّه لنهضة الأمة من خلال كتاباته، والأمر الذي ساعده هو وجود عمه المطران عبد الله والبيئة العلمية التي وضع فيها ففتقت لديه شعلة الذكاء، حيث أسس سنة1863م مدرسة عاليه والتي دعيت بالمدرسة الوطنية (البركي، 2010، ص21).

أقام في بيت الدّين مدرسة لتعليم أولاد الأبرشية وعيَّن لإدارتها رفيقه في مدرسة عين ورقة الخوري يعقوب الحاصباني، وقد تخرج منها العديد من المطارنة والخوارنة وغيرهم من العلماء.

وقد حفل تاريخه بالعديد من الأحداث والوقائع كانت أبرزها صدامه مع المتصرِّف رستم باشا وذلك من خلال العرائض التي رفعت لكل من له تأثير على لبنان ومن الناحية الأدبية فقد ترك المطران بطرس البستاني العديد من الكتب الأدبية والشعرية التي تؤرِّخ لفترات متباينة من التاريخ العربي، ويعد قاموس محيط المحيط تاج أعماله النحوية.

توفي المعلم بطرس البستاني في الأول من أيار سنة 1883م وقد طوى خمسين سنة من البحث والدرس والعطاء أثرى من خلالها المكتبة والفكر العربي بالكثير من الكتب والأفكار والتي عدّت المحرك الأساس للنّهضة العربية(البركي، 2010، ص34).

الفصل الثاني الصّراع بين المتصرِّف رستم والأكليروس

في الحقيقة لم يكن رستم باشا على صراع مع الأكليروس والمطارنة، وإنما كان في بادئ الأمر على وفاق تام وفقًا لبعض الكتابات التاريخية إلّا أن هذا الوفاق تعكر بعد خلاف مع فئة من المطارنة الذين كانوا يوالون يوسف بك كرم، الزعيم المسيحي الذي أبعدته السلطات العثمانيّة، فقد أورد لحد خاطر ما مضمونه الوفاق الذي كان سائدًا بينهما، فقال: «كان رستم باشا في بدء أمره على أتم وفاق مع البطريركية وفي سنة 1874م جاء يقضي فصل الشتاء في بلدة غزير فوفد عليه البطريرك بولس مسعد زائرًا بصحبة المطارنة الحاج والبستاني والدبس، فاستقبلهم بالترحاب، ودعا بالقهوة فشربوا، ثم نهض الباشا ودخل غرفته ثم خرج يحمل غليونًا قدمه هدية للدبس، وهو يقول: إن لي اثنين من المطارنة أحدهما للشتاء وهو سيادة الدبس، والآخر للصيف وهو سيادة البستاني» (خاطر، 1967، ص79).

لكن وبحسب المؤرخين فلم يستمر هذا الود مدّة طويلة وسرعان ما تحول إلى بغض وذلك لأسباب عدة سآتي على ذكرها.

أولًا: أرضية الخلاف بين المتصرِّف رستم باشا والمطران بطرس البستاني

لم يطل أمد الود والوئام بين المتصرِّف والأكليروس، ما لبث أن تحول إلى جفاء وعداوة ونفي، كان من نصيب المطران بطرس البستاني، ومن جملة الأسباب التي أججت الصّراع بينهما العرائض التي رفعت من قبل الأهالي تارة والمطارنة الذين يتمتعون بالحصانة في أرجاء المتصرِّفيّة تارة أخرى، الأمر الذي أثار حنق رستم باشا، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان المطران البستاني مقربًا من يوسف بك كرم أحد إقطاعيي إهدن كما أشرنا والذي لم يكن على وفاق مع العثمانيين بسبب مقاومته لهم.

تجلّت أسباب الخلاف بما يلي:

1 – كان المطران بطرس البستاني والمطران يوسف الدبس من أنصار يوسف بك كرم ويعملان على إرجاعه إلى لبنان، وكان رستم من ألد خصومه، ولا يتردد عن الإساءة إلى كل من كان يظنه من مريديه.

2 – عملت حادثة الرهبان سنة 1874م على أبعاد شقة الجفاء بين رستم والمطرانين، وذلك على أثر زيارة قام بها الباشا لشمالي لبنان، وحل ذات يوم في دار أسعد بك كرم في إهدن، وهناك قيل له أن خلافًا وقع بين الرهبان السابق ذكرهم على أثر مجمع شقهم حزبين، وأبى الحزب الخاسر الخضوع للحزب الفائز، فاستدعى رستم إليه فريقًا من الخاسرين من دير قزحيا وعنّفهم على تمردهم بكلام جارح، وهدّدهم، فثاروا عليه، وضربوه بزنانيرهم الجلدية، وعندئذ استدعى فرقة من الجند اعتقلتهم جميعًا وساقتهم مكبَّلين بالحديد إلى سجن بتدّين وهم بملابسهم الرهبانية، واتصل ذلك بالمطرانين فطلبا من الباشا تحويلهم إلى المحكمة البطريركية عملًا بالمادة 17 من بروتوكول لبنان، حتى إذا حكمت عليهم ينفذ فيهم مآل الحكم ويعرّون من الملابس الاكليريكية، فأبى الباشا استجابة طلبهما وشدد في مضايقة الرهبان المسجونين، وقد أشار بضربهم تحقيرًا مما كان له أسوأ أثر لدى المطرانين ولدى الكثير من الغيارى على كرامة الطّائفة ورجال دينها.

3 – ومن ناحية أخرى عمل رستم باشا على إدخال ضريبة إلى لبنان عن طريق طوابع، الأمر الذي جعل المطرانين يقفان في وجهه ويعملان على مقاومته، ولأن هذا الأمر خارج برتوكول لبنان ويصب في مصلحة العثمانيين لا اللّبنانيّين (خاطر، 1967، ص80) (مزهر، د ت، ص795).

وزاد الطين بلة إعراض البستاني عن القنصل الفرنسي المدعو تريكو لدن زار الباشا في بتدّين فأبرق تريكو إلى البطريرك بما معناه. «اتيت بتدّين فلم يحفل بي البستاني فأصارحكم بأنني قطعت معه كل علاقة رسمية وشبه رسمية». ومن ذاك الحين عقد الباشا والقنصل الفرنسي على التنكيل بالمطرانين فكتب رستم باشا إلى الأستانة يوشي بها أنهما يقلقان الراحة ويعملان على إثارة الخواطر بين الدّروز والنصارى ليجدّدوا عهد سنة الستين (مزهر، د ت، ص796).

سعى كلٌّ من المطران الدبس والبستاني على عزل المتصرِّف وذلك من خلال العرائض التي رفعاها إلى الصدر الأعظم في إسطنبول ضد المتصرِّف، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل رفعت العرائض إلى قناصل الدّول الخمس وفرنسا أيضًا الهدف منها التخلص من المتصرِّف الذي ما انفك عن مضايقة المطارنة من جهة وفرض الضرائب التي تثقل كاهل المواطنين من جهة أخرى، وقد عمل الباشا ما بوسعه للتقليل من العرائض من خلال منع كتابة العرائض كما تقدم بشكوى أمام البطريرك متهمًا المطارنة بالفساد (خاطر، 1967، ص80).

في الحقيقة سعى كلٌ من المطران يوسف الدبس والمطران بطرس البستاني إلى عزل المتصرِّف رستم باشا نتيجة لما قام به من فرض ضرائب من جهة وعسفه مع رجال الكنيسة من جهة أخرى إثر أزمة دير قزحيا(رستم، 1973، ص162)، فقد نقل لحد خاطر على لسان البطريرك إلياس الحويِّك: «في ذات يوم وفد المطران الدبس على البطريرك بولس مسعد وهو في مدرسة عين ورقة يودّعه لمناسبة انتقاله إلى الدّيمان، وبعد أن قابله في خلوة، دخل علي في غرفتي وجعل يقص عليّ أخبار خلافه والبستاني مع الباشا، وأن هذا الخلاف وصل إلى حد ضاق له صدراهما وعيل صبراهما عن احتماله، وإنهما قررا اخيرًا إثارة الخواطر عليه والسعي في عزله ووقاية للبلاد من شره، إلى أن قال: ولكني أرى الباشا معزز الجانب يسنده في اسطنبول الصدر الأعظم علي

باشا، ووزير الخارجية فؤاد باشا، ويعضده في بيروت قنصلا فرنسا وانكلترا والقاصد الرسولي (لودوفيكس بيافي).. قلت: «يا صاحب السيادة إذا كان الحال على هذ المنوال فانت والبستاني من يظافركما وعلى من تستندان؟» وقال بلهجة من يجس نبضًا: «على البطريرك».

والكلام هنا للمطران إلياس الحويِّك الذي أصبح بطريرك فيما بعد، موضحًا أقطاب الخلاف ومن وراءهما من الساسة ورجال الدّين، وتابع الحويِّك كلامه قائلًا: «ثم انهلت عليه باللوم وانذرته بسوء المصير وبما سيحل به وبالبستاني من ارزاء فيما إذا بقيا مصرّين على عنادهما»(خاطر، 1967، ص80).

والشقاق في الكنيسة المارونية في جبل لبنان مردّه إلى الخلاف بين المطارنة حول ضرائب المتصرِّف من جهة وولاء بعض المطارنة ليوسف كرم من جهة أخرى، علاوة على دور البطريرك في التعنت في انتخاب رئيس الرهبنة العام، مما وسع الخلاف بين البطريرك والمطارنة من جهة والمتصرِّف والمطارنة من جهة أخرى، الأمر الذي دعا البطريرك للاستعانة بالمتصرِّف لضبط الوضع من الناحية الأمنية وذلك ضد المطارنة في دير قزحيا مما أجّج الوضع بين المطران البستاني والمتصرِّف (طربين، 1968، ص317).

تلقّى الأكليروس الماروني صدمة جرّاء نفي المطران مما دعاه إلى اتخاذ إجراءات لإصلاح الوضع ورأب الصدع الذي أصاب جسم الأكليروس الماروني ككل، فعقد البطريرك اجتماعًا مع مطارنته في 19 حزيران 1878م في بكركي، وبعد المداولة خلص الاجتماع إلى إرسال المطرانين يوحنا الحاج وعبد الله الدحداح إلى بيروت لتقديم احتجاج وامتعاض الكنيسة من هذا النفي إلى قناصل الدّول الاوربية، وعلى الرغم من تقديم المطرانين احتجاجهم إلى القناصل والمتصرِّف إلّا انهما لم يحصلا على نتيجة مرضية، مما جعلهم يتجهون إلى الاحتجاج لدى الأستانة وباريس(الجبوري، الجابري، 2015، ص382).

تعد هذه جملة العوامل التي زادت الجفاء والعداوة بين المتصرِّف من جهة والمطران من جهة أخرى وقد عمل السّفير الفرنسي على تغذية هذا الجفاء من خلال اتهامه للمطران والطّائفة المارونية ككل في الميل إلى سفراء دول أخرى في إشارة إلى بريطانيا وإيطاليا،

وقد غذّى هذا الزعم بعدم ملاقاة المطران البستاني له عند زيارته بيت الدّين.

وفي ظل هذه الخلافات والجفاء لا بد من تسليط الضوء على أحداث وتبعات هذا الجفاء وقد تجلّى بأمر الباب العالي بإبعاد المطران إلى القدس ريثما تهدأ الأوضاع.

ثانيًا: وقائع الخلاف ونتائجه

اشتدّت حدة الخلاف بين رستم باشا والمطران البستاني إلى حد تكاتف السّفير الفرنسي تريكو مع رستم باشا بعد أن ضاق صدر السّفير من عدم ملاقاة المطران له في بيت الدّين فقد أوعز إلى خارجيته في زيارة لباريس، بعد أن أخلف مكانه هنري غيز، بضرورة نفي المطران إلى القدس، لما له من دور في شق العصا المارونية المدعومة فرنسياً في الجبل لصالح دولٍ أخرى تسعى إلى موطئ قدم فيها.

وقد تجلى ذلك في كلام المؤرخ يوسف مزهر قوله: «وأما تريكو فعاد من بتدّين إلى بيروت وهو يكاد ينشق غيظًا فأمّ باريس بعده واستخلف الموسيو غيز _ يذكر أن غير هذا ألّف كتابًا عن بيروت سماه: بيروت ولبنان في نصف قرن، وقد عرّبه مارون عبود_ مدة غيابه وهناك عمل ما في وسعه لحمل وزارة الخارجية على الاقتناع بوجوب إبعاد البستاني عن ربوع لبنان فوقع قوله موقعًا عظيمًا في قلوب ذوي الشأن، وبلغت الحدة من سفير فرنسا في الأستانة إلى أن جاء إلى الباب العالي معلنًا استياءه ويطلب إقصاء البستاني عن لبنان، موهمًا أنه لا يتحمل تبعة ما يحدث إن لم يتداركوا الأمر فأوغر صدرهم ونفذوا أمرًا بنفيه إلى القدس، وأوفد رستم باشا اسكندر بك التويني إلى البطريرك يبلغه ذلك وبعث سليم بك الطرابلسي قائد الجند اللّبنانيّ إلى المطران بطرس يأمره بالمسير إلى القدس، فأظهر المطران حكمة وتعقلًا في مثل هذا الموقف الحرج، إذ دسّ رسلًا مخلصين انسلوا بين الديريّين وغيرهم حذرهم وأنذرهم بسوء المغبة إذا آتوا بحركة فإن الباشا واقف لهم بالمرصاد، فيأتي عملهم برهانًا قاطعًا على تحقيق وشاياته فانقادوا للنصيحة خاضعين» (مزهر، د ت، ص797).

وقد كان البستاني على دراية كبيرة بالمؤامرة التي حيكت ضده فلم يبدِ أية مقاومة للعسكر الذين قدموا لإبعاده للقدس، وقد أوعز إلى أتباع الأبرشية بعدم مقاومة العسكر وعدم إبداء أي تحرك من شأنه أن يثبت التهم عليه بالثورة والخروج عن الطاعة، وهذا

نص الرسالة إلى رعيته نقلا عن يوسف مزهر: «بلغنا أن حصل عندكم كدر وقلق من مشاهدتكم جمهورًا من الدراغون والعسكر اللّبنانيّ محيطًا كرسيّنا فهذا صدر لكي يخبرونا عن صدور الأمر السامي من جانب الصدارة العظمى الصادر لنا بان نتوجه إلى القدس. ونحن قد خضعنا لهذا الأمر بكل سرور كما هو الواجب على ذمتنا لأوامر دولتنا العلية التي كما أمرت بإبعادنا مدة ما تأمر برجوعنا عند تحققها براءتنا مما اتهمنا به. فنرغب منكم جميعًا ان لا يغمكم ذلك ابدًا ولا يظهر منكم أدنى قلق وإذا أحد خلفائكم سألكم هكذا أفهموه واحفظوا أنتم وهم الهدوء والسكينة بحسب مشرب دولتنا العلية وهذا كافٍ لحسن ملحوظكم ودام بقاؤكم في 1 حزيران سنة 1878م» (مزهر، د ت، ص799).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المطران البستاني اتخذ سياسة الشدة واللين اتجاه المتصرّف، فقد تصرف بحنكة حيال أزمة نفيه إلى القدس من جهة، وفي أثناء مسيره إلى القدس أيقن أنه عائد إلى لبنان وأن فرنسا ومن ورائها الباب العالي سيتراجعون عن قرارهم هذا، لما للموارنة والمطرانية من دور هام وأساسي على السّاحة اللّبنانيّة عامة وفي الجبل خاصة.

وأردف الخوري الياس الحويّك قال: «وغادر البستاني كرسيّه تواكبه فرقة من الدراغون حتى القدس وقدم له الفارس المشهور يوسف فرنسيس الحاصباني فرسًا يركبه وصحبه بنفسه في سفره ساهرًا على راحته فكان لا يفتأ يذكر جميله طول حياته» وقد نقل المؤرخ مزهر عن المطران الحويّك الذي أصبح البطريرك فيما بعد (مزهر، د ت، ص799).

كانت لعرائض الاحتجاج التي رفعها أبناء المناطق المختلفة إلى الحكومة الفرنسية دورًا في تحريك قضية المطران لدى فرنسا، حيث طلبت من قنصلها في بيروت العمل على إعادة المطران، كما طلبت من سفيرها في الأستانة أيضًا ذلك(الجبوري، الجابري، 2015، ص383).

وعقب نفي المطران إلى القدس توجه الكثير من اللّبنانيّين إلى البطريرك بولس مسعد من صيدا على وجه الخصوص لتهدئة الوضع اتجاه هذا الأمر، فطلب أن تُرفع عريضة باسم الدّروز إلى الباب العالي مفادها انه لا حرب بين الدّروز والنصارى، وقد وقّع على العريضة العديد من المشايخ ومنهم عائلة الشيخ عبد الصمد، وقد عُثر على هذه العريضة في إحدى الجرائد الفرنسية مترجمة، وبناءً على النفي الظالم والعرائض التي

رفعت، طلبت فرنسا من سفيرها تريكو العودة إلى بيروت وإصلاح العلاقة مع الموارنة وأنها لا تتخلى عنهم ولا عن مطرانهم المنفي(مزهر، د ت، ص800).

أدّت العرائض التي قدمت إلى الحكومة الفرنسية إلى مراجعة سياستها اتجاه لبنان أولًا واتّجاه أداء سفيرها تريكو ثانيًا الذي كان يسعى إلى تحالفات شخصية على حساب مصالح فرنسا العليا في حماية واحتواء الموارنة، حيث طلبت هنري غيز _القنصل_ في بيروت العمل على إعادة المطران وكذلك من سفيرها في الأستانة، وبالتواصل بين السّفير والقنصل وبجهودٍ مكثفة صدر القرار بعودة المطران إلى بيروت(الجبوري، الجابري، 2015، ص383).

ولدى عودة تريكو إلى بيروت عمل وبشكل خفي على مضايقة المطران البستاني في عودته من خلال الطلب منه أن يبقى في بكركي، حيث مقر البطريرك، إلّا أنه أبى أن يعود إلّا إلى أبرشيته في بيت الدّين، لكنه لم يكترث وعاد إلى لبنان بعد نفي لخمسة أشهر تقريبًا.

فكان كما قال بأنّ أميرال البحر وفد على البطريرك في اليوم التالي وترجّاه بان يكتب إلى المطران بستاني ليغادر القدس وأنه يوافيه بذاته إلى يافا فيحمله على الدراعة _سفينة حربية فرنسية_ وينزله في جونية ومنها يصعد إلى بكركي ثم يؤم أبرشيته وأن القنصل سوف يأتي إلى بكركي.

غادر المطران البستاني القدس إلى يافا وركب الدراعة الفرنسية التي ألقت مرساها في ميناء جونيه في 9 تشرين أول سنة 1878م. وكان هناك الكثير من مستقبليه من رعيته وثلة من رجال الدّين والسياسة فصحبه الاميرال إلى بكركي ثم ودّعه مشبعًا بالإكرام ومكث المطران مدة في بكركي، عاد البطريرك بالطلب من الحكومة الفرنسية بوجوب عودته إلى بيت الدّين فوافقوا على ذلك، وبعد هذه الأزمة عملت الدّولة الفرنسية على عزل كل من تريكو وغيز السّفيرين اللّذين أثرا سلبًا على العلاقة مع الموارنة الحلفاء التقليديين (مزهر، د ت، ص801).

وأكمل المطران بطرس البستاني ما تبقى من حياته في أبرشيته في بيت الدّين، في البحث والتأليف والرعاية إلى أن توفي سنة 1883م، وبذلك تكون قد طويت صفحة

أشهر أعلام القرن التاسع عشر والذي أثّر بشكل كبير على مجمل المستقبل الأدبي والعلمي والكَنَسي، وقدّم نموذجًا حيًا للتضحية في سبيل رفع الظلم عن الرعية.

خاتمة

أدّت الأوضاع السّياسيّة التي مرَّ بها لبنان في حصول العديد من المشاكل والحروب التي أثّرت بشكل مباشر في مجرى الحياة فيه، وتعدُّ الحرب الاهلية سنة 1860م من الحروب الفاصلة والتي غيرت مجرى الحياة السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعية في لبنان، وأفرزت نظام المتصرِّفيّة تحت الإدارة العثمانيّة، وتعد مدّة حكم المتصرِّفيّة من أكثر الفترات التي عانى منها المجتمع اللّبنانيّ.

وقد كانت شخصية المتصرِّف تؤدّي دورًا أساسيًا في سعادة اللّبنانيّين أو شقائهم، فقد كان المتصرِّف فرانكو باشا ودودًا مع اللّبنانيّين بشكل عام وعمل على كسبهم إلى جانبه، لكن بعد مجيء رستم باشا لم يطل أمد هذا الهدوء، سرعان ما فتح باب الخلافات على مصراعيه، مع العامة تارة ومع الأكليروس تارة أخرى، فقد وقف المطران المصلح بطرس البستاني في وجه المتصرِّف رستم باشا وعمل على إعادة الأمور إلى نصابها ووقف التّصرفات والتّعسف ضد المطارنة والعامة على حدّ سواء.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن رستم باشا غذّى نزعته تلك ضد المطران نتيجة جهود السّفير الفرنسي تريكو الذي يعدّ الراعي التقليدي لمصالح الموارنة في الشرق، وقد حرّك المتصرِّف ضد الكنيسة من جهة ووشى لخارجيته على المطران البستاني الذي أحجم عن استقباله في بيت الدّين، الأمر الذي وسّع الشرخ والشقاق بين الطرفين وضغطت فرنسا على الدّولة العثمانيّة بضرورة إبعاد بطرس البستاني إلى القدس، ريثما تعود الأمور إلى طبيعتها.

بطبيعة الحال ظن تريكو أن هناك جهات خفية تدعم المطران البستاني وتعمل على كسب الأخير لجهتها، في إشارة صريحة لإيطاليا التي عملت على تقوية نفوذها في جبل لبنان. في الحقيقة أدرك السّفير تريكو والمتصرِّف الخطأ الجسيم الذي اقترفاه بحق المطران، بحيث قامت قائمة العامة والمطارنة والبطريرك، من خلال جملة العرائض التي رفعت إلى الجهات ذات الشّأن والتّأثير على السّاحة اللّبنانيّة وقتذاك، وهي الدّولة

العثمانيّة وسفراء الدّول الخمس الموقعين على البروتوكول الذي نظّم شكل الحكم في لبنان عقب الحرب الأهلية سنة 1860م، وقد عملت فرنسا ومن ورائها الدّولة العثمانيّة على رأب الصّدع الذي أصاب الجسم الماروني، وقد كان الأمر أشبه بدرس لكل الجهات الداعمة لمكونات المنطقة من موارنة وغيرهم، بحيث أن توقف الدعم من جهة يفتح المجال لأطراف أخرى بالدخول على خط الدّعم كإيطاليا وبريطانيا، وكانت المنافسة شديدة بينهم، والأمر مازال مستمرًا إلى يومنا هذا بشكل أو بآخر.

المصادر والمراجع

- أسد رستم، 1973م، **لبنان في عهد المتصرّفِيّة**، بيروت، دار النهار للنشر.
- أحمد طربين، 1968م، **لبنان منذ عهد المتصرّفِيّة إلى بداية الانتداب 1861_1920م**، القاهرة، معهد بحوث الجامعة العربية.
- هاشم بن خاطر البركي، 2010م، **الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية**، رسالة ماجستير، مكة المكرمة، جامعة ام القرى.
- لحد خاطر، 1967م، **عهد المتصرِّفين في لبنان 1861_1918م**، بيروت، منشوارت الجامعة اللّبنانيّة.
- مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية، جامعة بابل، العدد 20 نيسان 2015م، عنوان المقال، **دور الفرنسيين في نفي المطران بطرس البستاني. إعداد: محمد هليل الجابري وكريم عباس حسون الجبوري**
- يوسف مزهر، د ت، **تاريخ لبنان العام.**

الأفعال الشاذّة في القرآن الكريم

رنا الصّديق

الملخص

حاولت الباحثة دراسة الأفعال الشاذّة بين دفتيّ القرآن الكريم، مُعتمدةً على دراسة بنى الأفعال الثّلاثيّة الشاذّة، والأفعال الثّلاثيّة المزيدة الشاذّة، والأفعال الثلاثيّة الشاذّة إلحاقيًا، كاشفةً بالعرض والتّحليل تغيّرات بُنية هذه الأفعال (تصريفيًّا)، متخذةً من آي الذِكر الحكيم صوّرها.إذ تعدّ من أوائل الدّراسات لهذه القضيّة، فدراسةُ الأفعالِ من جانبها الصّرفي تمثّلُ مرحلةً هامّةً إذ تُساعد المطالبين بتيسير النّحو العربيّ على المُضيّ بأسسٍ سليمة، تُحافظُ على كيان النّحو العربيّ وأصوله العريقة المُستمدة من القرآن الكريم.

كلِماتٌ مِفتاحيّة: الأفعال الشاذّة–البنى الصّرفيّة– التغيّرات–آيات القرآن الكريم.

Abstract

I tried to study the verbs, active, passive, active, passive, active, passive and passive. It studies for the sake of the cause. The study of verbs from its morphological aspect is on its side as it helps those claiming to facilitate Arabic grammar to proceed with sound foundations that preserve the entity of Arabic grammar and its ancient origins derived from the Holy Qur’an.

أوّلًا: مقدّمة الدّراسة

تُعدّ المصطلحاتُ ضرورةً لأجلِ التّأسيس لأيّ علمٍ جديد، فإنّ الوعي بأنّا لغةً خاصّةً لها أصولٌ تقومُ عليها وإشكالات ترافقُ التواضع عليها، وتداولها في الوسط العلميّ كان منذ القدم، ولا بدّ لأهل كلّ علمٍ وكلِ صناعةٍ من ألفاظٍ يختصونَ بها، والتعبير عن مرادهم وليختصروا بها معانٍ كثيرةٍ [1].فكانت المصطلحات عبارةً عن رموزٍ متفق على مفاهيمها بين العلماء في كلّ تخصّص.

(1) ابن حزم : التقريب لحدّ المنطق، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1959م، ص 68.

ومن المعروف أنّ للكلمة دلالةً في ذاتها يحدّدها المعجم اللّغوي ،فضلًا عن دلالةٍ أخرى تقدّمها الصيغة الصرفيّة، وفي لغةٍ اشتقاقيّةٍ كاللغةِ العربيّة، تكتسي الصيغ الصرفيّة أهميّةً لا يستهان بها، إذ كان لتعدّد هذه الصّيغ وثرائها تأثيرٌ قد يخرجُ بالجملةِ إلى دلالاتٍ أخرى، قد تبعدُ بها عن الدلالة الأولى، فالصيغة الصرفيّة هي وسيلة التوليد والارتجال في اللّغة لأنّنا نقيسُ المعنى الذي نريدُ التعبير عنه على المعاني التي تدلّ عليها الصيغ، فإذا صادفنا الصيغة المرادة صُغنا الكلمة الجديدة على غرارها توليدًا أو ارتجالًا.

إنّ القرآنَ الكريم أصحُّ كلام العرب وأبلغهُ، وهو ذروة الذرى في الكلام العربيّ. حيثُ كانت لغة القرآن مشرع التنظيم والتشريع الكافلين خير الناس قاطبةً.[1] فكلّ ما ورد في القرآن جاز الاحتجاجُ به في العربيّة، سواءٌ كان متواترًا أم آحادًا أم شاذًا، وقد أطبقَ الناسُ على الاحتجاجِ بالشاذّ إذا لم تُخالف قياسًا معروفًا.

ثمّة ظواهر في اللّغة العربيّة جانبت القياس اللغويّ، فاستدعَت التأمّل والتأويل، ومنها ظاهرة الشّذوذ الصرفيّ العربيّ؛ فهو يُعدّ من المسائل الّتي تحتاجُ إلى الدراسة والتفسير لما فيه من وجهات نظر مختلفة في تفسيره، وثمّة اختلافٌ بين علماء اللّغة في تسويغ هذه المسائل وتعليلها .

سأسعى في هذه الدراسة إلى دراسة بنى الأفعال الشاذّة الناجمة عن تغيّر هذه البنى، ولعلّ هذا الشّذوذ يعبّر عن صراعٍ بين تلك البنى اللّغويّة، في الواقع الاستعماليّ الفعليّ للغة، وربّما كان بعضه من الركام اللغويّ أو ممّا نجمَ عن تركّب اللّغات وتداخلها، معتمدةً في دراستي على القرآن الكريم، لأُبيّن الأفعال الشاذّة في تراكيب آياته .

لقد درجَ اللغويون على الإشارة إلى شواذ الأفعال عند الحديث عن الشّذوذ الصرفيّ أو التصريفيّ في أفعالٍ بعينها، تندّ عن الاطّراد والقياس في تفاصيل الأفعال الأخرى، أبنيةً وتجريدًا وزيادةً . مع أنّ ألوانَ الشّذوذ في الأفعال العربيّة لا تتوقّفُ على بنى وصيغ وتصريف ومصدر وإشتقاق ؛ بل هناك قضايا أخرى للتشذيذ جديرةً بالاعتبار، كالأفعال الشاذّة شذوذًا صوتيًا، وهي لصيقةٌ إلى حدّ بعيد بالشّذوذ الصرفيّ، وأفعالًا شاذة شذوذًا نحويًا، وأفعالًا شاذة شذوذًا إلحاقيًا، وأفعالًا شاذة شذوذًا معجميًا، وأفعالًا شاذة في

(1) ابن زنجلة حجة القراءات ، تحقيق سعد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997م ،ص:7.

بنائها للمجهول، وكلّها شذوذات موجودة بين أفعال المعجم العربيّ. وما يهمّنا في هذه الدراسة هو النظرة الصرفيّة الخالصة من ألوان الشّذوذ وتبيان صورّها في القرآن الكريم؛ فهو القضيّة التي تعنينا. فمن الملاحظ أنّ الأفعال العربيّة الشاذّة صرفيًا هي أهمّ أنواع الشّذوذ وهي دون الأربعمائة فعل عدًا. والعربيّة تنفردُ بين اللّغات كلّها بقلّة عدد الشواذ بالأفعال، مقاربةً باللغة الفرنسيّة التي تقرب أو تجاوز العشرة آلافٍ فعلٍ شاذ.

وتعدّ هذه الدراسة تطبيقيّة، فهي تسعى إلى رصد ما حُمل على الشّذوذ في مسائل الصرف في القرآن الكريم، وتمتازُ عن غيرها في كونها دراسة استقصائيّةٍ للأفعال الشاذّة.

وبما أنّ الدراسة متوقفةً على دراسة على الأفعال الشاذّة في القرآن الكريم، فإنّني لن أتطرق إلى دراسة هذه الأفعال من الجانب الصوتيّ، النحويّ، أو المعجميّ، بل سأقتصرُ على تقديم الجانب الصرفيّ فقط.

بناءً على ما تقدّم، فرضَت طبيعة الدراسة أن تأتي بتمهيدٍ يتضمّن مفهوم الشّذوذ لغةً واصطلاحًا، مع عرضٍ موجزٍ لأسبابِ ومسوّغات هذا الشّذوذ في الأفعال حصرًا.

سأعرضُ في المبحث الأوّل الشّذوذ في الأفعال الثلاثيّة المجرّدة، وأمّا المبحث الثاني فسأقدّمُ الشّذوذ في الأفعال الثلاثيّة المزيدة، مقدمةً تطبيقات كلّ تلك الأنواع على آيات كتاب الله المقدّس، مستندةً إلى إحصاء كلّ ما ورد عن هذه الأفعال الشاذّة في القرآن، لتأتي الخاتمة مذيّلةً الدراسة بأهمّ النتائج التي توصّلتُ إليها.

ثانيًا : إشكاليّة الدراسة

- ما هو الشّذوذ ؟ وما هي مسوّغاته؟ وكيف تكونُ بنية الأفعال الشاذّة؟
- كيف أتَت الأفعال الثلاثيّة المجرّدة الشاذّة؟ الثلاثيّة المزيدة ؟ وكيف أتَت صوَرها في القرآن الكريم ؟

ثالثًا: فرضيّات الدراسة

تنوّعت وتعدّدت الأفعال الشاذّة ما بين ثلاثية مجردة، مزيدة وإلحاقيّة.

وردت الأفعال الشاذّة متعدّدة الصوّر والمتغيّرات في القرآن الكريم .

رابعًا : منهج الدراسة

لقد قامَت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليليّ القائم على رصدِ الأبنيّة الشاذّة من الأفعال، والوقوف على القاعدة والاستعمال الصرفيّ، للكشف عن الجانب التداوليّ في تفسير شيوعِ هذه الظاهرة، وأنّ بنية الفعل هو الذي شغلَ ذهن متتبعي اللّغة معتمدين على أبنية اللغويين والنحاة ومعاييرهم.

والمنهج الاستقرائي، فالاستقراء يُعنى بحصرِ الأبنيّة الصرفيّة من واقع آيات القرآن الكريم، وتواترها الذي كان مجالًا للتطبيق والتحليل.

خامسًا: مشكلات الدراسة

قليلةٌ هي الدراسات المتخصّصة في دراسة الأفعال الشاذّة من جانبها الصرفيّ، وتفريع تلك الأبواب، والوقوف على طبيعة وبنية الصّيغ الصرفيّة ليس بالأمر السهل، خاصّة لتناوب بعضها. إذ إنّ معظم الدّراسات كانت متوقفةً على تناول الأفعال بصيغتها القياسيّة وليست الشاذّة.وبما أنّ التعامل مع آيات القرآن الكريم المنزّه، كتاب الله المعجز ،فاستدعت الدراسة المزيد من الدّقة والموضوعيّة في تحليل الدراسة.

سادسًا: تقويمُ المصادر والمراجع

1- سليمان فياض: **الأفعال العربيّة الشاذّة**، دار شرقيّات للتوزيع والنشر، ط١، 1996م. لقد عثرت على هذه الدراسة اليتيمة للأفعال الشاذّة في اللغة العربية، وقد استفدتُ من هذا المصدر كثيرًا، فقد سهّل أمامي استقراء الأفعال الشاذّة بيسر، فذُلّلت أمامي مصاعب الدراسة.

2- حسين الرفايعة: **ظاهرة الشّذوذ في الصرف العربيّ**، دار جرير، مكتبة لسان العرب، ط1، 2006م. أعانني هذا المصدر في تقديم مسوّغات ظاهرة الشّذوذ. فكانَ خير مُلجئٍ لعرض هذه المسوّغات في دراستي.

سابعًا: تحليلُ نصّ الدراسة

التمهيد

لما كانت الدراسة حول ظاهرة الشّذوذ في الأفعال شاقّة، تحتاجُ إلى عملٍ دائب وتعمّق في متون الكتب الصرفيّة والمعاجم اللّغويّة، كانَ لِزامًا أن أدرسَ هذه الظاهرة على أصولٍ

ثابتة، إذ لا بدّ من معرفة ما قبلها، لأنّه لا يمكنُ للدارس أن يعرفَ الشاذّ أو الخطأ في شيءٍ إلّا إذا عرف الصواب. وكان لا بدّ من تعريفٍ للشاذ ومصطلحاته، ومعرفة الأسباب والمسوّغات وراء هذه الظاهرة، فشرعتُ بجمع التعريفات للمصطلح، وبعد أن أتممتُ عمليّة الجمع ودراسة ما جُمِع، تأكدتُ أنّ النحاة لم يكونوا دقيقين كلّ الدقة في الاصطلاحات فقد كانت مضطربة، ممّا تطلبَ مني أن أعودَ إلى معظم المصطلحات التي تخصّ دراستي من قريبٍ أو بعيد، وبعد المقارنة والتّحقق اتضّح أمامنا استخدام مصطلح الشّذوذ المعروف لدينا الآن ؛وهو **لغةً:** مصدر الفعل شذّ ويعني الانفراد والتفريق.[1]وذلك بيّنَ في قولهم شذّ الرّجل من أصحابه بمعنى انفردَ عنهم ، ويؤكّد هذا المعنى ابن فارس (395هـ/1004م) في معجمه مقاييس اللغة، إذ يقول: شذّ الشيء يشذُّ بضم الشين وكسرها شذوذًا، إذا انفردَ وتفرّقَ ويُضيفُ النّاس الشاذّة ؛ هم الناس الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم ولا منازلهم، ويذكر أنّ شذان الحصى: المتفرّق منه[2]. ويذكر الأزهري (370هـ/981م) معنى الانفراد للفعل شذّ، ويقال شذَذت يا رجل، إذا جاءَ بقولٍ شاذ.[3] أمّا الجوهري (393هـ/1003م)، فذكَر مادة ندرَ ،ندرَ الشيء يندرُ ندورًا سقطَ، وشذّ منه النوادر.[4] وهنا يظهرُ لنا من خلال كلام الجوهري معنى مرادف آخر للشذوذ وهو ما ندر؛ أي القول النادر.وفي لسان العرب : شذّ عنه ويشذّ، ويشذّ شذوذًا، انفردَ عن الجمهور وندرَ، فهو شاذٌ أو أشذّه غيره، وشذّ الشيء، يشذّ شذوذًا ندر عن جمهوره.[5] وممّا سبق نلحظُ أنّ المعاجم العربيّة أوردت معنى الشّذوذ بشكلٍ متقارب، إذ إنّها تدورُ في دائرة معنى الانفراد والمخالفة، والخروج عن المألوف.

من خلال ما تمّ عرضه في معنى الشّذوذ لغةً نبيّن أنّ المعاني كلّها تدورُ في فلك الخروج كما هو معروفٌ ومألوف، ولا يختلفُ المعنى **الاصطلاحيّ** كثيرًا عن معناه اللغويّ، ولكن أُخذ في كلّ بابٍ دلالته على حسب الباب الذي ينتمي إليه المصطلح، فمعنى الشّذوذ في القراءات القرآنيّة يُقصد به ما فقدَ أحد شروط القراءة الثلاثة؛ وهي الموافقة

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي ، دار مكتبة هلال للنشر، مادة شذّ، ج 6، ص:215.
(2) ابن فارس: مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الفكر للنشر، 1979م، مادة شذّ، ج 3، ص:180.
(3) الأزهري : تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان ، بيروت، ط 1، 2001م، مادة شذّ، ج 11، ص: 186.
(4) الجوهري: الصّحاح ، تحقيق أحمد عبدالغفور العطار ، دار العلم للملايين ، لبنان، بيروت، ط 4 ، 1987م ، مادة ندرَ، ج 2، ص 825.
(5) ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا ط، لا ت، مادة شذّ، ج 3،ص:595.

للرسم العثماني، صحة السند، وموافقة وجهٍ من وجوه العربيّة.[1]وما يعنينا في هذه الدراسة هو مصطلح الشّذوذ في اللغة الصرفيّة، فلا بدّ من الإشارة إلى أنّ فكرة المصطلحات بشكلها المتبلوّر الآن لم تكن معروفة عند العرب القدامى، بل كان المصطلح متناثرًا في ثنايا كتبهم، لذلك فإنّ فكرة المصطلح بشكلٍ عامّ تتصّف بعدم الوضوح في ذلك الوقت. وبناءً على هذا لم يظهر مصطلح الشّذوذ واضحًا، إذ كان يعبّر عن فكرة الشّذوذ مرّةً بغير مطرد، وأخرى بليس مطرد، وثالثة الفعل (شاذّ) ولا يقاس عليه، وهكذا فقد استُعمِل مصطلحاتٌ أخرى لم تعطِ مفهومًا واضحًا لمعنى الشّذوذ، وإنّما عُرفت بأنّها نوادر تُحفظ عن العرب ولا يُقاسُ عليها ولكنّ الأكثر يُقاس عليه.[2] وبقيَ الإبهام في تحديد المصطلح إلى أن عقد ابن جني (392هـ /1002م) بابًا مستقلًا بعنوان (باب القول على الاطّراد والشّذوذ)، وبيّنَ فيه أنّ مصطلح الشّذوذ مأخوذٌ من المعنى اللغويّ للشذوذ. يقول هو التفرّق والتفرّد، ثم قيل ذلك الكلام والأصوات على سمته،وطريقته ثمّ قسّم الكلام من حيث الاطّراد والشّذوذ على أربعة أقسام [3]وهي المطّرد في القياس والاستعمال معًا، وهو أكثر اللغة، والمطّرد في القياس الشاذّ في الاستعمال، مثل استعمال (وَزَرَ) و (ودعَ) فعلًا ماضيًا من المضارع (يذر) ويدع)، والمطّرد في الاستعمال الشاذّ في القياس، مثل استصوبت الأمر،واستحوذَ واستنوقَ الجمل، إذ القياس استصاب واستحاذ، واستناقَ، والقسم الرابع هو الشاذّ في القياس والاستعمال معًا مثل: ثوبٌ مصوْون ومِسكٌ مدْوون والقياس مصون ومدون.

إنّ الوقوفَ هلى ظاهرة الشّذوذ لا يعقل أن تكون مثل بقيّة الظواهر ضربًا من خطأ اللسان العربيّ، لأنّ القرآن العربيّ وفصيح كلام العرب قد حفظَت لنا نماذج ثريّة من هذا الخروج الذي له أسبابه ودواعيه. وتعودُ مسوّغات هذه الظّاهرة إلى أمن اللبس والتخفيف، والشُهرة والحمل على النظير، والحمل على المعنى، والتعادل، والحمل على لغة القوم، والحمل على الضرورة الشعريّة، ولا دليل على أنّ الغلط اللغويّ من مسوّغاته لأنّ أصحاب اللغة القدامى من نحويين وصرفيين لم ينصوا على ورود هذه

(1) عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة، ط 3، 2006 م، ص 9.
(2) سيبويه: الكتاب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988م ، ج 4، ص 8.
(3) ابن جني: الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العربيّة، القاهرة، 1995م، ج 1 ،ص:96-97.

المسوّغات[1]. ومنهم من حملَ شواذ الأفعال على تداخل اللغة الذي ينتجُ من كثرة اللقاء بين العرب، واختلاطهم وسماع بعضهم من بعض .[2]أو على الظواهر اللهجيّة بسبب العادات النطقيّة الصوتيّة لبعض قبائل الجزيرة العربيّة التي تختلفُ في درجة ميلها نحو السهولة، وفي نسب تسارعها، فلعلّ ما عُدّ شاذًا من صيغ الأفعال كان قياسيًا في منظومة التصريف اللغوي لكلّ قبيلةٍ من تلك القبائل التي به قبل تشكّل اللغة المشتركة (الفصحى)، وبعد أن تشكّلت اختارت ظواهر لهجيّة معيّنة من مجموعة تلك اللّهجات، وإن كانت معظم ما اختارته من لهجة قريش وابتعدت عن أخرى لعلّها تسربَت إليها فيما بعد، هذا من مسوّغات شيوع ظاهرة الشواذ وضعف القياس، وبعضهم حمّله على التراكم اللغوي لأنّ الفعل كان شائعًا في العربيّة، قبل أن تتجهَ هذه اللغة إلى القياسيّة والضبط والتصنيف، فثبت الشائع الكثير، فهُجر القليل ، لكنّ هذا الهجران القليل لم يأتِ على كلّ شيء، فقد تبقى بقيّة، وهذا الأمر يعرض لجميع الأمور التي تزول لسبب ما، فلا يعني أنّها زالت دون أن يكون لها رواسب ومخلّفات .[3]

المبحث الأوّل : الأفعال الثلاثية الشاذّة تصريفيًا في القرآن الكريم

لقد ركزتُ في هذه الدراسة على الأفعال الثلاثيّة الشاذّة، ولم أتطرّق إلى الرباعيّة والخماسيّة لأنّ هذه الأفعال هي النمط الأساس، وما وصلَ إلينا من رباعيّة وخماسيّة رباعيّة وخماسيّة، قد عدّ منشأه مع الزمن بتأثير عواملٍ متعدِّدة كالنحت والقلب المكانيّ،التبادل الصوتيّ، التخلّص من الصعوبة النطقيّة، والقياس الخاطئ، والفعل المجرد الثلاثيّ والرباعيّ فقط ، والثلاثي له ثلاثة أبنيّة (فعُلَ) أو (فعِلَ) أو (فعَلَ)، وأمّا الرباعي فله بناءٌ واحد وهو فعلل .[4]ولم يأتِ المجرّد سداسيًا ولا خماسيًا ، لأنّه قد يتّصلُ به تاء الفعل أو نونه ، فيصيرُ كالجزء منه، ولهذا يجبُ أن يسكنَ له آخر الفعل. [5]ولما كان الفعل الرباعي ثقيلًا قياسًا بالثلاثي كانت موادّه أقلّ من مواد الثلاثي .[6] والمزيد قسمان مزيد الثلاثي ومزيد الرباعي، أما مزيد الثلاثي ففيه ثلاثة أقسام: الأوّل ما زيد فيه حرف واحد، ويأتي على ثلاثة أوزان أفعل وفاعل وفعّلَ، والثاني ما

---

(1) حسين الرفايعة: ظاهرة الشذوذ في الصرف العربيّ، دار جرير، مكتبة لسان العرب، ط 1، 2006م، ص 32.
(2) ابن جني: الخصائص، ج 2، ص 17–18.
(3) إبراهيم السامرائي: قطوف ونوادر ، دار الجليل، بيروت،1985م، ص:85.
(4) أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف ،المكتبة الثقافيّة ، بيروت، لا ط، لا ا، ص 29 .
(5) جمال الدين بحرق : فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لاميّة الأفعال ، المشهور بالشرح الكبير، تحقيق مصطفى النحاس، جامعة الكويت ، 1993م، ص 59.
(6) المصدر نفسه: ص 135–124

زيد فيه حرفان، ويأتي على خمسة أوزان: انفعل – افتعلَ– افعلّ وتفعلّ– وتفاعلَ، والثالث ما زيدت فيه ثلاثة أحرفٍ، ويأتي على أربعة أوزان هي استفعلَ– افعوعلَ– افعالَ– افعوّلَ. والأفعال الثلاثيّة الشاذّة تصريفيًا هي الأفعال العربيّة الثلاثيّة المجرّدة الصحيحة المهموزة الأوّل. فعَلَ، يُفعل؛ شاذّة الأمر ومثالها ما جاء في الآيات القرآنيّة الآتيّة ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ **كُلُوا** مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [1]،﴿**كُلُوا** وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[2]﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **كُلُوا** مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾[3]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **كُلُوا** مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[4]﴿**كُلُوا** مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾[5]﴿**كُلُوا** مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [6]﴿**كُلُوا** مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[7]﴿**كُلُوا** وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴾[8]﴿**كُلُوا** مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [9]﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ **كُلُوا** مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[10]﴿**كُلُوا** مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾[11]﴿**كُلُوا** وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[12]﴿**كُلُوا** وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[13]﴿**كُلُوا** وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[14]﴿**كُلُوا** وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[15]﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ **وَكُلَا** مِنْهَا رَغَدًا ﴾[16]﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ **فَكُلُوا** مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾[17]﴿**وَكُلُوا** وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾[18] نلاحظ تكرار الفعل **كل**[19]بصيغته الشاذّة، في الآيات القرآنية في الماضي هو**أكلَ**، وحذِفت الألف للتخفيف عند صياغة الأمر منه فعدّ من الأفعال الشاذّة ، ومثله الفعل **خُذ** من صيغته الثلاثية **أَخذَ** فجاء في الآيات القرآنية

(1) سورة البقرة: الآية 175.
(2) سورة البقرة : الآية 60.
(3) سورة البقرة: الآية 168.
(4) سورة البقرة: الآية 172.
(5) سورة الأنعام : الآية 141.
(6) سورة الأنعام : الآية :142.
(7) سورة الأعراف : الآية 160.
(8) سورة طه: الآية 54.
(9) سورة طه: الآية 81.
(10) سورة المؤمنون : الآية 51.
(11) سورة سبأ: الآية 15.
(12) سورة الطور : الآية 19.
(13) سورة الحاقة: الآية 24.
(14) سورة المرسلات: الآية 43.
(15) سورة المرسلات : الآية 46.
(16) سورة البقرة: الآية 35.
(17) سورة البقرة: الآية 58.
(18) سورة البقرة: الآية 187.
(19) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، ص:21.

﴿**خُذِ** الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1]، ﴿**خُذْ** مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[2]ومنه قوله تعالى﴿يَا يَحْيَىٰ **خُذِ** الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ .[3]﴿**خُذُوا** مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [4] وعلى نسقه الفعل **سَلْ** ، حيث ورد في القرآن الكريم ﴿**سَلْ** بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ}[5] أصله بالماضي **سألَ** ويقلب بالمضارع **يسألُ**، نلاحظ أولاً حذف حرف المضارعة الياء، يبقى سْألَ. ونلاحظ أن الفعل بُدئ بساكن. والعرب لا تبدأ بساكن، لذلك نضع همزة الوصل للتخلص من البدء بالساكن. فنقول: اسْألْ. ثمّ أنّ القاعدة تقول: إنّ فعل الأمر يُبْنى على ما يُجزم به مضارعه. والمضارع (يسأل) علامة جزمه السكون، وتكون علامة بناء الأمر منه السكون أيضًا. وحينما نلفظ الفعل منفصلا تلفظ همزة مكسورة، ولكن لا تُكتب. أمّا عند الوصل تحذف همزة الوصل لفظًا فقط، فنقول(إسأل)، ومنه قوله تعالى:﴿**وَاسْأَلْهُمْ** عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[6] فجاء بهذه الآية القرآنية بصياغته القياسيّة .

ويوجد منه: **(سل)** أيضًا بصيغته الشاذّة، وهو يُنطق كذلك (سل) (وسل) وصلا ووقفا. ولفظة سلْ لا تتغير في الوصل والوقف.

وهناكَ أفعالٌ عربيّة مجوّفة رواية الأصل، وهي **(فعِل: يفعلّ)** بالألف في الماضي والمضارع وقياسها التصحيح بالواو،[7]من أمثلتها الفعل **خاف** المجوّف بالماضي والمضارع، ومنه ما جاء من قوله تعالى ﴿فَمَنْ **خَافَ** مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[8]،﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ **خَافَ** عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾[9]﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ **خَافَ** مَقَامِي﴾[10]﴿وَلِمَنْ **خَافَ** مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [11]﴿وَأَمَّا مَنْ **خَافَ** مَقَامَ

(1) سورة الأعراف : الآية 199.
(2) سورة التوبة : الآية 130.
(3) سورة مريم : الآية 12.
(4) سورة البقرة: الآية 63.
(5) سورة البقرة : الآية 211.
(6) سورة الأعراف : الآية 163.
(7) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة، ص: 22.
(8) سورة البقرة: الآية 182.
(9) سورة هود : الآية 103.
(10) سورة إبراهيم : الآية 14.
(11) سورة الرحمن: الآية 46.

رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[1]نلاحظ حتى في المضارع تبقى الألف﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ **يَخَافَا** أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[2] ﴿فَلَا **تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ** إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[3]﴾ ﴿وَاللَّاتِي **تَخَافُونَ** نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾[4] **خَافَ:** فعل ماضٍ مبني للمعلوم منسوب للضمير (هُوَ)، ومصرف من الفعل المجرد (خَافَ) والمشتق من الجذر (**خوف**). فشذّ عن القاعدة وبقيت الألف في الماضي والمضارع.

ومن أمثلة الأفعال الثلاثية الشاذّة المجوّفة في القرآن الكريم الفعل **كادَ**، وقد تواتر في العديد من آيات القرآن الكريم وعلى الشكل الآتي.﴿**يَكَادُ** الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [5] ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا **يَكَادُ** يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [6]﴿**يَكَادُ** زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[7] ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [8]﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا **يَكَادُ** يُبِينُ﴾[9] ﴿وَإِنْ **يَكَادُ** الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [10] ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا **كَادُوا** يَفْعَلُونَ﴾ [11]﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا **يَكَادُونَ** يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[12] ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي **وَكَادُوا** يَقْتُلُونَنِي ﴾[13]

﴿مِنْ بَعْدِ مَا **كَادَ** يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾[14]﴿وَإِنْ **كَادُوا** لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [15] ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ **كِدْتَ** تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [16]﴿وَإِنْ **كَادُوا** لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [17]﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا **يَكَادُونَ** يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[18]﴿إِنَّ

---

(1) سورة النازعات : الآية 40.
(2) سورة البقرة: الآية 229.
(3) سورة آل عمران : ص 175..
(4) سورة النساء: الآية 34.
(5) سورة البقرة : الآية 20 .
(6) سورة إبراهيم : الآية 17.
(7) سورة النور: الآية 35.
(8) سورة النور : الآية 43.
(9) سورة الزخرف: الآية 52.
(10) سورة القلم : الآية 51.
(11) سور البقرة : الآية 71.
(12) سورة النساء: الآية 78.
(13) سورة الأعراف: الآية 150.
(14) سورة التوبة: الآية 117.
(15) سورة الإسراء : الآية 73.
(16) سورة الإسراء: الآية 74.
(17) سورة الإسراء: الآية 76.
(18) سورة الكهف: الآية 93.

السَّاعَةَ آتِيَةٌ **أَكَادُ** أُخْفِيهَا ﴾[1].

﴿**يَكَادُونَ** يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾[2]﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ **يَكَدْ** يَرَاهَا﴾[3]﴿إِنْ **كَادَ** لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[4] ﴿إِنْ **كَادَتْ** لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [5]﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ [6]

﴿**تَكَادُ** السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [7]﴿**تَكَادُ** تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾[8]﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ **كَادُوا** يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[9].

المضارع (يكاد): على وزن (يفعَل) لأن عينه قلبت ألفا، وقلب العين ألفا لا يكون إلا في (يفْعَل).

والماضي (كاد): نستبعد منه (فعَل) لأنّ كلّا من عينه ولامه غير حلقي ومضارعه على (يفعَل)، ثم نستبعد (فعُل) لأنّ المطرد في (فعُل) أن يكون مضارعه على (يفعُل) والمضارع هنا على (يفْعَل)، وبهذا لم يبق إلا (فعِل)، وكذلك كسر الفاء عند الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة (كِدت) يشير إلى أنه على (فعِل). وهكذا حدّدنا الوزن (فعِل يفعَل) من باب (علِم يعلَم).

لا أظنُّ من قال (كُدت) يريد الناقص، وإنما يكون ذلك على معنى آخر (كاد يكُود) ويكون متعديا بمعنى منع يمنع، وقد يأتي (كاد يكود) لازماً بمعنى جاد يجود بالمال أو بالنفس.

وأمّا أصل الألف في (كاد) فأصلها واو من (الكود) أم ياء من (الكيد)، وإذا ورد اللفظ بالمصدرين معاً فأيّهما الأقوى والأولى بالأخذ؟

كاد: إن كانت الناقصة (كاد يكاد) فأصلها واو، وإن كانت بمعنى الدسّ والمكر (كاد يكيد) فأصلها ياء، وإن كانت بأحد المعنيين: المنع أو الجود (كاد يكود) فأصلها الواو

(1) سورة طه: الآية 15.
(2) سورة الحج : الآية 72.
(3) سورة النور : الآية 40.
(4) سورة الفرقان: الآية 42.
(5) سورة القصّص : الآية 10.
(6) سورة الصافات : الآية 56.
(7) سورة الشورى: الآية 5.
(8) سورة الملك: الآية 8.
(9) سورة الجن : الآية 19.

أيضا، ولكن مع الاختلاف في المعنى والاستعمال.فحسب المعنى يكون أصل الألف.

هناك لغة يقول أهلها (كيد فلان يفعل كذا) يريدون الناقصة أي (كاد) وتحليل ذلك على سبيل الإمالة ليس إلّا، لأنّهم يقولون أيضا (مازيل) يريدون (ما زال).

إذًا الفعل كُدت من الشواذات الصرفية، إذ إنّ الفعل أورد مسنداً في الماضي إلى تاء الفاعل، وفي المضارع أورده بالألف، فقال: (كُدتَ . تكادُ)، وجعل من الشواذ؛ لأنه ليس داخلاً في أي باب من أبواب الفعل الستة، فهو مضموم في الماضي مفتوح في المضارع.

أوّدُ الإشارة إلى أن الشّذوذ هنا مقصور على استعمال هذا الفعل في لغة قومٍ دون غيرهم، ولا يعدّ شذوذه مطلقا؛ لأنّ أكثر العرب تستعمله على القياس (كِدت تكاد). ﴿**تَكَادُ** السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ﴾[1]إنّ كثيرا من القواعد الصرفية إنما يكون على التغليب، وقلّ أن تجد قاعدة صرفية لا يخالفها مسموع أو شاذ.

إنّ علماء اللغة العربيّة القدامى ذهبوا إلى أنّ للأفعال الجوفاء والناقصة أصولًا مفترضة، غير أنّهم يعودون ويؤكدون أنّ هذا الأصل لم يُستعمل في العربيّة يومًا ما وعلى رأسهم ابن جني (392هـ/1002م) الذي عقدَ في الخصائص بابًا سمّاه باب مراتب الأشياء، وتنزيلها تقديرًا وحكمًا لا زمانًا ووقتًا، يقولُ في هذا الموضع مثير الإبهام لأكثر من يسمعه ولا حقيقة له، وفي ذلك قولنا في الأصل كقامَ قومَ...، باع بيع...، وفي استقام استقوم...وليس الأمر كذلك، بل ضدّه وذلك لأنّه لم يكن قطّ مع اللفظ إلّا به ، إلّا على ما تراهُ وتسمعه. وإنّما معنى قوله أنّ أصله كذا، أنّه له جاء معنى الصحيح، ولم يُعلّل لوجبَ أن يكون مجيئه على ما ذُكر. وأمّا أنّه استعمِلَ وقتًا من الزمن كذلك، ثمّ انصرفَ عنه فيما بعد، فخطأٌ لا يعتقده أحدٌ من أهل النظر .[2]

وبهذا الأصل القديم في الواقع اللغويّ، ويعني به بقايا الظواهر اللّغويّة المندثرة، فالظاهرة اللّغويّة الجديدة لا تمحو الظاهرة القديمة في يومٍ وليلة؛ بل تسيرُ معها جنبًا إلى جنب مدّةً من الزمن، قد تطولُ وقد تقصر، وحيث هي لا تتغلّبُ، لا تقضي على مرادها قضاءً مبرمًا، بل يتبقى منها بعض الأمثلة التي تصارعُ الدهر، وتبقى على مرّ الزمن.[3]

(1) سورة مريم : الآية 90.
(2) ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط 2، 1993م، ج 1، ص 178.
(3) المصدر نفسه: ص 67.

وهناك أفعال يائية الأصل، وردت يفعل بالألف في الماضي والمضارع، وقياسها التصحيح بالياء، ومنها باب الشين (شاء يشاء)، وقد وردت آيات قرآنيّة متعدّدة في هذا الفعل الشاذّ في المضارع. [1]وقد جاءت في السياق القرآني على الشكل الآتي: أ﴿نْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ **يَشَاءُ** مِنْ عِبَادِهِ ﴾[2]﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ **يَشَاءُ** وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [3]﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ **يَشَاءُ** إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [4]﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ **يَشَاءُ** بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [5]﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ **يَشَاءُ** إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[6]﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ **يَشَاءُ** وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [7]﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا **يَشَاءُ**﴾[8] ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ **يَشَاءُ** وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[9]﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ **يَشَاءُ**﴾[10] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ **يَشَاءُ**﴾[11] ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ **يَشَاءُ**﴾ [12] ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ **يَشَاءُ**﴾[13] ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ وَيُعَذِّبُ مَنْ **يَشَاءُ** وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[14]﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ **يَشَاء**﴾[15] ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ **يَشَاءُ** إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[16] ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ **يَشَاءُ** بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [17]﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا **يَشَاءُ**﴾[18] ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا **يَشَاء**﴾[19] ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ **يَشَاء**﴾ [20] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ **يَشَاءُ**

(1) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة، ص 23.
(2) سورة البقرة : الآية 90.
(3) سورة البقرة : الآية 105
(4) سورة البقرة : الآية 142.
(5) سورة البقرة: الآية 212
(6) سورة البقرة : الآية 213.
(7) سورة البقرة : الآية 247.
(8) سورة البقرة : الآية 251.
(9) سورة البقرة: الآية 261.
(10) سورة البقرة : الآية 269.
(11) سورة البقرة: الآية 272.
(12) سورة البقرة: الآية 284.
(13) سورة البقرة : الآية 284.
(14) سورة البقرة : الآية 284.
(15) سورة آل عمران: الآية 6.
(16) سورة آل عمران : الآية 13.
(17) سورة آل عمران: الآية 37.
(18) سورة آل عمران : الآية 40.
(19) سورة آل عمران : الآية 47.
(20) سورة آل عمران : الآية 73.

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1]﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ **يَشَاءُ**﴾[2] ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ **يَشَاءُ** وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [3]﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ **يَشَاء**﴾[4] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ **يَشَاء**﴾[5] ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ **يَشَاءُ** وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [6]**الفعل يشاء** وردَ بكثرةٍ في آيات القرآن الكريم، بصيغته المضارعة ودون اتّصال الضمائر به. وورد مع الضمائر المتصلّة أصله: شَاءَ؛ وهو فعلٌ فعل ماضٍ مبني للمعلوم منسوب للضمير (هُوَ)، ومصرف من الفعل المجرد (شَاءَ) والمشتق من الجذر (شوء)، ومضارعه يشاء.

ومن الأفعال الناقصة اليائيّة الأصل ما وردَ في باب الراء (**فعلَ: يفعلّ**) مهموزة العين، وردت شاذة بحذف الهمزة في المضارع والأمر؛ الفعل **رأى** والمضارع منه يرى، أمّا الأمر فـ (رَه).[7]وقد ورد في العديد من آي الذكر الحكيم ﴿وَلَوْ **يَرَى** الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ **يَرَوْنَ** الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[8]﴿وَلَوْ **يَرَى** الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ **رأى**، حذفوا همزة الكلمة في صيغتي المضارع والامر، بعد نقل حركة الهمز إلى الفاء، فقالوا: «يرى، وره» ﴿ألم يعلم بأن الله **يرى**﴾ [9] فوزن « يرى « يفل، ووزن «ره «..**أرى**، حذفوا همزة الكلمة، وهي عينها في جميع صيغة: الماضي، والمضارع، والأمر، وسائر المشتقات، قال الله تعالى ﴿**سنريهم** آياتنا في الآفاق﴾[10]﴿رب **أرني** أنظر إليك﴾[11]﴿**أَرِنَا** اللَّهَ جَهْرَةً﴾[12]فوزن «أرى» أفل، ووزن «يرى» يفل، ووزن «أر» أف، إذا كان الفعل المهموز اللام على فعل، نحو «قرأ، ونشأ، وبدأ» ثم أسند للضمير المتحرّك، فعامة العرب على تحقيق الهمزة، فتقول: قرأت، أصل «**يرى**» يرأى، على مثال يفتح، تحركت الياء – التي هي لام الكلمة – وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، ثم نقلوا حركة الهمزة

(1) سورة آل عمران : الآية 74.
(2) سورة آل عمران : الآية 129.
(3) سورة آل عمران : الآية 129.
(4) سورة آل عمران : الآية 179.
(5) سورة النساء: الآية 38.
(6) سورة النساء : الآية 49.
(7) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة، ص:25.
(8) سورة البقرة : الآية 165.
(٩) سورة العلق: الآية 14.
(10) سورة فصلت ؛ الآية 53.
(11) سورة الأعراف : الآية 143.
(12) سورة النساء : الآية 153.

– التي هي العين – إلى الساكن قبلها، فالتقى ساكنان: العين، واللام، فحذفوا العين للتخلص من التقاء الساكنين. وأصل «ره» «ارأ» بعد حذف اللام لبناء الأمر عليه، فنقلوا حركة الهمزة، ثم حذفوها حملا على حذفها في المضارع، ثم استغنوا عن همزة الوصل فحذفوها، فصار الفعل على حرف واحد، فاجتلبوا له هاء السّكت. أصل أرى الماضي «أرأى» على مثال أكرم، تحرّكت الياء – التي هي اللام – وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفا، ثم نقلت حركة الهمزة – التي هي العين – إلى الفاء، ثم حذفت العين للتّخلّص من التقاء السّاكنين، وأصل يرى المضارع «يرئى» على مثال يكرم، استثقلت الضّمة على الياء فحذفت، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الفاء، ثم حذفت، وأصل « أر « الأمر « أرء « بعد حذف اللام لبناء الأمر عليه، ثم نقلت حركة الهمزة التي هي عين الكلمة إلى الراء، ثم حذفت الهمزة حملا على حذفها في المضارع.[1]

المبحث الثاني: الأفعال الثلاثيّة المزيدة الشاذّة تصريفيّا في القرآن الكريم

إنّ القرآن الكريم منهج ودستور حياة، يضبطُ اعوجاج الإنسان بمنحهِ فيضاً تِلوَ الآخر من الطهرِ والحبِّ والجمالِ، وذلك بنظرتهِ الشموليَّة وقواعدهِ الكليَّة التي تصلح لكلِّ زمانٍ ومكان، ويُعتبر المرجع الأساس لقواعد اللغة العربيّة الصرفيّة والنحويّة.

في هذا المبحث سأقوم بدراسة الأفعال الثلاثيّة المزيدة الشاذّة الواردة فيه، وسأبدأُ مع الأفعال التي على وزن (أفعل) المجوفة، الواوية الأصل، ثلاثيها من (فعل: يفعل) وردت شاذة بتصحيح الواو، وقياسها قلبها ألفًا [2]ومنها الفعل الشاذّ في المضارع **يُزوّج؛** الذي أصله في الماضي (أزْوج)، وقد جاء منه في قوله تعالى ﴿أو **يُزَوِّجُهُمْ** ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾.[3]

ومن الأفعال الثلاثيّة المزيدة الأفعال المجوفة الواوية الأصل، التي وردت شاذةً بقلب الياء ألفًا، وقياسها تصحيح الياء في الماضي والمضارع .[4]فالفعل **يخاف،** الماضي منه القياسي(أخْيف)، أمّا الشاذّ فهو (أخاف). والمضارع القياسيّ(يُخْيف)، أمّا الشاذّ فهو **يخاف،** ومن أمثلته ما ورد في القرآن الكريم ﴿فَمَنْ **خَافَ** مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ

(1) شرح ابن عقيل الهمداني: ج 1، ص 617.
(2) سليمان فياض : الأفعال العربية الشاذّة، ص 34.
(3) سورة الشورى: الآية 50.
(4) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة، ص 39.

بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[1]﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ **خَافَ** عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾[2] ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ **خَافَ** مَقَامِي ﴾[3]﴿وَلِمَنْ **خَافَ** مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [4]{وَأَمَّا مَنْ **خَافَ** مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ} [5]هذه الآيات كلّها وردت فيها الفعل المجوف **خاف** الشاذّ، مع أن جذره اللغويّ (خوف).

ومنها أفعالٌ على وزن (استفعلَ) مجوفة، واوية الأصل، (فعل، يفعُل) وردت شاذة بتصحيح العين بالواو في الماضي، وقياسها قلبها ألفًا فيه.[6]أمثال الفعل **استحوذَ**.

وبهذا ونحوه استدلّ أهل التصريف على أصول الأشياء المغيّرة، كما استدلّوا بقوله ﴿ **اسْتَحْوَذَ** عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[7]، وعلى أنّ أصل استحاذ استحوذَ، استقام استقوم، وأصل استباع استبيع، ولولا ما ظهرَ من هذا ونحوه لما أقدموا على القضاء بأصول هذه الأشياء، وما جازَ ادعاؤهم إيّاها. [8]ومنهم من يجعل كلمة **استحوذ** من الركام اللغويّ، ويعني به بقايا الظواهر اللّغويّة المندثرة، فالظاهرة اللّغويّة الجديدة لا تمحو الظاهرة القديمة في يوم وليلة؛ بل تسيرُ معها جنبًا إلى جنب مدّةً من الزمن، قد تطولُ وقد تقصر، وحيث هي لا تتغلّبُ، لا تقضي على مرادها قضاءً مبرمًا، بل يتبقى منها بعض الأمثّلة التي تصارعُ الدهر، وتبقى على مرّ الزمن.[9]

إنّ الصرفيينَ العرب قد نظروا إلى الفعلين (قال) و(باع) على أنّهما منطلقان من (قولَ) و(بيعَ)، وبعيدًا عن الجدل القائم في هذا الرأي الذي أثاره بعض العلماء الذين لم يقرّوا بهذا الأصل المفترض، بسبب عدم وجود استعمالات مسجّلة تنسجمُ مع هذا الأصل المفترض في المعجم المسجّل للغة العربيّة، فإنّ هذا الأصل المفترض هو الذي يمثّل الميزان الصرفيّ الأصليّ؛ فكلمة (قَوَلَ) هي الأصل الاشتقاقيّ للفعل (قال)، وكذلك الأمر بالنسبة لوزن (بَيَعَ) فهو (فَعَلَ) أيضًا. والحقيقةُ أنّ اللغةَ لم تُسجّل أمثلةً حيّةً عن

(1) سورة البقرة : الآية 182.
(2) سورة هود: الآية 103.
(3) سورة إبراهيم : الآية 14
(4) سورة الرحمن : الآية 46.
(5) سورة النازعات : الآية 50.
(6) سليمان فياض: الأفعال العربية الشاذّة، ص 35.
(7) سورة المجادلة : الآية 19.
(8) رمضان عبدالتواب: بحوث ومقالات في اللغة، دار الرفاعي، ط 1، 1982م، ص 59.
(9) المصدر نفسه: ص 67.

هذين الاستعمالين المنطلقين من الأصل المفترض، ولكنّ اللغة سجّلت أمثلةً لا يُمكن التجاوز عنها في بعض الصيغ كقوله تعالى {**اسْتَحْوَذَ** عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]، ففي قراءة السبعة وكثيرٌ من القرّاء استعملَ النصّ الكريم هذا الأصل، في حين جاءت قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (23هـ/644م) على الصورة المتغيّرة المعتلّة، وهي **استحاذَ** وغيرها من الاستعمالات التي احتفظت بها اللغة مستعملةً حيّةً، تشيرُ إلى وجود الأصل والفرع جنبًا إلى جنب في الاستعمال اللغويّ الحيّ. والحقيقة أنّ هذه الإستعمالات قد صنعَت إشكاليّة للصرفيين العرب في تحليلهم لأوزان الكلمات من هذا القبيل، وتمثّلَت هذه الإشكاليّة في مسألة التحوّل الصوتيّ لصيغة الكلمة، وأيّ الصورتين هي الأصل في الميزان الصرفيّ، وقد اتّجهَ الصرفيون على اعتبار الاعتلال مقابلًا صالحًا للميزان، فوزنوا **استحوذَ** هو الأصح؛ الذي يمثّل عندهم الشاذّ في القياس، القويّ في الاستعمال، فجعلوه من وزن (استفعلَ) أيضًا، وعلى هذا فقد اخترقوا الميزان اختراقًا حادًا، ونقضوا وظيفته التي يجبُ أن تظهرَ فيها الحركات والسكنات والاعتلال والصحة والقلب وغيرها من أصناف التغيّر والتحوّل في البنية .[2]

ومن هذه الأفعال على وزن (أفعل) ناقصة يائية الأصل، مهموزة الوسط، وردت شاذة بحذف الهمزة في الماضي والمضارع، وقياسها إبقاؤهما منها **يُري** ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ **وَيُرِيكُمْ** آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [3]﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ **لِيُرِيَكُمْ** مِنْ آيَاتِهِ ﴾[4] ﴿هُوَ الَّذِي {**يُرِيكُمْ** آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[5] ﴿**وَيُرِيكُمْ** آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [6]وَحرف عطف ،يُري فعل،كُمْ ضمير ،الجذر (راي) الأصل أَرْيَ. ومن هذه الأفعال الثلاثيّة مزيدةً على وزن (تفاعلَ) من الصحيح السالم، الثائيّ الفاء، وردَت شاذة بإبدال التاء ثاءً، وإدغام الثاء في الثاء، وزيادة همزة وصل لتيسير النطق بالساكن في الماضي وقياسها عدم الإبدال .[7]ومثالها من القرآن الكريم الفعل **اثّاقلَ**، وقد

---

(1) سورة المجادلة : الآية 19.
(2) يحيى عبابنة: الصرف العربيّ التحليليّ (نظرات معاصرة)، دار الكتاب الثقافيّ، لا ط ، لا ت ، ص 23-22.
(3) سورة البقرة: الآية 73.
(4) سورة لقمان : الآية 31.
(5) سورة غافر : الآية 13.
(6) سورة غافر : الآية 81.
(7) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة ، ص 44-43.

أتى بصيغته الشاذّة من قوله تعالى {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ **اثَّاقَلْتُمْ** إِلَى الْأَرْضِ }[1]كلمة أصلها الفعل (اثّاقل) في صيغة المضارع منسوب لضمير المفرد المتكلم (أنا) وجذره (ثقل) وجذعه (ثاقل) وتحليلها (أ + ثاقل).

ومن هذه الأفعال الثلاثيّة المزيدة على وزن (تفاعلَ) من الصحيح السينيّ الفاء، وردَت شاذة بإبدال التّاء سينًا، وإدغام السين في السين، وزيادة همزة وصل لتيسير النطق بالساكن في الماضي، وقياسها عدم الإبدال، وهي الفعل **اسّاقطَ**، والمضارع الشاذّ منه **يسّاقطُ** [2]وقد ورد ذلك من قوله تعالى {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [ق]: وفي قراءة أخرى «يسّاقط»».واسَّاقطَ الشَّيءُ: تساقط، تتابع سُقوطُه.

الخاتمة

وبعدُ، فلعلّ هذه الدراسة بما فيها من مسائل صرفيّة شاذة، تكشفُ لنا عن كُنْه ظاهرة الشّذوذ في الأفعال في الصرف العربيّ، حيثُ قدّمتُ فيه ما يُمكن أن تجدَ به لفظة الشّذوذ لغةً واصطلاحًا، وما يُمكنُ أن يُحمل على معناها، وفي أثناء بسط مصطلح الشّذوذ، تبيّنَ أنّ الشّذوذ الصرفيّ لا يعني الخطأ، لأنّ هناك مسوّغات استدعتها طبيعة الاستعمال اللغوي عند العرب؛ تلك المسوّغات التي وضحت بها كثيرًا من التغيّرات الصرفيّة الشاذّة التي تلحقُ بالأفعال العربيّة.

والمتأمّلُ لظاهرة الشّذوذ في الصرف العربيّ يجدُ أنّها متباينة في كميّتها من بابٍ إلى آخر.

إنّ شواهد القرآن الكريم تعدّ مصدرًا هامًا لوضع القواعد وتدوين المقاييس والأصول، فكثرٌ من النحاة تمسّكوا بالشاهد القرآنيّ، وأعظمهم إجلالًا له يضعه في المرتبة الأولى، لأنّه أبلغ كلام نزل، وأوثق نصّ وصل، ولأنّه يمثّل العربيّة الأصيلة والأساليب الرفيعة. وقد توصلَت الدراسة إلى أهميّة الاستشهاد بتلك الآيات في علوم اللّغات العربيّة، وعلى رأسها علميّ النحو والصرف.

أكّدت الدراسة أنّه يُمكن حمل الشّذوذ في أبنية الفعل الثلاثيّ على أنّه من التباين اللهجيّ، أو من باب تداخل اللّغات واللّهجات، كما يُمكن أن يكون بعضه من البقايا

(1) سورة التوبة : الآية 38.
(2) سليمان فياض: الأفعال العربيّة الشاذّة ، ص: 45.

اللّغويّة لظواهر لغويّة اندثرت، وقد يكون في ذلك الشّذوذ ميلٌ إلى تحقيق أمن اللبس بين دلالاتٍ البنى المتماثلة.

وأخيرًا أرجو أن تكون هذه الدراسة رافدًا من الروافد المعرفيّة في المكتبة العربيّة.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العربيّة، القاهرة، 1995م.
2. ابن جني: سر صناعة الإعراب تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م.
3. ابن حزم : التقريب لحدّ المنطق، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1959م.
4. ابن زنجلة: حجة القراءات ، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1997م .
5. ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر للنشر، 1979م.
6. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا ط، لا ت.
7. الأزهري، محمّد الأزهر: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان ، بيروت، ط 1، 1001م .
8. بحرق، جمال الدين: فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لاميّة الأفعال، المشهور بالشرح الكبير، تحقيق مصطفى النحاس، جامعة الكويت، 1993م.
9. الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور العطار، دار العلم للملايين ، لبنان، بيروت، ط 4، 1978م.
10. الحملاوي، أحمد: شذا العرف في فنّ الصرف، المكتبة الثقافيّة، بيروت، لا ط، لا ت.
11. الرفايعة، حسين : ظاهرة الشذوذ في الصرف العربيّ، دار جرير، مكتبة لسان العرب، ط 1، 2006م.
12. سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988م.
13. شاهي، عبد الصبور: القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة،لاط،لات.
14. عبابنة، يحيى: الصرف العربيّ التحليليّ (نظرات معاصرة)، دار الكتاب الثقافيّ، لا ط، لا ت.
15. الفراهيد، الخليل بن أحمد: معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي ، دار مكتبة هلال للنشر.
16. فياض، سليمان: الأفعال العربيّة الشاذة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط 1، 1996م.

الطّعام عند اللّبنانيّين من خلال أمثالهم
(الفواكه نموذجًا)

مريم علي عدرة

الطّعام، في اللّغة، مَصْدَر «طَعَمَ»، و«طَعَمَ فلانٌ»: أكَلَ، وذاقَ. وهو «كلُّ ما يؤكَل، وبهِ قِوامُ البَدَن، وكلُّ ما يُتَّخَذ منه القوت من الحنطة والشّعير والثّمَر»[1].

والأطعمة كثيرة، وهي تُتَّخَذ من الحبوب، والإنتاج الحيوانيّ (لحم، بيض، عسل، لبن،...) والخُضَر، والفواكه، والنّباتات المختلفة.

وليس للطّعام أهمّيّة غذائيّة وحسب، فبالإضافة إلى كونه «قوام البَدَن»، له فوائد صحّيّة في الوقاية من الأمراض وعلاجها، وقد كثرت الكتب في العصر الحديث بعنوان: «الغذاء لا الدّواء»، و«الغذاء محلّ الدّواء»، و«التّداوي بالطّعام»، ونحو ذلك.

ونظرًا إلى هذه الأهمّيّة، سأتناوله في عدّة أبحاث، مخصّصةً لكلّ نوع من الطّعام بحثًا خاصًّا به.

والفواكه اللّبنانيّة كثيرة ومتنوّعة، نظرًا إلى خصوبة أرض لبنان، واعتدال مناخه، واختلاف تضاريسه المتدرّجة من ساحل البحر حتّى الجبال العالية بارتفاع ثلاثة آلاف متر. وقد عرف اللّبنانيّون منها، وبالتّرتيب الألفبائيّ: الإجّاص، والبطّيخ، والبندورة، والبلّوط، والتّفّاح، والتّمر، والتّوت، والتّين، والجوز، والحمضيّات، والحنبلاس، والخرّوب، والخوخ، والدرّاق، والرّمان، والزّعرور، والسّفرجل، والصّبّير، والعِنَب، وقصب السّكّر، والمِشْمش، والموز؛ أمّا الفواكه الأفريقيّة الّتي يستوردها اللّبنانيّون حاليًّا، كالأناناس، والمانجا، والكيوي، فلم يعرفها اللّبنانيّون قديمًا؛ ولذلك لم تظهر في أمثالهم.

وإلى أهمّيّة الفواكه الغذائيّة، تبرز أهمّيّة الأمثال الاجتماعيّة والحضاريّة، فلا شيء أقدر على كشف هويّة المجتمع الثّقافيّة والحضاريّة والتّربويّة والنّفسيّة من الأمثال، فهذه مرآة صادقة تنعكس عليها ثقافة الشّعب في حضارته وقِيَمه الخلقيّة، وعاداته، وتقاليده، وحكْمته، وتجاربه، وهي أيضًا جزء من تاريخه.

(1) المعجم الوسيط، مادّة (طعم).

وقد أدرك العربُ قديمًا أهمّيّة الأمثال، منذ عهدهم بالكتابة، فجمعوها، ودوّنوها في كُتُب أُفردت بكاملها لها، شارحينها، موردين قصصها ومضارِبها[1]، وكذلك فعل الكُتّاب المعاصرون الّذين اهتمّوا بأمثال أوطانهم الشّعبيّة[2].

وكتب الأمثال اللّبنانيّة كثيرة[3]، وسأركّز في بحثي هذا على ما أظنّه أهمّها، وهو:

- كتاب المونسينيور ميشال فغالي: **Proverbes et dictons Syro-Libanais**، وسأرمز إليه في حواشي البحث بـ«فغالي».

- كتاب الدّكتور أنيس فريحة: **A dictionary of a modern lebanese proverbs**، وسأرمز إليه في حواشي البحث بـ«فريحة».

- أطروحة عبد الرزّاق رحمة «**الأمثال العاميّة وأثرها في المجتمع**»، وسأرمز إليه بـ«رحم».

- كتاب فردينان أبيلا: **Proverbes populaires du Liban Sud : Saïda et ses environs** وسأرمز إليه بـ«أبيلا».

- كتاب الدّكتور زاهي ناضر: «**الثّقافة الصّحيّة والغذائيّة وآدابها في الأمثال الشّعبيّة**»، وسأرمز إليه بـ«ناضر».

- **رسالة حسن الحرّ الأمثال الشّعبيّة الجنوبيّة من خلال بلدة جباع**، وسأرمز إليه بـ«رحم».

1- الإجّاص

وفي لغة اللّبنانيّين «النّجاص»، وهو نوعان: «بُستانيّ وبَرّيّ، ويُؤكَل طازجًا ومُجفّفًا. وهو فاكهة سُكّريّة لذيذة ومُغذّية، مُدِرّة للبول، وتُفيدُ في معالجة فقر الدّم، والإسهال، وأوجاع الرّأس، ونضارة البشرة وحيويّتها.

---

(1) انظر: أسماء كتب الأمثال العربيّة ومصنّفيها في موسوعة أمثال العرب للدّكتور إميل بديع يعقوب 195-1/71.

(2) انظر: أسماء بعض كتب الأمثال الشّعبيّة العربيّة في موسوعة الأمثال اللّبنانيّة للدّكتور إميل بديع يعقوب 1/34-36.

(3) انظر: المرجع نفسه 43-1/37.

ينصح اللّبنانيّون بأكل قشره، نظرًا إلى قيمته الغذائيّة، ولو كان بخس الثّمن، بخلاف الخيار، قالوا: «**كول النّجاص بقشره، ولو كان رطله بفلس، وكول الخيار مقشَّر ولو كان رطله بقرش**»[1].

والإجّاص البرّيّ أقلّ لذاذةً وفائدة غذائيّة من الزّعرور؛ ولذلك قالوا في ضرورة الاقتناع بما هو موجود بانتظار الأفضل: «**سَكِّجْ عَ نجاس البرّي تَ يستوي الزّعرور**»[2].

2- البِطّيخ (في اللّغة اللّبنانيّة «البَطّيخ» بفتح الباء)

منه الأحمر، والأصفر (الشَّمّام)، وهو مُدِرّ للبول، مُلطِّف للحرّ، مُسكِّن للعطش، يُحسِّن عمل المعدة والأمعاء[3]، يكثر استهلاكه في فصل الصّيف؛ لكثرة عصارته.

يُستعمل لبّه للتّحلية، وبذره للتّسلية، وقِشره علفًا للحيوانات، قالوا: «**البَطّيخ بِحَلّي، وبسَلّي، وبِعَشّي الحمار**»[4]، لكن كثرة تناوله يُوَلِّد اضطرابًا في المعدة، ولذلك قالوا: «**وَجَع البطن، ولا كَبّ البَطّيخ**»[5]. وكانوا يضعون قشر البطّيخ الأحمر على الجبين؛ لتسكين الحُمّى، وعلى العين لمعالجة ورمها، وقد سخروا من فعاليّة هذ العلاج بقولهم: «**بِداوي (أو بِسَلّي) الحمّى بِقشْر البطّيخ**»[6].

3- البَلَح: انظر: التَّمْر.

4- البَلّوط

هو ثمر شجر السّنديان، يُؤكَل نيئًا ومطبوخًا، ويُعتبر «كستناء القرويّ». وهو غنيّ بالأملاح المعدنيّة، مُغذّ ومُنشِّط، يُقوّي العضلات والأعصاب والشّرايين، ويُستخدم في علاج فقر الدّم، وأمراض الجهاز التّنفّسيّ، والبواسير، وقروح الفم[7].

طعمه جافّ، يتحوّل إلى سُكّريّ لذيذ بعد شرب الماء؛ لذلك قالوا في الصّديق المؤنس: «**بيتّاكَل متل البزّاقة. وبينشرب متل الميّ عَ البلّوط**»[8]. وقالوا في شديد الكسل: «**بلّوط**

(1) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة وآدابها في الأمثال الشّعبيّة، ص 330.
(2) فغالي 2004؛ يعقوب 3850. ويقول الفرنسيّون في المعنى نفسه: Faute de grives, on mange des merles.
(3) ناضر، ص 331.
(4) المصدر نفسه، ص 330.
(5) المصدر السّابق، ص 331.
(6) فغالي 2296؛ فريحة 882؛ يعقوب 1811.
(7) الغذاء محلّ الدّواء، ص 503.
(8) فغالي 1283؛ رحم 1957؛ يعقوب 2211.

مفَصْفَصْ فوق راسو ما بنوشو، تَ يعود ياكل لوز؟»[1]

5- البَندورة

وتُسمّى «الطّماطم» في بعض البلدان العربيّة. تؤكل نيئة، أو مطبوخة، أو مَشْروبًا. وتدخل في إعداد السّلطات والعديد من المأكولات. تنفع في معالجة فقر الدّم وتنقيته، والحفاظ على مستوى ضغطه، وتُنشّط عمل الكِلى، والجهاز الهضميّ، والقلب، والأوعية الدّمويّة[2].

رأوا أنَّها كثيرة الفائدة إذا أُكِلت نيئة، وشديدة الضّرر إن أُكِلت مطبوخة، فقالوا: «**متل البندورة: نيّة دم، ومطبوخة سَمّ**»[3].

6- التّرمس

يُؤكَل، عادةً، للتَّسْلية، وبين أصناف المقبّلات. يَشدّ الأعصاب، وينبّه القلب ويقوّيه، ويفيد المصابين بضيق النّفس والسُّعال[4].

يُنادي بائعوه بأنَّه حلو الطّعم، وأحلى من اللّوز؛ لترغيب الأولاد على شرائه،

فقيل في الخداع: «**تِرْمُس يا حلو، ضحك ع ولاد الزّغار**»[5]، و«**قالوا: التِّرْمُس**

أحلى من اللّوز، كلّو ضحك ع ولاد الزّغار»[6]، و«**يا تِرْمُس أحلى من اللّوز**»[7].

7- التّفّاح

أشهر الفواكه اللّبنانيّة. وقد اشتهر به لبنان منذ أكثر من ألف سنة[8]. وهو غنيّ بالفيتامينات، يُحسِّن الهضم، ويُنشِّط الجسم، ويُنظِّم سكّر الدّم، ويُنظِّف الأسنان. يُنْعَت

(1) فغالي 1990؛ ناضر، ص 331. مفَصْفَص: مُهيَّأ للأكل.
(2) ناضر، ص 283.
(3) المصدر السّابق، الصّفحة نفسها.
(4) الغذاء محلّ الدّواء، ص 123.
(5) فغالي 2070؛ فريحة 1165؛ يعقوب 2461؛ ناضر، ص 321.
(6) الحر 270؛ يعقوب 5259.
(7) أبيلا 431؛ يعقوب 8041.
(8)- قال أبو نواس [ت198هـ/814م] (من البسيط):
سُلافُ دَنٍّ إذا ما الماءُ خالَطها   فاحَتْ كما فاحَ تُفّاحٌ بِلُبْنانِ
(ديوانه 2/415).

بأنَّه «ملك الفاكهة»، و«ثَمَر الجمال»[1].

كان من مُميِّزات موائد الميسورين، وضيافة المناسبات الاجتماعيّة الرّاقية، نظرًا إلى ارتفاع ثمنه؛ ولذلك قيل: «**شو عرَّف الفلّاح بأكل التّفّاح**؟»[2].

وشدَّد اللّبنانيّون، في أمثالهم، على أهمّيّته الغذائيّة، فقالوا: «**تفّاحة ع الرّيق بتقطع على الطّبيب الطّريق**»[3]، و«**لو أكل كلّ إنسان تفّاحة قبل النّوم، لاستجدى الطّبيب خبز اليوم**»[4]، و«**أكل تفّاحة يوميًّا يُغنيك زيارة الطّبيب**»[5].

8- التَّمْر

هو مع اللَّبن الأطيبان عند العرب[6]. غنيّ بالمعادن، فَعّال في معالجة فقر الدّم، وتفعيل الطّاقة، وتوليد الدّم القويّ، ومساعدة الهضم، وتهدئة الاضطرابات العصبيّة والتّشنّج، وعلاج السّعال ونزلات البرد[7]. ومن أمثال اللّبنانيّين في أهمّيّته الغذائيّة، وخاصّة في تنشيط القوى وزيادة القدرة الجنسيّة: «**التّمر بِشدّ الحيل**»[8]، و«**التّمر مع الحليب بِشدّ الحبيب**»[9].

9- التّين

التّين أصناف عديدة، يُؤكَل طازجًا، ومُجفَّفًا، ومطبوخًا بالسّكّر، وكان عنصرًا أساسيًّا في زوّادة الفلّاح، ومؤونة الشِّتاء.

هو من الثّمار الشّهيّة جدًّا، نظرًا إلى حلاوته وطعمه اللّذيذ، ومن فوائده أنَّه يقوّي الجسم، ويليّن البطن، ويُنشِّط الطّاقة الجنسيّة، ووظائف المعدة والأمعاء، ويُساعد في علاج فقر الدّم، وأمراض القلب والشّرايين، والإمساك[10]. وأطيب الفواكه عند اللّبنانيّين

(1) ناضر، ص 332.
(2) المصدر السّابق، الصّفحة نفسها.
(3) المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
(4) المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
(5) المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
(6) وقيل: الأطيبان: النّوم والنّكاح، وقيل: هما الأكل والنّكاح، وقيل: الطّعام والشَّراب، وقيل غير ذلك. انظر: المثنّى التّغليبي، ص 119-118.
(7) نزهة الأنام في محاسن الشّام، ص 121.
(8) ناضر، ص 333.
(9) المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
(10) نزهة الأنام في محاسن الشّام، ص 157؛ وناضر، ص 336-335.

«أوّل العِنَب وآخر التّين»[1].

وأشار اللّبنانيّون إلى فائدته الغذائيّة في تقوية الجسم بقولهم: **«التّين مسامير الرّكب»**[2]، وإلى كثرة اعتمادهم عليه في طعامهم بقولهم: **«التّين خبز الصّيف، وحلاوة الشّتاء»**[3]. و**«بأيّام التّين ما في عجين»**[4]. ولأنّه أشهى الفواكه وألذّها، وخاصّةً عند العرب، قالوا في المحروم من اللّذات يظفر بما لا يحلم به منها، فيستغلّه إلى أقصى درجات الاستغلال: **«عديم ووقع بسلّة تين»**[5]، و**«عرب وتين، ويا غيرة الدّين»**[6].

10- الجوز

لا يُؤكَل إلّا يابسًا، وله قيمة غذائيّة مهمّة، نظرًا إلى غناه بالمعادن. ويُعتبر في الطّبّ الشّعبيّ، بمثابة مضادّ حيويّ طبيعيّ، يُساعد على النّموّ، وعلى معالجة فقر الدّم، والإمساك، والضّعف الجنسيّ[7].

ونظرًا لأهمّيّته الغذائيّة، يُقال لمن أصاب نعمةً ولا يمتلك المؤهّلات للاستفادة منها: **«الله بيعطي الجوز (أو القضامي) لِلّي ما عنْدو سنان (أو ضراس)»**[8].

11- الخرّوب

يُؤكَل طازجًا، ويُصنع منه الدّبس اللّذيذ الطّعم الّذي يُؤكَل عادةً ممزوجًا بالطّحينة، وهو مُغَذٍّ، ومُنَشِّط، ومُلَيِّن، ومُرَطِّب، ومُسَهِّل، ومُحَسِّن للشّهيّة والهضم، ويُعتمد كدواء لتنشيط إفراز المرارة، ومعالجة السُّعال، واضطراب الأعصاب، والتّشنُّج والتّعب[9].

عرف اللّبنانيّون بخبرتهم أنّ أكل الخرّوب يؤدّي إلى الإمساك، فقالوا محذِّرين من القيام بعمل لا تُحمد نتائجه: **«الكلام مِشْ أكل الخرّوب، الدّورة عَ الّي بِصَرِّف»**[10]، أو

(1) فريحة 743؛ يعقوب 1479؛ ناضر، ص 335.
(2) أبيلا 2353؛ يعقوب 2561؛ ناضر، ص 335.
(3) ناضر، ص 334.
(4) أبيلا 2682؛ يعقوب 1479.
(5) فغالي 2012؛ يعقوب 1311؛ أبيلا 1209؛ يعقوب 4717؛ ناضر، ص 335.
(6) رحم 3121؛ يعقوب 4722؛ ناضر، ص 335.
(7) الغذاء محلّ الدّواء، ص 594.
(8) فريحة 336؛ أبيلا 921؛ الحر 255؛ يعقوب 746؛ ناضر، ص 346.
(9) نزهة الأنام في محاسن الشّام، ص 121.
(10) فغالي 2024؛ فريحة 2987؛ يعقوب 5818.

« السّرّ مِشْ بأكْل الخرّوب، المهمّ تِصْريفو»[1]، أو «**مِشِ الأصل أكل الخرّوب، الأصل تِصْريفو**»[2].

وثمرة الخرّوب كبيرة الحجم قليلة النّفْع؛ لذلك قالوا فيمن سيّئاته أكثر من حسناته: «**متل الخرّوب: قنطار خشب ع درهم حلو**»[3]، أو «**متل الّي بياكُل خرّوب: قنطار خَشب عَ درهم حلو**»[4].

ودبس الخرّوب طعام الفلّاحين؛ ولذلك قالوا فيمن يصعب عليه الخروج مِمّا تعوّد عليه: «**نزل الفلّاح عَ المدينة، ما استحلى غير الدّبس بالطّحينة**»[5]. ونظرًا إلى امتزاج الدّبس بالطّحينة، قالوا في الحاذق الدّاهية الفَطِن يتجاوز الصّعوبات الّتي تعترضه: «**بيِلْحَس (أو بينْزَع) الدّبِس عن الطّحينة**»[6].

12- الخَوخ

الخَوخ، عند اللّبنانيّين، يثير الشّهيّة، ويُساعد على الهضم، ويُليِّن البطن، ويُدِرّ البول، ويُساعد عصيره على إخراج الدّهون والأملاح من الجسم[7]، قال اللّبنانيّون في فائدته: «**الّي ما بيِرضى بالخوخ، يرضى بشرابو**»[8].

13- الدرّاق

يُسمّيه بعضهم «الترياق»، نظرًا إلى طيب مذاقه. وهو مُرطِّب، مُهدِّئ، مُلَيِّن مُفيد للإمعاء والمعدة، يُسهم في تخفيف الإمساك، وإدرار البول، ومُعالجة السّعال، مُغذّ، غنيّ بالفيتامينات، يزيد من مناعة الجسم ومُقاومة الأمراض، والحماية من اضطرابات القلب. يُؤكّل طازجًا، ويدخل في إعداد بعض الحلويات، وهو المفضَّل لتصنيع «الكومبوت» كمؤونة للشّتاء[9]. وهو أنواع متعدّدة، أشهرها درّاق بكفيّا المعروف باسم «البكفاوي» الغالي الثّمن، يُقال «**البكفاوي للبكوات**»[10].

(1) رحم 792؛ يعقوب 3828.
(2) فغالي 2024؛ أبيلاء 2906؛ رحم 4669: يعقوب 7149.
(3) فريحة 3513؛ أبيلا 271؛ يعقوب 6833.
(4) فريحة 3468؛ يعقوب 6734.
(5) فغالي 1897؛ فريحة 3988؛ أبيلا 619؛ يعقوب 7696.
(6) أبيلا 1185؛ يعقوب 2347؛ ناضر، ص 337.
(7) ناضر، ص 338.
(8) المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
(9) ناضر، ص 338.
(10) المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

14- الرُّمّان

هو ثلاثة أنواع: حلو، وحامِض، ولفّانيّ (بين الحامِض والحلو). وأيًّا كان نوعه، هو فاكهة مُغذِّية، مُليِّنة، مُنشِّطة، مُضادّة للالتهابات، تُساعد على معالجة السُّعال والإسهال، وفقر الدّم، وعلى تسكين الألم وتخفيض الحرارة، وتقوية القلب والقدرة الجنسيّة. لذلك قالوا في خواصّ أنواعه: «**المرّ أليم، الحلو حليم، والحامِض حكيم**»[1].

وأشاروا إلى مكانته المميَّزة بين الفواكه بقولهم:«**ضرب الحبيب زبيب، وحجارتو رمّان**»[2]، أي: إنّ كل ما يفعله الحبيب لذيذ بالنّسبة إلى قلب محبوبه.

15- الزّعرور

يُستعمل نقيعه المغليّ لتهدئة الأعصاب، وإمساك البطن، وتخفيض نسبة الكوليسترول في الدّم، ومعالجة أمراض القلب[3].

كان القرويّون ينتظرون موسمه؛ لتذوّق طعمه السّكّريّ اللّذيذ. قالوا في ضرورة الاقتناع بما هو متوافر، وإن كان غير جيِّد، بانتظار الأفضل: «**سَكِّج عَ نجاص البرّي، تَ يستوي الزّعرور**»[4]، لكنَّ هذه الفاكهة لا تحظى بالمكانة اللائقة بين أصناف الفواكه، ومن هنا قولهم سخريةً من إنسان غير مرغوب فيه ينضمّ إلى جماعة مثله، أو في مصائب تكتمل بمصيبة أخرى: «**تمّ (أو اكتمل) النّقل بالزّعرور**»[5].

16- الزّيتون والزّيت

قلّما تخلو طاولة طعام اللّبنانيّ، وخاصّةً في الفطور، من الزّيتون؛ ولذلك سُمِّي «**شيخ السّفرة**»[6]. وأفضله عندهم زيتون البعل (غير المسقيّ) المرصوص، والزّيتون المسقيّ المسبَّح: «**مسبَّح السّقي، ومرصوص البعل**»[7].

وزيت الزّيتون أفضل الزّيوت عندهم، يستخدمونه كعنصر رئيسيّ في طهي مأكولاتهم،

(1) ناضر، ص 339.
(2) فغالي 1322؛ فريحة 2189؛ أبيلا 806؛ يعقوب 4371؛ ناضر، ص 339.
(3) ناضر، ص 340.
(4) فغالي 2004؛ يعقوب 3850؛ ناضر، ص 339. سكِّج: اكْتَفِ، اقتنِعْ، اعتمِدْ.
(5) فغالي 1447؛ فريحة 1202؛ يعقوب 669، 2534. النّقِل (النَّقْل): ما يُتَنَقَّل (يُؤكَل) عند الشّراب، أو ما يقدَّم مع القهوة، والفاكهة وغير ذلك.
(6) الحيالة الاقتصاديّة عند اللّبنانيّين من خلال أمثالهم، ص 132.
(7) فريحة 3682؛ يعقوب 7138.

وإعداد سلطاتهم، وحفظ ألبانهم، ومكبوساتهم. وله قيمة غذائيّة كبيرة، إذ يقوّي الجسم، ويُنشِّط الغدد الجنسيّة، ويُنظِّم نسبة الكوليسترول الجيِّد في الدّم، ويُنشِّط عمل الكبد، ويُخفّض ضغط الدّم، ويقي من تصلُّب الشّرايين والذّبحة الصّدريّة، ويُعالج الإمساك، وأوجاع المعدة، وآلام الرأس، ويُساعد على النّوم وتهدئة الأعصاب، كما يُعتمد كمرهم لمعالجة الجروح والبثور الحاكّة، ولسع بعض الحشرات. ويُفيد في حالة حساسيّة الجلد، وللحفاظ على صحّة العيون وشعر الرّأس[1].

ويُشكِّل الزّيت مع الخبز أهمّ عناصر المونة. ومن أمثالهم الّتي تؤكِّد هذا الأمر قولهم: «**خبزي وزيتي عمارة بيتي**»[2]، و«**إن حضِر القمح والزّيت، تسوكرت مونة البيت**»[3]، و«**إذا كان في البيت خبز وزيت، زِقَّفْت وغِنَّيت**»[4].

وقالوا مشيرين إلى أهمّيّة الزّيت الغذائيّة: «**كول زيت، وناطح الحيط**»[5]، و«**الزّيت مسامير الرّكب**»[6].

ونظرًا إلى أهمّيّته، أصبح رمزًا للخير والحياة. قالوا في الخير أو الطّيب يجتمع إلى مثله: «**زيت عَ زيتون**»[7]، وفي وفاة أحدهم: «**خلصوا زيتاتو**»[8]، وتشاءموا من إراقته، فـ«**كبّ الزّيت خراب البيت**»[9].

والزّيت أرخص ثمنًا من اللّحم والسَّمْن؛ ولذلك كان الطّعام المطبوخ بهما أفخر من المطبوخ به. قالوا في الاكتفاء بما هو متوافر، وإن كان أقلّ جودةً من غيره: «**الّلي ما عند قورما، يقلّي بزيت**»[10]، وفي التّمييز بالمعاملة: «**ناس بسمنة، وناس بزيت**»[11].

والزّيتون طعام الفقراء الّذين يكتفون به أحيانًا لشدّة فقرهم؛ ولذلك قيل: «**إذا كان غداك خبز وزيتون، الشَّبع أي متى بِكون؟**»[12]، و«**خبز وماء أكل العلماء، خبز وزيتون**

(1) الغذاء محلّ الدّواء، ص 652.
(2) ناضر، ص 325.
(3) فريحة 645؛ يعقوب 1295؛ ناضر، ص 325.
(4) ناضر، ص 325.
(5) فريحة 3041؛ الحر 138؛ يعقوب 5908.
(6) يعقوب 3758؛ ناضر، ص 325.
(7) يعقوب 3756.
(8) يعقوب 3188؛ ناضر، ص 325.
(9) يعقوب 5513؛ ناضر، ص 325.
(10) ناضر، ص 324. والقورما: لحم يُطبخ بدهنه، ويُحفظ للشّتاء.
(11) الحر 220؛ يعقوب 7640؛ ناضر، ص 324.
(12) فريحة 150؛ يعقوب 359؛ ناضر، 324.

أحسن ما يكون. خبز وبصل أكْل الأُصَل. كلّو حِرْفات ع قلّة الدامات»[1].

ومع كون الزّيتون طعامًا، فإنَّه لا يُكتفى به وحده، ولا يُلجأ إليه إلّا في حالة الفقر الشّديد، وهو يُفضَّل مقرونًا بالخبز اليابس على اللّجوء إلى من يستقبل المحتاج إليه بوجه عابِس، قالوا: «**حبّة زيتون وخبز يابِس، ولا عازة وجّ عابِس**»[2].

17- السَّفَرْجل

يُؤكَل نيئًا، ويُصنع منه المربّى اللّذيذ. تُستخدم بذوره وأوراقه لمعالجة السّلّ والرّبو، ويُستعمل عصيره لمعالجة فقر الدّم، والسّكّري، والسُّعال، وبحّة الصّوت، ولِتَنشيط عمل القلب[3].

قال اللّبنانيّون فيما يضرّ أكثر ممّا ينفع، أو في الّذي يؤذيك التّعامل معه، مشيرين إلى الغصّات الّتي تُرافق أكله نيئًا: «**شو بدّي إتْرجّى مِنْك يا سفرجلة، وكلّ عضّة بغصّة**»[4]، و«**متل أكل السّفرجل، كلّ عضّة بغصّة**»[5].

18- العِنَب

هو، عند اللّبنانيّين، أكثر الثِّمار فائدةً وأشهاها، وأجودها، فهو «عدا عن طيب نكهته ولذّة مذاقه، يحتوي على قَدْر جيِّد من السّكّريّات والمقوّيات، يجعله مصدرًا غنيًّا للطّاقة. فهو مُنشِّط، ومُقَوٍّ، يُداوى به لتغذية الجسم، وتفعيل عمل وظائفه وقدراته، وتجديد خلاياه، ويُساعد في الحدّ من الإمساك وعسْر الهضم المعويّ، فيُلَيِّن المعدة، ويُزيل القبض، ويُسهّل الدّورة الهضميّة، ويُخفِّض الحموضة. ويُداوى به كذلك الأفراد الّذين يُعانون من أمراض الكبد، يقولون: «العِنَب صديق المعدة والكبد». ويُعتمد تناول عصيره لمعالجة فقر الدّم، وتنقيته من السُّموم، وتنشيط الكفاءة الجنسيّة. وهو يعطي البشرة نضارة وحيويّة. ومن الأمثال في هذا المجال:

---

(1) فغالي 1049؛ فريحة 1515، 1516؛ يعقوب 1843، 3123. ويُقصد بـ«الدامات» هنا، أنواع الأطعمة. ورُوي، في قصّة هذا المثل، أنّ أربعة مسافرين جلسوا إلى الغذاء، وكلٌّ يأكل ما يحمل. وكان الأوّل يحمل خبزًا وماءً، والثّاني خبزًا وزيتونًا، والثّالث خبزًا وبصلًا، والرّابع خبزًا وسمكًا. وأحبّ الثّلاثة الأوائل استبدال بعض ما عندهم بالسّمك، فقال الأوّل: إنّ الخبز والماء هما أكل العلماء. وادّعى الثّاني أنّ الخبز والزّيتون أحسن ما يكون. وزعم الثّالث أنّ الخبز والبصل أكل الأُصلاء. ففهم الرّابع قصدهم، فقال هذا القول (فغالي 1049).

(2) أمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين، ص 94.

(3) ناضر، ص 340.

(4) فغالي 2005؛ فريحة 2066؛ يعقوب 4135؛ ناضر، ص 340.

(5) ناضر، ص 340.

كول التّين واتفرَّج عّ زنودك، كول العِنَب واطّلّع عَ خدودك»[1].

والعِنَب فاكهة اللّبنانيّين المفضَّلة في فصل الصَّيف، قالوا: «**صَيّفْ عَ العِنَب، وَشَتِّ عَ القصب**»[2]. وأطيبه عندهم ما كان ناضجًا في آخر موسمه، قالوا: «**آخر العنقود سكّر معقود**»[3]. من هنا كنايتهم عن الابن الأصغر، وهو الأحبّ إلى قلوبهم بـ«**أخر العنقود**»[4].

ومنهم من يفضّله في أوّله حيث يجمع بين الطّعم الحلو والطّعم القليل الحموضة، قالوا: «**أوّل العِنَب، وآخر التّين**»[5]، أو «**كول أوّل العِنَب وآخر التّين**»[6].

ويُؤكَل العِنَب حبّة حبّة، من هنا قولهم في الأمر يُنجز تدريجِيًّا لا دفعةً واحدة: «**أكل العِنَب حبّة حبّة**»[7]. وقالوا في أدب أكله: «**حبّة حبّة أكل العِنَب. تنين تنين حشمة وأدب. تلاتة تلاتة تبقِّ العِنَب**»[8].

ونظرًا إلى حلاوة العِنَب ولذاذته، قالوا لِمَن عُرِض عليه مَكْسب دون أن يقابله بأيّ جهد، فأراد اللّجوء إلى الطّرق غير الشّرعيّة للحصول عليه: «**بَدّك تاكل عنب يمّا تقتل النّاطور**»[9].

ويُحشى ورقه بالأرزّ واللّحم المفروم، ويُطبخ مع ضلوع الخروف والسّمن والبهارات. ويُسمّي اللّبنانيّون هذا الطّعام «محشيّ ورق العِنَب»، أو «محشيّ يبرق»[10]، وهو يحتاج لجهد كبير لتحضيره. في حين يتمّ أكله بسهولة، ولذلك قيل: «**ما أصعب لفّه! وأسهل سفّه!**»[11]

ويُصنع من العِنَب الزّبيب، والدّبس، والخلّ، وغيرها. ويُصنع الخلّ من تخمير التّفّاح والعِنَب وغيرهما، ويُستعمل في تطييب الأطعمة، وخاصّةً السّلطات. وهو يعين على

(1) ناضر، ص 342.
(2) المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.
(3) إنسانيّات الأمثال الشّعبيّة اللّبنانيّة، الرّقم 184.
(4) يعقوب 8.
(5) فريحة 743؛ يعقوب 1479.
(6) فغالي 342؛ ناضر، ص 342.
(7) أبيلا 2357؛ يعقوب 678.
(8) فغالي 1536؛ يعقوب 2788؛ ناضر، ص 344. تبقّ: تتقيّأ.
(9) فغالي 2123؛ فريحة 830؛ الحر 199؛ أبيلا 365؛ يعقوب 1705.
(10) اليبرق: كلمة تركيّة تعني ورق العِنَب (ناضر، ص 504).
(11) ناضر، ص 504. سفّه: أكله.

الهضم، ويُسهم في تخفيض نسبة السّكّر والدّهون في الدّم. وتُعتبر الغرغرة به علاجًا لحالة التهاب الحلق واللّوزتين. وهو أيضًا يُسهم في معالجة الإسهال، قالوا: «**الخلّ الحامِض قابِض**»[1].

ويصنع اللّبنانيّون الدّبس من الخرّوب والعِنَب. ولدبس العِنَب خواصّ العِنَب الطّازج وفوائده وقيمته الغذائيّة والطّبّية. ويُقال عنه: إنّه «طعام القوّة والعافية والحيويّة»[2]. ويأكله اللّبنانيّون ممزوجًا بالطّحينة، وهما يمتزجان امتزاجًا كلّيًا يستحيل فصلهما؛ من هنا قولهم في الذّكيّ الماهر الّذي يتجاوز الصّعوبات الّتي تعترضه: «**بيِلْحِس (أو بيِنْزَع) الدّبس عن الطّحينة**»[3].

وعبَّر اللّبنانيّون عن لذّتهم في أكل الدّبس، وشهيّتهم له، فقالوا في فائدة الصَّبر: «**مَنْ صَبَر عَ الحِصْرم، إكلو دِبس**»[4]. وقالوا في كثرة الأصدقاء وقت الرّخاء والغنى، وقلّتهم وقت الشّدّة والفقر: «**يا كِترة أصحابي لمّا كان بكرمي دِبس، ويا قلّة أصحابي لمّا صار بكرمي يِبس**»[5].

ويُصنع الزّبيب من العِنَب الناضج[6]، ويُعتبر مع التّين المُجَفَّف والجوز حلاوة الفلّاح ونقله. وله خواصّ العِنَب الغِذائيّة. ويُعَدّ أحسن مصادر السّكّريَات السّهلة الهضم والتّمثيل، وأحسن العقاقير لمداواة حالات مرضيّة كثيرة، كسوء الهضم، والتهاب المعدة والأمعاء والإمساك. وهو يُفيد، لفضل احتوائه على كمّيات كبيرة من الحديد في توليد كريّات الدّم الحمراء، فهو الغذاء الأمثل لفقر الدّم، وتنشيط القدرة الجنسيّة. من هنا قولهم: «**الحمّص والزّبيب يرضي الحبيب**»[7].

وعبَّر اللّبنانيّون عن مكانة الزّبيب عندهم كحلوى شهيّة بقولهم: «**ضرب الحبيب زبيب، وحجارتو رمّان**»[8]، و«**لو كان بيتنا قريب، كنت بِطعمك كمشة زبيب، وكلّما كلت**

---

(1) طبّ الإمام الرِّضى، ص 45.
(2) ناضر، ص 343.
(3) أبيلا 1185؛ يعقوب 2347؛ ناضر، ص 343.
(4) فغالي 2127؛ يعقوب 7429؛ ناضر، ص 342.
(5) فغالي 2128؛ فريحة 4210؛ أبيلا 1590؛ يعقوب 8122؛ ناضر، ص 341.
(6) وذلك بتغطيس عناقيد العِنَب النّاضجة في إناء كبير من ماء الرّماد الممزوج بقليل من الزّيت، ثمّ تُعَرَّض لأشعّة الشّمس عدّة أيّام حتّى تذبل وتجفّ، ثمّ تُنزع حبّات العِنَب من العماليش، وتُخزَّن لأكلها في فصل الشّتاء.
(7) ناضر، ص 343.
(8) فغالي 1322؛ فريحة 2189؛ أبيلا 806؛ يعقوب 4371؛ ناضر، ص 343.

حبّة، بضربك عشرين قضيب»[1].

19- اللّوز

يُؤكَل بقشره عندما يكون طريًّا، ويُؤكَل قلبه من غير القشر، عندما يصلب ويشتدّ؛ أمّا قلب اللّوز اليابِس، فمرغوب جدًّا بين موادّ التّغذية.

واللّوز مُسكِّن، ومُسهِّل، ومُنشِّط للجسم، ومُقوٍّ للعظام، ومُساعِد للنّموّ، ومُغَذٍّ جيِّد لكبار السّنّ وللحوامل والمرضعات. ويُعتمد عليه لمكافحة فقر الدّم، والضّعف الجنسيّ، ولتطهير الأمعاء، وعلاج الحموضة، والسُّعال، وأمراض الجهاز الهضميّ. ويُفيد مرضى السّكّري والمُصابين بالالتهابات[2].

وأشار اللّبنانيّون إلى فائدته في تغذية كبار السّنّ بقولهم: «**كول إنتَ لوز، وطعمي إبْنك خرا، هو لقدّام، وإنت لورا**»[3]. وقالوا في اجتماع لذيذين: «**لوز وسكّر**»[4]، وفي الضّعيف الكسول: «**بلّوط مفَصْفَص فوق راسو ما بنوشو، تَ يعود ياكل لوز**»[5]. ونظرًا إلى طعمه اللَّذيذ، ينادي بائعو التّرمس، لكي يُقبل الأطفال على شراء بضاعتهم: «**يا تِرْمُس أحلى من اللّوز**»[6]. من هنا قولهم في الخداع: «**قالوا: التِّرْمُس أحلى من اللّوز. كلّو ضحك عَ ولاد الزّغار**»[7].

20- المَوز

له قيمة غذائيّة عالية، بفضل ما يحتوي من أملاح معدنيّة؛ ولذلك فهو مُقوٍّ للجسم، ولعضلات القلب. وهو مُنظِّف للدّم، مُضادّ للحموضة والسُّعال وآلام الصّدر. يُساعد على خفض ضغط الدّم المرتفع، ويُنصح به لمعالجة سوء التّغذية والاضطرابات الهضميّة[8]. يقول اللّبنانيّون في لذّة طعمه: «**اللّذّات بالمَوْزيّات**»[9].

(1) فغالي 1169. وهو يُضرب لمن يُحسِن قليلاً، ثمّ يُسيء كثيرًا.
(2) الغذاء محلّ الدّواء، ص 594.
(3) ناضر، ص 347.
(4) أبيلا 1871؛ يعقوب 5259.
(5) فغالي 1990؛ ناضر 1527. مفَصْفَص: مُهَيَّأ للأكل.
(6) أبيلا 431؛ يعقوب 8041.
(7) الحر 270؛ يعقوب 5259.
(8) الغذاء محلّ الدّواء، ص 569-568.
(9) ناضر، ص 345.

خاتمة

كثرت فواكه اللّبنانيّين، نظرًا إلى اعتدال مناخ وطنهم، وتنوّع فصوله، وخصب تربة أرضهم، وكثرة مياهها، وتدرّج تضاريسها من سهول ساحليّة تعانق شاطئ البحر الأبيض المتوسّط في امتداد 220 كلم إلى جبال عالية تلامس الثّلاثة آلاف مترًا ارتفاعًا، إلى ما بعد هذه الجبال، أعني سهل البقاع الخصب الغنيّ بفواكهه ومزروعاته، والّذي كان يشكّل قديمًا أهراءات الشّرق الأوسط.

وكان من الطّبيعيّ أن تظهر مزروعاتهم في أمثالهم، نظرًا إلى أهمّيّتها الغذائيّة، والصّحّية من ناحية، وإلى طول تجربتهم معها، وخبرتهم فيها.

وقد كشف هذا البحث عن أهمّيّة معظم الفواكه الّتي يأكلها اللّبنانيّون، وما يتعلّق بها من أمثال تتعلّق بقيمتها الغذائيّة. وكان من الطّبيعيّ أن يغفل هذا البحث الفواكه الّتي لم تظهر في الأمثال، كما أَغْفَل الأمثال الّتي تتعَلَّق بالفواكه، ولكن ليس من ناحيتها الغذائيّة، بل من ناحية شكلها، أو أوقات زراعتها، أو جنيها، أو غير ذلك من أمور زراعيّة تتعلّق بها.

وللأمثال المتعلّقة بالفواكه من النّاحية الغذائيّة أهمّيّة في كشف ناحية من نواحي الثّقافة الصّحّية للّبنانيّين فيما يتعلّق بالطّعام عمومًا، وبالفواكه خصوصًا، وفي إظهار خبرة اللّبنانيّين الغذائيّة، واستغلال هذه الخبرة في أمورهم الصّحّية.

صحيح أنّ العلم كشف اليوم، بفعل المختبرات الحديثة، والتّطوّر التّقنيّ في التّحليل الكيميائيّ وغيره، الكثير الكثير من مركّبات الفواكه، وخصائصها الغذائيّة، وكيفيّة تناولها كمّيّة، وأوقاتًا في كلٍّ من حالتي الصّحّة والمرض، لكنّ خبرة اللّبنانيّين الغذائيّة بقيت مفيدة في مجال التّغذية، وهي الأكثر انتشارًا بينهم من نتائج المختبرات الغذائيّة، فهي، بالتّالي، الأهمّ عندهم من هذه النّتائج.

المصادر والمراجع

- **أبيلا**= Proverbes populaires du Liban Sud : Saïda et ses environs –

-**أمثال الأقدمين في جبّة المقدّمين**، أنطوان جبرايل طوق، بشاريا للنّشر، زوق مكايل، لبنان، ط1، 1992م.

-**الأمثال الشّعبيّة الجنوبيّة من خلال بلدة جباع**، حسن الحر، رسالة أُعِدَّت لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الجامعة اللّبنانيّة، الفرع الأوّل، بيروت، 1987م.

- **الأمثال العاميّة اللّبنانيّة وأثرها في المجتمع**، عبد الرّزاق رحم، أطروحة أُعِدّت لنيل شهادة الدّكتوراه (الحلقة الثّالثة) في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 1982م.

-**إنسانيّات الأمثال الشّعبيّة**، زاهي ناضر، أطروحة أُعِدّت لنيل شهادة الدّكتوراه في الفلسفة، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 1985م.

- **الثّقافة الصّحّية والغذائيّة وآدابها في الأمثال الشّعبيّة**، الدّكتور زاهي ناضر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2019م.

- **الحر= الأمثال العاميّة اللّبنانيّة وأثرها في المجتمع.**

-**الحياة الاقتصاديّة عند اللّبنانيّين من خلال أمثالهم**، هدى محمّد نعمان، أطروحة أُعِدَّتْ لنيل شهادة الدّكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 2020م.

- **ديوان أبي نواس**، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي، الشّركة العالميّة للكتاب، بيروت، لاط، 1987م.

- **رحم= الأمثال الشّعبيّة الجنوبيّة من خلال بلدة جباع.**

- **الغذاء محلّ الدّواء**، محسن عقيل، دار المحبّة البيضاء، بيروت، ط1، 1998م.

- **فريحة**= A dictionary of a modern Lebanese proverbs –

- **المثنّى التّغليبيّ**، نجمة دياب، رسالة أُعِدّت لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجنان، طرابلس (لبنان)، 2007م.

- **المعجم الوسيط**، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، ط5، 2021م.

- **موسوعة أمثال العرب**، الدّكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

- **موسوعة الأمثال اللّبنانيّة**، الدّكتور إميل بديع يعقوب، دار جرّوس برس، طرابلس (لبنان)، ط2، 1993م.

- **A dictionary of modern lebanese collated annotated and translated into English**, Beirut, Librairie du Liban, 1974.

- **Proverbes et dictons Syrio-Libanais**, Paris, institut d'éthnologie, 1938.

- **Proverbes populaires du Liban Sud Saïda et ses environs**, Maisonneuve et Larousse, Paris, 1981.

القهوة في التّراث العربيّ

سماح يحيى العرجة

1- تمهيد

تُعد القهوة المشروب السّاخن الأوّل في العالم من حيث الانتشار، وقد عرفها العرب منذ خمس مئة سنة تقريبًا، وانتشرت بينهم انتشارًا واسعًا، وتركت أثرًا في لغتهم، وأدبهم، وشعرهم، وأمثالهم، وعاداتهم، وتقاليدهم. وجئت في بحثي هذا أفصِّل القول فيها لغةً، ونشأةً، وآثارًا.

2- القهوة في اللّغة

القهوة، في اللّغة، هي الخمْر، واللّبن المَخْض، والرّائحة، والخِصْب، وشرابُ مَغْليّ البُنّ، ومكان عامّ يُقدّم فيه مشروب القهوة ونحوه من الأشربة[1].

وجاء في «تاج العروس»: القهوة: الخَمْر. يُقال: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تُقهي شاربها عن الطّعام، أي: تَذْهَب بشهوته، كما في الصّحاح. وفي التّهذيب، أي: تُشبعه. قلت: هذا هو الأصل في اللّغة، ثُمَّ أُطْلِقَت على ما يُشْرَب الآنَ من البُنّ لِثَمَرِ شَجَرٍ باليمن... يُقلى على النّار قليلًا، ثُمّ يُدَقّ، ويُغلى بالماء[2].

ومن علماء اللّغة من يربط اسمها باسم كافا kaffa، وهي مقاطعة تقع في الجزء الجنوبيّ العربيّ من إثيوبيا الّتي يُعتقد أنّها موطن البنّ الأوّل[3]. وإن كان الأصل في«القهوة» أن تطْلَق على الخمر. كما جاء في تاج العروس، وإن كان لها ستّة معانٍ كما جاء في «المعجم الوسيط»، فإنَّ معناها الشّائع اليوم هو شراب البُنّ، لا غيره. ومن اسمها، وبهذا المعنى، اشتقّ العرب اسم المكان «المقْهى»، وهو «مكان عامّ يُقدَّم فيه مشروب القهوة ونحوه من الأشربة. (ج): مَقاهٍ»[4].

(1) المعجم الوسيط، مادّة (قهو).
(2) تاج العروس 29/371، مادّة (قها).
(3) موسوعة المورد العربيّة 1/245.
(4) المعجم الوسيط، مادّة (قهو).

3- شجرة البُنّ

تنمو شجرة البُنّ في الأقاليم الحارّة الرّطبة، وبخاصّة على السّفوح الّتي تعلو نحوًا من 600م فوق سطح البحر. يتراوح ارتفاعها ما بين ثمانية وعشرة أمتار. تحمل أغصانها زهرات عُنْقوديّة بيضاء صغيرة ذات أريج شبيه بأريج الياسمين، وثمارها متطاولة حمراء عند النّضج. تتألّف من لبّ لحيم، وبزرتين متقابلتين، كلٌّ منهما مصونة بغلافين: أحدهما خارجيّ قاسٍ، والآخر غشائيّ رقيق. وتُعتبر البرازيل أكبر منتج في العالم. ويُعَدّ البُنّ العدنيّ من أجود البُنّ العالميّ[1].

4- انتشار البُنّ في العالم

لم يعرف العرب البنّ ولا شرابه قبل نهاية القرن الثّاني عشر الميلاديّ، بدليل أنّ لفظتي «البُنّ» و"القهوة» (بمعنى شراب البُنّ) لم تردا في معجم «لسان العرب» لابن منظور (ت711هـ/1311م)، وهو معجم جمع بين دفّتيه خمسة معاجم، وهي: «تهذيب اللّغة» للأزهريّ (ت370هـ/981م)، و«الصِحاح» للجوهريّ (ت393هـ/ 1003م)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (ت458هـ/1061م)، و«التّنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصّحاح» لابن برّي (ت582هـ/1187م)، والنّهاية في غريب الحديث والأثر«لابن الأثير» (ت606هـ/1210م).

ويرى المؤرّخون أنّه في القرن الخامس عشر للميلاد، نُقِل البُنّ من إثيوبيا إلى اليمن، ومنها إلى مصر وتركيّا، حيث عُرِفت بلكْنتهم باسم «كاهفا». ومن تركيّا انتقلت إلى اليونان وإيطاليا وغيرهما من الدّول الأوروبيّة؛ أمّا إنكلترة، فلم تعرف البُنّ إلّا في القرن السّابع عشر، وقد سمّاها الإنكليز باسمها العربيّ coffee، ومنها عبرت القهوة حَبًّا ونباتًا واسمًا، وخلال القرن الثّامن عشر، وعبر المحيط الأطلسيّ، إلى العالم الجديد[2].

ولعلّ أوّل معجم عربيّ سَجَّل للقهوة معناها المولَّد (شراب البُنّ)، بالإضافة إلى معناها الأصيل (الخمر)، هو تاج العروس لمحمّد مرتضى الزّبيدي (ت1205هـ/1790م)[3].

ومن تاريخ القهوة يذكر المؤرِّخون أنّ القهوة انتشرت في الدّولة العثمانيّة في عهد

(1) موسوعة المورد العربيّة 1/245.
(2) المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.
(3) انظر: تاج العروس 29/371، مادّة (قها).

السّلطان سليمان القانوني (1516–1520م)، وأنَّ مَقْهى أُسِّس في إسطنْبول كان لرجلين أحدهما حلبيّ، والثّاني دِمَشْقيّ؛ وذلك سنة 962هـ. وكان هذا المقهى يجمع الأدباء والأعيان والعلماء؛ ولذلك سُمّي باسم "مدرسة العلماء».

وتُعَدُّ القهوة اليوم المشروب السّاخن الأكثر شيوعًا في العالم، لا يزاحمها أيُّ مشروب ساخن آخر؛ وذلك في كلّ الطّبقات الاجتماعيّة، والدّينيّة، والمذهبيّة، وغيرها.

5– فوائدها الصّحّية

تُصَنَّف القهوة بين المنبِّهات والمكيِّفات، إذ تحتوي مادّة **الكافيين**، فهي، بالتّالي، ليستْ مشروبًا مستحبًّا ولذيذًا وحسب، بل نافعة أيضًا للصّحّة، إذا تناولها الإنسان باعتدال، وخاصّة بالنسبة إلى الّذين يعانون كثرة النّشاط العقليّ أو التّعب المضني. فهي تقاوم النّوم، وتحسِّن المزاج، وتُفَعِّل أداء الأعمال العضليّة، وتزيد من نشاط الدّورة الدّمويّة، وعمل الدّماغ، والعصارات الهاضمة[1].

كما نُسِبَتْ إليها الفوائد التّالية:

أ– تُحسِّن مستوى الطّاقة والذّكاء.

ب– تُساعد على حَرْق الدّهون.

ج– تُساعد على تحسين الأداء البدنيّ للجسم.

د– تُقلِّل من خطر الإصابة بالسّكّري من النّوع الثّاني.

هـ– تحمي من مرض الزّهايمر والخَرَف.

و– تقي من مرض الباركنسون أو الشَّلل.

ز– تُساعد في حماية الكبد[2].

أمّا الإفراط في تناولها، فمُضِرّ، إذ يؤدّي إلى الأرق، والتّهيُّج، وخَفَقان القلب، وخاصّة بالنّسبة إلى الّذين يعانون ارتفاع ضغط الدّم؛ لأنّها تزيد نشاط الدّورة الدّمويّة[3].

(1) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 308.
(2) «أمثال شعبيّة عن القهوة»، مقال منشور في الإنترنيت، تاريخ الدّخول 25/4/2023.
(3) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 308.

6- تحضير القهوة

يُستورَد البُنّ من البرازيل، واليمن، وكولومبيا، وغيرها. وأشهره البُنّ البرازيليّ. ويُفضَّل البُنّ ذو الحبّة الكبيرة الخضراء الطّازجة والمسطَّحة.

تُحَمَّص حبوب البُنّ، فَتَنْبَعث منها رائحة زكيّة تبعث الرّاحة والسّرور في النّفس. وهي، بعد تحميصها، تفقد ربع وزنها، ويتحوّل سكّرها إلى كرامل، وتتحوَّل الحبوب إلى موادّ خشنة هشّة يمكن طَحْنها. وهي تكتسب نكهة لذيذة بخروج الزّيوت الطّيّارة منها، فإذا زاد التّحميص عن حدّه المطلوب، تفقد الحبوب قيمتها ونكهتها. وبعد الانتهاء من التّحميص، تُحفظ في أوانٍ محكَمة الإغلاق بعيدًا عن مؤثّرات الرّوائح.

وبعد التّحميص، تُطحن الحبوب بمطاحن يدويّة أو كهربائيّة خاصّة، أو بِوَضْعها في جُرْن خشبيّ يُسمّى «المهباج»، ثمّ ضربها بمدقّة خشبيّة حتّى تنعم. ومن أمثال اللّبنانيّين في أهمّية المهباج قولهم: «**الصّاج والمهباج أوّل ما تقتني وآخر ما تبيع**»[1]. ويكثر اليوم شراء القهوة المحمّصة المطحونة الجاهزة للغلْي من المحلّات والسّوبرماركات.

يوضع مسحوق القهوة في أوانٍ خاصّة (ركوات، أو أباريق)، وتوضع في الموقد بين الجَمْر، كما يفعل العرب، أو نار الغاز ونحوه، مع مقدار من الماء يتناسب مع كمّية القهوة المطحونة، فتأتي مكثّفة، أو ثقيلة، أو خفيفة. ويُقال عن هذه الأخيرة بأنّها «**قهوة صايطة**»، أو «**زوم زيتون**»[2].

بعد الانتهاء من غَلْيها، توضع في مِصبّات نُحاسيّة متنوّعة الأنواع والنّقوش، وبعضها يعلو غطاءها مُجَسَّمٌ صغير لطائر العرنوق المحبَّب عند العرب؛ لأنّه كان يدلُّهم على مواضع المياه في البادية، وهو، عندهم، رَمْز للشَّيْب والوقار؛ لأنّ لونه أبيض وجميل، ويقف بشموخ. واشتهرت الدِّلال (الأباريق) الرسْلانيّة، وهي دلال نحاسيّة صفراء متقنة الصّنع تنسب إلى عائلة رسْلان السّوريّة الّتي أتقنت هذه الصّناعة في العهد العثمانيّ[3].

تُقدَّم القهوة بفناجين مختلفة الأشكال والأحجام والألوان، ومنها بمسكة، ومنها بغير مسكة، ومنها الصّغير ومنها الكبير، ومنها الأبيض، ومنها الملوّن...

(1) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 305.
(2) المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
(3) تاريخ القهوة العربيّة، ص 15.

7- أنواع القهوة

تختلف أنواع القهوة باختلاف المناسبات وأذواق الضُّيوف. فهناك «القَّهْوة عَ الرّيحة»، و«قَهْوة سُكَّر قليل»، و«قَهْوة حلوة»، و«قَهْوة سكّر زيادة»، و«قَهْوة بالهال»، و«القَهْـوة المرّة»، والعربيّة[1]، والتّركيّة[2]، والأجنبيّة[3]، و«القَهْوة السّادة» الّتي تُغلى على الجمر، فتأتي مركَّزة، وتُشْرَب بمقدار قليل. ومن أمثال العرب واللّبنانيّين: «**السادة للسادات، والحلوة للستّات**»[4].

8- أوقات تقديم القهوة ومناسباتها

تُشْرَب القهوة في كلّ أوقات النّهار في الزّيارات والمناسبات المختلفة؛ وخاصّةً في الأمسيات الرّومنسيّة، والجلسات الحميمة. وأفضل الأوقات المستحبّة لشربها، على العموم، هو أوّل النّهار، حيث يكون احتساؤها مصدرًا للتيقُّظ والنّشاط والشّعور بالحيويّة.

ويحافظ البعض، وخاصّةً اللّبنانيّين، على شربها بعد كلّ طعام؛ لاعتقادهم بفعاليّتها على المساعدة في هضمه؛ ولذلك لا ينتهي غداء الضُّيوف، إلّا بعد تقديم القهوة لهم.

وقد تُخصَّص جلسة في آخر النّهار عند احمرار الشّمس؛ لتناولها بدافع الكيف والمسامرة وجمع الشَّمْل. ومن أمثالهم: «**فَوّتْ مَصْر، ولا تْفوّتْ قهوة العصر**»[5]. ويمتنع النّاس عن شربها ليلًا؛ لأنّها، بفعل مادّة الكافيين المنبِّهة فيها، تُسبِّب الأرق.

9- آداب شرب القهوة

بفعل كثرة تناول القهوة في الزّيارات والاحتفالات ونحوها خلال قرون طويلة من الزّمن، ظهرت عند شاربيها آداب يجب التّمسُّك بها لكلٍّ مِنْ مقدِّمها، وشاربها.

أمّا مُقدِّمها، فيجب، كما في آداب شربها في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، أن يكون واقفًا عند صبِّها، حافي القَدَمين، متميِّزًا بالمظهر الحسن، جالسًا في أوّل المجلس قرب الباب، وأن يشرب الفنجان الأوّل، وأن يتأكَّد من سلامة الفناجين قبل تقديمها، وأن يهزّ

---

(1) هي الّتي تبقى فترة طويلة في الجمر، ولا يُضاف إليها إلاّ شيء من الزّنجبيل والقرفة وحبّ الهال، وتقدّم بفناجين صغيرة دون مسكة (فنجاة الشّفّة)، ولا يوضع في الفنجان إلّا القليل منها.

(2) هي القهوة الّتي نُسبت إلى الأتراك، بعد أن أضافوا إليها شيئًا من السكّر.

(3) هي القهوة المغليّة بالماء، وتُعَدُّ بواسطة آلة ضغط Espresso.

(4) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 305.

(5) المرجع نفسه، ص 306.

الفناجين الّتي بيده قبل أن يصبّ القهوة فيها. وأن يمسك مقبض الدلّة (إناء القهوة) من الوسط، وإصبعه الإبهام أعلى المقبض، وأن يرفع الدلّة عن الأرض بطريقة هادئة، وأن يمسك الدلّة باليد اليسرى والفناجين باليد اليمنى، وأن يكون عدد الفناجين الّتي يحملها ثلاثة فقط. وإذا كان في المجلس رجل ذو وجاهة، يبدأ به. وإذا لم يعرف إلى من يقدِّم الفنجان الأوّل، يتقدَّم لوالده، وهو يوجّهه.

ومن الآداب الّتي يجب أن يتحلّى بها الضّيف عند شرب القهوة، أن يُقبل على مُقدِّم القهوة بصدره ووجهه عند أخذ الفنجان، وأن يسلّم الفنجان بثلاثة أصابع: الوسطى، والسّبّابة، والإبهام، وألّا يشرب أكثر من ثلاثة فناجين، وألّا يترك شيئًا من القهوة داخل الفناجين، وألّا ينفخ في الفنجان لتبريد القهوة، ولكن يستطيع تحريكه حركة دائريّة، وألّا يُخرج صوتًا عند شرب القهوة، وألّا يترك الفنجان بيده لمدّة طويلة، وألّا يضع الفنجان على الأرض. وعليه أن يهزّ فنجانه عند الاكتفاء من شرب القهوة. وإذا كان بجانبه شخص ذو وجاهة، يُسْتَحْسَن أن يقدِّم إليه فنجانه تقديرًا له.

أمّا من جهة الدلّة والفناجين، فيجب أن تكون على درجة عالية من النّظافة، غير مشلومة (ليس فيها شَرْخ)، وأن تكون الفناجين ذات حجم واحد. وفي الضّيافة العربيّة يُمنع وضع الفناجين في صينيّة، أمّا في المنازل اللّبنانيّة، فتوضع فيها[1].

10- القهوة في التّراث العربيّ واللّبنانيّ

بعد أن عرف العرب القهوة، ما لبثت أن انتشرت انتشارًا واسعًا بينهم، وتجذّرت في لغتهم، ومُثُلهم الخلقيّة، وعاداتهم وتقاليدهم، وأقوالهم، وأمثالهم، وأغانيهم، وأشعارهم.

لقد أصبحت رمزًا من رموز الضّيافة، فتقديمها للزّائرين إشارة تكريم لهم، ودلالة على كرم المُضيف. وكما كان كثرة إعداد الأطعمة رمزًا من رموز الكرم العربيّ، بحيث كنّوا عن الكريم بعبارة «كثير الرّماد»[2]. أصبحت، إلى جانب ذلك، كثرة إعدادها رمزًا من رموز الكرم. وكم من بيت عربيّ تدخل إليه، فتجد في وسطه إبريق القهوة وسط الجَمْر؛ ليستقبل الضّيوف!

والشّواهد اللّغويّة والأدائيّة الرّمزيّة تؤكّد على عمق وتجذّر القهوة في الحياة اليوميّة

(1) انظر: «القهوة العربيّة»، ص 17.
(2) المعجم الكبير 10/1077، مادّة (رمد).

بالمجتمعات العربيّة، فكلمة «جهوى» أو «قهوة» من الكلمات القليلة الّتي يستخدمها الأفراد في صيغة الفعل وصيغة الأمر غير مسبوق بكلمة أخرى. فعندما يُقدِّم المضيف القهوة للضّيف، يقول مكرّرًا: «أتجهوي» أو «أتقهوى»، مشجّعًا إيّاه على تناول القهوة، لكنّه لا يقول له: «تناول أو اشرب القهوة»، كما هي الحال عند تقديم مشروبات أخرى كالشّاي أو الماء. وهذا الاستخدام اللّغوي يشير إلى عمق الدّلالة الرّمزيّة للقهوة في عملية التّواصل، فعندما يرغب فرد ما في أن يخبر أهل بيته أنّه تناول الطّعام أو احتسى القهوة عند رفيق له، يقول: «أتجهويت عند فلان». وهذا الاستخدام الأدائي للقهوة – قولًا وفعلًا – يُعَدُّ من أهمّ الخصوصيّات الثّقافيّة للمجتمعات العربيّة»[1].

وكثيرًا ما يردِّد اللّبنانيّون عبارة «مَعْزومَ عَ فنجان قهوة»، أو «تفضَّل عَ فنجان قهوة». ولا تكتمل الزّيارة عند اللّبنانيّين والعرب من دون شربها.

واقترنت القهوة عند اللّبنانيّين، في الضّيافة، بالتّدخين كما سيأتي، وبـ«التّبّولة»، وهي الطّعام المشهور عندهم. فأصبحت هذه الثّلاثة (القهوة، والسّيجارة، والتّبّولة) رمزًا للضّيافة عندهم. والقهوة أولى هذه الرّموز. ومن الأغاني اللّبنانيّة الذّائعة الصّيت أغنية نجاح سلام (مواليد سنة 1931): «مَيِّلْ يا غزِّيل» الّتي ألّفها ولحّنها سامي الصّيداوي (ت1994م)،

ومطلعها:

مَـيِّـلْ يـا غْـزَيِّـلْ	يـا غْـزَيِّـلْ مَـيِّـلْ
مَـيِّـلَّـكْ مَـيّـولـة	قَـيِّـلَّـكْ قَـيّـولـة
بِـسْـقـيك فِنْجـان قَـهْـوة	بَـعْـمِـلَّـكْ تَـبُّـولـة
آه مِـنَّـك يـا غْـزَيِّـلْ	آه مِـنَّـك يـا غْـزَيِّـلْ

وتُشكِّل ضيافتها في اللّقاءات والمناسبات الاجتماعيّة «مفتاحًا للحديث (للحكي)»، أو للدّخول في أيّ موضوع جادّ، أو عاملًا فاعلًا لفضّ الخلافات، وإزالة الهموم والأحزان، ومصدرًا لبعث روح الفرح والانتشاء، جَرْيًا على القول السّائد: «**القهوة شيمة، وقيمة، وواجب**»[2].

(1) «القهوة في الثّقافة العربيّة والشّعبيّة»، لصلاح عبد السّتّار محمّد الشّهاوي، مقال منشور في الإنترنيت.
(2) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 304.

أمّا بالنسبة إلى أثرها الأدبيّ والتّراثيّ، فقد صُنِّفت فيها الكتب[1]، وكُتِبَت المقالات[2]، وقيلت الأقوال، والأمثال، والأشعار. ومن أقوال الشّعراء والأدباء[3]:

قول نزار قبّاني (1998-1923م): «القهوة هي عجوز معمِّرة، لها أحفاد بررة، يقبِّلونها كلّ صباح ومساء، وأنا أكثرهم برًّا بها». وقال: «عندما أشرب القهوة معك، أشعر أنَّ شجرة البنّ الأولى زُرعت من أجلنا».

وقال الشّاعر الفلسطينيّ محمود درويش (2008-1941م): «أريد رائحة القهوة، لا أريد غير رائحة القهوة، ولا أريد من الأيّام كلّها غير رائحة القهوة».

وقال: «القهوة الأولى يفسدها الكلام، لأنّها عذراء الصّباح الصّامت».

وقال: «القهوة كالحبّ: قليل منه لا يروي، وكثير منه لا يُشبِع».

وقال الأديب السّوري نذير الزّعبي: «أرجوكِ ألّا تمرّي ببالي بينما أشرب القهوة، فما زلت أحبّها بلا سكّر».

وقال الشّاعر الفلسطيني مريد البرغوثيّ (2021-1944م): «أعظم ما في القهوة التّوقيت: أن تجدها في يدك فور تتمنّاها. فمن أجمل أناقات العيش تلك اللّحظة الّتي يتحوّل فيها ترف صغير إلى ضرورة». وقال: «القهوة يجب أن يقدّمها لك شخص ما... القهوة كالورد، فالورد يقدّمه لك سواك، ولا أحد يقدّم وردًا لنفسه. إن أعددتها لنفسك، فأنت في عزلة حرّة بلا عشّاق أو عزيز، غريب في مكانك، وإن كان هذا اختيارًا، فأنت تدفع ثمن حرّيتك. وإن كان اضطرارًا، فأنت في حاجة إلى جرس الباب».

(1) لعلّ أوّلها كتاب محمّد مرتضى الحسينيّ الزبيدي (ت1205هـ/1790م) «تحفة بني الزّمن في حكم قهوة اليمن» (انظر: تاج العروس 29/371، مادّة (قها). ومن الكتب الحديثة فيها:
-«آداب صبّ القهوة في الإمارات» لعبد الله خلفان الهامور اليماحي، معهد الشّارقة للتّراث.
(2) منها:
-«القهوة في الثّقافة العربيّة والشّعبيّة» لصلاح عبد السّتّار محمّد الشّهاوي، في مجلّة الثّقافة الشّعبيّة، البحرين، العدد 11.
-«القهوة المشروب الّذي تأرجح بين المنع والإباحة»، لعبد الرّزّاق الهلالي، مجلّة العربي، العدد 148 (مارس، 1971).
-«من تاريخ القهوة» لدرويش مصطفى الفار، مجلّة الدوحة، عدد مارس سنة 1986م.
-«القهوة وعبقريّة التّواصل في الحياة الشّعبيّة اليوميّة بمجتمع الإمارات»، للأستاذ الدّكتور السّيّد الأسود، مجلّة تراث، العدد 124، ديسمبر 2009م.
-«القهوة العربيّة» لأحمد بن محارب الظّفيري، مجلّة الكويت، العدد 213.
-«القهوة الإماراتيّة، والقرى التّونسيّة، والطبّ الشّعبي اللّبنانيّ، وتعريف بعلم من الجزائر»، أحلام أبو زيد، مجلّة الثّقافة الشّعبيّة، البحرين، العدد 47.
(3) أخذت هذه الأقوال عن مقال «أقوال شعبيّة عن القهوة»، منشور في الإنترنيت (آخر تحديث له في 10 يناير سنة 2022.

وقالت الرّوائيّة التّركيّة ألف شافاك (وُلِدَتْ سنة 1971م): يُقال: إنَّ القهوة مثل الحبّ: كلّما صبرتَ عليها، ازداد طعمها حلاوة.

وقال الأديب البريطانيّ أنطوني ترولوب (1882–1815م): ما الّذي على هذا الأرض يمكن أن يكون أكثر ترفًا من أريكة، وكتاب، وكوب من القهوة؟

وللقهوة، في دواوين الشّعر العربيّ، وفصيحه وعامِيِّه، الكثير من القصائد والمقطوعات الشّعريّة، ومنها قول أحمد بن شاهين الشّامي:

«قهوة كالعنبر السّحيقِ

سوداء مثْل مُقْلة المعشوقِ

أنتِ كمسكٍ فائح فتيقِ

شبّهتها في الطّعم كالرّحيقِ

تدني الصّديقَ من هوى الصّديقِ

وتربط الودَّ مع الرّفيقِ

فلا عدمتُ مزجها بريقي»

ومن أرْوع ما جاء في مجالسها، ما رُوِي أنَّه في اجتماع عائليّ معلوفيّ سقط فنجان القهوة من يد سيّدة المنزل. وكان المجلس يضمُّ فريقًا من الأدباء والشّعراء، فنظَمَ كلّ منهم أبياتًا بالحادث. وجعلت السّيدة ساعة ذهبيّة للأبيات المتفوّقة. فحكمت اللّجنة لفقيد الشّعر والشّباب فوزي المعلوف (1930–1899م)، وفيما يلي كُلُّ ما قيل.

قال شاهين المعلوف (1937–1893م):

ثَمِـلَ الفِنْجـانُ لمّـا لامَسَتْ شَفَتـاهُ شَـفَتَيْها فاسْـتَعَـرْ

فَتَلَظَّـتْ مِـنْ لظـاهُ يدُهـا وهْو لـو يَـدْري بمـا يَجْني اعْتَذَرْ

وَضَعَتْـهُ عِنْـد ذا مِـنْ كَفِّـها يَتَلَـوّى قَلِقًـا أنَّـى اسْتَقَـرْ

وارْتَمَـى مِـنْ وَجْـدِهِ مُسْتَعْطِفًا قَـدَمَـيْهـا، وهْـو يَبْكي وَانْكَسَـرْ

وقال ميشال المعلوف (1889-1942م):

عــــاشَ يَـــهْـــواهـــا، ولــكِـــنْ ... فـــي هـــواهـــا يَـــتَــكَـــتَّـــمْ

كُـلَّـمـا أدْنَـتْــهُ مِـنْـهـــا ... لاصَـــقَ الثَّـــغْـــرَ وتَـمْـــتَـــمْ

دَأْبُــــه الــتَــقْــبــيــلُ لا ... يَــنْــفـكُّ حــتّــى يَتَحَطَّـــمْ

وقال شفيق المعلوف (1905-1977م):

إنْ هَوَى الفنْجانُ لا تَعْجَبْ وقَدْ ... طَفَرَ الحُزْنُ علـى مَبْسِمِهـا

كُلُّ جُـزْءٍ طـارَ مِـنْ فِنْجانِهـا ... كـانَ ذِكْرى قُبْلَـةٍ مِـنْ فَـمِها

فنظر فوزي إلى الفنجان، فإذا هو لم ينكسر، فقال معارضًا الكلّ:

مــا هَــوَى الفنْجانُ مُخْتـارًا فَلَوْ ... خَيرَّوهُ لـــمْ يُفـارِقْ شَفَتَيْهـــا

هــيَ أَلْـقَـتْـهُ، وذا حـظٌّ الّذي ... يَعْتَـدِي يومًـا بِتَقْبيـلٍ عَلَيْهـا

لا، ولا حَـطَّـمَـهُ اليـأسُ فَهـا ... هـو يَبْكـي شـاكِيًا مِنْهـا إلَيْهـا

والـّذي أبْقـاهُ حيًّـا سـالمًـا ... أمَـلُ العـودَةِ يـومًـا ليـدَيْـهـا[1]

وكذلك ذُكرت القهوة في العديد من الأغاني العربيّة، ولعلّ من أشهرها أغنية سميرة توفيق (وُلِدَت سنة 1935م)، باللَّهجة البدويّة:

يَــلَّا صِبُّوهـا القَهْـوة ... وزيــدوهــا هـــالْ

واسْــقـوها للنَّشامـى ... عَ ضــهــور الخَيْـلْ

وكما في الأقوال والأشعار، والأغاني، كذلك في الأمثال والعبارات الاصطلاحيّة، ومنها، بالإضافة إلى ما تقدَّم منها، وإلى ما سيأتي في هذا البحث:

- **قَهْوة أهلا وسهلا**، عبارة تتأهّل بها ربَّةُ المنزل بالزّائر الّذي يزور بيتها بدون موعد، وهي في حالة تقديم القهوة لزوّارها.

(1) أروع ما قيل في الحبّ والغزل، ص 95-94.

– **قَهْوِتكم مَشْروبة**[1]، عبارة يقولها الضّيْف لمضيفه، معتذرًا عن شربها.

– **قَهْوِتكم مَشْروبة ووجوهكُم مَقْلوبة**، عبارة تُقال في سياق معاتبة، من يسْتقبل ضَيْفَه بطريقة غير لائقة، بعكس ما جَرَت عليه العادة.

– «**فنجان القهوة أسود، بَسْ بِبَيّض الوجّ**»، و«**القهوة سمرة، لكن بِتْبَيّض الوجّ**»، و«**أسود تناه أبيض**»: عبارات تُقال مدحًا للقهوة[2].

– **القهوة سيصانيّة، لا مسلمة ولا نصرانيّة**[3]، أي: إنَّ القهوة يشربها المسلمون والنّصارى على حدٍّ سواء، فهي لا تخصّ طائفة دون غيرها.

– «**القهوة قَصّ، والشّاي خَصّ**»[4]، أي: إنَّ القهوة تُقَدَّم أوّلًا للأكبر مقامًا، أو الأكبر عُمْرًا، ثمّ تُقَدَّم لِمَنْ هو على يمينه، وبالدّور؛ أمّا الشّاي فلا حرج في تقديمه لمن يختاره المضيف.

– «**القهوة عن يمين، ولو كان أبو زيد على الشّمال**»[5]، أي: كما تقدَّم في المثل السّابق، يجب أن تُقدَّم القهوة لمن هو عن يمين الّذي قُدِّمَت له أوّلًا، ثُمَّ عن يمين هذا الأخير وهكذا، حتّى ولو كان البطل العربيّ المشهور أبو زيد الهلاليّ (عاش في القرن الحادي عشر الميلاديّ) على الشّمال.

– **القهوة بيَمينك**، أي: يجب تناول فنجان القهوة باليد اليُمنى، ولو كان الضَّيف أعْسَر. وتناوُلُها باليد اليُسرى يُعَدُّ إهانةً لمن يقدِّمها.

– **اجرِشْها جَرْش، واطبخْها هَرْش**: نصيحة في جرش القهوة وطبخها.

– «**أوّل فنجان للضَّيف، والثّاني للسَّيف، والثّالث للكَيْف**»[6]، وفنجان الضَّيف هو فنجان التّرحيب بالقادم، ويُعْتبر من حقّ أيّ زائر. وشرب هذا الفنجان لا بدّ منه إلّا لعلّة مَرَضيّة واضحة. وإذا اكتفى الضَّيفُ به، هزّه، وشكَرَ المُضيفَ، وإن لم يهزّه، صُبّ له الفنجان الثّاني. وفنجان الكيف هو الّذي يوصف شاربُه بأنّه "صاحب كيف" معتاد على

(1) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 307.
(2) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 307.
(3) موسوعة الأمثال اللّبنانيّة 2/1124.
(4) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 307.
(5) المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
(6) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 306.

شرب القهوة، فهو، بالتّالي، شريك للمضيف في جلسته وطَرَبه وتبديد وحشته. وفنجان السّيف يرمز إلى مشاركة أهل القبيلة في ردّ أي عدوان يقع عليهم.

ومنهم من يصنّف هذه الفناجين تصنيفًا آخر، فيقول: الفنجان الأوّل لِرأسي، أي: يزيل النُّعاس عن رأسي (عقلي)، ويجعلني يقِظًا مُتَحفِّزًا. والفنجان الثّاني لِبَأْسي، أي: يزيدني بأسًا وشجاعة. والفنجان الثّالث يُطيِّر عماسي، أي: يصفّي عقلي، ويطرد منه الصُّداع والاختلال[1].

11- القهوة في المعتقدات الشّعبيّة اللّبنانيّة

يتفاءل اللّبنانيّون برؤية قشطة القهوة تظهر كدائرة على سطح القهوة في فنجانها، فهي، باعتقادهم، تشير إلى مبلغ ماليّ أو رزق سيحصل عليه شارب الفنجان، إنّها «**قبضة تفاؤل**»[2].

وهم، إن كانوا يتشاءمون من إراقة الزّيت، فيقولون: «**كَبّ الزيت خراب البيت**»[3]، فإنّهم، على العكس من ذلك، يتفاءَلون من إراقة القهوة على ملابس شاربها، ويقولون: «**كبّ القهوة خير**»[4]، ولشاربها: «**خير، سيأتيك هندام جديد**»[5].

ويَسْخَر بعضُهم من هذا التّفسير غير الواقعيّ للإراقة الّتي سببها سوء تصرّف الشّارب أو عدم انتباهه، فيقولون: «**كَبّوا القهوة من عَماهم، وقالوا: الخير إجاهم**»[6]. وكانت هذه الإراقة مشؤومة قديمًا، ومن هنا قولهم في الدّعاء على الآخر: «**الله يكِبّ فِنْجانو**»[7].

12- القهوة والدّخان

ثمّة تلازم بين شرب القهوة والتّدخين. فمن أَدْمَنَ على الأولى، أَدْمَنَ على الآخَر، والعكس بالعكس.

(1) «القهوة في الثّقافة العربيّة والشّعبيّة».
(2) سوسيولوجيا الثّقافة الشّعبيّة، ص 191؛ والثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 308.
(3) موسوعة الأمثال اللّبنانيّة 2/ 113.
(4) المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
(5) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 309.
(6) موسوعة الأمثال اللّبنانيّة 2/1134.
(7) الثّقافة الصّحية والغذائيّة، ص 309.

وبالرّغم من أن التّدخين مُضِرّ بالصّحّة ضررًا بالغًا، فقد تلازم مع شرب القهوة في الضّيافة اللّبنانيّة. وخير شاهد على هذا التّلازم أغنية المطربة الشّهيرة صباح (1927-2014م) الّتي كتب كلماتها مارون نصر، ولحّنها فيلمون وهبة (1916-1985م)، ومطلعها:

ما دام جيت على الحـــارة	مـا تْشَـرِّفنــا بِزْيــــارة
مـا رَحْ بِـتْـكَـلِّـفنـا كتير	فِنجـان قَهْـوة وسـيكارة

وقد ترك هذا التّلازم أثره في الأمثال اللّبنانيّة، ومنها قولهم: «**قهوة بلا دخّان مثل اليهود بلا خيخان**»[1]، و«**دخّان بلا قهوة جندي بلا فَرْوة**»[2].

واليوم، بعد أن أدرك اللّبنانيّون ضرر التّدخين الكبير على صحّة المدخِّن وعلى من يجلس معه، يمتنع الكثير منهم عن تقديم السّجائر مَعَ القهوة.

13- قراءة الفنجان

حاول الإنسان من القِدَم استكشاف مُسْتَقبله، وسَلك لهذه الغاية أساليب وطُرُقًا شتّى. وكانت «قراءة الفنجان»، أو «التّبصير بالفنجان» أحد هذا الأساليب، ومن أكثرها شيوعًا. يدلّك إلى ذلك ثلاثة أمور:

- أوّلها قولهم المشهور: «**الفنجان لا يكذب**»[3].

- ثانيها: نظْم الشّاعر السّوري الشّهير نزار قبّاني (1923-1998م) قصيدته المشهورة «قارئة الفنجان» الّتي غنّاها المطرب المصريّ عبد الحليم حافظ (1929-1977م)، وشاعت شيوعًا كبيرًا بين المثقّفين والعامّة معًا.

(1) موسوعة الأمثال اللّبنانيّة 2/1122؛ و proverbes et dictons Syro-Libanais, N°1628
والخيخان: جمع «خاخام»، في اللّغة اللّبنانيّة، وهو رجل الدّين عند اليهود.
(2) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 307.
(3) الثّقافة الصّحّية والغذائيّة، ص 308.

– ثالثها: كثرة كُتُب التّبصير بالفنجان[1] وانتشارها.

والّذين يعتقدون بهذه الوسيلة في الكشْف عن المستقبل، يرون ضرورة:

–التّنفُّس بهدوء عند شرب القهوة، وأنْ يحصر شاربُها كلّ أفكاره فيما يريد معرفته عن المستقبل.

–أن تكون القهوة مصنوعة لمن يريد الاطِّلاع على مستقبله.

–أن يكون الفنجان خاليًا من أيّ نوع من السّكّريّات أو الموادّ الأخرى.

–أن تكون القهوة المستخدمة تركيّة، وأن يُشرب ثلثا الفنجان، ثمّ يُقْلب لمدّة تتراوح بين الثّلاث إلى الخمس دقائق، حتّى تظهر الرّموز على الفنجان[2].

وفيما يلي قائمة بالصّور الّتي تظهر داخل فنجان القهوة مع رموزها، وقد رتَّبتها ترتيبًا ألفبائيًّا:

–الأرنب: خوف من شيء. –امرأة مسنّة: علاقة حبّ تنتهي بزواج. –الأواني: لقاء غير متوقَّع. –البطّة: نفسيّة ملائكيّة. –بغل: معاناة. –البومة: وفاة أحد الأقارب. –الجمل: الخير. –حذاء نسائيّ: خطر قريب. –حصان: هروب من مشكلة. –حمامة: خير. –حوت: رزق كبير. –حيّة: عدو. –حيوان متوحّش: فقر مُنتظر. –خاتم: زواج قريب. –دائرة داخل مربّع: حياة زوجيّة سعيدة. –دولاب: مصيبة أو أمر سيِّئ. –زهرة: زواج قريب. –زواحِف: أشياء لا تبَشِّر بالخير. –سلاح: سعادة مادّيّة. –سلّة: خسارة. –سمكة: رزق مُنْتَظَر. –سهم: خبر هامّ. –شبكة: خسارة. –شجرة: فشل في العمل. –شمعة: ظهور الحقيقة. –صقر: نَصْر غير مُنْتَظر. –عصفور فوق الغصن: سعادة.

(1) من هذه الكتب:
أ–**تبصير أولي النّهى ومعالم الهدى، التّبصير في معالم الدّين**، محمّد بن جرير الطّبري، دار العاصمة، الرياض، ط1، 2007م.
ب–**قراءة الفنجان**، علي اليوسفي، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، لاط، 2006م.
ج–**قراءة الفنجان**، عائدة خليفة عاصي، مؤسَّسة عزّ الدّين للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1997م.
د–**اعرف شخصيّتك من خلال قراءة الكفّ–قراءة الفنجان–فتح المندل**، أنوار حافظ، مؤسَّسة شباب الجامعة، القاهرة، ط1، 1998م.
هـ–**قراءة الفنجان**، منير الأشقر، دار الأنوار للطّباعة والنّشر، ط1، 2007م.
و–**قارئة الفنجان**، رياض القاضي، دار ليلى للنّشر، القاهرة، ط1، 2018م.
ز–**قاع الفنجان**، خالد الراجحي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، القاهرة، ط1، 2017م.
ح–**عالم الفنجان**، مهجة زايد، دار الملتقى للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.
ط–**أسرار الفنجان بين يديك**، حسن سعد، هلا للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
(2) المرجع السّابق.

-عصفور يطير: تعاسة. -عين: حسد. -عينان: تغيُّر الحياة. -غزال: مواجهة مشَقَّة. -قُبّعة رجّاليّة: عزّة وكرامة. -كَلْب: صديق. -لوح الخَشَب: موت مُنْتَظَر. -مربّعات: فشل. -مفتاح: خيبة أمل. -مِقَصّ مغلق: شيء غير مُنْتَظَر. -هِرّ: عَمَل مُنْتَظَر[1].

14- خلاصة البحث

تُعَدُّ القهوة المشروب الثّالث للإنسان، من حيث الانتشار بعد الماء والخمر، والثّاني في العالم الإسلاميّ؛ لأنّ الإسلام يحرِّم شرب الخمر، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. وهي المشروب السّاخن الأوّل في العالم، لا يضاهيها الشّاي أو المتّي، أو أيّ مشروب آخر.

وقد عرف العربيّ القهوة منذ خمس مئة سنة تقريبًا. وبفعل طول ملازمته لها، أثّرت في لغته، وأغانيه، وأشعاره، وأمثاله، وعاداته وتقاليده. وكم نحن بحاجة إلى دراسات أكاديميّة معمّقة تتناولها في عدد من الشّعوب، لتخلص بالمقارنة إلى تبيان القواسم المشتركة والتّنوّع بالنسبة إلى شربها، وعاداتها، وتقاليدها؛ وكلّ ما يتعلّق بها.

أمّا «قراءة الفنجان»، فطريقة من طرائق مختلفة توسَّلها الإنسان لكشف مستقبله ومعرفة أسراره. وكلّ هذه الطّرق تعجز عن هذا الكشف؛ ذلك أنّ مستقبل الإنسان لا يعرفه إلّا الخالق. ومهما تطوّر الإنسان علميًّا وحضاريًّا، لن يصل إلى معرفة ماذا سيحصل به في اليوم التّالي، بل بعد ساعة، فما بالك بالمستقبل على امتداده وكثرة أحداثه وأسراره؟

وإن كانت «قراءة الفنجان» يعدّها بعضهم «تسلية بريئة»، يمارسها بعض النّساء، لتمضية الوقت، فإنّ ما يلجأ إليه المشَعْوِذون من وسائل خادعة، كضرب المندل والتّنجيم، وتحضير الأرواح وغيرها، كلّه أباطيل ينهى الله عزّ وجلّ عنه، ويجب على السّلطات محاربته بكافّة وسائلها.

---

(1) المرجع نفسه.
(2) المائدة 5: 90.

المصادر والمراجع

-**أَرْوَعُ ما قيل في الحبّ والغزل**، إميل ناصيف، جرّوس برس، طرابلس (لبنان)، طبعة جديدة، 2003م.

-«**أقوال شعبيّة عن القهوة**»، مقال منشور في الإنترنيت آخر تحديث له في 10 يناير سنة 2022.

-«**أمثال شعبيّة عن القهوة**»، مقال منشور في الإنترنيت، تاريخ الدّخول 25/4/2023.

-**تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد مرتضى الزّبيدي، تحقيق عبد السّتّار أحمد فراج وغيره، مطبعة حكومة الكويت، 1965 – 2000م.

-**تاريخ القهوة العربيّة**، النّهار العربيّ annaharar.com، 2021-9-1، 23:54pm

-**الثّقافة الصّحّية والغذائيّة وآدابها في الأمثال الشّعبيّة**، الدّكتور زاهي ناضر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2019م.

-«**القهوة في الثّقافة العربيّة والشّعبيّة**»، صلاح عبد السّتّار محمّد الشّهاوي.

-«**القهوة العربيّة المرّة**»، أبو محمّد، مجلّة الرّحيبة التّراثيّة، عدد 25/4/2020.

-«**المعجم الكبير**»، مجمع اللّغة العربيّة، ط1، 1981م.

-«**المعجم الوسيط**»، إبراهيم مصطفى وغيره، الهيئة العامّة لشؤون المطبعة الأميريّة، القاهرة، ط2، 1973م.

-**موسوعة الأمثال اللّبنانيّة**، الدّكتور إميل بديع يعقوب، جرّوس برس، طرابلس (لبنان)، ط2، 1993م.

-**موسوعة المورد العربيّة**، منير البعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م.

-**نحو سوسيولوجيا الثّقافة الشّعبيّة**، خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، 1979م.

-**Proverbes et dictons Syro-Libanais**, Michel Feghali, institut d'éthnologie, Paris, 1938.

الأدب واللّغة في عهد السّلاجقة بين دعامة أمة ونفوذ دولة

Literature during the Seljuk era was between the support of a nation and the influence of a state.

بسام محمد الداموني

تلخيص البحث

يتلخّص هذا البحث في تأسيس دولة السّلاجقة ووصولهم إلى بلاد الشّام محور الصراع بين الرّوم والمسلمين، ودعمهم لمحور الدولة العباسيّة والانتصار لها وتحقيق ما عجزت عنه من القضاء على البويهيين والفتن والتمردات وصد الرّوم في الكثير من المواقع، ونيلهم وسام النصير للخلافة العباسية.

ويركز البحث إضافة إلى ذلك على تطوّر الأدب في هذه المرحلة التاريخية المهمة والحركة العلمية آنذاك وتصوير الكتّاب والشعراء لتلك المرحلة المهمة من التاريخ الإسلامي، الذين تركوا وراءهم إنجازات مهمة في مجالات مختلفة عكست واقع تلك الحقبة سواء في الشّعر كالخيام والأبيوردي والنّظام أو في تطوّر المنحى الفلسفي مع الغزالي وابن رشد وابن عربي أو الهندسة التي تجلّت في بناء الحصون وتحصين المدن أو غير ذلك من الحقائق التي تجلت؛ وبخاصة في عهد ملكشاه.

Summary

summed up in the establishment of the Seljuk state and their arrival in the Levant, the focus of the conflict between the Romans and the Muslims, and their support for the axis of the Abbasid state and its victory and achieving what it was unable to achieve in terms of eliminating the Buyids, strife and rebellions, repelling the Romans in many locations, and obtaining the medal of the Helper of the Abbasid Caliphate.

In addition, the establishment focuses on the development of literature in this important historical stage, the scientific movement at that time, and the writers and poets' depiction of that important stage in Islamic history, who left behind important achievements in various fields that reflected the reality of that period, whether in poetry such as Khayyam, Abyordi, and Nizam, or in the development of the philosophical approach with Al-Ghazali, Ibn Rushd, Ibn Arabi, or the engineering that was evident in building forts and fortifying cities, or other facts that were revealed; Especially during the reign of Malikshah.

الفكرة العامة

اتّسمت مرحلة الحكم السلجوقي بالكثير من الأحداث المهمّة التي أثرت على المجتمع العربي آنذاك، فقد نشبت الكثير من الحروب والصراعات سواء أكانت بين السّلاجقة أنفسهم أو بينهم وبين الصليبيين وغيرهم من الطامعين بأراضي العرب، ورافق ذلك حركة علمية وأدبية ومهمة فبرز الكثير من الأدباء من الكتّاب والشعراء الذين أبدعوا وأبرزوا صورة تلك المرحلة الهامة من التّاريخ الإسلاميّ، بكل ما فيها من إنجازات وصراعات وتركوا وراءهم مكتبة ثرّة بإبداعاتهم.

الكلمات المفتاح

السّلاجقة – بلاد الشّام – الرّوم – الفاطميّون – الولاء – النّفوذ – الاستقواء والدّعم

بلاد الشّام والنّفوذ السّلجوقي

إذا كانت عشيرة السّلاجقة دخلت في الإسلام في عهد زعيمها سلجوق بن دقاق، فإنّ سعيها للمساهمة في الحراك الثقافي في المجتمع الإسلامي اتخذ طابعًا تشجيعيا للعلماء في تلك الحقبة. وقد انبثقت في عهد سلاطين السّلاجقة الكبار دول سلجوقية أخرى ذات حكم وراثي، فأقام قاورد دولة سلاجقة كرمان في إقليم ما وراء النّهر(585–433هـ). وأقام أخوه دولة سلاجقة الشّام والجزيرة (435هـ 570هـ)، وعندما تولّى الحكم ملك شاه وسّع الدولة، فأتم فتح أجزاء من بلاد الشّام بما فيها مدينة القدس[1]، وأقام دولة سلاجقة الرّوم. وقد استمرت قرابة قرن ونصف.

أولا: السّلاجقة في بلاد الشّام: مثّلت بلاد منطقة الشّام استراتيجية مهمة؛ كونها جسر عبور بين الشّرق والغرب تربط بين أوروبا وآسيا، كما تربط بين آسيا وإفريقيا من جهة البحر الأبيض المتوسط. وقد تبيّن أن من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع بسط نفوذه على الشّرق الأوسط وآسيا الوسطى، وقد فطن السّلاجقة لهذه الأهمية، واعتبروها خاصرة يجب ضمها لحكمهم. وكان شرف الدولة مودود بن التونتكين أمير الموصل، بطلًا من أبطال الحروب الصليبية ورائدًا من رواد الجهاد الأولين ضد الصليبيين، فهو أول من جعل الجهاد في سبيل الله منهجًا واضحًا لحياته، وقتال الصليبيين هدفًا

(1) الصّلابي،علي محمد: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتّوزيع، طرابلس، 2006، ص: 42.

استراتيجيًّا لا يغيب عن الذهن، ولا يبعد عن الخاطر، وأول من سعى لوحدة المسلمين في بلاد الشّام لقتال الصليبيين، وأول من حقق انتصارات عليهم، وحين دخل السّلاجقة لم يمسوا شيئا، وتركت المصالحة الّتي دارت بين محمود وألب أرسلان أثرا بالغا و فتحت الباب لاستقبال السّلاجقة (الفاضل الكثيري: الصراع السلجوقي الفاطمي، ص: 35)، فجمع من حوله العلماء

والمجاهدين والأدباء ورص الصفوف لقتال الأعداء.

أ-كيفية وصول السّلاجقة إلى الشّام: وصلت أخبار السّلاجقة إلى أمراء بلاد الشّام، وبخاصة أمراء الدّولة المرداسية الّذين غرقوا في حروب أضعفت قوتهم؛ إذ نشب الصّراع بينهم وبين الولاة الفاطميين، وكذلك مع الولاة العباسيين، وخاضوا حروبًا مع الرّوم، في هذه الأثناء راسل محمود بن نصر بن صالح السلطان السّلجوقي ألب أرسلان الملقب بعضد الدولة، واستقرّ الأمر بينهما أن يخطب محمود للإمام القائم خليفة بغداد ثُمَّ للسلطان ثمّ لنفسه» [1] وقد برّر محمود هذا القبول بقوله حين جمع أهل حلب:» هذه دولة جديدة، مملكة شديدة، ونحن تحت الخوف منهم؛ وهم سيحلون دماءكم، لأجل هذا جمعتكم. والرّأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل» ، [2] وصادف هذا أن ناصر الدولة بن حمدان أرسل إلى ألب أرسلان ليسلمه ديار مصر ويدعو له. ومع تراجع محمود عن الخطبة له توجه آلب أرسلان إلى حلب، وكان على غاية التنظيم والاحترام «فلم يتعرّض العسكر لأحد بماله ولا بحريمه... ولم يأخذ عليقة تبن من فلاّح إلاّ بثمن»[3]، فترك هذا الفعل انطباعا حسنا عند النّاس. ومع موت محمود تقلّد ابنه نصر ولاية حلب، واستطاع أن ينشر الأمن، ويتصدى مع قائده أحمد شاه التركي لهجمات الأرمن، ثمّ ما لبث أن مات، فاستلم ابنه سابق زمام الأمور، فاصطدم بفتنة بني كلاب الّذين استنجدوا بالسّلطان السّلجوقي، لكنّه بقي في الحكم حتّى مات ليستلم السّلطة بعده مسلم بن قريش العقيلي»[4] بعدها بسط السّلاجقة سلطتهم، وانضمت حلب إلى نفوذ السّلاجقة بشكل فعلي؛ لكن قبل هذا لا بدّ من الإشارة إلى المصالحة

(1) أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، 1994، ص:131.
(2) أحمد، إسماعيل علي: المرجع نفسه، ص: 132.
(3) ابن الأثير الجزري، عزالدين: الكامل في التاريخ، تحقيق، أبو الفداء عبد الله القاضي، المكتبة العلمية، بيروت، 1987م، ص: 152.
(4) ابن الأثير: المصدر نفسه، ص: 153.

الّتي دارت بين محمود وألب أرسلان؛ والتي فتحت الباب لاستقبال السّلاجقة، بعدها سار القائد السلجوقي إلى المشرق لمحاربة البيزنطيين، وترك الجيوش مع بعض القادة وسمح لهم بالمحاربة في بلاد الشّام، ففتحوا بين عامي 463 و465 هـ جبيل ودمشق والرّملة وبيت المقدس وطبرية وحاصروا يافا. وبهذا رسّخ السّلاجقة أرجلهم في بلاد الشّام.

ب – سياسة السّلاجقة في الشّام: منذ البداية أعطى السّلاجقة انطباعًا حسنًا على سياستهم في بلاد الشّام بعد أن عانت هذه البلاد من قسوة الولاة والصّراع القائم بين الفاطميين والعباسيين، والأطراف الممثلة لكلّ منهما. كما عانت هذه البلاد من هجمات الرّوم. ولعلّ هذا الانطباع تمثّل في تطلع الأهالي إلى من يحميهم ويخرجهم من الصّراعات المدمّرة التي لا تكاد تتوقف حتى تشتعل من جديد.

ومع وجود المرداسيين في سنة 462هـ راسل محمود بن صالح السّلطان ألب أرسلان على أن يخطب محمود بحلب للإمام القائم خليفة بغداد وبعده للسّلطان ألب أرسلان ثمّ لنفسه»[1] . ولم يستطع السّلاجقة فعل شيء في ظل صراع من والاهم من المرداسيين، وبخاصة في أيّام نصر بن محمود الذي أقام سياسته على تصفية خصومه، فقتل وزير أبيه أبا الحسن علي بن أبي الثّريا، كما قتل أحد ولاة أبيه ناجية بن علي كما قتل أحد قادة الجيش وهو أحمد شاه التّركي»[2]. وأمام تخبط المرداسيين في الصّراعات وعجزهم عن بسط نفوذهم على إقليم الشّام كلّه، والتّوترات التي مروا بها وجدوا أنفسهم مجبرين على الدخول تحت جناح السّلاجقة الذين بدأوا بنشر الأمن في الأقاليم الّتي سيطروا عليها. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا الدخول جاء متأخرا مقارنة بالولايات الأخرى، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنّ ملك شاه أقطع في «سنة 471هـ، أخاه تتش بلاد الشّام، لكن حلب بقيت عصية، وبقي سابق المرداسي سيدها إلى أن مات 471هـ فتسلمها مسلم بن قريش العقيلي»[3]» الّذي أعلن طاعته للسّلاجقة.

وبهذا تكون منطقة بلاد الشّام قد توحدت في ظل حكم السّلاجقة ولو بصورة مؤقتة. فأقطع ملكشاه خواص أتباعه من أقصى ولايات الشّام إلى ساحل المتوسط، فأعطى مدينة حلب لقسيم الدولة أقسنقر، وأعطى الرّها لعماد الدولة بوزان، وأعطى الموصل

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ص:154
(2) أحمد إسماعيل، علي: تاريخ بلاد الشام، المرجع السّابق، ص: 131.
(3) أحمد إسماعيل، علي: المرجع نفسه، ص: 137.

لجكرمش وأنطاكية لبغسيان، ويضاف إلى ذلك أسماء الجند الذين كانوا يلازمونه، وقد أثبتت أسماؤهم في الجرائد الديوانية، وتعدادهم ستة وأربعون ألف فارس... كما أصدر أمرا بإقطاع جنوب بلاد الشّام لأخيه تُتُش وما يفتحه في تلك البلاد، واختار ملكشاه أصفهان مقرّا له وعاصمة لملكه، وتوفي فيها سنة 485هـ / 1092م» [1] وهكذا تحدد إحكام السّلاجقة سيطرتهم على هذه المنطقة بشكل كامل.

ثانيا: الصّراع السّلجوقي في بلاد الشّام: اتسم حكم السّلاجقة بالصراع المستمر سواء كان ضد القوى الإسلامية الأخرى أو ضد الرّوم والبيزنطيين أو ضد القبائل الوثنية في وسط آسيا. فمنذ أن أسّس تتمش بن ألب أرسلان دولة سلاجقة الشّام(511-470هـ)، وأسّس سليمان بن قتلمش بن إسرائيل؛ وهو ابن عم ألب أرسلان دولة سلاجقة الرّوم في آسيا الصّغرى (700-470هـ)، كان الهدف عسكريا ودرء أي خطر محتمل، وكانت هذه الدول تتبع السلطان السّلجوقي في إيران والعراق»[2]، وبتولي ألب أرسلان مقاليد السّلطنة سعى بطموحه العالي إلى ضم بلاد الشّام، فانتزع شمالها، وحاصر الدولة المرداسية في حلب412هـ، ثمّ انتزع قائده أتسز بن أوق الخوارزمي الرّملة وبيت المقدس حيث أقيمت الدّعوة للخليفة العباسي»[3]. وهكذا اتسعت الدولة السّلجوقية في عهد ملكشاه لتبلغ أقصى امتداد لها من أفغانستان إلى آسيا الصّغرى غربا وبلاد الشّام جنوبا، بعدما أسّس ثلاث سلطنات سلجوقية مثلّت المنعطف الأهم في تاريخ العباسيين.

أمام هذا التوسّع الكبير صارت قوة السّلاجقة ضاربة في الأرض، وصار إخضاع الولايات الأخرى أمرا هينا، كما صار ردع العدو وبخاصة البيزنطي من الأمور البسيطة.

فامتد ملك السّلاجقة، واتسع أيّام ملكشاه كثيرًا، فضمّ دمشق عام 468 هـ، وسار صاحب دمشق أتسز بن أوق الخوارزمي بملاحقة العبيديين لحدود مصر، واستطاع السّلاجقة ضم حلب وحمص، وبعد هذا دخل ملكشاه بغداد مع وزيره «نظام الملك» وذلك عام 480 هـ»[4]. حينها تزوّج الخليفة بابنة ملكشاه. ثمّ ضمّ السّلاجقة إلى أملاكهم بخارى وسمرقند وبلاد ما وراء النهر كلّها عام 482هـ، ثمّ زار بغداد للمرّة

(1) الراوندي: راحة الصدور وأية السرور، ص: 204.
(2) شبارو، عصام: سلاطين المشرق العربي، الدار العربية للكتاب، ص: 22.
(3) ابن الجوزي، سبط: مرآة الزمان، ص: 161.
(4) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم الشّيباني: الكامل في التّاريخ، المجلد التّاسع، دار صادر، بيروت 1979، ص:53.

الثّانية عام 484 هـ»[1].

كما عمل السّلاجقة على استرداد مواقعهم من الرّوم، فحرّروا منبج في شمال بلاد الشّام عام 468هـ. كما استرد سليمان بن قطلمش من الرّوم أنطاكية السورية أيضا عام 477 هـ.» ثم عاد ملكشاه إلى بغداد، ولكنّه كان يضمر شرًا للخليفة المقتدي بالله. وفعلًا فقد طلب منه أن يخرج من بغداد لأي مكان آخر، ولم يعطِ الخليفة المقتدي أي فرصة للانتظار. وشاء الله أن يموت ملكشاه مع انتهاء المهلة و»ذلك عام 485 هـ»[2].

بعد موت ملكشاه الذي يعد من عظماء السّلاجقة، تحركت زوجاته لتحديد مصير الحاكم القادم، وأمام هذا الحدث تحرّكت قوى أصحاب النّفوذ للإتيان بمن يخدم مصالحها من داخل البيت السّلجوقي نفسه، وهذا ما حصل عندما تحرّكت غرائز السّلطة في العديد من المتنفذين آنذاك.

أ-الحركة الأدبية والعلمية

1-الحركة الأدبية: تمثلت الحركة الأدبية والعلمية في تسجيل تلك الأحداث التي صارت في العهد السلجوقي من خلال ما تركت من بصمات واضحة في هذا المجال؛ ذلك أن دخول السّلاجقة في الإسلام قد شكل حلقة مهمة في المساهمة العسكرية، وأصبحت من أهمّ إنجازات الأمة قاطبة؛ وبخاصة أن الواقع الذي عاشته آنذاك كان مؤلما من المظالم التي قام به بعض ولاة البويهيين، والفساد في الحاشية العباسية، وأطراف أخرى أضعفت الدولة العباسية وقضت على هيبتها، وأوصلتها إلى الحضيض.

وقد صارت هذه الحركة نشطة في المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية، واجتمع في العراق والشّام في هذا العصر طائفة كبيرة جليلة القدر من اللغويين والنحاة والأدباء والشعراء ورجال البيان، وقد خلفوا تراثا أدبيا ضخما، والواقع أن مفكري و متأدبي هذا العصر كانوا معجبين أشد الإعجاب بأسلافهم، فقد انكبوا على آثارهم بالتذييل والشرح، والنقد، كما أن بعضهم سار على نهج الأولين في الإبداع ومحاولة محاكاتهم على الأقل .

(1) ابن الجوزي، البغدادي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص:57.
(2) أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، مصر، ص: 85.

وقد ازدهرت الحركة الأدبية من خلال مجموعة من الشعراء والكتاب، لقد كان الإنتاج الأدبي في العصر السلجوقي غزيرا و هو المرآة التي عكست الوضع الاجتماعيّ والفكري، ويصدق هذا على الأدب بكافة صوره، من خطابة وكتابة وقصص وشعر، فمن الشعراء الذين برعوا مهستي الكنجوي (490 – 576 هـ) وهي أديبة و شاعرة من شعراء العصر السلجوقي، وزوجة الأمير أحمد الگنجوي ابن خطيب گنجه.

ومن أدباء العصر أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد السراج (500 هـ/1106م) طاف البلاد طلبا للعلم، وكان محبا للعلم و الأدب عارفا بالقراءة والحديث والنحو والعروض والتصنيف ومن كتبه مصارع العشاق، وحكم الصبيان، مناقب السودان، المبتدأ، مناسك الحج، الخرقي، التنبيه و غيرها. وقد صنف في هذا العصر أيضا علي بن عقيل أبو الوفاء (513 هـ/1119م) كتبا كثيرة مهمة، قال ابن رجب: « وأعظمها قدرا كتابه الموسوم بالفنون و هو كتاب لم يصنف في الدنيا أكبر منه، كتاب كبير جدا فيه فوائد كثيرة جدا في الوعظ، والتفسير، والفقه، والأصول، والنحو واللغة، والشعر والتاريخ، والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت، وخواطره، ونتاج فكره، قال ابن الجوزي عنه: « وهذا الكتاب مائتا مجلدة، وقع لي منه نحو مائة وخمسون مجلدة، وقال الحافظ الذهبي : « لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب (الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص67)، «ومن رواد الأدب و كتابه الحسين بن علي بن محمد المعروف بمؤيد الدين أبو إسماعيل الطغرائي(515هـ/1121م)، خدم السلطان ملكشاه بن آلب أرسلان، والسلطان محمد بن ملكشاه مدة حكمه، وتولى ديوان الطغراء. ومن شعراء خراسان من أصحاب الدواوين الشعرية علي بن عبد الله النيسابوري توفي (458 هـ/1066م)، و كان له ديوان شعر (الحافظ الذهبي : المصدر نفسه ص: 235).

و من شعراء ذلك العهد المقربين من الوزراء، الباخرزي توفي(467 هـ/1074) كان مقربا من الوزير أبي نصر الكندري توفي(457 هـ/1064م) , و كان يحضر مجلسه. ومن مصنفاته «دمية القصر وعصرة أهل العصر» وتناول فيه شعراء عصره .–الأمعرى النيسابوري توفي(542 هـ/1147م)، وكان صاحب حظوة في بلاط السلطان سنجر المتوفى(552 هـ/1157م)، وقد نال لقب «أمير الشعراء» في بلاط سنجر، ومن مؤلفاته ديوان شعر مليء بالقصائد والغزليات والرباعيات .

ومن الشعراء البارزين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري وهو من شعراء الرباعيات أيضا (526 هـ/1131م)، وترجع شهرة الخيام إلى رباعياته وقد عاصر السلطان ملكشاه، و أدرك عهد أبنائه بركياروق، وسنجر، اشتهرت رباعياته في العالم أجمع، و ترجمت إلى أغلب اللغات . ولعل هذه الأبيات تعكس عمقه الفكري وخياله الوثاب:

أحسُّ في نفسي دبيب الفناء. ولم أصِب في العيشِ إلاّ الشقاء.

وفي قصيدة أخرى يقول:

كأن النجوم السائرات توقفت عن الـسير حتى ما بلغن المقاصدا

ففي قلب بهرام وجيبٌ وروعة وكيوان أعشى ليس يرعى المراصدا

كما عاصر هذا العهد الشاعر الأبيوردي محمد بن أبي العباس توفي(507 هـ/1113م) كان من أبرز الشعراء وأعيان البلاط، وله ديوان فيه إحدى عشرة قصيدة، يصور فيها الخليفة المقتدي المتوفى (487 هـ/1093م) حاكما عادلا يحمي رعيته، وبطلًا شجاعًا يذود عن الإسلام، ويخيف الأعداء؛ وهي صورة تختلف كثيرا عن الواقع، ولم يكن للمقتدي من الأمر إلاّ الاسم، فكنب التاريخ تشير إلى أنه لا يتعدى بابه، وكان الشعراء يصورونه في صورة الآمر وهو مأمور وفي صورة الغالب وهو المغلوب.

ويكفي هذا العصر ظهور ديوان لامية العجم، والرباعيات وديوان الأبيوردي[1] الذي اقتبسنا منه»

إنـي لأعْذُلُ مَن لم يُصْفِهِمْ مِقَةً والنـاسُ صِنفانِ مَعذورٌ ومَعذولُ

فـمَنْ أحـــبَّهمُ نالَ النّجاةَ بِهمْ ومَن أبى حُبَّهُمْ فالسّيفُ مَسلولُ[2]

(1) ممدوح حقي :الأبيوردي ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي – ط1، القاهرة، ص: 38.

(2) خاض الدُّجى ورِواقُ الليل مَسدول بَـرقٌ كما اهتزَّ ماضي الحدِّ مَصقولُ
أشيمُهُ وضجيعي صـارمٌ خَـذِمٌ ومِحمَلي بِـرَشـاشِ الدَّمعِ مَبلولُ
فحَنَّ صـاحبُ رَحْـلي إذ تـأمَّلَهُ حتـى حَنَنْتُ ونِضْوي عنهُ مَشغولُ
يَخْـدي بـأرْوَعَ لا يُغْفـي ونـاظِرُهُ بإثْمـدِ اللّيـْلِ فـي البَيْداء مَكحولُ
ولا يَـمُرُّ الكَـرَى صَفْـحاً بمُقْلَتِهِ فَـدونَهُ قـاتِمُ الأرْجـاءِ مَجهولُ
إذا قـضَى عُـقَبَ الإسراءِ لَيلَتَهُ أناخَـهُ وَهْـوَ بـالإعْياءِ مَعْقولُ
واعْـتادَهُ مِنْ سُلَيـمى وَهْيَ نائِيَةٌ ذِكـرٌ يُـؤرِّقُـهُ والقَلـبُ مَتبولُ
رَيَّا المَعاصِمِ ظَمأى الخَصْرِ لا قِصَرٌ يَـزوي عَليـها ولا يُزْري بِها طولُ
فَالـوجْهُ أبـلَجُ واللَّبَّاتُ واضِحةٌ وفَـرعُها وارِدٌ والمَـتْـنُ مَجـدولُ
كـأنّما ريقُـها والفَـجْرُ مُبتَسِمٌ فيمـا أظُـنُّ بِصَفْوِ الرّاحِ مَعـلولُ

2– أما النثر فهو الكلام الذي لم ينظم في أوزان أو قواف، وهو نوعان: الأول هو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا النوع قيمة أدبية إلا ما يجري فيه من أمثال وحكم. ويشمل الرسائل الديوانية والتوقيعات، أمّا النوع الثاني فهو النثر الفني الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها مهارة وبلاغة، ويستعمل في الإخوانيات، والقصص والمقامات والخطابة

3 – المقامـات وهي من ألوان الكتابة الإنشائية في هذا العصر، فالمقامة في اللغة موضع القيام كمكانة ومكان؛ استعملت في المجلس ثم في جماعة الجالسين، ثم سميت الأحدوثة من الكلام مقامة لأنها تذكر في المقامة . وتشمل قصة تدور حوادثها في مجلس واحد مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة لسماعه.

وكانت فائدة المقامات قائمة أكثر ما يكون على الثروة اللفظية التي تحفل بها، و الأساليب البلاغية التي تمتاز بها، ويراد بها تلك الجملة من القول المروي على لسان امرئ خيالي يحكي قصة جاءت بها في طرق التعبير وقعت لإنسان أو أكثر تخيلهم الكاتب، ويضع على ألسنتهم عبارات يتفصح فيها ما شاء، وبناء على ما تقدم فإن المقامات هي أحد ألوان النثر الفني، يمتاز بما يكون فيه من الأناقة اللفظية والروعة البيانية، والمفردات اللغوية، والتأليف ا لذي يدل على احتفال الكاتب واهتمامه، وكده وعنائه، وقصده إلى تخير اللفظ واحتشاد الخيال، وطنين العبارات، وسبك الأسلوب، وصياغة الكلام.

وأوّل من عمل المقامات أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي توفي(321 هـ/933م)، فعمل مقامات، ثم جاء بديع الزمان وبعده أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي توفي(390 هـ/999م)، فأملى بهمذان أربعمائة مقامة [1].

إلا أن الهمذاني يعد واضع المقامات –المتوفى عام (398 هـ/1007م) بكتابة خمسين مقامة، ثم وضع بعد ذلك أبو القاسم البغدادي المتوفي(485 هـ/1092م) مقامات اشتهرت في أيامه.

(1) الزركلي، الأعلام، ص: 56.

الحركة العلمية: تطورت الحركة العلمية في حكم السّلاجقة، وبدعم من السلاطين والوزراء، فقد شهدت هذه الحركة كثافة في بناء المدارس ودور تحفيظ القرآن والعناية بالعلوم الإسلامية من علم القراءات والتفسير والحديث والفقه، كما شهدت العلوم العقلية نهضة متميزة؛ وبخاصة في علوم الطب والفلك والكيمياء والصيدلة والهندسة والفلك والتنجيم والرياضيات والجغرافيا، أمام هذه العناية انتشرت المؤلفات العلمية وبناء المؤسسات التعليمية، فبرز أكثر من عالم يحمل سمات العصر، ويعبر عن حالة تلك الحقبة، فكانت الحركة الأدبية، وكانت الحركة العلمية هي الأخرى دليلا واضحا على الدور الفعال الذي قام به السّلاجقة، أو أسهموا به في إثراء المؤسّسات العلمية آنذاك.

ولعل وجود عدد من العلماء يعكس هذا الواقع، فالإمام البغوي الحسن بن مسعود صاحب شرح السنة والمصابيح والقراءات يعد عالما متميزا في تلك الحقبة.

وقد برز الإمام محمد الغزالي من كبار علماء المدرسة النظامية له تصانيف كثيرة هامّة مثل (المنخول، المنقذ من الضلال، وإحياء علوم الدين...ألخ) قرأ الفقه ببلده طوس على يد أستاذه أحمد بن محمد الرازكاني ويوسف النّساج وأبي نصر الإسماعيلي، قدم الإمام الغزالي نيسابور عاصمة السّلاجقة، ثم بغداد ولزم إمام الحرمين، وبرع في العلوم اللغوية والفقهية ووصف بأنه بحر مغدق، وفاق أقرانه الأربعماية فعين معيدا لأستاذه ونائبا عنه. ولم تمض مدّة حتى تم تعيينه مدرسا على نظامية بغداد عام 484، وقلما تقلد هذا المنصب مدرس بهذه السّن[1].

وكان مجلس الوزير نظام الملك مقصدا للعلماء والأدباء ولا تخلو جلساتهم من المناظرات العلمية، من اهتمام السّلاجقة بالعلم والعلماء أنهم قرّبوا العلماء وشجعوهم وأغدقوا عليهم الأموال.

أ- الصّراع داخل البيت السّلجوقي بعد ملكشاه:

أغرى هذا الملك الكبير أبناء العائلة السّلجوقية الحاكمة، وتطلع البعض منهم إلى الحكم أكثر مما تطلّع إلى العزّ الذي خلفه السّلاجقة الكبار. بدا التّنافس على السّلطة واضحا بين الأبناء والأعمام على حد سواء، بعد موت ملكشاه الذي كان له عدد من الأولاد أكبرهم بركيارق. وقد استطاعت زوجة ملكشاه «تركان خاتون» بمساعدة الوزير

(1) الإمام الغزالي: ص (75).

تاج الملك أن توقد الشّرارة الأولى للنّزاع بتولية ابنها الصّغير محمود في بغداد. وهنا تحرّك بركياروق من أصفهان ليبدأ صراع السّلطة والملك بين الأخوين، وهزم على إثرها جيش محمود، وقتل الوزير تاج الملك، واتجه بركياروق إلى بغداد ونودي به سلطانًا عام 487هـ، عقب تسلّم الخليفة العباسي المستظهر بالله زمام الحكم»[1]، الذي اضطربت أيّامه البلاد وكثرت فيها الحروب؛ بحيث قتل على عهده «أحمد خان» صاحب سمرقند المتزندق والسلطان «أرغون بن ألب ارسلان» وانتشرت في أيامه الدّعوة الباطنية واحتلّ الفرنجة بيت المقدس.

وفي هذه المرحلة طمع تتش تاج الدّولة عم بركياروق صاحب دمشق بالسّلطنة، فسار بالجيش نحو بغداد، ووجد آق سنقر نفسه مضطرًا للمسير مع تتش؛ لأنّه أقوى منه، واتجهوا إلى أذربيجان لملاقاة بركياروق، فضعف جيش تتش وانسحب إلى بلاد الشّام.

أمر بركياروق قائده الجديد آق سنقر بالتوّجه إلى حلب للتّضييق على تتش، وأمدّه بقوة كبيرة، والتقيا على مقربة من حلب، وهُزم آق سنقر وقتل، وسار تتش بعد ذلك لقتال ابن أخيه بركياروق في الرّي، غير أنّه هُزم

وقتل مع ابنه دقاق.

في هذه الحقبة كان مؤيد الملك ابن نظام الملك وزيرًا لبركياروق، لكنّه ما لبث أن عزله، وعيّن مكانه أخاه عزّ الملك الشّاعر الطّغرائي، فأصبح مؤيد الملك عدوًا لبركياروق، واستطاع أن يؤثّر على الخليفة، ويعطي السلطنة إلى محمد الأخ الأصغر لبركيارق، فنشبت الحرب بين الأخوين وامتدت خمس سنوات، يتصالحان ثمّ يختلفان. في عام 498 هـ توفي بركياروق وخلفه ابنه ملكشاه. غير أنّه كان صغيرًا، فلم يتمّ له الأمر حتّى عزل، وخلا الجو لمحمد وبقي في السّلطة حتّى عام 511 هـ»[2].

وفي هذه المرحلة خاض محمد صراعات مريرة تمثّلت في الأحداث الّتي وقعت في عهده، فقد وقف في وجه أياز الّذي حاول استلام السّلطنة، كما حارب صدقة بن فريد صاحب البصرة وواسط الذي انضم إلى ابن أياز، وقد انتصر على السّلاجقة؛ إلاّ أنّه هُزِم في ما بعد، وقتل عام 501 هـ. ولم تكن الفرق الباطنية بعيدة عن الصّراع، فقد

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص:145.
(2) الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر: زبدة التواريخ، ص: 34.

استغلت الخلاف في البيت السلجوقي، وجمعت قواتها وزاد عددها عام 492 هـ مغتنمة النّزاع بين بركياروق وأخيه محمد، فاقتطعت بعض الولايات والاستقلال بها. ولمّا صفا الجو لمحمد، شنّ عليها حربًا شعواء، واستطاع عام 500هـ أن يدخل قلعة أصبهان»[1].

لعلّ أهمّ حدث مرّ على السّلاجقة في هذه المرحلة هو الغزو الصليبي في حملته الأولى الذي بدأ عام 489 هـ مستغلًا الحروب الّتي نشأت بين بركياروق وأخيه محمد، واستطاع الصليبيون دخول بلاد الشّام واحتلال مدنها واحدة تلو الأخرى، ثمّ دخلوا بيت المقدس بعد أن انتصروا على جيش السّلاجقة الذي كان بقيادة كربوقا صاحب الموصل ودقّاق صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص وذلك عام 492 هـ»[2]أمام هذا الصراع كانت بلاد الشّام محور التّجاذبات والمدّ والجزر في بؤرة الصراع القائم في المنطقة.

ب: حروب السّلاجقة ضد الصليبيين ومرافقة الأدباء لهم

كان مسير طغرل بك إلى أذربيجان عام 446 هـ من أولى غزوات السّلاجقة في بلاد البيزنطيين. عندما وصل طغرل إلى مدينة تبريز أطاعه حاكمها، وخطب له وقدم له الهدايا، فتركه حاكمًا لها وتابع سيره إلى أرمينيا فوصل إلى ملاذ كرد فحاصرها، ونهب ما حولها، لكنّها كانت مدينة حصينة، فطال حصارها حتى حل الشّتاء، فعاد إلى الرّي، وكان يُريد متابعة الحصار بعد انتهاء الشتاء، لكنه اضطر عام 447 هـ للعودة إلى العراق وفتح بغداد فلم يُتابع غزوته، ويُقال إن طغرل نهب وقتل مقدارًا عظيمًا من الرّوم خلال غزوته هذه.

في عام 449 هـ نهب السّلاجقة ملطية وهزموا قربها القائد البيزنطي" فيلاريتوس»، بينما غزا جيش آخر لهم مدينة قونية ولم يستطع الإمبراطور البيزنطي ردعهم. وقد قام ألب أرسلان أيضًا بحملة على أذربيجان وأرمينيا سنة 456 هـ. لكن في عام 462 هـ سار الملك البيزنطي» رومانوس الرّابع ديوجين» جنوبًا إلى الشّام بعد أن بدأ يُحس بتهديد السّلاجقة لإمبراطوريته، فاستولى على مدينة منبج ونهبها وقتل الكثير من سكانها، وهزم صالح بن مرداس والجيوش التي كانت معه. ثم أقام في «أرتح» شرق أنطاكية، لكنه

(1) الحسيني: زبدة التواريخ، المصدر السابق، ص: 35.
(2) الحسيني: زبدة التواريخ، المصدر نفسه، ص: 36.

اضطر بعد ذلك بسبب الجوع وقلة الغذاء المتوفر للجيش إلى أن يَعود إلى أرمينيا في بلاده».[1]

وإدراكا من السّلاجقة لدور الشعراء خاصة، الأدباء والعلماء في توثيق مواقعهم، حث السّلاجقة العلماء على مواكبة فتوحاتهم وغزواتهم ومواقعهم. وبما أن بلاد الشّام كانت عرضة لهجمات الصليبيين وأطماعهم المتزايدة وسعيهم الدائم للسيطرة عليها، فإن السّلاجقة كانوا في أغلب الأحيان في تحسب دائم للصليبيين، وكانوا يعلمون قوتهم؛ لذلك كان الأدب والشعر من وسائل استنهاض الهمم وشد العصب في تحميس جيشهم وإيقاض الروح القتالية فيه. ولعل ما ساعد على ذلك هو فوزهم برضا الخليفة العباسي ومنحهم ألقاب القادة والسلاطين، فانتشروا من بخارى إلى الشّام. وكان ممّن رافقهم من جملة الشعراء آنذاك: الطغرائي وصفي الدين الحلي والمثنوي وعمر الخيام والقشيري وجلال الدين الرّومي والغزالي والبيهقي وغيرهم.

وقد دون هؤلاء الكتاب والأدباء الكثير من المواقع والنزالات التي خاضها قادة السّلاجقة من ملك شاه إلى طغرل، ولم يتوقف تأثير هذه الحروب عند بلاد الشّام أو بغداد أو خوارزم، وإنما تعدى ذلك ليصبح شعراؤهم صدى لتلك الانتصارات التي حققها السّلاجقة.

والواضح أن الشعراء الذين برزوا في تلك الحقبة كانوا يميلون إلى الطرق الصوفية فجاء شعرهم الحماسي بنكهة المتصوفة؛ ما أصبغ على أبطالهم شيئا من القداسة والروح المعنوية التي منحت الجندي السلجوقي صفة المجاهد الشهيد» وهذا ما يتماشى مع النص القرآني في المماثلة بينه وبين من ذكرهم الله في قوله تعالى *﴿بعثنا عليهم عبادا لنا أولي بأس شديد﴾ قرآن كريم.

إنّ الانتصارات التي حققها السّلاجقة في الكثير من المواقع استطاعت أن تستقطب أصوات الأدباء والشعراء كما استطاع السّلاجقة أنفسهم أن يصبحوا جزءًا من نسيج هذه الأمة وأن يتموقعوا في وجدانها وفكرها، وهنا كانت ملازمة الأدباء لهم والعلماء جزءا من هذا التّوجه للتموقع داخل الأمة ولفرض وجودهم في نسيجها؛ لذلك نراهم قد أسسوا العديد من المدارس وعلى رأسها المدرسة النّظامية وما رافق ذلك من إنشاء للمراصد الفلكية والحاميات العسكرية التي تحتاج إلى مهندسين وبنائين مهرة؛ لذا يمكن القول: إنّ الحركة

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص175.

العلمية والأدبية الّتي وجدت في ذاك العصر هي حركة الضرورة العلمية للسّلاجقة كي يشرعنوا وجودهم داخل المجتمع الإسلامي رغم حداثة إسلامهم.

لم يَكتف الإمبراطور البيزنطي – رومانوس الرابع – بحملته السّابقة الّتي اضطرّ لإيقافها قبل أن يَنتهي من غزوه، ولذا فقد سار عام 463 هـ مع جمع عظيم من الرّوم البيزنطيين والفرنج والروس والكرد، وأورد بعض المؤرخين أن عددهم وصل إلى مئتي ألف، فوصل إلى منطقة قرب مدينة ملاذكرد[1] . وفي هذه الأثناء كان السّلطان السّلجوقي ألب أرسلان يُقيم في أذربيجان، ووصل إليه نبأ الجيش البيزنطي الضخم الذي يَتوجه إلى دولته، فحاول جمع عدد من الجنود بسرعة؛ لكنه لم يَستطع، فسار على عجلة من أمره مع ما يَملك من عساكر (والذين بلغ عددهم 15 ألفًا) باتجاه ملاذكرد وأرسل زوجته مع وزيره نظام الملك إلى همذان. وعندما اقترب ألب أرسلان من موقع المعركة أرسل فرقة من الجنود تتقدم الجيش، فالتقت مع فرقة مقدمة جيش البيزنطيين التي بلغ عدد جنودها 10 آلاف [2] فتقاتلتا وانتصرت فرقة السّلاجقة. وعندما التقى الجيشان أرسل أرسلان إلى ملك البيزنطيين يَطلب منه المهادنة، لكنه رد بأنه «لا مهادنة إلا بالري»، فانتظر السلطان حتى جاء يوم الجمعة عندما يَدعو الخطباء بالنصر على المنابر وبدأ القتال. واستطاع السّلاجقة محاصرة جيش البيزنطيين وهزمهم، وكانت من أعظم المعارك في تاريخ دولة السّلاجقة، وقد سُميت بمعركة ملاذكرد. وأدى هذا النصر إلى اكتساح السّلاجقة لمعظم باقي الأناضول، وإلى هزيمة البيزنطيين وعجزهم عن مقاومة المد السلجوقي بعد ذلك، وقد ترتب عليه صلح وضعه ألب أرسلان تتوقف الحرب بموجبه لخمسين عامًا ويُطلق جميع أسرى المسلمين في بلاد الرّوم ويَمد البيزنطيون جيوش السّلاجقة بالجنود متى احتاجوا ذلك. وبعد هذه المعركة اجتاح السّلاجقة تركيا حتى قاربوا حدود القسطنطينية، فارتعد الإمبراطور البيزنطي وطلب العون من البابا المسيحي، ولاحقًا قام هذا الإمبراطور بدعم الحملة الصليبية الأولى لحماية الإمبراطور وربما كانت أهم نتائج تلك المعركة استقرار السّلاجقة في أرض الأناضول وتأسيسهم لسلطنة سلاجقة الرّوم.

(1) Savory , R. M. and Roger Savory, Introduction to Islamic civilisation, (Cambridge University Press, 1976), 82

(2) Grousset, Rene, The Empire of the Steppes, (New Brunswick:Rutgers University Press, 1988),159,161

في «العام 490 هـ (1097 م) اجتمعت أربع جيوش أوروبية في الأناضول بهدف غزو الشرق الأدنى وأخذه من المسلمين، وقد دعمهم الإمبراطور البيزنطي بالمؤن والمساعدات وبعض المدد العسكري؛ لكي يَطردوا السّلاجقة من المنطقة، وأجبر ثلاثة من قواد الجيوش الأربعة على حلف اليمين له بأن يُعطوه جميع الأراضي التي يَستعيدونها من السّلاجقة، لأنها كانت تابعة له في السابق. بعد ذلك سارت الجيوش التي قُدر عدد جنودها بزهاء 300 ألف جنوبًا [1] وحاصرت مدينة نيقية (عاصمة سلاجقة الرّوم وأهم مدنهم)، فاستنجد أهلها بالسلطان السلجوقي قلج أرسلان الذي كان يُحاصر ملطية، فتركها وسار بسرعة لإنقاذ المدينة، لكنه اصطدم بجيش صليبي متأخر عن بقية الجيوش أثناء طريقه واقتتلا في معركة شديدة، ووصل المدد إلى الصليبيين من الجيوش الّتي كانت تحاصر نيقية، فانهزم السّلاجقة وانسحبوا. اضطرّ قلج أرسلان إلى ترك مدينة نيقية لمصيرها بعد هذه المعركة، فتركها وسار بعيدًا عنها، وسقطت في أيدي الصليبيين بعد مدة قصيرة، وقد توجّه بعد ذلك إلى الدانشمنديين (دويلة أخرى انفصلت عن السّلاجقة كانت في نزاع مع سلاجقة الرّوم)، وعقد الصلح معهم مؤقتًا للتّعاون على مقاومة الصليبيين الّذين يُهددون كليهما [2]، فاجتمعت قوى الأتراك في الأناضول، وسارت معًا إلى سهول دوريليوم لمقاومة الصّليبيين وصدهم[3].

في البداية لم يَتقدم إلى السهول للقتال سوى جيش واحد من جيوش الصليبيين، ولذا فقد ظن المسلمون أنه هو كامل قوات الصليبيين الموجودة في المنطقة، فبدأوا القتال وأملوا النصر واقتربوا منه، لكن فجأة ظهر جيشان صليبيان آخران (كانت قد وصلتهم أخبار المعركة في اليوم السابق) والتحما في المعركة فقلبا مجريات الأمور وانهزم المسلمون وخسروا المعركة، وهرب قلج أرسلان تاركًا وراءه الكثير من الغنائم للصلبيين، وبعد هذه المعركة توقف عن قتالهم المباشر واستمر بالانسحاب وإخلاء المدن في المنطقة، فاكتسحها الصليبيون بكل سهولة معيدين أراضيَ ضخمة إلى الإمبراطورية البيزنطية، وكانت هذه الموقعة التي حسمت الصراع السلجوقي- الصليبي في الأناضول هي

(1) Savory , R. M. and Roger Savory, Introduction to Islamic civilisation, (Cambridge University Press, 1976), 82

(2) ابن الأثير: المصجر السابق، ص178.

(3) شوكت عارف محمد الأتروشي، «النهضة العلمية في مدينة أصفهان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي (465 – 485هـ/ 1073 – 1092م)».- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر 2022. ص 72.

معركة دوريليوم. سار الصليبيون بعد هذه المعركة إلى الشّام، وقد مثّل هذا التوجه الجزء الأهم من حربهم فاستغرقت رحلتهم أربعة شهور عبر الأناضول ثم قرب الشّام، عانوا خلالها من الحرارة والجوع وقلة المؤن، وعندما وصلوا أخيرًا إلى أرض الشّام غزوا مدينة قونية وملكوها (والتي كان السّلاجقة قد جعلوها عاصمتهم الجديدة بعد سقوط نيقية) ثم هرقلة ثم اتجهوا إلى أنطاكية التي أصبحت هدفهم الجديد، وملكوا في طريقهم قيصرية وطرطوس وأضنة بمساعدة من الأرمن المسيحيين في هذه المدن الذين رحبوا بقدوم الصليبيين) وهزموا عدة جيوش صغيرة للسلاجقة، واجتاحوا الرّها أيضًا وأسسوا فيها إمارتهم الأولى، وقد هاجم قائد صليبي أثناء المسيرة مدينة سميساط، وطرد منها الحامية التركية بمساعدة سكانها الأرمن، لكن سرعان ما عادت الحامية وباغتتهم فقتلت من الأرمن زهاء الألف رجل وبعض فرسان الصليبيين، ومع هذا فقد استعادوا المدينة لاحقًا وطردوا منها الأتراك وقتلوا قائدهم. وفي الأثناء التي دارت فيها هذه المناوشات بين فرق من الجيش الصليبي، كان الجيش الصليبي قد وصل أنطاكية بعد مسيرة أربعة شهور، فحاصرها؛ لكنها كانت منيعة وذات أسوار عالية فطال حصارها وصمدت، ما تسبب بانخفاض معنويات الصليبيين وحماسهم، لكن القساوسة المسيحيين نجحوا برفع معنويات الجنود من جديد، ومع استمرار إمدادات الصليبيين ومؤنهم فقد أطالوا الحصار وأنهكوا المدينة، وفي النهاية استطاعوا اقتحامها عام 491 هـ ونهبوها وخربوها وقتلوا الكثير من أهلها، وبذلك سقطت أنطاكية (إحدى أقوى مدن المشرق) في أيدي الصليبيين. ولاحقًا حاول المسلمون حصار أنطاكية واستعادتها لكنّهم فشلوا، وسرعان ما سقطت **القدس** أيضًا، فأسّس الصّليبيون بهذا ثلاث إمارات ومملكة واحدة في الشّرق الأدنى (علاوة على اجتياحاتهم الضّخمة في الأناضول)، وهي: إمارة الرها وأنطاكية وطرابلس إضافة إلى مملكة بيت المقدس. أمام هذا الوضع برز دور الأدباء والعلماء لنقل الوقيعة وبخاصة أن الفرنجة قد ارتكبوا مجازر رهيبة، وهذا ما عبّر عنه الأديب الابيوردي (ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبة أو رهبة عظماؤها) [1]

بعد تأسيس الصليبيين لدويلاتهم الأربع، حشد «كمشتكين بن الدانشمند» (الحاكم الداشمندي) بمعونة أمير سلاجقة الرّوم جيشًا جديدًا لملاقاة الصليبيين وسار به إلى أمير أنطاكية المدعو «بوهمند» الذي كان يَغزو أحد الحصون، وعندما علم بوهمند بالأمر

(1) الأبيوردي: ديوان الأبيوردي، ص: 58.

عاد بسرعة إلى أنطاكية وجمع جيشًا ضخمًا لقتال الأتراك، وسار به إليهم فاقتتلا في معركة شديدة عام 493 هـ هُزم فيها الصليبيون واستطاع الأتراك أسر الأمير الأنطاكي بوهمند وقتل الكثير من جنوده. وبعد بضعة شهور من ذلك انطلقت الحملة الصليبية لعام 1101م»[1]. وكانت هي الأخرى مؤلفة من أربعة جيوش تحركت في ثلاثة أقسام، كان أحدها يَضم جيشين من الجيوش الأربع وهما يَتألفان بشكل أساسي من اللومبارديين، وقد أصرّ جنود هذا الجيش على السير شرقًا لتحرير بوهمند من الأتراك قبل متابعة السير إلى الجنوب، ومع أن القسم الآخر من الجيش حاول إقناع اللومبارديين بعدم فعل ذلك إلا أنهم أصرّوا وكادوا يُعلنون العصيان، فسار الجيش إلى الشرق حتى وصل إلى أنقرة وملكها، فأسرع الأتراك من سلاجقة ودانشمنديين بالاتحاد معًا والسير إلى الصليبيين، ودخلوا معهم في عدد من المناوشات بغيت إرهاقهم واستنزاف قواهم، ثم راسلوا أمير حلب («رضوان السلجوقي») الذي كانوا في خلاف معه سابقًا واستدعوه، فأتاهم مع جيشه بسرعة قاطعًا مئات الكيلومترات. والتحم الجيشان قرب أماسيا عام 494 هـ، واستمرت المعركة لمدة يوم استطاع فيه الأتراك أن يَهزموا الصليبيين وأن يَقتلوا الآلاف منهم، فلم يَنجُ منهم في النهاية إلا 3 آلاف جندي لاذوا بالفرار إلى القسطنطينية، ويُقال إن حوالي 30 ألفًا منهم قتلوا في المعركة»[2]، ما أدى إلى إبادة جيشين من الجيوش الصليبية الأربع بالكامل تقريبًا. وبعد أن تحمس الأتراك من نصرهم هذا ساروا إلى منطقة بين نيقية وهرقلة حيث كان القسم الثاني من جيش الصليبيين، فحاصروه وهزموه وقتلوا معظمه بينما هرب القائد بالكاد مع بعض الفرسان إلى أنطاكية، وبعد هذا ساروا إلى آخر أقسام الجيوش الصليبية والذي كان قد عبر القسطنطينية قبل مدة ليست بالطويلة، فحاصروه هو الآخر وأبادوه قاضين بهذا على جيوش تلك الحملة الصليبية كافةً، وربما كان هذا أعظم نصر للسلاجقة والأتراك في الحروب الصليبية»[3].

لم يَتوقف السّلاجقة عند ذلك، فما إن استتب السلام في الإمبراطورية السلجوقية، وانتهت النزاعات الدّاخلية فيها، اتجه محمد بن بركيارق إلى الجهاد، فوجه الأوامر إلى

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، الجزء الثاني، تحقيق سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1956. ص: 178

(2) ابن شداد (محمد بن علي بن إبراهيم): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،الجزء الأول، تحقيق يحيى عبارة، دمشق، وزارة الثقافة، 1991. ص: 87.

(3) الكثيري، الفاضل : الصّراع السلجوقي الفاطمي عشية غزو الفرنجة، ص: 33.

مودود أمير الموصل وسقمان أمير أرمينيا بالسير بحملة عسكرية كبيرة إلى الصليبيين مباشرة بعد سقوط طرابلس، فاتجهت الحملة إلى الرها وحاصرتها؛ لكن سرعان ما جاء المدد من بقية الدويلات الصليبية فرفعوا الحصار واتجهوا إلى حران، ثم التقوا لاحقًا مع المدد الصليبي قرب نهر الفرات، وهزموا قوات الصليبيين وظفروا بهم، وبعد ذلك عادت قوات السّلاجقة إلى أراضي الدولة دون غزو الرها، فعادت قوات الصليبيين أيضًا إلى دويلاتها. لكن بعد مدة قرر الصليبيون أن يَغزوا العراق من أجل الوصول إلى بغداد، فبدأوا بتوسيع أراضيهم بحصار حصن حرّان، فهب أمير الموصل ومعه سقمان مُجددًا واشتبكا مع الصليبيين في معركة وهزماهم، وبعد ذلك أعادوا حصار الرها لكنهم فشلوا وانسحبوا، وقد استطاعوا أيضًا استعادة بضعة مدن في أنطاكية. واستمرت الحروب طويلًا بعد ذلك بين السّلاجقة والصليبيين، ومع أن السّلاجقة أفلحوا باستعادة العديد من المدن وبمنع استيلاء الصليبيين على غيرها؛ لكنهم لم يَستطيعوا إسقاط أي من الدويلات الأربع التي أسسها الأوربيون في المشرق.

الخاتمة

إن الأحداث والمراحل الّتي مرّ بها السّلاجقة كانت من أخطر المراحل في حياة المسلمين ودولة خلافتهم، فقد كشف السّلاجقة عمق الأزمات السياسية والدينية والطائفية، والظروف السّياسية والعسكرية الّتي تتحكّم في انتقال السّلطة الوراثية والأهواء التي كانت تسيرها، كما كشفوا تلك الأفعال البربرية التي كانت سائدة في انتزاع السلطة؛ إذ لا سلطان إلا سلطان القوة، كما مثّل كرسي الملك معضلة كبيرة غيّرت معها كل مفاهيم الشورى التي أتى بها الإسلام. فأضحى سمل العيون والصّلب وبتر الأعضاء سمة من سمات تلك العصور التي تؤذن بالهبوط والانحطاط. ورغم أنّ سلاجقة الرّوم قاوموا الحملات الصّليبية بنجاح ووضعوا معادلات جديدة في الصراع الإسلامي الصليبي؛ لكنّ معادلة القوى المتكاملة لم تستطع الوقوف في وجه الرغبات في السلطة، وبالتّالي لم تستطع الصّمود في وجه تقدم المغول، لتنتج عن ذلك معركة جبل كوسى؛ بحيث أصبح السّلاحقة تابعين لخانات المغول»[1].وبهذا المسار تلاشى السّلاجقة وتركوا المجال لفريق آخر من الأتراك في جانب

(1) John. Joseph Saunders : the history of mongol ... University of Pennsylvania. Press. 1971. P79.

الغرب من آسيا، لكن المنطقة دخلت في حقبة الظّلام الدّامس.

وقد صوّر الأدباء من كتاب وشعراء هذا العصر بكل ما فيه من إيجابيات، وسلبيات، وانتصارات، وهزائم، وكل شيء مما دار فيه، حسبما بيناه في هذا البحث.

المصادر والمراجع

–أحمد، إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشّام، دار دمشق، سوريا، 1994م.

–ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم : الكامل في التّاريخ، المجلد التّاسع، دار صادر، بيروت 1979م.

–ابن الجوزي، سبط يوسف بن قر أوغلي بن عبد الله: مرآة الزمان، تحقيق: محمد بركات، الدّار الرسالة العالمية، دمشق، 1434هـ/2013م.

–ابن الجوزي، البغدادي عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1415هـ 1995م.

–أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف: السّلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، دار عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة 2001م.

–علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب **الباخرزي**، أبو الحسن (المتوفى: 467هـ) دمية **القصر** وعصرة أهل العصر، الناشر: دار الجيل، بيروت.

–البنداري، الفتح بن علي بن محمد: تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق: لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1980م.

–التونجي، محمد: دراسة حول الأدب في العصر السلجوقي، منشورات قورينا، بنغازي، ليبيا 1974م.

–الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر: زبدة التواريخ، تحقيق: محمد نورالدين، دار اقرأ للنشر والتوزيع بيروت، 1985م.

–**الراوندي:** محمد بن علي بن سليمان : راحة الصدور وأية السرور تحقيق: إبراهيم أمين الشواربي الناشر: المجلس الأعلى للثقافة 2015 م.

– طاهر، علي جواد: الشعر العربي في العراق و بلاد العجم في العصر السلجوقي، دار أم القرى، مكة المجرمة، 1989م.

– طاهر، علي جواد: الشعر بين التطور والجمود في العصرين البويهي والسلجوقي جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1991م.

– شبارو، عصام: سلاطين المشرق العربي، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.

– ابن شداد (محمد بن علي بن إبراهيم)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة،الجزء الأول، تحقيق يحيى عبارة، دمشق، وزارة الثقافة، .1991

–شوكت عارف محمد الأتروشي، «النهضة العلمية في مدينة أصفهان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي (465 – 485هـ/ 1073 – 1092م)».– دورية كان التاريخية.– السنة الخامسة عشرة– العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر 2022. ص 72.

– الصّلابي، علي محمد: دولة السّلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتّوزيع، طرابلس، 2006.

– الكثيري، الفاضل: الصراع السلجوقي الفاطمي عشية غزو الفرنجة، دار فنون للنشر الإلكتروني، تونس، 2023م.

– الباخرزي توفي(467 هـ/1074): دمية القصر وعصرة أهل العصر، قدّم له وعلّق عليه: علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2002م.

Source and reference

Grousset, Rene, The Empire of the Steppes, (New Brunswick:Rutgers University Press, 1988).

Savory , R. M. and Roger Savory, Introduction to Islamic civilisation, (Cambridge University Press, 1976)

John. Joseph Saunders : the history of mongol University of Pennsylvania. Press. 1971

أصوات اللّغة ومعانيها الوظيفيّة بين المحسوس والملموس

قراءة في خصائص بعض الحروف العربيّة

صوفي حرفوش[1]

ملخّص

إنّ الدّرس الصوتيّ في اللّغات درس أصيل، وذلك لأنّ النّظام الصوتيّ هو مبنى اللّغة وأساسها؛ ومن هذا المنطلق تناولنا في هذا البحث أفكارًا جديدة لتحديث الدّرس الصوتيّ، ثمّ دمج هذا الدّرس مع سواه من العلوم الإنسانيّة، منها علم النّفس والتّاريخ والحضارة... ثمّ النّهل من المعطيات المعجميّة وصولًا إلى حقائق تستحقّ أن نضيء عليها في معرض تحديث الدّرس الصوتيّ العربيّ.

Résumé

L'étude phonétique des langues est une étude fondamentale, car le système phonétique est la structure et la base de la langue. À partir de ce point de départ, nous abordons dans cette recherche de nouvelles idées pour moderniser l'étude phonétique, puis nous fusionnons cette étude avec d'autres sciences humaines, telles que la psychologie, l'histoire et la civilisation. Ensuite, nous nous inspirons des données lexicales pour arriver à des faits qui méritent d'être mis en lumière dans le cadre de la modernisation de l'étude phonétique arabe.

تمهيد

اللّغة أصوات، أصوات تُجَسّد المعاني وتوضحها. ومن هذا المنطلق الأساس ساد الاهتمام بالنّظام الصوتيّ لأيّ لغة من اللّغات الطبيعيّة، وكان للّغة العربيّة أن حظيت بنظام صوتيّ متميّز غنيّ بمزاياه. وهذا ما يفسّر حجم الدراسات التي انصبّت لإيضاحه وبلورته، وعلى الرّغم من كثرة الدراسات والأبحاث والطروحات التي تناولت أصوات اللّغة العربيّة، يبقى مجال البحث سمحًا ومنسرحًا لاستقبال الأفكار البحثيّة المتجدّدة في هذا المجال.

---

(1) أستاذة اللّغة العربية للناطقين بغيرها. درّست في غير معهد وجامعة خاصّة في لبنان. طالبة دكتوراة في المجال في جامعة الجنان، مترجمة ومدرّسة لغة فرنسية في المدارس اللبنانية.

للّغة العربية جمالية محسوسة وأبعاد ملموسة تعكس تراثًا ثقافيًا عميقًا وتعبيرًا عن هوية الشعوب الناطقة بها. الصوتيات والمعاني الوظيفية في اللّغة العربية تجمع بين الجمالية المعنويّة والدقة اللغوية في التّعبير عن الأفكار والمشاعر.

على الصّعيد المحسوس، تُعدّ أصوات اللّغة العربية غاية في الجمال والتنوّع. تُشكّل الحروف والأصوات مشهدًا مسموعًا يعكس تركيبة معيّنة من المشاعر والأفكار. نذكر على سبيل المثال أنّ الصوت المميّز للحرف «ع» الذي يظهر في كلمات كثيرة في اللّغة العربية يُضفي لمسة موسيقية وجمالية على الكلمات.

أمّا في الجانب الملموس، فالمعاني الوظيفية في اللّغة العربية تعكس دقّة التّعبير والتّفاصيل الغنيّة في وصف الأشياء. فهي تمتاز بمجموعة واسعة من الكلمات والمفردات التي تحدّد التّفاصيل بدقّة، وهذا ما يمكّنها أحيانًا من التّعبير عن مفاهيم صعبة الترجمة إلى لغات أخرى.

هذا الجمع بين المحسوس والملموس في اللّغة العربية يجسّد الغنى اللغوي والثقافي الذي تحمله. ومن هذا الجمع تنبثق إشكاليّة البحث التي نسمها بالآتي: إلى أيّ مدى تُشكّل أصوات اللّغة صلة وصل بين المحسوس والملوس لإنتاج المعاني المتجدّدة؟ وما الطّريقة المثلى لتحليل الصوت اللغويّ كي تظهر جوانبه المعنويّة الخفيّة أو الدفينة من خصائصه الشكليّة المعروفة؟

بطبيعة الحال نستثمر المنهج الوصفيّ للإجابة عن هذه التساؤلات وتحقيقها.

أوّلًا- صفات الحروف وخصائصها: مقترحات للتجديد

نحاول في هذا الشقّ من البحث الخوض في سمات الصوت العربيّ، إلّا أنّ تناولنا لهذه السمات سيأتي معدّلًا عن التنظير المعهود، وسنجري ربطًا للصوت من ناحية ما يتعلّق بالعناصر الحسّيّة اللازمة في إخراجه، وذلك لتسويغ فكرتنا البحثيّة.

البداية من وضع حسيّ. من المعروف أنّ للجلد دورًا في الإحساس، وله أربع وظائف أساسيّة هي:

«تحسّس الأشياء والضّغط عليها، الشعور بالوجع، والإحساس ببرودة، ثمّ الشعور بالسخونة»[1].

في كلّ سنتيمتر مربع من سطح جلد الإنسان تكمن أربع فئات من النقاط الحسّية؛ تتفاعل كلّ فئة مع إحدى الحواس الأربعة الرئيسة، والتي يمكن للتيار الكهربائيّ أن يُثير الاستجابة الحسّية الخاصة بها.

مناطق الجلد الغنية بنقاط اللمس تكثر على أطراف الأصابع وطرف اللسان، وعندما تتحرّك أطراف الأصابع على الأشياء يتغيّر الإحساس من ملمس ناعم إلى خشونة أو سلاسة، وحتّى الشعور بالحكّة السطحية. من خلال حاسة اللّمس، يُمكن اختبار شكل الأشياء وتحديد زواياها وحوافّها واتجاهاتها. وعند الضّغط بأطراف الأصابع على الأشياء، ينشأ الشّعور بالصلابة أو النّعومة والرّطوبة والجفاف.

ينبثق من الكلام آنف الذكر فكرة الحروف اللّمسيّة، وهي موزّعة على النحو الآتي:

«التّاء–الثّاء–الذال–الدّال –الكاف–الميم.» وقد أدرجناها على هذا النحو لقلّة تعقيدها في النطق.

- خصائص حرف (ت) وصفاته

هو من الحروف المهموسة والانفجاريّة الشديدة. وقد قيل فيه إنّه يدلّ على: «الاضطراب في الطبيعة الملامس لها بلا شدة»[2]. مع تحفّظنا على هذا الرأي، فقد يكون مجافيًا لطبيعة الصفات الحقيقيّة للصوت. ومن التعريفات التي رُصِدَت له أيضًا: «إنّ صوته يسمع عن قرع الكفّ بالإصبع قرعًا بقوة»[3].

وعلى الرغم من الصفات القوية والانفجارية المُرتبطة بهذا الصوت، والتي وُصِفت بالقوة، إلّا أنّ صفاته المرنة والمتجانسة تشير إلى نعومة وطراوة تُشبه ملمس القطن عند لمسه بالأصابع، أو شعور القدم العارية بالرمال الناعمة. وبفارق الصوت بين الحرفين (التاء والثاء)، تمَّ استخدام «التراب» للإشارة إلى الجفاف و»الثرى» للإشارة إلى الرطوبة.

---

(1) يوسف مراد، مبادئ علم النفس، دار المعارف، مصر ،ط2 ،1954، ص: 97.
(2) عبد الله العلايلي، تهذيب المقدمة اللغوية، تحقيق: أسعد علي، دار السؤال، سوريا، ط3، 1968، ص: 125.
(3) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والأصوات العربية، مطبعة الهلال، مصر، 1914، ص: 122.

يُعزى تصنيف حرف (التاء) في فئة الحروف اللمسية إلى الشعور اللّمسي الذي ينطوي على مزيج من النعومة والطراوة الذي يحمله صوته، بالإضافة إلى عدم إيحاء أي مشاعر أو معاني إنسانية أخرى. يتماشى هذا مع رأي العلايلي الذي يعتبر تخصّص هذا الحرف في لمس الطبيعة من دون تأكيد العنف أو الشدة.

هل يمكن لهذا الحرف أن يؤثّر في دلالات الكلمات التي يُبتدئ بها، مشيرًا إلى النعومة والطراوة المتصلة بخصائصه الصوتية؟ هل ستظلّ معاني هذه الكلمات مرتبطة بمستوى الحس اللمسي الذي يمثله هذا الحرف؟

نلجأ إلى المعاجم لمزيد من الدقّة والإيضاح البحثيّيْن، على أن نحافظ على خصوصيّة الفكرة في هذا البحث، وهذا ما يتوضّح في خطوتيْن اثنتيْن، أو تنويهيْن.

- التّنويه الأوّل:

بما أنّ حرف (عين) في الأفعال الثلاثية يظهر غالبًا مع حركة الفتحة، فسنرتاح إلى استخدامها في حالتَي الضم والكسر فحسب. ومن ثمّ، يجب قراءة الأفعال الثلاثية المُفردة لـ (عين) بالفتحة لضمان توافق معانيها مع الاستخدام المقصود. فبعض الأفعال الثلاثية يمكن أن تتغيّر معانيها تبعًا لحركة (عين)، وأحيانًا حتى تكون متضادة، كما في لَفَت الشيء (جذبه) ولَفِت الرجل (أحمق). فعلى سبيل المثال، أصل الشيء (استقصى بحثه حتى عرف أصله)، وأصُل النسب (شرف)، وأصِل اللحم (فسد). في ما يتعلّق بالأفعال والأسماء المستخدمة في سياق الشرح، لم نلتزم دائمًا بتشكيلها، باستثناء بعض الأحيان لتوضيح اللفظ وتوضيح الأمثلة.

- التّنويه الثّاني:

وهو مختصّ بأثر تحريك عين الفعل الثلاثيّ على المعنى فيه:

أ- الفعل الثلاثي المضموم الذي يحتوي على (عين) يشير «إلى فعالية تحدث داخل الذات، وهو ضروري في بعض الحالات مثل (كرُم، أدُب)»[1].

ب- الفعل الثلاثي المكسور الذي يحتوي على (عين) يشير إلى حالة تكون داخلية. «يكون ضروريًا في معظم الأحيان مثل (حزِن سوِد...)، ولكن عندما يكون متعديًا،

(1) محمد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط2، 1972، ص: 93.

يتجه الحدث نحو الذات، كما في (لهِم–لقِم–عشِق...)»[1].

ج– الفعل الثلاثي المفتوح الذي يحتوي على (عين) غالبًا ما يكون متعدّيًا، مثال (ضرَب، سكن..)، وأحيانًا يكون ضروريًا، مثال (جنَح).

يكون من المستحسن أن يعود القارئ إلى الاطلاع على أبحاث وافية تشمل تحريك (عين) في الأفعال الثلاثية، لفهم الارتباط بين هذه الحركات ومعاني الحروف المخففة (ا.و.ي)، وللتحقّق من صحّتها في القواميس اللغوية في المراجع اللاحقة. هذه فرصة مهمّة للقارئ ليتعمّق في الحساسية الفائقة التي أظهرها اللّغة العربية في التّعامل مع حركات الشكل، وليكتشف أخطاء قد تكون موجودة في تحريك (عين) في الأفعال الثلاثية المتعدية بالكسرة من دون تبرير.

من المناسب للقارئ الاعتماد على الحركات المحدّدة لحروف الشكل في الأبواب والفصول القادمة، سواء في الأمثلة المذكورة أو في الشّروح، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية تحريك (عين) في الأفعال الثلاثية بأكثر من حركة شكل وفقًا للمعاني المقصودة.

ثانيًا– حرفا التاء والثاء: وجهة نظر تحليليّة متجدّدة

من الممكن الانطلاق من حرف التاء في البداية لتبيّن الأمر، وقد ذكرته الحركة المعجميّة العربيّة على النحو الآتي:

باستعراض للمعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللّغة العربية في القاهرة، وجدنا مئة مصدر يبدأ بحرف التاء، وهو مصدر غير مشتق، أو غير معرب، أو غير دخيل، أو غير محدث، أو عامي... من هذه المصادر، كانت ثمانية عشر مصدرًا تحمل معاني ترتبط بالرقة والضعف والتفاهة، ما يعكس ما يُحمل في صوت حرف التاء من هشاشة وضعف. من هذه المصادر:

«تبتب (شاخ). التّبن (القش اليابس). تخّ العجين (لان واسترخى). التراب. ترف النبات (كثر ماؤه ونضر). تره (وقع في الترّهات). تفتف (اتسخ بعد نظافة).التّفّ (وسخ الظفر). تِفه (قلّ وخسّ وحقر). تكّ الرجل (حمق). التّلب (الخسار) تلف (هلك). تاع الجمد (ذاب وسال). تام الحب فلانا (استعبده وذهب بعقله).»[2]

(1) م ن، ص: 94.

(2) مجموعة مؤلّفين، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية في القاهرة، مصر، 2011.

واحتوى هذا العدد على ستة وعشرين مصدرًا، وهي مصادر تعكس معاني الشِدّة والغلظة والقسوة والقوة، متعارضة بشدة مع الانطباعات الناجمة عن الرقة والضعف المتداولة في صوت حرف التاء.

من بين هذه المصادر:

«تبّ الشيء (انقطع) . تَبِر(هلك) . تَبَرَ الشيء (كسره) تبل فلانا (ثأر منه). تُرِز لحمه (صلُب وغلُظ). تُرِص الشيء (احكِم وضبِط). التّعل (حرارة الحلق الهائجة). تغر (انفجر). تفِئ (احتد وغضب). تفنه (طرده). تلتل (سار شديدًا). تازتيزا (غلُظ واشتد)».[1]

ثمّة مصادر تدلّ على حاسّة الشمّ نقلتها المعاجم كالآتي:

«تمِه اللحم (فسد ريحه). تنتلت البيضة (فسدت). تهِم اللبن (تغير وأنتن).»[2]

من بين هذه المصادر، خمسة مصادر تُشير إلى مفاهيم البصر والرؤية، ما يدلّ على الوفرة والارتفاع. تلك المصادر: «تَئِقَ الوعاء (امتلأ) . تَرِعَ الإناء(امتلأ). تلِع الرجل (طال عنقه). تمَك السنّام (طال وارتفع وامتلأ). التيهور (موج البحر المرتفع)».[3]

ومن هذه المصادر ما دلّ على إصدار الأصوات:

«تأتأ (كرّر التاء إذا تكلم). تختخ (انبهم كلامه للكنة). تغتغ المتكلم (لم يسمع كلامه لسقوط أسنانه) .تهته (ردّد في كلامه ته ته). تِسْ تِسْ (زجرٌ للتيس).»[4]

ومن مصادره ما دلّ على شعور إنسانيّ:

«ترِح (حزِن). تلِه(ذهب عقله من هم أو خوف أو عشق). تاق توقًا(اشتاق إليه، نزع). تاه تيها(تكبر). تفِئ (احتدّ وغضب).»[5]

اقتصر تأثير الخصائص الصوتية لحرف التاء على نسبة قدرها 38% من المصادر، اتّسمت بالضعف والخفة. بالإضافة إلى ذلك، بلغت نسبة المصادر التي تخرج عن طبقته اللمسية نسبة 12%، ما يشير إلى ضعف الطابع الفعلي لحرف التاء. وهذا يفتح

(1) بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1870.
(2) المعجم الوسيط، م س.
(3) المعجم الوسيط.
(4) المعجم الوسيط.
(5) بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، م س.

المجال للحروف الأخرى لتؤثّر بخصائصها الصوتية على معاني المصادر التي تنطلق منها. بلغت نسبة المصادر التي تشير إلى الشدة والقوة والقسوة نسبة 26%، متعارضة بشكل واضح مع الخصائص الصوتية لحرف التاء.

لا يفوتنا في هذا البحث التعريج على المصادر التي تنتهي بحرف التاء أيضًا، وهذا بيانها:

يُذكر في المعجم الوسيط وجود سبعة وتسعين مصدرًا تنتهي بحرف التاء، ومن هذه المصادر نذكر أنّ ثلاثة وعشرين مصدرًا تحمل معاني ترتبط بالضعف والهشاشة والتفاهة، ومن بينها:

«بلِت (انقطع عن الكلام حياء). خبت ذكره(خفي). ختّ (خسّ وردؤ) . سكت. الشخت(الضامر خلقة). صمت. قلِت فلان (فسد وقلّ لحمه). قنت (أطاع الله).الفتات (ماتكسّر من الشيء وتناثر). لتّ السويق (بلّه بشيء من الماء). نات (تمايل لضعف أو نعاس). هبَت (لان واسترخى) . الوتاوت (الوساوس).»[1]

ترتبط معاني هذه المصادر في الغالب بتأثيرات صوتية مشتركة مع حروف أخرى، ويتبين ذلك عندما ندرس خصائص أصوات تلك الحروف. «على سبيل المثال، يُمكن ذكر بعض الحروف مثل (خ، ف، ن، هـ)»[2].

يُظهر واحد وثلاثون مصدرًا معاني ترتبط بالقوة والصرامة والصلابة، «وهو يتعارض مع سمات الصوت لحرف (التاء)، ويتناسب بشكل أكبر مع السمات الصوتية لحروف أخرى ذات قوة مماثلة»[3]، وهذا مثال عن هذه الحروف:

«بتّ الشيء (قطعه). بغته (فجأه). زمته (خنقه) . سمت الشيء (استأصله) خرت الشيء (شقّه وثقبه) . صلت فلانا بالسيف (ضربه به) . عفته (لواه، كسره من غير تفريق للأجزاء). قرِت الدم (يبس). نحته (قشره). هرت الشيء (شقّه ليوسعه). وحت الشيء (ضغطه، داسه شديدًا).»[4]

(1) المعجم الوسيط، م س.
(2) علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، لجنة البيان العربيّ، مصر،ط7 ،1945، ص: 174.
(3) أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط5 ، 1971، ص: 123.
(4) المعجم الوسيط، م س.

رُصِدَت مصادر أخرى للأصوات، وهي على النحو الآتي:

«أنت أنيتا(أنّ أنينا). صات (صاح) . نهت االقرد (صاح). كتّت القدر (صوّتت عند الغليان) . هوّت به وهيّت به (صاح به).»[1]

وكذا منها ما له علاقة بالمشاعر الإنسانيّة:

«بهته (أدهشه). مقته(أبغضه). شمت به (فرح بمكروه أصابه) محته (ملأه غضبًا)».[2]

في نهاية المصادر، كان حرف (التاء) أضعف تأثيرًا على معانيها مقارنةً بتأثيره في بداية تلك المصادر. يتّضح أنّه من الحروف ذات الطابع الضعيف، إذ اقتصر تأثيره على تخفيف معاني بعض المصادر، وذلك بفضل خصائص أصوات الحروف الأخرى المشاركة، وسنستعرض ذلك في الدراسة القادمة.

- حرف الثاء

بعد الفراغ من حرف التاء، هذه ملامح عن حرف الثاء. نتّكل فيها على الحركة المعجميّة، وجهود العلماء الصوتيّين في هذا المجال. تُشتَهَر بهمسها ورخاوتها، وقيل فيها إنّها «للتعلق بالشيء حسيًا ومعنويًا»[3]. وهذا تعريف مبهم نوعًا ما.

وثمّة آراء أخرى نادت بأنّه: «لا فرق بين صوتي (الثاء والذال) ، إلا الهمس بالثاء والجهر بالذال، وذلك لتقاربهما في المخرج بين طرف اللسان واللثة.»[4]

في الواقع، يوجد تباين كبير في الأصوات بين الثاء والذال. عند نطق الثاء مع النفس، يبدو صوتًا مبعثرًا وحادًّا، بينما يتبع النفس مع الذال مخرج الثاء مباشرة بنغمة صوتية مرتفعة. وهذا يؤدي إلى تناقض كبير في تشكيل الأصوات بينهما.

تحمل الثاء في صوتها الرقة والنعومة والاحتضان الدافئ، بينما الذال تُظهر الخشونة والحرارة والنشاط.

---

(1) المعجم الوسيط، م س.
(2) المعجم الوسيط. م س .
(3) العلايلي، تهذيب المقدّمة اللغويّة، م س، ص: 109.
(4) إبراهيم أنيس، م س، ص: 118.

من ناحية أخرى، لا يعني التقارب النطقي بين الحروف بالضرورة تقاربًا مماثلًا في المعاني أو الانطباعات الصوتية. عند استبدال حرف بآخر في الكلمة، قد لا تحتفظ الكلمة بالمعنى الأصلي لها، وغالبًا ما يُحدث هذا التباين تناقضًا في المعاني، كما هو الحال مع الثاء والذال، والخاء والحاء، والباء والميم، والصاد والسين، وسنرى ذلك. فالثاء، على سبيل المثال، هي تصوّر رقيق للسين، وهي تجسيد لتأنيث تاء التأنيث. يبدو أنّ اللّغة العربية اختارت هذا الصوت خصّيصًا للإشارة إلى الأنوثة، ما يميّزها بالثاء حتى بين النساء أنفسهن، ليعكس انسجامها مع الرقة والأنوثة والليونة. ليس كلّ امرأة تتجلّى فيها سمات الأنوثة، حتى لو كانت أنثى. فاللفظ الأنثوي لا يعبّر بالضرورة عن الجنس كلّما أشار إلى المرأة. تتجلّى أنوثة الأشياء والمخلوقات الحيّة في حرف الثاء عندما يتّسم بتاء التأنيث، وتنبثق منها روح الرقة والعاطفة والأنوثة. تعتبر الثاء رمزًا للأنوثة في الكلمة النسائية، ما يجعلها الرمز الأنثوي، بمشاركة نون النواء، من دون أن تكون ذات تأثير عاطفي أو صوتي مباشر.

يقودنا هذا الكلام إلى طرح إشكاليّة: غرض العرب من (الثاء) أهو للإيماء أم للتعبير عن المعاني بالإيحاء؟

لهذا الأمر دلائل فيزيولوجيّة نبيّنها في ما يأتي:

عندما يبدأ النفَس بالخروج برفق وببطء، ويصدر صوت الثاء على المنحنى الصوتي، يلامس طرف اللسان الأسنان الأمامية السفلى بلطف قبل الانحسار قليلًا إلى الوراء. هنا، يظهر ثلاثة ظواهر ملحوظة: تعدّ اثنان منها ظواهر بصرية (تمثيلية)، والثالثة هي ظاهرة صوتية (إيحائية).

في الحديث عن الظاهرة الأولى: «انفراج الأسنان السفلى عن العليا عند خروج صوت (الثاء)، ومن ثمّ تراجع طرف اللسان إلى الداخل. وهذا يماثل الأحداث الطبيعية التي تتضمن الشقّ والانفراج.»[1]

وأمّا الظاهرة الثانية فتكون: «بعثرة النفَس ببطء أثناء خروجه بين طرف اللسان والأسنان العليا عند حدوث الصوت، ممّا يماثل الأحداث الطبيعية التي تتضمّن البعثرة

(1) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والأصوات العربية، م س، ص: 187.

والتخليط»[1]

والملاحظ في الظاهرة الثالثة أنّها «حفيف رقيق يسمع لصوت (الثاء) مع اللثغ، مما يوحي بالرقة والبضاضة والطراوة والدفء ، وهي جميعًا أحاسيس لمسية».[2]

بعد هذا العرض، نستطيع مقاربة وضعيّة الثاء بين الإيماء والإيحاء، ويمكن البداية من تعريف المعجم.

بعد مراجعة المعجم الوسيط، وجدنا تسعة وتسعين مصدرًا يبدأ بحرف الثاء. ومن هذه المصادر، وجدت سبعة عشر مصدرًا يشير معانيها إلى الشق والفتح والتسرّب، ما يشبه عملية فصل طرف اللسان بين الأسنان السفلية والعليا، مصحوبة بظاهرة فتحهما عند إخراج الصوت، وهي تظهر كتحريك بصري. نذكر من هذه المصادر:

«الثأي (الفتق وأثر الجرح). انثعّ الدم من الأنف (سال). ثعب الدم (فجرّه فسال). ثعرر الأنف (تشقق). ثغب الشاة (ذبحها). الثغر (الفم والفرجة في الجبل). ثلم الجدار (أحدث فيه شقا).»[3]

اكتشفنا فيها سبعة عشر مصدرًا يعبّر عن الفوضى والتشتت والارتباك، يشبه ذلك الفوضى التي يمكن أن تحدثها النفس بعد خروج صوت الثاء:

«الثّدام (المصفاة، لبعثرة ثقوبها). ثرثر في الشيء (أكثر منه في تخليط). ثرد الخبز (فتّه ثمّ بلّه بمرق). ثرّ (غزر وكثر). الثرعلة (الريش المتجمع على عنق الديك). الثّريا (نجم تكثر أنجمه مع صغر منظره). ثطّ (خفّ شعر لحيته). ثعر (كثرت بثوره).الثلج . ثمأ الخبز (فتّه). ثمج الأشياء (خلطها). ثمغ الألوان (خلطها). ثار (هاج وانتشر).»[4]

لاحظنا فيها سبعة عشر مصدرًا تعكس الرقة والنعومة والأنوثة واللطافة، يشبهون بذلك الرقة والنعومة في خفيف صوت الثاء الملثوغ. من بين هذه المصادر نعرض الآتي:

«الثأدة (المرأة الكثيرة اللحم). الثدي (للمرأة، والضرع لأنثى الحيوان). امرأة ثيّب (غير عذراء). اثباجّ الرجل (صخم واسترخى). الثّرب (لحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء).

(1) م ن، ص: 187.
(2) زيدان، م س، ص: 187.
(3) المعجم الوسيط، م س.
(4) المعجم الوسيط، م س.

الثّعد (الغصن الطري من البقل). ثجل ثجلا (عظم بطنه واسترخى). الثرى (التراب الندي).»[1]

وبهذا تصل نسبة المصادر التي تُشير معانيها إلى الإيماءات والتمثيلات المرئية المُستندة إلى طريقة نُطق الثاء إلى (36%)، في حين لم تتجاوز نسبة المصادر التي تُعبّر عن النعومة واللطافة والليونة المتعلقة بالملمسات سوى (18%)، ما يُجمع على إجمالي نسبتها (54%)

ثالثًا– تمايزات الصوت بين المحسوس والملموس

نقارب في هذا الموضع من البحث أسبابًا موضحة للفوارق بين معاني الصوت وخصائصه. فقد يخطر في بال القارئ أنّ العرب ابتكرت صوت (الثاء) في حقبات الزراعة لتومئ أو تمثّل عن معاني المشقّة والراحة، وكذا كي تشير إلى الفوضى أو الشيء المبعثر.

أبدع العرب حرف (الفاء) خصيصًا في العصور الزراعية للتعبير عن هذه المفاهيم من خلال طريقة نطقه بإيماءات وتمثيل، كما سيتم استعراض ذلك بالتفصيل في دراسة الصوت.

يجب أن يكون العرب قد ابتكروا حرف (الثاء) لغرض آخر، إذ جاءت مفاهيم الشق والفصل ليست جزءًا أصليًّا منه.

من الملاحظ في تحليل حروف (الثاء) و(الذال) أنّ صوت الثاء يرتبط بالأنوثة، بينما صوت الذال يرتبط بالذكورة، على الرغم من تناقض خصائصهما الصوتية. فلا توجد صلة مباشرة بينهما في مخرج الصوت.

وجدنا أيضًا أنّ مكان خروج صوت (الذال) يكون أقرب للظهور بين الأسنان العلوية والسفلية، بينما ينحسر مكان خروج صوت (الثاء) إلى الداخل قليلًا، وهو أقرب للّثة بشكل أكبر. لقد كشفنا في البداية عن التشابه بين خصائص صوت كلّ حرف، والصفات التي يمكن أن يمثّلها في الجنس.

(1) المعجم الوسيط، م س.

بعد تحليل حرف (الفاء) وطريقة نطقه الإيمائية، لفت انتباهنا أيضًا كيفية نطق حروف (الثاء والذال). يشقّ طرف اللسان الأسنان السفلية عن العلوية قليلًا في حرف (الثاء)، وبشكل أكبر في حرف (الذال).

لقد استخدم الإنسان العربي طريقة النطق بحرف (الفاء) للتعبير عن القطع والشق والانفراج بشكل إيمائي وتمثيلي. وهذا يوحي بأنّه ربما استخدم طريقة النطق في حرفي (الثاء والذال) في المرحلة الزراعية لغايات مختلفة. فما تلك الغايات؟

قبل أن تتعلّم المرأة في تلك الفترة من التاريخ كيفية التّعبير بوضوح عن مشاعرها، يبدو أنّها استخدمت حركة طرف اللسان في شقّ الأسنان السفلية عن العلوية بشكل طفيف كرمز إيمائي وتمثيلي للأنوثة. بالمقابل، قد استخدمت تمديد اللسان خارج الفم أكثر للتعبير عن الذكورة. وكان من الضروري أن ترافق هذه الحركات الإيمائية بإيماءات وأصوات مناسبة، وذلك وفقًا للأساليب البدائية التي كانت تستخدمها البشرية في تفاعلها مع أفراد جنسها في ذلك الزمن.

عمل العرب، أثناء فترة الرعي، على تنقية الأصوات الخاصة بالحيوانات والمحاصيل، وقلّلوا من استخدام الإشارات اليدوية والحركات الجسدية، حتى بقي الحدّ الضروري لإصدار الأصوات التي تُعبّر عن المعاني فحسب.

هكذا أحكم العرب –خلال فترة الرعي– تطوير حركات اللسان والأسنان التي تعبّر عن الجنسية باتقان وتنميق، مع تطوير الأصوات المصاحبة، مثال الثغاء والجرس، بما يتلاءم مع طبيعة الذكورة والأنوثة. هذه التطورات لم تكن مجرّد إيماءات أو تمثيل، بل كانت مؤشّرات صوتية أيضًا، ما أدّى إلى توزيع خصائصهما وتأثيرهما في مفردات اللّغة بين الطابع الإيمائي والإشاري.

وتظهر معاني الشق والانفراج في المصادر التي تنطلق بحرف الثاء بشكل يبدو مجرّدًا، إذ تتركّز هذه المعاني على الرقة والليونة من دون الحاجة إلى جهد أو قوة. هذا عكس مصادر تبدأ بحرف الفاء، إذ تشير إلى الشق والانفراج بشكل يتطلّب الجهد، ونذكر على سبيل المثال «فأس الخشبة (شقّها)»، أو «فأى رأسه (فلقه)»، و«فدع الشيء (كسره)»، و«فرى الشيء (شقّه)»، و«فشق الشيء (كسره)»، و«فقع الشيء

(شقّه)»، وغيرها.

تفحّصنا الأفعال التي تنتهي بحرف الثاء ووجدنا ثلاثة وثمانين فعلًا. منها أربعة وأربعون فعلًا يشير إلى الفوضى والارتباك والتجمع العشوائي، مع لمحة من الرقة، وكأنّها تعبِّر عن الفوضى أثناء خروج الصوت.

«أثّ الشعر(التفّ).بأثه (بدّده وفرقه). بثّه(فرّقه ونشره). ارتبث القوم(تفرقوا). رمث الشيء (خلطه). الشعث (ماتفرق من الأمور). الحثّ(المدقوق من كل شيء ، حطام التبن). ضغثّ الحشيش (جمعه وخلطه. ومنها أضغاث أحلام) . عبث الشيء بالشيء (خلطه). علث الشيء (جمعه). غبث الشيء (خلطه) غلث الشيء (خلطه). فرِث القوم (تفرقوا). نكث السواك (فرق رأسه ونشره). نبث الأرض (نبش ترابها وحفرها). نجث وبحث (نبشَ). نقث الأرض (أثارها بفأس أو مسحاة). نثّ الوعاء ومث ومثمث (رشح)».[1]

سبق لـ (ابن جنّي) أن ألمح بشكل عابر إلى الخاصّية الإيمائية لحرف (الثاء) من دون أن يفصح عنها تمامًا، وذلك في مثاله المُقدّم الذي أشار فيه إلى أنّ العرب استطاعوا تبنّي كلماتهم لتعبّر عن المعاني بشكل ذكي وفقًا لأنجع قاعدة لديهم: «توجيه الحروف نحو المعنى والهدف المُقصود»، كما قال: «الباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض. والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد إذا غارت في الأرض. والثاء للنفث والبث للتراب..»[2].

لم نتعمّق في أي مصدر يشير إلى الشق أو الانفراج والتسرب. يعود ذلك لاستقرار طرف اللسان في نهاية النطقة بين الأسنان، من دون تفريق بينهما، ما يُظهر غياب أو انعدام الفصل والتباعد في المصادر التي تنتهي بحرف الفاء. هذه حساسية لغوية فريدة لا نجدها في لغات أُخرى. في الجدول، وصلت نسبة المصادر التي تدلّ على البعثرة والارتباك إلى 53%، مقارنة بـ 36% في المصادر التي تبدأ بالثاء.

الرُقّة والنعومة وعناصر الأنوثة بلغت 25% هنا، بينما كانت 18% في المصادر الأخرى، معظم المصادر التي تنتهي بالثاء وتظهر البعثرة والارتباك تحمل من البداية

(1) المعجم الوسيط، م س.
(2) ابن جني أبو الفتح، الخصائص، تحقيق: محمد نجار، دار الهدى، بيروت، ط2 ، 1955، ج2، ص: 165.

سمات الرُقّة والنعومة، الأمر الذي يوحي بأنّ حرف الثاء يُظهر خصائص النعومة والرُقة والأنوثة بشكل أكبر في نهاية الألفاظ مُقارنة ببدايتها. وصلت نسبتها إلى 78%، مُقابل 36% في البداية. هذا يميل لتفضيل الحواس اللمسية على البصرية في معاني المصادر التي تنتهي بالثاء، إذ كانت شخصيتها أقوى في النهاية، على غرار الحروف الشاعرية الرقيقة.

خلاصة

يحتلّ تحديث الدّرس الصوتي العربي أهمية كبيرة مع التطوّر المستمر في المعطيات المعجمية والحضارية. ويسهم هذا التحديث في تعامل اللّغة العربية مع التغيرات اللغوية والاجتماعية الحديثة، ويُعزّز فهمنا لاستخدام الصوت بشكل فعّال ودقيق في التواصل. التطورات الحديثة في دراسات الصوت واللّغة تسهم في تحديث الدّرس الصوتي العربي، ما يجعله أكثر دقّة وتماشيًا مع الحاجات اللغوية والاجتماعية للمتحدّثين العرب.

وهذه بعض من الخطوات التي يمكن استثمارها في سبيل تعزيز الدّرس الصوتيّ العربيّ:

- دراسة الصوت والنطق: استنادًا إلى أحدث الأبحاث والدراسات في مجال الصوتيات وعلم النطق، يتعيّن تحديث فهمنا لكيفية صوت الحروف وتشكيلها في اللّغة العربية.
- التحديث المعجمي: يتضمّن ذلك مراجعة المعطيات المعجمية وتحديث الأمثلة والكلمات الصوتية لتعكس استخداماتها الحديثة والمعاصرة في اللّغة.
- العمل البحثي والتطوير: الاستمرار في البحث والتطوير لتواكب التطورات اللغوية والتكنولوجية المستمرّة.
- مراجعة الأدوات التعليمية: مراجعة المناهج والكتب التعليمية لضمان انسجامها مع أحدث المعايير والمفاهيم الصوتية.
- استشارات المتخصّصين: تعاون مع خبراء اللّغة والصوتيات لضمان دقّة الدّرس وتأصيله بأحدث المعلومات والمفاهيم الصوتية.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط5 ، 1971.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق: محمد نجار، دار الهدى، بيروت، ط2، 1955.
3. البستاني بطرس، قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1870.
4. زيدان جرجي، الفلسفة اللغوية والأصوات العربية، مطبعة الهلال، مصر، 1914.
5. العلايلي عبد الله ، تهذيب المقدمة اللغوية، تحقيق: أسعد علي، دار السؤال، سوريا، ط3، 1968.
6. المبارك محمد، فقه اللّغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط2 ،1972.
7. مجموعة مؤلّفين، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية في القاهرة، مصر، 2011.
8. مراد يوسف، مبادئ علم النفس، دار المعارف، مصر،ط2 ،1954.
9. وافي علي عبد الواحد، فقه اللّغة، لجنة البيان العربيّ، مصر، ط7 ،1945.

دستور 1926 وأثره على مشروع الدّولة
في لبنان وميثاق 1943

د. حسن شقور

مقدمة

تشكّل الكيان اللّبنانيّ، المجتمع والدّولة خلال عامي 1919 - 1920 بعد سقوط الحكومة العربيّة في دمشق وفي إطار السّيطرة الاستعماريّة المباشرة على المنطقة العربيّة التي استهدفت تجزئة كيانات تؤمن استتباب المصالح الاستعماريّة على أسس من التّلوين السياسي – الاجتماعي يربط بين السّيطرة الغربيّة ومصالح الفئات الحاكمة وأشكال تلك الكيانات.

لم تعتمد دول الانتداب عامل القوّة العسكريّ وحده ليرسم خارطة التّجزئة بل استغلت مشاكل الأقليات والطّوائف والتّباين الاجتماعي الثّقافي والدّيني في بلدان الأمبراطورية العثمانية.

ففي مناخ هزيمة الثّورة العربيّة (ثورة الشريف حسين) والتي كانت معركة ميسلون (1920) ذروتها أمكن للخارطة الاستعماريّة المعدّة سلفًا باقتسام مناطق النفوذ والمصالح الدولية وفقًا لمعاهدتي سايكس – بيكو 1916 وسان ريمو 1920 بين الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا[1].

استقرت التّجزئة رغم أشكال المقاومة السابقة واللاحقة لها منذ إعلان فيصل ملكًا على سوريا في 5 تشرين الأول 1918 وتشكيل الحكومة العربيّة ممثلة لسوريا الكبرى، إلى المؤتمر السوري 1919، إلى أشكال الرفض السياسي بعد معركة ميسلون، إلى حركات المقاومة المسلحة في جنوب لبنان والبقاع المتصلة بالمقاومة في سوريا حتى الثّورة السورية الكبرى 1925[2].

(1) إدمون رباط: الوسيط في القانون الدستوري العام، ج 1، ص 305، دار العلم للملايين، 1968. د. عادل اسماعيل: السياسة الدولية في الشّرق العربي، ج 4 – ج 5، ص 64 – 75، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت 1970.
(2) ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص 21، دار الاتحاد، بيروت. خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، ص 194، دار المعارف بمصر 1971.

لبنان الكيان والصيغة

جاء إعلان الكيان اللّبنانيّ على شكل قرار من سلطات الانتداب الفرنسية: في 3 آب 1920. صدر قرار المفوض السّامي رقم 99 بضم الأقضيّة الأربعة إلى جبل لبنان. وفي 31 آب 1920 صدر قرار رقم 318 إنشاء دولة لبنان الكبير. وفي أيلول 1920 القرار رقم 336 بإعلان استقلال لبنان، والتّنظيم الإداري الجديد متضمنًا في الفصل الثاني منه تفويض السّلطة التنفيذية إلى المفوض الثاني السّامي بواسطة «حاكم لبنان الكبير» وإنشاء لجنة إدارية وزعت مقاعدها على الطّوائف والمناطق[1].

حسمت قرارات الانتداب المشاريع الفرنسية التي سبقت أن كانت موضوع تداول[2] كما حسمت في صدها لمطالب الحركة العربيّة وأمانيها في الاستقلال والوحدة[3]، وصون في نفس الوقت للمطالب الخاصة للقوى المهيمنة في جبل لبنان والعاملة في سبيل بناء كيان قومي – طائفي[4].

كان الشكل الكياني اللّبنانيّ الجديد الذي استقرت عليه الخطط الفرنسية وفق المطالب التي رفضتها القوى السّياسيّة المسيطرة في جبل لبنان آنذاك، وكان الأمر بالنسبة لهم «استعادة الحدود التّاريخيّة والطبيعية» التي كانت تعني توسيع حدود المتصرفيّة بالحصول على منفذ بحري وضم بيروت وبعض السهول الزراعية الخصبة.

كان الواقع الاقتصاديّ للمتصرفيّة الدّافع الأساسي للمطالبة بتوسيع حدودها فلم تتجاوز مساحة الأرض المزروعة في المتصرفيّة عام 1915 نسبة تزيد عن 3،8% من مساحة تبلغ 450 ألف هكتار بينما ولاية بيروت تضم أراضيَ زراعية خصبة كذلك سهول البقاع وعكار ومرجعيون. فالمتصرفيّة لا تنتج إلا الحرير والتّبغ، وموسم الزّيتون فيها لا يكفي سوى للاستهلاك المحلي[5]. هذا الوضع هو الذي فاقم ظاهرة الهجرة من الجبل التي بلغت حوالي ربع سكانه بين أعوام 1910 و1914[6].

وفي عام 1913 دعت جمعية بيروت الإصلاحية وعلى رأسها نخلة التّويني وبترو

(1) أنور الخطيب: دستور لبنان – المناقشات والوثائق البرلمانية، ص 5 من مقدمة الكتاب. بيروت 1970.
(2) د. وجيه كوثراني: بلاد الشام، معهد الإنماء العربي، 1980، ص 161 و209.
(3) محمد جميل بيهم: العهد المخضرم في سوريا ولبنان، دار الطليعة 1948، ص 89.
(4) فيليب حتي: لبنان في التاريخ، ص 597 – 598، ترجمة أنيس فريحة، الدار المتحد، بيروت 1959.
(5) د. مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي، دار الفارابي، بيروت 1974، ص 47.
(6) مسعود ضاهر، المرجع ذاته، ص 50.

طراد وأيوب ثابت ومؤيدوها يطالبون بضم بيروت إلى جبل لبنان المتصرفيّة وألّف بعض زعماء الموارنة كتبًا عديدة للمطالبة بالوطن المسيحي مع توسيع حدود لبنان مثل المطران دريان وشكري غانم، وعبد الله صفير ويوسف السوداء[1].

لكن المطالبين بتوسيع حدود لبنان أظهروا في غير مناسبة الحذر من المعادلة السكانية الجديدة. وكتب فيليب حتي يقول: «لكن هذا الكسب في مساحة الأرض كان يقابله عدم تجانس في السّكان ونقص في التمازج والتّرابط، ذلك أن لبنان فقد التّوازن الذي كان ينعم به سابقًا فزاد عدد سكانه بما يقارب مئتي ألف نسمة ومعظمهم من المسلمين الشيعة[2].

نشأ الكيان اللّبنانيّ مجتمعًا ودولة من حول نواة هي جبل لبنان الذي حصل على استقلال نسبي في إطار الدّولة العثمانية من خلال نظام الملل الذي شكل المستند التّاريخي الوحيد لاستقلالية الجبل.

فعندما انعقد مؤتمر السّاحل عام 1936 وقف الوحدويون القادمون من جبل لبنان يشرحون خصوصية الجبل هذه معلنين أن لبنان له وجود تاريخي وحقوقي دولي منذ 1861 مما يفترض عدم إنكارها[3].

لكن نواة لبنان الجديد لم تمتلك الهيمنة على المجتمع كله فقد ظلت المناطق الملحقة به في حالة معارضة وظلت الحراب الاستعماريّة تحرس حدوده وتشدّ بعضها إلى بعضها الآخر.

لم يمتلك المجتمع اللّبنانيّ وحدته التّاريخيّة انطلاقًا من هذا «الانفصام في الكينونة اللّبنانيّة». حسب تعبير كمال جنبلاط الذي يقول: «في مجال الحديث عن الشّعب اللّبنانيّ تتوجب الملاحظة أنه نظرا لطبيعة تكوينه المستحدثة سنة 1919 عقب الاحتلال الفرنسي لا يؤلف هذا الشّعب في المعنى الصحيح للكلمة وحدة اجتماعية... فلبنان اليوم بالنسبة للماروني هو لبنانه: من حيث هو دولة في الشّرق. أما المسلم الملتزم بعروبته المتنزّلة من تراث حكم الخلافة الإسلامية العربيّة ليس بلبنانه ووطنه المعنوي..»[4].

(1) أنيس الصايغ، لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري، 1959، ص 138.
(2) فيليب حتي: لبنان في التاريخ، ص 597 – 598، ترجمة أنيس فريحة، بيروت 1959.
(3) د. حسان حلاق: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة: كلمة يوسف إبراهيم يزبك، ص 58 وكلمة علي ناصر الدين، ص 54.
(4) كمال جنبلاط: ربع قرن من النضال، 1974، ص 32.

من هنا لازمت التاريخ اللّبنانيّ ثنائية المركز والأطراف، الجبل والملحقات، بثنائيته الطّائفية. ولم يتكون بالتالي الشّعب اللّبنانيّ الموحّد الولاءات والمواطنة، فلبنان لا يزال إلى حدٍّ كبير بلدًا ضعيف الرموز الوطنية قوي الرموز الطّائفية قليل الثقة بالحكم المركزي قويها في الزعامة المحلية[1].

ولقد أثبت تاريخ لبنان كم كانت بائسة نظرية «الأمّة اللّبنانيّة» التي روّجها الفرنسيون وقبلتها أوساط لبنانية واسعة في ظل نظام طائفي تقسيمي وفكر سياسي متباين.

تضمّن الفكر السياسي الماروني على الدوام عناصر مقولة «دولة – طائفة»، «أمة طائفة» فلم تبارح هذه المقولة فكر الشيخ بشارة الخوري الرئيس الاستقلالي الأول حيث يقول للأساقفة: على أكتافكم قام هذا الاستقلال[2].

أمّا عند فؤاد أفرام البستاني «فالمارونية بنت لبنان. ولبنان من صنع الموارنة[3]. وتشكل هذه المقولة منطلقًا ثابتًا لفكر حزب الكتائب الذي أنشئ عام 1936 فيؤكد ثنائية الدّولة والمجتمع في لبنان». ويقول «يطالب المسلمون بالدّولة في صيغتها العقائدية تحقيقًا لوجودهم السياسي في حين يدافع المسيحيون عن الدّولة في وظيفتها كضامنة لوجودهم الحضاري، وبالتالي تسعى الكتائب إلى تحقيق دولة الكيان... أو القومية اللّبنانيّة والأمّة اللّبنانيّة[4]. ويؤكد الفكر السياسي المسيحي على طبيعة الصيغة اللّبنانيّة «الفدرالية الطّائفية» ليقول إنها شرط من شروط وجود لبنان[5].

نشأة الدّستور 1929

حاول المفوض السّامي الفرنسي هنري دي جوفنيل تأمين الولاء للدولة اللّبنانيّة وإشراك جميع الطّوائف اللّبنانيّة في صياغة الدّستور اللّبنانيّ المقترح للجمهورية اللّبنانيّة. وبعث إلى الهيئات الرسمية والدّينية يستمزج رأيها في ذلك لكن القوى الإسلامية (الوحدوية السورية) وتعبيرًا عن رفضها لتقسيم البلاد السورية وإلحاق الساحل والأقضية الأربعة بجبل لبنان، امتنعت عن المشاركة في إبداء الرأي في الدّستور. وعقدت اجتماعًا موسعًا

(1) د. إيلي سالم: النظام السياسي الأفضل للإنماء في لبنان، ندوة الدراسات الإنمائية 1972، ص 14.
(2) الشيخ بشارة الخوري: حقائق لبنانية – خطب 1951، ج 1، ص 59.
(3) فؤاد افرام البستاني: الثّورة اللبنانية، السنة 3، نشرة 5 – 6– تاريخ 5 حزيران 1948، ص 169.
(4) الأب بطرس ضو: تاريخ الموارنة، دار النهار، 1970، ج 1، ص 379.
(5) مجلة الحرية، وثيقة التقسيم. مذكرة الرابطة المارونية إلى كوف دي مورفيل، 3 تموز 1976.

في دار الجمعية المقاصدية الخيرية الإسلامية في بيروت[1]. ورفعت في الخامس من كانون الثاني 1926 مذكرة تضمنت رفض المجتمعين المشاركة في صياغة الدّستور وطالبت بالوحدة السورية وأكدت الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية. وأرسل مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا في 9 كانون الثاني 1926 جوابه إلى رئيس المجلس النيابي موسى نمور بعدم إشراك المسلمين في الإجابة على الأسئلة الموجهة عن الدّستور[2].

وفي حين كانت الثّورة تتأجج في البلاد وامتدت إلى قضائي حاصبيا وراشيا وإلى جبل الدروز ومنطقتي أكروم والضّنية، لم يكن أمام جوفنيل إلا أن يهادن الثائرين ضد الانتداب وضد التّجزئة. وفي خطاب له ألقاه وهو يزور بعض المدن السورية قال «بدول سوريا المتحدة» وهذا ما أثار شكوك دعاة الانفصال المطالبين بإنشاء كيان لبناني مستقل، فاضطروه إلى أن يصدر بيانًا ينفي فيه وجود أي رغبة لديه في المسّ بما وعدت به فرنسا على لسان وزير خارجيتها. وفي أثناء عودته إلى بيروت وعد بإنشاء دستور للدولة اللّبنانيّة في أقصر مدة[3].

ثم دعا جوفنيل أحد معاونيه «سوشيه» وقال له «إنني راحل بعد شهر وأريد دستورًا للبنان قبل ذلك التاريخ». فأجابه سوشيه وهو حاملًا دستور فرنسا 1875 "سيكون بين يديك خلال أسبوع واحد، اطمئن»[4].

إلا أن ملحم قربان يذكر أن الدّستور اللّبنانيّ نشأ عن لجنة فرنسية في باريس وكان رئيس هذه اللجنة «بول بونكور» وأحد أعضائها أستاذ القانون في جامعة باريس فيدل[5] وهذا يناقض ما قاله كمال الصليبي من أن ميشال شيحا هو الذي أوكل إليه وضع مسودة الدّستور اللّبنانيّ[6].

ويذكر بشارة الخوري أن سوشيه كان معينًا خصّيصًا لمهمة إنشاء الدّستور وأنه قد أظهر تفهّمًا للوضع الجديد ووضع نصوصًا تحفظ حقوق الانتداب الفرنسي. ويعترف

(1) محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج 2، ص 100، بيروت 1948.
(2) د. حسان حلاق: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة 1936، ص 20، الدار الجامعية، 1982.
(3) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج الأول، ص 132، منشورات أوراق لبنانية، مطبعة درعون، حريصا، 1960.
(4) أحمد عبيد : المسلمون في لبنان في ضوء تاريخهم، ملحق رقم 1، ص 493.
(5) ملحم قربان: تاريخ لبنان السياسي، ج 1، ص 164 – 165.
(6) كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث، ص 212.

بشارة الخوري بذلك مبررًا الموقف بأنه لم يكن بالإمكان في أيار 1926 أن تنال البلاد أكثر مما نالته إذ لم يكن بمقدور اللّبنانيّين إلا صعود السلم درجة درجة[1].

ويؤكد إدمون رباط[2] «أن الدّستور اللّبنانيّ لم يكن من صنع اللّبنانيّين، لا بنصه الفرنسي ولا العربي الفصيح، خاصة وأن المجلس النيابي في ذلك الحين كان يضم أدباء كبار بين أعضائه كالشيخ يوسف الخازن، والشيخ إبراهيم المنذر، وشبل موسى وغيرهم فلا تصدر عنهم كتلك الصياغة الركيكة».

ويعرف أحد أعضاء مجلس النواب يومها اسكندر رياشي دي جوفنيل بقوله «كان دو جوفنيل صحافيًا ومعشاقًا قبل كل شيء، وقبل أن يكون سياسيًا، وقبل أن يكون رجل دولة. كان رجل صالون وطرب ومغامرات عاطفية.

ويقول بأن الجمهورية يومها «كانت لعبة بيد المفوض السّامي، عندما يشبع منها يزيلها بشطحة قلم، ولأتفه الأسباب، ثم يقيم مكانها حكومة مباشرة، وعندما يشبع من الحكومة المباشرة يزيلها أيضًا بشطحة قلم أخرى مما كان يجري حسب أهوائه... وهكذا كنا ننام عند المساء ونحن على ما نعلم عندنا جمهورية ومجلس نواب وإذا بنا نستيقظ عند الصباح والجمهورية طارت ومجلس النواب طار وجاء بدلًا منها المسيو أبوار أو حبيب باشا السعد. فالحكاية كانت في هذا الأمر الحيوي جدًا للبلاد كما لو كان هناك عشيق يبدل عشيقاته حسب أهوائه ونزواته»[3].

وكانت وزارة الخارجية الفرنسية قد ألّفت لجنة ثلاثية فرنسية مهمتها وضع الدّستور اللّبنانيّ عام 1925، وراح موظفو الانتداب يجرون الاتصالات بالأوساط الدّينية والعلمية والسّياسيّة لاستفتائهم بشأن الدّستور، ونظام الحكم، وعلاقة لبنان بفرنسا. وكان رد فعل الهيئات الإسلامية مقاطعًا وعنيفًا إلا أن أعضاء المجلس التمثيلي (13 تموز 1925 – 25 أيار 1926) وقفوا ضد تصرف الدّولة المنتدبة موقفًا حازمًا وشجبوا عملها بتجاهل السّلطة التّشريعية المنتخبة.

وصدر عن المجلس التمثيلي قرار بالأكثرية، في 17 تشرين الأول 1925 يدعو السّلطة المنتدبة لعرض القانون الأساسي على السّلطة المحلية وفقًا للمادة الأولى من

(1) د. حسان حلاق: التيارات السّياسيّة في لبنان 1943 – 1952، ص 69.
(2) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج 1، ص 133، منشورات أوراق لبنانية – مطبعة درعون – حريصا 1961.
(3) اسكندر رياشي: الأيام اللبنانية، ص 147. شركة الطبع والنشر اللبنانية – بدون تاريخ.

صك الانتداب وأبلغ القرار للسلطات المنتدبة التي أجابت بتاريخ 10 كانون الأول 1925 بالإيجاب.

وانتخب المجلس التمثيلي لجنة ثلاثية لإعداد مشروع الدّستور اللّبنانيّ بالاتفاق مع المفوّض السّامي وتحت رقابته. وانتخب المجلس لجنة ثانية أطلق عليها اسم لجنة الدّستور وتألّفت من اثني عشر عضوًا ستة من أعضاء المجلس وستة من أعيان البلاد وأكثرهم من الموظفين. وقامت هذه اللجنة باستفتاء لرجال الدين والموظفين والشخصيات حول شكل الحكومة والبرلمان، والوزراء والطّائفية وعقد المجلس في 19 أيار 1926 إلى 22 أيار 1926 ثماني جلسات أقر خلالها الدّستور بحضور ومناقشة مندوب المفوضية الفرنسية السيد سوشيه[1].

وفور إعلان دستور 1926 قلب المجلس التمثيلي إلى مجلس نواب، وبطريقة قسرية مأمورة انتخب شارل دباس رئيسًا بالإجماع. «جرى الشيء طبعًا بناء على أمر فرنساوي عال، لم يكن بالإمكان في ذلك الحين مخالفته»[2].

وقد أدلى مندوب المفوضية الفرنسية في جلسة المناقشة الأولى بحديث أكّد فيه الوصاية الفرنسية على قرار السلطات المحلية[3] فتلا مشروع الدّستور وبدأت المناقشة مادة مادة.

وتعليقًا على المادة الأولى من الدّستور (في الدّولة وأراضيها)، تلا عمر بك الداعوق بيانًا من الدّستور موقّعًا منه ومن السادة صبحي حيدر، عمر بيهم، خير الدين عدرا، خالد شهاب، يحتجون فيه على إلحاق البلاد التي يمثلونها بلبنان دون استفتاء أهلها. ويطلبون أن تجعل حكومة مستقلة لها اتحاد مع لبنان القديم وسوريا.

وأضاف صبحي حيدر «تحاشيًا للأضرار التي قد تلحق بأهالي البلاد الملحقة، وريثما نتخلص من هذا الإلحاق فإننا ندخل بالبحث في هذا الدّستور متعظين باحتجاجنا»[4].

ومهما يكن من أمر، فقد كرّس الدّستور اللغة الفرنسية لغة رسمية للجمهورية اللّبنانيّة

(1) أنور الخطيب: دستور لبنان، المناقشات البرلمانية و الوثائق، بيروت 1970. ملاحق رقم 22، ص 140 – 141. رقم 24، ص 143.
(2) اسكندر رياشي: المرجع السابق، ص 162 – 163.
(3) أنور الخطيب: المرجع السابق، ص 9.
(4) أنور الخطيب: المرجع نفسه، ص 11.

إلى جانب العربيّة، واعترف بالطّائفية وكرّسها. وبالرغم من أن المادة (١٢) من الدّستور تنص على أن «لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة لا ميزة لأحد على الآخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة حسب الشروط التي ينص عليها القانون»[1].

غير أن المادة 95 تناقض المادة (12) تناقضًا تامًا، إذ تكرّس الطّائفية بنصها القائل: «بصورة مؤقتة وعملًا بصك الانتداب والتماسًا للعدل والوفاق تمثل الطّوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدّولة[2].

والحقيقة فإن الدّستور لم ينص مطلقًا على دين الجمهورية اللّبنانيّة أو طائفة رئيس الجمهورية، غير أن فرنسا حرصت على تولية مسيحي غير ماروني لرئاسة الجمهورية للفترة الأولى بالرغم من أن داوود عمون كان يفضّل أن يكون أول رئيس للجمهورية فرنسيًا بسبب تعذّر اتفاق الطّوائف اللّبنانيّة على اختيار رئيس منها[3].

وفي 31 أيار 1926 صدرت مراسيم الوزارة الأولى برئاسة أوغست أديب واستمرت إلى أول أيار 1927 حيث حاولت فرنسا استمالة المسلمين، فكلّفت الشيخ محمد الجسر بتأليف الوزارة الجديدة، ولكن وضعت العراقيل في وجهه عمدًا من بعض القوى الرافضة، مما دعا المفوض السّامي إلى الاتفاق مع رئيسة الجمهورية على تكليف بشاره الخوري المناهض للزعيم الماروني الآخر إميل إده، ولكن تم إرضاء الشيخ محمد الجسر بتكليفه رئاسة المجلس النيابي[4].

وبالرغم من اشتراك بعض المسلمين في الإدارة اللّبنانيّة وفي الوزارات والنيابة، غير أن البعض استمروا يطالبون بالوحدة والاستقلال، ففي 25 تشرين الأول 1927 عقد مؤتمر في بيروت لبعض الشخصيات والقيادات البيروتية والطرابلسية والسورية، ومن بين المشتركين من لبنان في هذا المؤتمر عبدالله اليافي، عبد الرحمن بيهم، عبد الحميد كرامي، عبد اللطيف بيسار، عارف الحسن الرفاعي، غير أن الملاحظ أن عدد القيادات من مناطق الساحل والأقضية الأربعة كان قليلًا، ثم أن صيغة المذكرة التي رفعت إلى

(1) د. حسان حلاق: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ص 120. دار النهضة العربية، بيروت 1985.
(2) أنظر المادة (12) والمادة (95) من الدستور اللبناني، أنظر أيضا مقال د. إيلي سالم: Dr.E. Salem.E.Salem Cabinet Politic In Lebanon, vol 21, n°4 Autumn 1967, p488.
(3) يوسف السوداء في سبيل الاستقلال، ج 1 ص 256، بيروت 1967.
(4) د. حسان حلاق، المرجع السابق، ص 121.

المفوض السّامي، كانت صيغة هادئة، وقد تضمنت استعدادًا لمد يد التعاون والصداقة مع الفرنسيين مقابل الاستقلال[1].

وفي 23 تموز 1928 عقد مؤتمر آخر في دمشق عرف باسم «مؤتمر الساحل» برئاسة عبد الحميد كرامي، وقد أكد هذا المؤتمر مجددًا على وحدة البلاد السورية بما فيها المناطق التي ضمّت إلى لبنان القديم (المتصرفيّة). وكان هذا المؤتمر بعكس مؤتمر بيروت 1927، فقد كان تمثيل مناطق الساحل والأقضية الأربعة تمثيلًا كثيفًا وفاعلًا، وقد أصدر مؤتمر 1928 عدة قرارات تضمنت المطالبة بتحقيق وحدة البلاد السورية بضم جبل الدروز وبلاد العلويين، والبلاد التي ضمّت إلى لبنان القديم في إطار دولة مستقلة[2].

والأمر الملاحظ في هذا المؤتمر أيضًا بأن نوابًا لبنانيين شاركوا في اجتماعاته ومن بينهم عمر بيهم نائب بيروت، وصبحي حيدر نائب بعلبك وبعض القوى المسيحية أيضًا أمثال: الدكتور ملحم الفرزلي وميخائيل فلفلي وسمعان خزعلي وتيودر حكيم ومراد غلمية وسواهم[3].

والجدير بالذكر أن الشكوك الإسلامية والوطنية استمرت حيال السلطات الفرنسية واللّبنانيّة، وقد كرّست هذه الشكوك بعض الممارسات التي اعتبرها المسلمون أنها موجّهة ضدهم، ومن بينها محاولة حكومة حبيب باشا السعد في أواخر كانون الأول 1928 القضاء على اللغة العربيّة بجعل اللهجة العامية لغة رسمية يمكن الطالب البكالوريا أن يتقدم فيها في امتحاناته، وقد صارح رئيس اتحاد الشبيبة الإسلامية محمد جميل بيهم بذلك وزير المعارف اسبيريدون أبو الروس وقال له «أرى أن القصد من ذلك هو إيجاد لغة مستقلة عن اللغة العربيّة تتخذها الجمهورية اللّبنانيّة اللغة الأساسية زيادة في تفكيك عرى الاتحاد ما بينها وبين سائر سوريا، ويعز عليّ أن يتناسى أهل لبنان أن اللغة العربيّة ليست هي لغة الإسلام فحسب، وإنما لغة للعرب كافة استعملها المسيحيون والمسلمون سواء»[4].

(1) د. حسان حلاق: مؤتمر الساحل، ص 159 – 165، أنظر أيضاً عبد الرحمن الكيالي: المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني، 1926 – 1939، ج 1، ص 65 – 71، حلب – سوريا 1958.
(2) أمين سعيد: الثّورة العربية الكبرى، ج 3، ص 545 – 547.
(3) د. حسان حلاق: تاريخ لبنان المعاصر 1913 – 1943، ص 122، دار النهضة العربية 1985.
(4) صحيفة «ألف باء» الدمشقية، 10 كانون الأول 1928.

وفي 9 تموز 1929 كتب جبران التويني في صحيفة «الأحرار» يدافع عن العروبة والقومية العربيّة ويهاجم فكرة التعصّب والطّائفية ومما قاله: «إلى المتفرنجين نحن عرب قبل أن نكون مسيحيين ومسلمين». وهاجم صحيفة (L'orient) لأنها زعمت «أن لبنان بلد غير عربي وأن حضارته نصرانية ومن الخطأ أن يقال أنه بلد ذو حضارة نصرانية فهو بلد عربي، سواء أكان أهله فينيقيين أم أراميين أم سريانًا، فقد استعربوا وامتزجوا في هذه البوتقة العربيّة وأصبحوا مع عرب لبنان قومًا عربيًا»[1].

واستمرت الانقسامات قائمة بين اللّبنانيّين، مع العلم أن الممارسات الرسمية والفرنسية كان لها الدور الأول في تلك الانقسامات، وفي استمرار سلبية بعض المسلمين حيال الكيان اللّبنانيّ.

إحصاء 1932

منذ العام 1931 بدأت الاستعدادات السّياسيّة لانتخاب رئيس جديد للجمهورية اللّبنانيّة وكانت المنافسة شديدة بين شخصيتين مارونيتين، هما: بشارة الخوري، وأميل إده[2]، ويذكر بشاره الخوري بأن حظ الرئاسة كان متوفرًا له أكثر من إميل إده، ومما قاله عن إده: «لم يستطع أن يتكل على الشيخ محمد الجسر خصوصًا بعد أن أغضب الأوساط المحمدية في عهد وزارته»[3]، مما دعا إده إلى طلب تأييد المفوضية والحكومة الفرنسية في باريس، بينما يذكر د. إدمون رباط بأن البطريركية المارونية كانت تفضّل انتخاب حبيب باشا السعد[4] غير أن الدبلوماسي البريطاني «لوتغريغ» يذكر بأن المرشحين المحتملين للرئاسة هم: بشارة الخوري، إميل إده، حبيب باشا السعد، جورج ثابت، كما كان للشيخ محمد الجسر طموحات مماثلة[5] ورأى بشارة الخوري بأن إميل إده عمد إلى حملة صحفية مليئة بالقدح والذم وأنه «رسم وأعوانه خطة محكمة للإيقاع بيني وبين الشيخ محمد الجسر وسعوا مع الشيخ إلى أن تكون الرئاسة له نفسه... أخذت الفكرة

---

(1) جبران التويني: في وضح النهار، مقالات مختارة، ص 1 – 2، بيروت 1939.

(2) P.Rondot: The political Institutions of Lebanese Democracy. (Politics In Lebanon), p: 137, (New York, London, Sydney 1966).

(3) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، جزء 1، ص 1975.

(4) E.Rabbat: La Formation Historique du Liban politique et constitutionnel. Beyrouth 1973, p.393.

(5) Stephen, H.Longrig: Syria and Lebanon onder French Mondate, P.203, London 1958.

تتجسم في رأس الشيخ محمد الجسر وبدأ يعدّ لها العدة»[1]. وأضاف بشارة الخوري بأن الشيخ محمد الجسر طالب بإجراء إحصاء جديد للسكان، وقد أجري الإحصاء في 31 كانون الثاني 1932، وبرأي الخوري أنه لم يعط النتيجة المتوخاة، ومع هذا فإن رئيس المجلس النيابي محمد الجسر استمر في ترشيح نفسه، ويذكر وليد عوض في هذا المجال بأنه في هذه الفترة كاد «السني» بعد «الأرثوذكسي» يصبح رئيسًا للجمهورية، بل ومرشحًا من أقطاب الموارنة أنفسهم، وأن البيئة لم تكن طائفية – بقدر ما هي اليوم –. ولم تكن نغمة مسلم مسيحي قد ظهرت بوضوح في السياسة اللّبنانيّة، وأصبحت أداة استغلال مرة بيد الحاكم ومرة بيد المعارضة[2].

وكان اهتمام النصارى بالإحصاء كبيرًا للغاية، وعلى رأسهم البطريرك الماروني أنطوان عريضة، حتى تعدى الأمر السكان القاطنين، إلى تسجيل المهاجرين، وهذا ما بدا من الدعوة التي عممتها المراجع الدّينية المسيحية في لبنان، لقد أولوا الأمر كل اهتمامهم[3]. وقد كانت نتيجة الإحصاء أن عدد نفوس الطّوائف المسلمة بلغ (386409) وهو رقم يساوي نصف سكان الجمهورية اللّبنانيّة الذين بلغ عددهم (793396) نسمة ورغم أنه ظهر جليًا بعد الإحصاء صواب ما كان يشكو منه المسلمون بحجة أنهم أقل عددًا من النصارى. رغم كل ذلك لم يلحظوا أي جديد يدل على أن الحكومة الجليلة نظرت بعين الاعتبار قضية إنصافهم ومساواتهم بعد الإحصاء وصدور نتائجه[4].

وقد ضرب المفوض السّامي المسيو بونسو (Ponsot) بكل الأماني المستندة إلى الأرقام، ورفض حقهم في المناصفة، ولما رأى أن كفة الشيخ محمد الجسر قد رجحت على غيره من مرشحي الرئاسة الأولى أصدر قرارًا بحل المجلس وتعليق الدّستور في 12 تشرين الأول 1932 وشفعه بقرار آخر نصّب فيه شارل دباس حاكمًا على لبنان[5]، وادعى المفوض «بونسو» أن حل المجلس النيابي وتعليق الدّستور تم لأسباب مالية وتوفيرًا للنفقات على الخزينة هذا مع العلم أن إذاعة راديو كولونيال وهي إذاعة فرنسية رسمية كشفت السر عن سبب ذلك، فأعلنت بأن المفوض السّامي إنما حل

(1) د. حسان حلاق: تاريخ لبنان المعاصر، 1913 – 1943، ص 128، دار النهضة العربية، 1985.
(2) وليد عوض: أصحاب الفخامة ورؤساء لبنان، ص 50، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1977.
(3) محمد جميل بيهم: قوافل العروبة، ج 2، ص 101 – 102، بيروت 1948.
(4) محمد جميل بيهم: النزاعات السّياسيّة بلبنان عهد الانتداب والاحتلال 1918 – 1945، بيروت 1977، ص 30 و31.
(5) محمد جميل بيهم: قوافل العروبة، ج 2، ص 101 – 102، بيروت 1948.

المجلس النيابي ليمنع أحد المرشحين غير المرغوب فيهم من الوصول إلى كرسي رئاسة الجمهورية اللّبنانيّة[1] من أجل ذلك فقد تقدمت جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية بشكوى إلى عصبة الأمم المتحدة وإلى المفوض السّامي الفرنسي تندّد بهذه الممارسات الطّائفية الصادرة من السلطات الفرنسية[2].

ومن الأهمية بمكان، القول إن التقارير والمراسلات الفرنسية بين بيروت وباريس حول قضية الشيخ محمد الجسر، قد أضاءت على حقيقة تلك القضية وملابساتها[3]، فقد سبق للمفوض الفرنسي أن أرسل في 22 آذار 1932 برقيتين عاجلتين إلى وزارة خارجيته تحملان الرقم (1008) و(1009) ومما جاء في البرقية الأولى: «إن رئيس المجلس النيابي اللّبنانيّ شخصية إسلامية من طرابلس سوريا، قد قدم حتى الآن كل الضمانات للانتداب الفرنسي، واحتفظ معنا بعلاقات وثيقة جدًا ومستقيمة، وتحقيقًا لرغبات ذاتية من جهة واستجابة إلى الدعم الكبير الذي محضه أياه أبناء طائفته اكتشف الشيخ الجسر طريقًا مضمونًا يوصله إلى الزعامة، فتقدّم بترشيحه لرئاسة الجمهورية اللّبنانيّة...». وجاء في البرقية الثانية حالة الإحراج الفرنسي في حال استمرار الجسر في ترشحه، ذلك أن «الدّستور يسمح له بالترشح ولكن نجاحه في الوصول إلى هذا المنصب سيضع الانتداب في موقف حرج جدًا..»[4].

وفي 23 آذار 1932 ردّت وزارة الخارجية الفرنسية ببرقية جوابية مؤكدة تأييدها لموقف المفوض السّامي «بونسو» وأنه «من المستحسن أن تنصب جهودكم لإقناع الشخصيات السّياسيّة بالحفاظ على الوحدة الداخلية، وذلك بالالتفاف الكامل حول شخصية تطمئن كل الاطمئنان، والتي لا تهدد مزاجيتها في العمل السياسي باستمرار المشاحنات الطّائفية الحادة إلى ما بعد الانتخابات»[5].

هذا وقد أرسل الدكتور جورج سمنه صاحب مجلة «مراسلات الشّرق»، في 7 نيسان 1932 رسالة إلى رئاسة الوزارة الفرنسية تحت عنوان «ملاحظات حول انتخابات رئاسة

---

(1) محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص 106.
(2) د. حسان حلاق: تاريخ لبنان المعاصر 1913 – 1943، ص 133، دار النهضة العربية 1985.
(3) د. مسعود ضاهر: لماذا رفضت فرنسا وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية؟ جريدة السفير 25 و 27 آذار 1979، العدد 1771 – العدد 1773.
(4) د. حسان حلاق: المرجع السابق، ص 133.
(5) د. حسان حلاق: المرجع السابق، ص 134.

الجمهورية في لبنان» أكد فيها على ضرورة بناء لبنان بطابعه المسيحي لإقامة التوازن مع بقية الدول الإسلامية «...لا بد من التذكير أن دولة لبنان الكبير كانت بهدف إقامة التوازن في المنطقة مع الوزن الإسلامي لسوريا، وذلك بجعل لبنان القاعدة الأساسية للنفوذ الفرنسي في شرقي المتوسط.. فترشيح الشيخ محمد الجسر سيقود حتمًا إلى تشكيل جبهة إسلامية في وجه القوى المسيحية المفككة والمتناحرة[1].

ورأى جورج سمنه أن الدّولة المقبلة تحتاج إلى شخصية موثوقة خاصة إذا تم إبدال مهارة الانتداب الفرنسي بمعاهدة بين لبنان وفرنسا. وأضاف بأن مرشحي رئاسة الجمهورية كثر، وأن إميل إده المرشح الماروني يمثل التيار السياسي القائل بضرورة الهيمنة المسيحية في لبنان وعلى كافة المستويات، وأما جورج ثابت فهو ماروني مؤيد قديم للفرنسيين ولا يوجد له خصوم سياسيون، أما المرشح الثالث فهو إلفونس أيوب وهو ماروني ملحق سياسي لبناني في باريس وعنصر يمكن الاعتماد عليه. واعتبر جورج سمنه أن الشيخ محمد الجسر شخصية إسلامية سنية يتميز بالانتهازية وحب الوصول، كما اعتبر أن بقية المرشحين انتهازيون، ورأى أنه بالإمكان اختيار إلفونس أيوب كمرشح تسوية[2].

والأمر الملاحظ في صدد ترشيح الشيخ محمد الجسر أنها وإن أخذت في بعض الأحيان طابعًا طائفيًا غير أن ملامحها العامة تعتبر سياسية بدليل أن بعض القوى السّياسيّة والدّينية والشّعبية المسيحية أيدت ترشيخ الجسر للرئاسة.

مؤتمر الساحل 1939

إذا كان المسلمون بقوا ينادون بالوحدة مع سورية، في ظل الحكومة العربيّة، فليس لأنهم هم بالذات وراء الدعوة سابقًا لإقامة «دولة عربية» فمن الثابت تاريخيًا أنهم لم يطرحوا مطلقًا، في العهد العثماني، فكرة «القومية العربيّة» أو «الوحدة العربيّة» فرواد القومية العربيّة، والعاملون من أجل الانفصال عن السلطنة العثمانية، وإقامة كيان على أساس عربي لا ديني، إنما هم من الطّوائف المسيحية، هم الذين نادوا بالفكر القومي، وبضرورة التخلي عن الوحدة القائمة على الفكر الدّيني[3]. ومع أنهم أي المسلمين ليسوا

(1) د. حسان حلاق: المقاصد، مقالة بعنوان المسلمون ولبنان، العدد 16 – 17، آب – أيلول 1983، ص 30.
(2) د. حسان حلاق: تاريخ لبنان المعاصر، 1913 – 1943، دار النهضة العربية 1985.
(3) د. حسان حلاق: المقاصد، مقال بعنوان: «المسلمون ولبنان»، العدد 16 – 17 آب – أيلول، 1983، ص 30.

أصحاب هذه الفكرة، ومع ذلك حافظوا عليها، ووصل الأمر بالمسلم لأن يعلن جهارا تبرؤه من أي دعوة إسلامية، ويعلن التزامه بالمبادئ التي استظهرها عن ظهر قلب، ومع ذلك لم ولن يغفر له.

في أعقاب مؤتمر الساحل 1933، رفع المسلمون مذكرة تشكو من الغبن اللاحق بهم، حيث أن المناصب العليا باتت كلها في أيدي أبناء لبنان «الجبل». فبدلًا من أن ينظر إليهم ويعمل على رفع هذا الغبن، راح «دعاة القومية اللّبنانيّة الجديدة» يتهمون ضحاياهم بالتعصب الدّيني، غير آبهين إلى كل الأصوات التي كانت تقول لهم: القومية من صنعكم ونحن نلتزم بها ونتخلى عن إسلامنا، قال عبد الحميد كرامي في معرض رده على الاتهام بالتعصب الدّيني: «إن مسألة الوحدة ليست قضية دينية، ليست مطلبًا إسلاميًا كما يزعم بعض المتأثرين بالدعاية الأجنبية، وإنما هي مصلحة قومية ونحن طلاب هذه الوحدة لاعتقادنا بضرورتها وفوائدها.. لأن لبنان لا يستطيع بسكانه القليلي العدد أن يؤلف كيانًا مستقلًا يحمي نفسه[1].

ولقد بدأت فرنسا بـ«مورنة» منصب رئاسة الجمهورية و«مورنة» المناصب العليا في الدّولة، بعد انتهاء ولاية شارل دباس الأرثوذكسي، ورفض المفوض الفرنسي بشدة ترشيح أيوب ثابت للرئاسة لأنه بروتستانتي، رغم ولائه الشديد لفرنسا. ولما وصل للرئاسة إميل إده في 30 كانون الثاني 1936، وحيث بدأ عهده بالتطرف والتعصب ضد الاتجاهات العربيّة والوطنية، وحاول إغلاق المدارس الرسمية التي يتعلم فيها أبناء المسلمين في الغالب، وصرّح أكثر من مرة بأنه يرحّب بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين[2]. عندها ثار الخوف مجددًا لدى المسلمين وباتوا في شك وريبة فيما سيؤول إليه مستقبلهم السياسي والاجتماعي بعد كل ما لمسوه من تطرف وتمايز على كل الأصعدة.

ولما لم يطبق ما جاء في رسالة الرئيس إميل إده (6 و6 مكرر) إلى المفوض السّامي الفرنسي ولم يعمل على إحقاق أية مناصفة بين المسلمين والمسيحيين، تنادى المسلمون إلى مؤتمر عرف بمؤتمر الساحل في آذار 1936[3] في منزل السيد سليم علي سلام في بيروت، الذي انتخب رئيسًا له وقد رفع المؤتمرون مذكرة إلى المفوض السّامي الفرنسي

(1) د. حسان حلاق: مؤتمر الساحل، ص 26 – 27.
(2) د. حسان حلاق: المرجع نفسه، ص 26.
(3) د. حسان حلاق: مؤتمر الساحل، ملحق 40/ ص 179 – 181.
د. حسان حلاق: المرجع نفسه، ص 68 – 70.

في سوريا ولبنان الكونت دي مارتل ومما جاء فيها[1]:

1- خاض العرب غمار الحرب العالمية الكبرى إلى جانب الحلفاء اعتقادًا منهم بأنهم سينالون حرية بلادهم سورية مستقلة موحدة... لكن الواقع هو عكس ما أعلن وسورية رزحت تحت الاحتلال.

2 - لقد اجتمع أهالي المناطق التي سلخت عن سوريا وعقدوا عدة مؤتمرات كان آخرها في تشرين الثاني 1933 وطالبوا بإعادة سورية موحدة ومنحها السيادة التامة. لذلك فإن المؤتمرين في 10 آذار 1936 يعيدون تأكيدهم على مقررات المؤتمرات السابقة تأييدًا مطلقًا وفي رأسها «السيادة والحرية التامتان والوحدة الشاملة». وإن كل حل لا يحقق هذه المطالب المشروعة لا يكون نصيبه إلا الفشل.

لقد رفض كاظم الصلح أحد أعضاء المؤتمر التوقيع على المقررات، وعلّل ذلك بأنه يرفض مخاطبة المندوب السّامي الفرنسي بـ: فخامة المفوض ممثل فرنسا - كصاحب صلاحية في عملية قومية صرفة كهذه العملية..[2] وفي بيان له أورد عدة أسباب حالت دون توقيعه ذاك منها:

1- إن الفكرة الحقيقية في إنشاء لبنان على شكله الحالي لم تكن بعيدة عن التصميمات الاستعماريّة الفرنسوية «ولا أعني بذلك أن الكيان اللّبنانيّ قد وجد لخدمة فرنسا، بل أعني أن اتجاه اللّبنانيّين يوم وجد الكيان لم يكن متنافرًا مع أغراض السياسة الفرنسوية ومطامعها، فاتفقت الرغبتان:

أ- رغبة فرنسا بفصل المنطقة الساحلية عن حكم الدّولة العربيّة الفيصلية - إنشاء حكومة طائفية، وقد انكشف منها ذلك بعدئذٍ بإنشائها حكومة «علوية» «درزية» «سنية» في دمشق.

ب - رغبة اللّبنانيّين، أو بكلمة أخرى غالبية المسيحيين، بإنشاء وطن لا يكونون فيه أقلية يسيطر عليها العنصر الإسلامي الذي كان يرمي بالتعصب، فوجدوا لبنان الحالي... فأصبحت كلمة «الوحدة» أو «السورية» مرادفة «للإسلامية» وأصبحت «اللّبنانيّة» تفسر «بالمسيحية» فكان كل مسلم موصوفًا بأنه من طلاب الوحدة السورية

(1) كاظم الصلح: مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان. نقلا عن د. حلاق، مؤتمر الساحل، ص 77 - 79.
(2) كاظم الصلح: مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان. نقلا عن د. حلاق، مؤتمر الساحل ص 77 - 79.

ولو لم يكن من طلابها، وكان كل مسيحي لبنانيًا ولو لم يكن من لبنان.

ولقد أشار كاظم الصلح في بيانه اللاحق على مؤتمر الساحل إلى هاجس الوضع الاقتصاديّ الذي عانت منه المناطق الملحقة بلبنان، حيث نقل عن عبد الحميد كرامي قوله: «إننا لا نستطيع الاصطبار فمرافق البلد قد أصابها الخراب ولا يخلصنا منه إلا أن نلحق بدمشق»[1].

وفي مؤتمر الساحل، آخر المؤتمرات، أبدى المسلمون استعدادهم لقبول الكيان اللّبنانيّ الجديد على أساس المساواة، وبدأ المسلمون يناضلون من أجل الحصول على حقوقهم ليصححوا الواقع الذي فرض عليهم في الداخل. غير أن هذه المساواة لم تتحقق، يضاف إلى ذلك محاولات الحكومة لتضخيم الطائفة المسيحية بتجنيس المغتربين، فالمسلمون لا يريدون أن يغمطوا حق أحد المكوِّنات ولا هم يريدون أن تغمط حقوقهم بأساليب لبقة دقيقة من هذا النوع»[2].

في الجانب السوري حدثت تطورات جديدة، فالحركة الوطنية هناك بدأت تفكر باستبدال الانتداب بمعاهدة على غرار ما جرى بين العراق وبريطانيا، وكان نجاح السيد «ليون بلوم» الاشتراكي في فرنسا 1936 عاملًا مساعدًا على نجاح المفاوضات السورية الفرنسية والتوصل إلى توقيع معاهدة أيلول 1936.

هذه المعاهدة انعكست على الموقف في لبنان الكبير، توقيعها يعني بشكل ضمني أن السوريين تخلّوا عن مطالبتهم باستعادة «الأقضية الأربعة» المسلوخة عن سورية، ومع أن المسلمين في هذه الأقضية صدموا وقاموا بمظاهرات صاخبة في طرابلس احتجاجًا على المعاهدة إلا أنها لم تحقق شيئًا.

لقد عرف البطريرك الماروني كيف يهدئ من ثورة غضبهم تلك، فانفتح على الحركة الوطنية في سوريا، واجتمع بزعمائها، ثم تطور الأمر حيث عقد لبنان معاهدة مع فرنسا، إلا أن كلتا المعاهدتين لم توقعا في مجلس النواب الفرنسي وظل كل شيء على حاله[3].

نتيجة هذه المعاهدات، ألزم الناس بالاعتراف بتقسيم فرنسا للمنطقة، دون الاستفادة أو

---

(1) كاظم الصلح: مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان مؤتمر الساحل، ص 54 و58.
(2) د. حسان حلاق، مؤتمر الساحل، ص 36 – 37.
(3) باسم الجسر: ميثاق 1943، لماذا كان؟ وهل سقط؟ دار النهار للنشر، بيروت 1978.

الحصول على بديل لذلك الاعتراف، فالاحتلال بقي كما هو، والتواقيع من جانب واحد.

وأورد أمين ناجي حول هذا الموضوع يقول «لم يأل المسيحيون جهدًا في سبيل قومية عربية تسلخ المسلم عن الدّولة العثمانية المعبّرة آنذاك عن نواة الوحدة الإسلامية»[1].

لازم الصراع السياسي في لبنان انقسام العرب إلى عربيين، كما جاء في مذكرات بشارة الخوري: لبنانيون يسعون إلى الاستقلال بإلغاء الانتداب، وآخرون يتعلقون بالسّلطة المنتدبة وبدوام سيطرتها، ليستعينوا بها ويستمدوا النفوذ منها. أناس يودّون التعامل مع العرب وآخرون يتمسكون بالعزلة والانكماش، ويولون وجههم شطر الغرب وحده، «روح لبنانية حقيقية لا تفرّق بين مسيحي ومحمّدي، وروح انتهازية ترتكز على تعصب طائفي ذميم، متستر بالوصايا الأجنبية لتحقيق أهداف خاصة، وليس هناك من غيرة على الدين ولا من يحزنون»[2].

إن موقف بشارة الخوري والأكثرية غير الانعزالية من المسيحيين، استطاعت أن تقف على أرض صلبة، وتهزم تيار إميل إده، ثم تلتقي مع المسلمين ليصار إلى بناء بلد واحد، على أساس ميثاق محدث سمّي بميثاق 1943.

ولادة ميثاق1943

الأوضاع العامة قبل الميثاق

لم يتم ما يطمئن المسلمين ويجعلهم يثقون بالكيان الجديد، رغم اعترافهم بهذا الكيان، ظلّوا يشعرون أن هناك خطة فرنسية – طائفية تقضي بإبعادهم عن حقوقهم السّياسيّة والدّستورية.

فالبطريرك الماروني أنطوان عريضه يطلب من رئيس الجمهورية ألفرد نقاش أن يقيل حكومة سامي الصلح، لاعتباره أن هذه الحكومة تتنافى مع مصلحة الطائفة المارونية، ولم يكن الجنرال كاترو بعيدًا عن هذه الرؤية، فطلب من ألفرد نقاش وسامي الصلح أن يقدّما استقالتهما، فكان ذلك، ثم عيّن أيوب ثابت رئيسًا للجمهورية وللحكومة في آن معًا[3] رغم أن ثابت كان بروتستانتيًا لكنه كان صاحب مبدأ «جعل لبنان وطنًا قوميًا مسيحيًا

(1) أمين ناجي: لن نعيش ذميين «آفاق مشرقية» (1)، بيروت، طبعة أولى1979.
(2) بشارة الخوري، حقائق لبنانية ج 1، ص 200، منشورات أوراق لبنانية، درعون – حريصا 1960.
(3) بشارة الخوري، المرجع نفسه، ص 250.

تضمن سلامته فرنسا، وكان متعصبًا للفكرة السّياسيّة المسيحية».

وقد علق عليه جورج حنا بقوله: «يستغرب من رجل كالدكتور ثابت معروف بعلمانية متطرفة أن يتمسك بمسيحية لبنان، مع ما في ذلك من خطر عليه وعلى مستقبله، وهو محاط بأقطار إسلامية من شرقه وشماله وجنوبه، إلا إذا أسلم بصهيونية فلسطين شرارة النار في هذا الشّرق[1].

وبما أن من ضمن المهام الموكلة لأيوب ثابت أن يشرف على انتخابات جديدة، فقد أصدر في حزيران 1943 مرسومين اشتراعيين: الأول يحمل الرقم (49) حدد فيه عدد النواب والثاني يحمل رقم (50) وزع بموجه الكراسي والطّوائف فكان العدد الإجمالي 54 نائبًا وزعوا كما يلي: 18 موارنة، 3 أرمن، آروم أرثوذكس، 3 روم كاثوليك، 3 أقليات مسيحية، 10 للسنة، 9 للشيعة، 3 للدروز، أي 32 مقعدًا للمسيحيين و22 للمسلمين، وهذا ما أثار غضب المسلمين في لبنان»[2].

اجتمع المسلمون في نادي جمعية اتحاد الشبيبة الإسلاميّة، بعد ظهر الإثنين 21 حزيران 1943 للبحث في مرسومي الحكومة (49 و50) وكانت الوفود مؤلفة من السنّة والشيعة والدروز وترأس الاجتماع سماحة مفتي الجمهورية اللّبنانيّة الشيخ محمد توفيق خالد، وأكّد سماحته «نجتمع اليوم لبحث قضية تهم الطائفة الإسلامية وتهم اللّبنانيّين جميعًا، ذلك أن اختلال المساواة يثير المشاحنات بين الطّوائف المختلفة التي يتألف منها لبنان، ... فإذا نحن طالبنا اليوم بشدة كما كنا نطالب في الماضي بالعدل والمساواة فلمصلحة الجميع، هذا ما نريد أن يفهمه أبناء طائفتنا وما نرجو أن يفهمه إخواننا أبناء الطّوائف الأخرى»[3]، المنصفون من النصارى كانوا يقرون بذلك، لقد وقف فيليب نقاش في وجه البطريرك الماروني الذي رفض وساطة النحاس باشا رئيس وزراء مصر، والذي أصرّ على عدم إجراء أي تعديل في المرسومين 49 و50 وقال في وجهه: «إن الحالة في بيروت يا صاحب الغبطة أصبحت سيئة للغاية في هذه الأيام.

وقال له بعد أن كان سكان بيروت يعيشون منذ عشرات السنين حتى أواخر العهد العثماني في تفاهم وتقارب لا فارق طائفي يفرّقهم، أصبحوا الآن منقسمين على بعضهم

(1) د. حسان حلاق: المقاصد، المسلمون ولبنان، العدد 21 كانون الثاني 1984، ص 28 و29.
(2) بشارة الخوري: المرجع السابق، ص 251.
(3) محمد جميل بيهم، النزاعات السّياسيّة بلبنان، ص 57، جامعة بيروت العربية، وثائق ودراسات لبنانية 1977.

انقسامًا ينذر بالشرور».

ولما أبدى البطريرك استعداده لترؤس مؤتمر وطني من أجل وضع حل لوضع البلاد وقف في وجهه النائب البطريركي عبدالله الخوري وقال للوفد الذي يرأسه فيليب نقاش: «إن غبطته لن ينزل إلى بكركي، لا يكفي أن يقول البطريرك قرّرت فهو ليس وحده هنا»[1].

وبعد تردي الأوضاع أقيل أيوب تابت، وأصدر المفوض السّامي هللو في 31 تموز 1923 مرسومًا (F.C.302) حدّد فيه عدد النواب بـ 55 نائبًا 30 للمسيحيين و25 للمسلمين، أي 6 مقابل 5، وتم توزيعهم كما يلي: 18 للموارنة، 11 للسنّة، 10 للشيعة، 6 روم أرثوذكس، 4 دروز، 3 روم كاثوليك، 2 أرمن، 1 عن الأقليات، كما نصّ المرسوم على ضرورة إجراء إحصاء لسكان بيروت في مدة لا تتعدى سنتين من تاريخه[2].

لا النصارى رضوا ولا المسلمون اقتنعوا بأن الإجحاف قد رفع عنهم، وكان كل فريق ينتظر نتيجة الإحصاء المقبل الذي سيكون بمثابة القول الفصل، لكن الإحصاء لم يتم في موعده المحدد في سنة 1945، في عهد بشارة الخوري «وقد قيل إن البطريركية همست في أذن الدّولة بناء على نصيحة السيد فريد حبيب مدير النفوس وأعلمتها أنها غير راغبة فيه»[3].

أخذ المسلمون يئنون من الضغط عليهم، مما دفع مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر أن يرفع مذكرة إلى الجنرال كاترو يطالبه فيها بإنصاف المسلمين في لبنان، مذكّرًا إياه بالخدمات التي قدمها هؤلاء جنبًا إلى جنب مع النصارى إلى الحلفاء الذين جاؤوا إلى الشّرق، ثم يذكره بالتميّز الحاصل اليوم «وليس يغيب عنكم أن هذا الفرق الذي يؤلم المسلمين ويمسّ كرامتهم ومصالحهم» ويقيني أنكم تفهمون أنني لا أستطيع الوقوف مكتوف اليدين إزاء نداء زعماء المسلمين في لبنان كما تقدرون ما تركه ذلك النداء من تأثير في مصر والبلاد العربيّة كافة»[4].

وارتاح الوضع قليلًا، إثر ظهور الكتلة الدّستورية برئاسة بشارة الخوري الذي نادى

(1) حسان حلاق: المقاصد، العدد 21، ص 31، نقلًا عن مذكرات فيليب نقاش ص 87 – 92.
(2) المرجع نفسه، ص 32.
(3) محمد جميل بيهم: النزاعات السّياسيّة في لبنان، (1918 – 1945)، جامعة بيروت العربية، وثائق ودراسات لبنانية 1977، ص 81.
(4) محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص 72.

باستقلال لبنان استقلالًا تامًا غير مشروط كدولة ذات شخصية مميزة في المجموعة العربيّة، وفي المقابل بدأ الوحدويون المسلمون يتحدثون عن «لبنان عربي له كيانه المستقل» ورأوا بموقفهم هذا أن لبنان جزء من الأمّة العربيّة وله خصائص مميزة تستدعي استقلاله على أمل الوحدة العربيّة الشاملة يومًا ما...»[1].

وفي الوقت الذي كانت فرنسا تعمل علنًا ضد أي تقارب لبناني – عربي، وذلك باستغلالها للمشاعر الطّائفية، قامت بريطانيا بدعوة بشارة الخوري إلى مصر، ويعزو د. حسان حلاق هذه الدعوة للحاجة لدى بريطانيا وبعض المسؤولين العرب الذين كانوا يريدون مساعدة شخصية لبنانية موالية لهم في الوصول إلى رئاسة الجمهورية..[2].

ويسند رأيه هذا إلى الامتحان الذي تعرض له بشارة الخوري في مصر من خلال الأسئلة التي وجّهت له والتي تؤكد حرص مصر وسوريا وبريطانيا على التأكد من سياسة بشارة الخوري المستقبلية في حال مساعدته للوصول إلى الرئاسة الأولى[3].

كما دعي إلى مصر في الوقت ذاته جميل مردم بك وزير خارجية سوريا، وفي 2 حزيران 1942 عقد اجتماع في القاهرة ضم: النحاس باشا، بشارة الخوري، جميل مردم بك، محمد شراره وكيل الخارجية المصرية، وفي هذا الاجتماع أعلن الوزير السوري تنازل بلده عن كل مطلب في لبنان مقابل ما أعلنه بشارة الخوري إذا وصل إلى الرئاسة من استعداد لبنان للتعاون مع الدول العربيّة شرط الاستقلال ضمن حدوده المعترف بها «إننا نريد التعاون مع الدول العربيّة إلى أقصى حد...»[4].

وقف البطريرك الماروني إلى جانب كتلة إميل إده وعمّم على كل الأساقفة نداء طلب إليهم فيه أن يتلوه في الكنائس، لينتخب النصارى إده لأن فوز بشارة الخوري يعني انتصار لدعاة العروبة، لذا عليهم أن يوصلوا للحكم من هو معادٍ لهذه الفكرة بالذات[5].

إلا أن موقفه ذاك لم يفد كتلة إده، ونجحت الكتلة الدّستورية المعادية لفرنسا التي لم

(1) كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث ص 234، دار النهار للنشر، ط1، بيروت 1978.
(2) د. حسان حلاق: التيارات السّياسيّة في لبنان 1943 – 1952، ص 315.
(3) General Catroux, dans la bataille de méditerannée, Egypte– Levant, Afrique de Nord, 1940–1944, Paris 1949, (M) p.259.
(4) المرجع نفسه، ص 315.
(5) د. حسان حلاق: المقاصد، العدد 22 – 23 آذار 1984، بين انفصالية البعض واندماج البعض الآخر، هكذا ولد الميثاق الوطني، وهذه حدوده، ص 27– 28.

ينجح إلا قلّة من مؤيديها، والنتيجة هذه تعتبر هزيمة ساحقة لروح الانتداب والهيمنة والمطالبة بوطن قومي مسيحي، وتعبّر أيضًا عن الرأي الصحيح للمسيحيين في لبنان وإلى أن النهج المتطرّف لا يعبّر عمّا هو

رأيهم جميعًا، بل هو رأي الأقلية المدعومة من الأجنبي.. وهذا ما طمأن المسلمين أيضًا وأراح نفوسهم. وللمسلمين ما يبرّر ارتياحهم لبشارة الخوري وكتلته الدّستورية، فقد كان معتدلًا وواقعيًا، لا يرى بعين واحدة، لقد كانت سياسته «منذ البداية تقوم على أن لبنان مهما كان له طابع مسيحي فهو بلد إسلامي أيضًا وأنه يجب أن يكون للمسلمين حساب كبير، وعلى الزعيم السياسي المسيحي أن يذكر هذه الحقيقة لنفسه وللمسلمين أيضًا حتى يكونوا أصدقاء وأنصارًا له»[1].

- ارتياح المسلمين لبشارة الخوري

لقد كان ما يبرر قبول المسلمين لبشارة الخوري، لغته عربية، ومصطلحاته عربية، قريب من قلوبهم، أنه ابن بيئته.

والارتياح إلى منهجه لم يتوقف على المسلمين فقط، بل قابله ما يساويه وأكثر لدى المسيحيين والموارنة بالذات، عدا مجموعة من أتباع فرنسا، ففي انتخابات 1943 فازت الكتلة الدّستورية على رغم ما فعلته المفوضية الفرنسية التي وزعت صورة عن محضر مزوَّر، زعموا فيه أن الكتلة الدّستورية قررت اتحاد لبنان بالبلاد العربيّة، ويقول بشارة الخوري إنهم منعوا مرشحين أقوياء من الانضمام إلى لائحته أمثال حكمت جنبلاط وجورج زوين وأحمد الحسيني، وأوعزوا إلى الحكومة بمعاكستهم مع التظاهر بالحياد، وإنهم رتبوا أقلام الاقتراع على هوى الخصوم وعيّنوا رؤساءها من المناوئين له، عدا عن محاولات تزوير رهيبة وهذه هي «التي أمّنت الأكثرية النيابية لإميل إده في جبل لبنان» وفازت الكتلة الدّستورية بالأكثرية التي أوصلت بشارة الخوري إلى رئاسة الجمهورية، بقوله إنه رفض مساعدة المفوض السّامي الفرنسي عن طريق «أصوات النواب الذين ينتمون إلى الموظفين الفرنسيين» وعن طريق مساعدته بالمال «أما النواب المعنيون فبقوا مع إميل إده وأما المال فبقي في خزائن الفرنسيين لأنني ما اعتدت أن آكل من

(1) د. حسان حلاق: التيارات السّياسيّة في لبنان، ص 178، نقلا عن اسكندر رياشي «قبل وبعد 1918 – 1941» ص 226.

هذا الخبز»[1].

وفي انتخابات 1951، لم تستطع فرنسا أن تبعد بشارة الخوري عن الحكم بالطرق الديمقراطية إلا أن سمعة شقيقه سليم الذي كان يتصرف وكأن الدّولة مزرعة لآل الخوري وفساده في البلاد والإدارات العامة أعطت المعارضة زخماً شديداً وعلى رأسها كمال جنبلاط وبيار الجميل وأوصلت كميل شمعون إلى رئاسة الجمهورية. قدّم بشارة الخوري استقالته، مؤثرًا ترك الحكم على أن تراق نقطة دم واحدة.

لقد تجسّدت المعارضة بالجبهة الاشتراكية وبحزب الكتائب اللّبنانيّة، وكميل شمعون وريمون إده وحزب الهيئة الوطنية... هذا من جهة ومن جهة أخرى، رئيس الجمهورية بشارة الخوري الذي يحظى بتأييد (55 نائبا من أصل 77)[2].

ميثاق 1943: محتواه

مما لا شك فيه أن الانتخابات النيابية والحياة الدّستورية والنظام الطائفي بالإضافة إلى السياسة البريطانية، شكّلت عوامل هامة في التقريب بين السياسيين ذوي النزعة اللّبنانيّة وبين أصحاب الميول العروبية... ولتجسيد هذا الوفاق كان لا بد من إيجاد صيغة تجمع بين المسلمين والمسيحيين، وهذا ما تحقق خلال الاجتماعات واللقاءات التي تمّت بين الزعماء السياسيين ورؤساء الأحزاب في العام 1943، في هذه الفترة بالذات ولدت صيغة الميثاق الوطني[3].

ويتفق الباحثون والسياسيون على أن الغاية الرئيسية من الميثاق هي الاستقلال التام والسيادة الكاملة للبنان في كيانه الراهن، وفق المبادئ الأساسية التالية:

1 – تخلي النصارى عن فكرة الحماية الأجنبية وتخلي المسلمين عن فكرة الاتحاد مع سوريا.

2 – اعتراف الدول العربيّة واحترامها لسيادة الكيان اللّبنانيّ.

عرّف صائب سلام الميثاق، التفاهم غير المكتوب بين فريقين، بأنه[4]:

(1) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج 1، ص 255 إلى 264.
(2) سامي الصلح: مذكرات (1890 – 1960)، ط1، 4 أجزاء، مكتبة الفكر العربي، بيروت، 1960، ص 114.
(3) باسم الجسر: ميثاق 1943، لماذا كان وهل سقط، ص 106 – 107، دار النهار للنشر، بيروت 1978.
(4) صائب سلام: المقاصد، العدد الأول 1981، (محاضرة ألقاها في الجامعة الأميركية) في 19 تشرين الثاني 1980، ص 165.

أولًا: أن يتخلى الفريق الأول، وأكثريته الكبرى من المسيحيين من أبناء لبنان (الجبل) عن حماية فرنسا وجيشها المحتل، ويطمئن إلى وطن مستقل محرر، وكيان دولي معترف به، من الجميع ومن قبل أشقائه العرب.

ثانيًا: أن يتخلى الفريق الثاني، وأكثريته من المسلمين، ومن بعض أبناء ولايتي الشام وبيروت، عن سلبيته تجاه لبنان وعن مطالبته بالوحدة السورية وأن يعترف بلبنان وطنًا وكيانًا حرًا مستقلًا.

مضمون الميثاق

ويروي يوسف يزبك في مجلة «ماغازين» اللّبنانيّة الصادرة في بيروت في 14 آب 1958[1]:

1 - إن لبنان جمهورية مستقلة، ذات استقلال تام، وهو سيد نفسه، لا تقيده أي معاهدة أو اتفاق مع أي من الدول.

2 - إن لبنان ذو وجه عربي ولغته هي العربيّة، وهو جزء لا يتجزأ من العالم العربي، له طابعه الخاص. وهو على عروبته لا يجوز له أن يقطع الصلات الثّقافية التي أقامها مع الغرب والتي كانت سببًا في تقدمه.

3 - إن دور لبنان هو في تعاونه، مع الدول العربيّة، ودخوله في الأسرة العربيّة بعد أن تعترف باستقلاله وبكيانه وبحدوده الراهنة، وعليه أن يحافظ على توازن في علاقاته مع جميع الدول العربيّة، بدون تفضيل ولا تفريق.

4 - يراعي في توزيع الوظائف الحكومية، العدل بين طوائفه، أما بالنسبة للوظائف الفنية فتؤخذ الكفاءة بعين الاعتبار».

ويروي صائب سلام أن بشارة الخوري سأل رياض الصلح: هل تعتقد يا رياض، إن اتفاقنا يمكن أن يحظى بتأييد إخواننا المسلمين وإنهم سيقبلون لبنان كوطن نهائي لهم لا كمرحلة انتقالية أو بعبارة أخرى: إنهم لن يتوجهوا بأنظارهم من جديد نحو دمشق كمحطة لآمالهم ولأحلامهم؟ فقاطعه رياض الصلح قائلًا:

(1) باسم الجسر: ميثاق 1934، لماذا كان وهل سقط؟ دار النهار للنشر، بيروت 1978، ص 479 - 484 (وثيقة رقم 2).

«إذا كان اتفاقًا صريحًا وشريفًا، بدون غبن لأحد، وحافظًا لكرامة المسلمين والمسيحيين معًا، مراعيًا شعور الفريقين، متضمنًا توزيع الحقوق لمصلحة الجميع، على قدم المساواة،... أي إذا كان النظام عادل بالنسبة للمسلمين فأنا لا أكتفي، فيما يتعلق بي، بأن أضمن موافقة إخواني مسلمي لبنان فحسب، بل أتعهد بإقناع حكام العرب وخصوصًا السوريين، بأن واجبهم الاعتراف باستقلال لبنان والمحافظة على حدوده الحالية، نهائيًا وأبديًا وعندئذٍ يمكننا أن نطوي صفحة الماضي ونلغي معزوفة «الأم الحنون» ونغمة الالتحاق «بدمشق» وندشّن مرحلة جديدة من الوطنية»[1].

أما بيار الجميل فقد قال عن الميثاق «لقد اتفقنا عام 1943 على أن يظل لبنان في سيادته واستقلاله ذا شخصية تميّزه عن غيره واتفقنا على التعاون مع الدول العربيّة كما اتفقنا على أن يكون ميثاق 1943 الخطوة الأولى والأخيرة بل العهد الدائم»[2].

على أن فكرة التعاون بين لبنان وبين سائر البلاد العربيّة لا زالت غير محددة في نظر اللّبنانيّين. وكل منصف يدرك أهمية هذه العلاقة على كافة الصعد الاقتصاديّة والسّياسيّة والتجارية. وكل فصل للبنان عن محيطه العربي جريمة في حق الوطن وهو مضر بكيان لبنان أكثر مما هو مضر بالمسلمين.

1. **المصادر والمراجع باللغة العربيّة**
2. اسماعيل، عادل: السياسة الدولية في الشّرق العربي، الجزء الرابع والخامس، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت 1970.
3. البستاني، فؤاد أفرام: الثّورة اللّبنانيّة – السنة 3 تاريخ 5 حزيران 1948.
4. بيهم، محمد جميل: النزاعات السّياسيّة بلبنان، عهد الانتداب والاحتلال 1918 – 1945 جامعة بيروت العربيّة، وثائق دراسات 1977.
5. بيهم، محمد جميل: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، الجزء 2، بيروت 1948.
6. التويني، جبران: في وضح النهار، مقالات مختارة، بيروت 1939.
7. الجسر، باسم: ميثاق 1943 لماذا كان وهل سقط؟ دار النهار للنشر، بيروت 1978.
8. الجميل، بيار: لبنان واقع ومرتجى، الكتاب الأول، منشورات الكتائب اللّبنانيّة، 1970.
9. جنبلاط، كمال، ربع قرن من النضال، بيروت 1974.
10. الخطيب، أنور: دستور لبنان، المناقشات البرلمانية بمصر.

(1) صائب سلام: المقاصد، العدد الأول 1981 (محاضرة عن الاستقلال)، ص 165.
(2) بيار الجميل: لبنان واقع ومرتجى، الكتاب الأول، ص 20 – 21، منشورات الكتائب اللبنانية 1970.

11. الخطيب، أنور: دستور لبنان، المناقشات البرلمانية والوثائق، بيروت 1970.
12. الخوري، الشيخ بشارة: حقائق لبنانية، جزء 1 و2، منشورات أوراق لبنانية – مطبعة درعون – حريصا.
13. حتي، فيليب: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، الدار المتحد، بيروت 1959.
14. الحصري، ساطع: يوم ميسلون، صفحة من تاريخ العرب الحديث، بيروت، مكتبة الكشاف 1948.
15. حلاق، حسان: المقاصد، العدد 22 – 23 آذار 1984، بين إنفصالية البعض واندماج البعض الأخر، هكذا ولد الميثاق، وهذه حدوده.
16. حلاق، حسان: المقاصد، المسلمون ولبنان، العدد 21 كانون الثاني 1984.
17. حلاق، حسان: المقاصد، مقال بعنوان: المسلمون ولبنان، العدد 16 – 17 آب – أيلول 1983.
18. حلاق، حسان: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر 1913 – 1943، دار النهضة العربيّة، بيروت 1985.
19. حلاق، حسان: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، 1936، بيروت، الدار الجامعية 1982، التيارات السّياسيّة في لبنان 1943 – 1952.
20. رباط، إدمون: الوسيط في القانون الدّستوري العام، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت 1968.
21. رياشي، اسكندر: الأيام اللّبنانيّة، شركة الطبع والنشر اللّبنانيّة – بدون تاريخ.
22. سالم، إيلي: النظام السياسي الأفضل للإنماء في لبنان، ندوة الدراسات الإنمائية، بيروت 1972.
23. سعيد، أمين: الثّورة العربيّة الكبرى، الجزء الثالث.
24. سلام، صائب المقاصد، العدد الأول 1981، (محاضرة ألقاها في الجامعة الأميركية) في 19 تشرين الثاني 1980.
25. السودا، يوسف: في سبيل الاستقلال، الجزء الأول، بيروت 1967.
26. الصايغ، أنيس: لبنان الطائفي، دار الصراع الفكري، 1959، بيروت.
27. الصلح، سامي: مذكرات 1890 – 1960 – ط 1 – 4 أجزاء، مكتبة الفكر العربي، 1960.
28. الصلح، كاظم: مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان، نقلًا عن د. حسان حلاق، مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة.
29. الصليبي، كمال: تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، ط1، بيروت 1978.
30. ضاهر، مسعود: تاريخ لبنان الاجتماعي، دار الفارابي، بيروت 1974.
31. ضاهر، مسعود: لماذا رفضت فرنسا وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية، جريدة السفير، 25 – 27 آذار 1979، العدد 1771 – 1773.
32. ضو، بطرس: تاريخ الموارنة، الجزء الأول، دار النهار، 1970.
33. عبيد، أحمد: المسلمون في لبنان في ضوء تاريخهم – ملحق رقم 1.

34.عوض، وليد: أصحاب الفخامة رؤوساء لبنان، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1977.

35.قاسمية، خيرية: الحكومة العربيّة في دمشق، دار المعارف بمصر، 1974.

36.قربان، ملحم: تاريخ لبنان السياسي الحديث، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع 1978، الجزء الأول.

37.كوثراني، وجيه: بلاد الشام، معهد الإنماء العربي، 1980.

38.الكيالي، عبد الرحمن: المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني 1926 – 1939، حلب – سوريا 1958.

39.ناجي، أمين: لن نعيش ذميين «آفاق مشرقية»، بيروت، طبعة أولى 1979.

المصادر والمراجع بالأجنبية

40. Dr. E. Salem: Cabinet politics In Lebanon, Vol 21, No4, Autumn 1967.

41. P.Rondot: The political Institutions of Lebanese Democracy polities In Lebanon (New york – London – Sydeny 1966).

42. E. Rabbat: La formation historique du Liban politique et constitutionnel – Beyrouth 1973.

43. Stephen H. Longrig: Syria and Lebanon under French Mondate, London 1958.

44. General Catroux, dans la bataille de mediterannée, Egypte – Levant Afrique du nord, 1940 – 1944, Paris 1949.

الصحف والدوريات:

45.مجلة الحرية: وثيقة التقسيم، مذكرة الرابطة المارونية إلى كوف دي مورفيل، 3 تموز 1976.

46.صحيفة «ألف باء» الدمشقية: 10 كانون الأول 1928.

مواكبة قناة المنار للإعلام الجديد

محمد قازان[1]

ملخص البحث

تهدف هذه الدّراسة إلى التّعرف على خطّة العمل التي اتّبعتها قناة المنار لمواكبة الإعلام الجديد، بعدما فرضت ثورة المعلومات نفسها على الإعلام التّقليديّ، فأصبح الإعلام الجديد منافسًا للصّحف والقنوات التّليفزيونيّة أحيانًا، ومكملًا لها أحيانًا أخرى. ومن خلال المقابلات الشّخصيّة التي أجريناها مع بعض المسؤولين عن هذه الخطّة داخل القناة، سنضيء على مسارَي العمل الأساسيين لهذه المواكبة. المسار الأوّل هو كيفية تطوير موقع قناة المنار الإلكتروني كي يصبح على مستوى التّحدّي الجديد الذي يربط بين الشّاشة التّليفزيونيّة ووسائط الاتّصال الحديث، والمسار الثاني هو كيفية تطوير البنية التّحتيّة التّقنيّة اللازمة لتلائم هذه التّغييرات على مستوى المضمون، ومدى قدرتها على تسهيل صناعة محتوى قابل للدمج بين الإعلام التّقليديّ والإعلام الجديد. وقد برهنت الدّراسة أنّ المنار استطاعت أن تواكب بشكل كبير هذا التحول، فكان الإعلام الجديد رافدًا للشّاشة، سواء عبر الموقع الإلكتروني أو عبر منصّات التّواصل الاجتماعيّ، على الرّغم من الرّقابة التي لاحقتها إلى هذه المنصّات، لا سيما أنّ المنار كانت قد واجهت عقبات كبيرة سابقًا أمام استمرارية البثّ الفضائيّ بسبب خطّها التّحريريّ وخلفيتها الثّقافيّة والعقائديّة.

الكلمات المفتاحية: قناة المنار، موقع المنار الإلكتروني، الإعلام الجديد، منصّات التّواصل الاجتماعيّ، صناعة المحتوى، مسار العمل.

مقدمة

تُعدّ قناة المنار إحدى أبرز وسائل الإعلام العربيّة التي اشتهرت من ضمن ما يُعرف بالإعلام الملتزم، الذي يقدم منفعة عامة ومن ضمنها التّرويج لثقافة مقاومة الاحتلال منذ بداية التّسعينيات، مرورًا بتحرير جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيليّ العام 2000

(1) محمد قازان – طالب دكتوراه في الجامعة اللّبنانيّة – اختصاص علوم الإعلام والاتّصال.

الى التّصدّي لعدوان تموز عام 2006، عدّة مراحل من التّحدّيات مرت بها المنار، منها ما هو ثقافيّ ومنها ما هو سياسيّ ومنها ما هو تكنولوجيّ، وقد أدّت هذه التّحدّيات الى ترك آثار على انتشارها وكيفية إيصال رسالتها.

حُجبت المنار عن الأقمار الصّناعيّة الغربيّة العام 2004، بسبب تحريض الاحتلال الإسرائيليّ عليها أمام السّلطات الفرنسيّة، كما حُجبت عن الأقمار العربيّة العام 2015 بسبب تغطيتها لحرب اليمن، ما حتّم عليها إيجاد بدائل للبث، منها الأقمار الرّوسيّة، وأهمّها التوجه الى الشّبكة العنكبوتيّة عبر تفعيل موقع المنار الإلكتروني، لكن بسبب التطوّر السّريع الذي طرأ على الإعلام الجديد، وجدت القناة نفسها كما كل الفضائيّات أمام تحدّي المواكبة، فوضعت خططًا لذلك على صعيدين، داخليّ له علاقة بمسار العمل، وخارجيّ له علاقة ببث الموقع وتطويره، وهو ما سنضيء عليه في ورقتنا البحثيّة هذه عبر دراسة ميدانيّة من داخل القناة للوقوف على إجراءاتها وأهدافها ومدى نجاحها في هذه المواكبة.

أولًا: الإطار المنهجي والنظري للدراسة

1 - مشكلة الدّراسة

منذ اكتشاف الإنترنت ودخوله كمنافس قوي للبثّ الإذاعيّ والتّليفزيونيّ، تعدّدت وسائل الإعلام الجماهيريّة وأصبح الإعلام التّقليديّ أمام تحدّي الإندثار كبعض الصّحف الورقيّة، أو المواجهة والإندماج رغم ثغرات ما يعرف بالإعلام الجديد وإعلام التّلاقي، لذلك بات هناك مهام جديدة داخل المؤسّسات التّليفزيونيّة على صعيد التّخطيط، وهي مواكبة التّقنيات الحديثة والتّكامل مع الوسائط الجديدة، والبحث عن حلول لأزمات البثّ الفضائيّ التي تفرضها التّحدّيات الثّقافيّة والجيوسياسيّة، ومن هذه القنوات قناة المنار اللّبنانيّة التي واجهت تحدّيات مماثلة، وهذا ما دفعنا الى البحث هنا وطرح إشكاليّة: «كيف واكبت قناة المنار تطوّر الإعلام الجديد على صعيد الموقع الإلكتروني للقناة وملاءمة مسار العمل مع متطلّبات صناعة المحتوى؟».

2 - تساؤلات الدّراسة

-كيف ساعدت الخطوات التي قامت بها قناة المنار على مستوى تطوير مسار عملها

تقنيًا في تسهيل صناعة المحتوى الخاص بالإعلام الجديد؟

–هل استطاعت قناة المنار الاستفادة من خطّة تطوير موقعها الإلكتروني كي يلائم الإعلام الجديد ويعوّض عقبات البثّ الفضائيّ؟

3 - أهمية الدّراسة

أهمية الدّراسة تكمن في كونها تبحث عن إجابات لأسئلة البحوث الحديثة في علوم الإعلام والاتّصال، وهي بحوث تركّز على صناعة المحتوى الرّقميّ، والإندماج بين الإعلام التّقليديّ والإعلام الجديد، والتّحدّيات التي باتت تواجه إدارات المؤسّسات الإعلاميّة التّقليديّة في ظلّ ثورة المعلومات، ومنها قناة المنار كإحدى المحطات التّليفزيونيّة اللّبنانيّة والعربيّة الأساسيّة، وكيف حاولت تخطي هذا التّحدّي الدّاهم على صعيد التّقنيات والإدارة والتّنظيم.

4 - أهداف الدّراسة

– التّعرف على مسار العمل السّابق في قناة المنار، وإبراز العوائق التي كانت تحول دون سرعة صناعة المحتوى الرّقميّ، ومعرفة خطط القيمين على المؤسّسة لتطوير هذا المسار بما يتلاءم مع متطلّبات الإندماج بين الإعلام التّقليديّ والإعلام الجديد.

– الإضاءة على مخطّط تطوير موقع قناة المنار الإلكتروني، في سياق نسق واحد مع التّطوير المستمر للشّاشة التّليفزيونيّة ضمن مقاربة إداريّة نسقيّة، تأخذ بعين الاعتبار هوية القناة وأهدافها وامكاناتها لتخطي عوائق الانتشار وضمان إيصال رسالتها بكل طريقة مناسبة.

5 - حدود الدّراسة

عينة الدّراسة تتركّز داخل قناة المنار، لا سيما في مديريّة الموقع الإلكتروني ومديريّة المعلوماتيّة، كما تبحث في مرحلتين زمنيتين، الأوّلى العام 2017 وهي بدء التّخطيط للمواكبة التّقنية لمسار العمل الجديد، والثّانية هي بين عامي 2022 و2023 وهي مدة وضع خطّة تطوير موقع قناة المنار الإلكتروني وبدء تنفيذها.

6 - منهج الدّراسة

سنعتمد المنهج الوصفي لبسط الإشكالات التي يطرحها تحدي التّحوّل الرّقميّ الإعلاميّ، وطريقة مقاربته للحل، كما سنعتمد المنهج التّحليليذ القائم على تحليل المضمون لمعرفة الإجابات على الأسئلة البحثيّة.

7 - أدوات البحث

- المقابلات الشّخصيّة:

وهي تركّز على مدير موقع قناة المنار الإلكتروني ضياء أبو طعام، وقد تضمّنت الأسئلة الموجهة إليه ثلاثة محاور حول خطّة تطوير موقع قناة، وهي: مدخلات ودوافع تطوير موقع المنار وكيفية التّطوير والأهداف المرجوة من وراء المخطّط.

كما أجرينا مقابلة مع مدير قسم التّطوير المعلوماتيّ في القناة إبراهيم سماحة، تركّزت حول خطط الدمج التّقني داخل مسار العمل، وكيفية مساعدة توحيد التّطبيقات التّحريريّة والإنتاجية في صناعة محتوى يناسب التّحوّل الرّقميّ والتطوّر نحو الإعلام الجديد.

- أداة الملاحظة:

أداة الملاحظة هنا تخصّ الباحث نفسه، كونه أحد العاملين في قناة المنار منذ 22 عامًا وتدرَّج في عدّة وظائف داخل القناة، من مراسل إلى رئيس تحرير ثمّ مقدم برامج سياسية ومذيع أخبار، إضافة الى مهامه الحالية كمشرف على المراسلين المحليين.

8 - المدخل النظري

عند دراسة مؤسّسة أو منظمة كما هي الحال في بحثنا حيث سندرس إطارين متكاملين مع بعضهما البعض، فإنّ التّأطير الإخباريّ يتداخل مع النّسق العام الذي يحكم المنظمة، كون القوانين والعلاقات النّسقيّة التي يتفاعل ضمنها القائمون بالاتّصال هي الحاكمة، انطلاقًا من القائد الذي يطلق الخطاب السياسي إلى ضابط الاتّصال في الإدارة، ثم مدير الأخبار في التّليفزيون أو الموقع الإلكتروني، وصولًا إلى المراسل أو مطوّر المحتوى الذي يتفاعل داخل مؤسّسته، وفي علاقته مع ضابط الاتّصال في الميدان الخبريّ، والتّفاعل مع المحيط المكوّن من زملاء وناقدين وجمهور.

ويستند تقديم هذا النّسق إلى نظرية «بالو آلتو» في تفسير هذه الأنساق، وهي مدرسة اشتهرت بدراسة الاتّصال بين الأشخاص، وتشكّلت في «بالو آلتو» جنوب سان فرنسيسكو في الولايات المتحدة، فجاءت لتنتقد ترسيمة اللّغوي «رومان جاكوبسون» الخطيّة على طريقة التّلغراف واقترحت مكانها نموذج الأوركسترا النّسقيّ التّفاعليّ، حيث يشارك الأفراد في عملية التبادل، وكل يقوم بدوره في عملية الاتّصال. فالتّواصل الاجتماعيّ يشبه الأوركسترا، والتّواصل هنا هو صيرورة دائريّة بحيث تحدث كل رسالة نقدية مراجعة feedback .

ولما كان هدفنا الدّخول إلى داخل بنية قناة المنار وهيكليتها، حتَّم علينا هذا الأمر دراسة كيفية عمل التّأطير الدّعائيّ داخل الاتّصال التّنظيمي، وتاليًا داخل المنشأة لمعرفة مدى تأثير البنية التّنظيمية على الدّعاية والحرب النّفسيّة، خاصة مع تنامي التّكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتّصالات ومعرفة المعلومات والمعطيات والبيانات التي يتم انتاجها وتبادلها واستعمالها من طرف الفاعلين في بنية عملهم، حيث ندرس حركتها وكيفية جمعها ومعالجتها من أجل اتخاذ قرارات استراتيجية، أو بهدف إحداث تعديلات داخل المنشأة لتكييف وضعيتها مع البيئة الخارجية . لهذا فإن «دراسة المنشآت من المنظور النّسقيّ بوصفها أنساقًا مفتوحة تعتمد أساسًا على مبدأ التّوازن الذي يمثل الهدف الذي نريد الوصول اليه، من خلال البحث عن الوضعية الملائمة التي تجعلها قادرة على مسايرة الأحداث وتغيرات البيئة التي تعد حسب المنظور نسقًا عامًا . فالمقاربة النّسقيّة الاتّصالية للمنظمات تقدم قراءة خاصة بعلوم الإعلام والاتّصال للظاهرة التنظيمية مثل القراءة السّياسيّة والاجتماعيّة له» (Mucchielli A. 1998، P: 153) .

وتركّز هذه القراءة على صيرورة الظّواهر الاتّصاليّة بالإعتماد على النّموذج النّسقيّ التّفاعليّ كإطار مرجعي لها تعود أصوله إلى مدرسة (Palo Alto)، وهو عكس النّموذج التّحليليّ الذي يحاول عزل الظّاهرة لدراستها بدقّة والتّحكم فيها .

وعندما نتكلم عن المقاربة النّسقيّة التي تعتمد على الاتّصال الدّائريّ بشكل أساسي، نلاحظ أنّ الأسس التي اعتمدها المنهج النّسقيّ، تتجاوز الرّؤية التّلغرافية للتّواصل نحو رؤية أكثر إنسانيّة بلورتها الدراسات الأنثروبولوجية على يد «غريغوري باترسون» الأب الرّوحيّ لمدرسة بالو ألتو (Palo Alto) . (الجابري، 2010، ص 13)

وعند دراسة المنهج النّسقيّ، لا بد من المرور على مفهوم (السّيبرنطيقا) الذي أفرز مفهوم الإرتداد، أي ردور الأفعال التي تصدر عن متلقي الخطاب. والسّيبرنطيقا كما يقدمها الرّياضي المؤسّس نوربير وينر (Norbert Uiner) العام 1984 تعني دراسة الأوامر والاتّصال لدى الحيوان والآلة. Philippe)،(2008.

وحدّد نيومن (John Von Neumann) وهو عالم رياضيات أميركي البنية المعتمدة لآلة أوتوماتيكية لمعالجة المعلومات توافق أجهزة الحاسوب. كما اهتم الرياضيون في أميركا بطريقة تساعد الآلة على حل عمليات حسابية تعالج البيانات والمشكلات فأصبحت كلمة (Cybernetique) تعادل لفظ (Informatique) .(سعد،2017).

كما تمكن نيومن من إنتاج جهاز كمبيوتر عام 1945 في سياق إنتاج الآلات المفكرة. من هنا فإنّ علوم الاتّصال أخذت الكثير من السّيبرنطيقا التي ساعدت على استخدام الآلات في التّحكم بالأعمال الحربيّة إلى رؤية مماثلة مع دماغ الإنسان من شأنها أن تفسر السلوكيّات البشريّة، حيث بدأ علماء الأعصاب والأطباء باستخراج المعلومات على هذا الصّعيد، الأمر الذي مهد لثورة علميّة جديدة تعتمد الجماعة العلميّة من خلالها مقاربة السّيبرنطيقا في الأبحاث والدّراسات الإنسانية، ومن هذه الثّورة ولدت مفاهيم (feed back)أو (Retroaction) وترجمته الاسترجاع.

التّداخل بين السّيبرنطيقا والنّسقيّة ساعد في ظهور نماذج للاتّصال كالنموذج الظرفي (situational model)، فمدرسة بالو ألتو (palo alto) قسّمت الاتّصال إلى بعدين : الرّقميّ (digital) المضمون، والبعد التّماثليّ (العلاقة). وهذا التّقسيم سمح بتوسيع دائرة الاتّصال وأدخل إليها العلاقات بين القائمين بالاتّصال . (العبدالله، 2010).

هكذا أصبح تحليل ظاهرة اتّصاليّة يرتكز على التّساؤل عن بناء المعنى والحسّ في العملية الاتّصاليّة، وعلى فهم ظواهر التّأثير والسّلطة والتّلاعب المرتبطة بالاتّصال، وهو يتحقّق بوضع الاتّصالات في إطار ظرفيّ يتشكّل في ظروف التّواصل وتؤثر في المشاركين بالعملية الاتّصالية. (Muchielli & J.Guiruech،1998)

وفي الحديث عن السّيبرنطيقا، لا بد من العودة إلى ماكسويل (Mcquail) الذي يفرق بين الاتّصال كونه عملية مفتوحة والاتّصال الذي يعدّ عملية مغلقة. حيث أنّ معظم

النّظم الآلية السّيبرناطيقيّة تكون مبرمجة بطرق محددة بحيث تستوعب أنواعًا معينة من المعلومات، أمّا معظم عمليات الاتّصال الإنساني فستكون عرضة للتّعديلات والتّدخّل من خارج النّسق. وفي إطار نظم الاتّصال الإنسانيّ يحدث الاختلاف بين نظام وآخر بنسبة الانغلاق والانفتاح. وهذا بالتأكيد فرض تحديا على الباحثين بالبحث عن الحدود الفاصلة بين البعد الإنساني والبعد الآلي في عملية الاتّصال.

فبحسب الدّكتور عبد الغني عماد مؤلف كتاب « الهوية والمعرفة والمجتمع والدّين، علم اجتماع المعرفة: الاتّجاهات الجديدة والمقاربات العربيّة»، فإنّ المعرفة اليوم أصبحت أكثر شبكيّة، بعدما كانت القوّة الماديّة هي المهيمنة استنادًا إلى الفكر والاقتصاد، والتّحوّل الذي طرأ على مفهوم القوّة وأدوات وتقنيّات إدارة الصّراع يعود للتطوّر الذي شهده ميدان إنتاج المعارف والأفكار والرّموز والقيم، فقد أصبحت المعرفة من الأسلحة الثّقيلة في الحروب الناعمة، وما الحديث عن صراع الحضارات الذي دشنه هنتنغتون (Hintington) مصنفًا فيه الإسلام من الحضارات المتحدّية إلا دليلٌ على المكانة التي أخذ يتبوأها هذا الرّأسمال الرّمزي المتمثل بالمعرفة والثّقافة، بوصفها فعل ممانعة ينتج خصوصيته وأتباعه وأدواته. (عماد،2017).

9 – مفاهيم إجرائية

الإعلام الجديد

ظهرت وسائل الإعلام الجديد كمصطلح واسع النّطاق في الجزء الأخير من القرن العشرين ليشمل دمج وسائل الإعلام التّقليديّة مثل الأفلام والصّور والموسيقى والكلمة المنطوقة والمطبوعة، مع القدرة التّفاعليّة للكمبيوتر وتكنولوجيا الاتّصالات، وتطبيقات الثّورة العلميّة التي شهدها مجال الاتّصال والإعلام، حيث أسهمت الثّورة التّكنولوجيّة في مجال الاتّصال في التّغلّب على الحيز الجغرافيّ والحدود السّياسيّة، والتي أحدثت تغييرًا بنيويًا في نوعية الكم والكيف في وسائل الإعلام. والمقصود بوسائل الإعلام الجديدة ببساطة هي وسائل الإعلام الرّقميّة وذلك لتفريقها عن التّفاعليّة والشّبكية (اللحام، 2015).

الإعلام الجديد شأنه شأن مفاهيم العلوم الاجتماعيّة ليس هناك مفهوم شامل جامع ولكن تتعدّد التّعريفات والأطروحات التي تناولت المفهوم، وتعدّدت صور المفهوم فالبعض يسميه بالإعلام الشّبكي والبعض بالإعلام الإلكتروني، وآخرون بالإعلام الرّقميّ، في حين يطلق عليها أحيانًا بالإعلام الشّبكيّ أو إعلام المجتمع. ورغم الجذور التّاريخيّة للإعلام الجديد كمضمون، إلا أن مصطلح الإعلام الجديد قد ظهر بشكل واضح في الآونة الأخيرة مع الثّورة التّكنولوجيّة ووسائل الاتّصال، وقد تعدّدت الدّراسات التي تناولت مفهوم الإعلام الجديد، وانقسمت إلى محورين يركز أولهما على إدماج الإعلام التّقليديّ بالوسائل الحديثة (الكمبيوتر) والشبكة المعلوماتية، بينما ينصبّ الثاني على تقنيات الاتّصال الرّقميّ بالأساس، والتي أدت إلى ظهور أنماط جديدة من الاتّصال الإعلامي والجماهيري. (الغريب،2010).

فالإعلام الجديد هو استخدام الوسائل الرّقميّة التي تتميّز بالفاعلية وثنائية الاتّجاه في مقابل الوسائل التّقليديّة التي تعتمد على الاتّجاه الأحاديّ مثل التّليفزيون والرّاديو، والتي لم تتطلّب في عملها أية تقنية، والعديد من وسائل الإعلام الجديد نشأت عن طريق استخدام وسيلة قديمة والتّطوير فيها، على سبيل المثال ظهر التّليفزيون العام 1948 وكان يُعد إعلامًا جديدًا آنذاك ولم يعد يصلح الآن هكذا، لكن بإدماج التّليفزيون مع الكمبيوتر من خلال تسجيل الفيديو الرّقميّ يصبح إعلامًا جديدًا. كما أنّ الإعلام الجديد يوصف بأنّه العملية الاتّصاليّة النّاتجة من اندماج ثلاثة عناصر هي الكمبيوتر والشّبكات والوسائل المتعددة.(زيّان، 2012).

ونستنتج من خلال العرض السّابق للتّعريفات أنّ هناك حالتين تفرقان الإعلام الجديد من القديم حول الكيفية التي يتم بها بثّ مادة الإعلام الجديد والكيفية التي يتم من خلالها الوصول إلى خدماته، فهو يعتمد على اندماج النّص والصّورة والفيديو والصّوت مع بعضها البعض، فضلًا عن استخدام الكمبيوتر كآلية رئيسية له في عملية الإنتاج والعرض، أما التّفاعليّة فهي تمثل الفارق الرّئيس التي تميزه وهي أهم سماته.

كما أنّ فكرة الجِدة يمكن استقراؤها من أنّ الإعلام الجديد يشير إلى حالة من التّنوع في الأشكال والتّكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التّقليديّة، خاصة فيما يتعلّق بإعلاء حالات الفرديّة والتّخصيص، وهما تأتيان كنتيجة لميزة رئيسية

هي التّفاعليّة.(مصطفى، 2008).

هناك اتّفاق في صفوف الباحثين أنّ أهمّ ما يميز الإعلام الجديد هو التّفاعليّة والقدرة على دمج المحتويات الإعلاميّة ومعالجتها وتنسيقها وإرسالها واستقبالها وتخزينها بمرونة عالية، وهناك عدّة جوانب في الإعلام الجديد تميزه عن الإعلام القديم وتجعله منافسًا قويًا وبديلًا له في الكثير من الأحيان.(Atkinson،2010). وقد حدد ماكويل (McQauil) الفوارق بين الإعلام الجديد والإعلام القديم وفق أربعة جوانب رئيسية هي:

النّفوذ وعدم التّكافؤ، التلاحم الاجتماعيّ والهوية الثّقافيّة، القدرة على إحداث التّغييرات الاجتماعيّة والمساهمة في مشاريع التّنمية، إضافة إلى التّعامل مع المكان والزمان، خاصة لناحية التحكّم بالوقت، فنجد أنّ الإعلام الجديد يتفوّق على الإعلام التّقليديّ من حيث سرعة إرسال واستقبال الرّسائل الإعلاميّة بطرق متعددة، منها مواقع مخصّصة للأخبار ومواقع الشّبكات الاجتماعيّة، علاوة على مواقع المحادثات والدّردشة، كما أنّ أدوات الإعلام الجديد توفر خاصية الأرشفة لاسترجاع المضامين من مدّة زمنيّة سابقة، قد تكون بعيدة جدًا، فيمكن استرجاع الأعداد القديمة من الصّحف في أي زمن مضى من تاريخ صدور الجريدة، ويمكن كذلك استرجاع البرامج الإذاعية والتّليفزيونيّة القديمة وإعادة الاستماع لها ومشاهدتها بطريقة يصعب على الإعلام التّقليديّ توفيرها. (Atton،2015).

قناة المنار

يقدم تلفزيون المنار نفسه بأنه قناة العرب والمسلمين. باشر إرساله الأرضي العام 1991، والفضائيّ العام 2000. المنار قناة عامة، تبثّ مختلف أنواع البرامج التي تهمّ الأسرة والمشاهدين على مختلف مستوياتهم. هي شركة مستقلة، يشارك في مجلس إدارتها مجموعة المساهمين في الشّركة الذين بغالبيتهم يؤيدون سياسة المقاومة وحزب الله. يرأس المجلس في معظم الأحيان شخصية معروفة ذات موقع في حزب الله. لذا فإنّ سياسة المنار الإعلاميّة منسجمة مع توجّهات حزب الله والمقاومة. أضف الى ذلك، فإنّ العاملين فيها يؤيدون الحزب. هذا ولا تُنكره المنار لأنها إعلامٌ مقاوم منذ انطلاقتها، فتعمل لعكس نبض الشّارع والقضايا المركزيّة، أبرزها قضية فلسطين، المقاومة في لبنان ضدّ الاحتلال الصهيونيّ، تنبع برامج المنار من البيئة الثّقافيّة العربيّة والإسلاميّة، ومن

القيم الأخلاقية والإسلاميّة والعربيّة. وتنطلق القناة من كونها تبثّ باللّغة العربيّة، ليكون الجمهور العربيّ من أولوياتها الذي تتمحور اهتماماته حول القضايا المحقّة لأمتنا التي يجمع عليها العرب، وفي مقدمها القضية الفلسطينيّة. (موقع المنار 2019 ،.www almanar.com.lb).

«المنار وُلدت من رحم الاحتلال ومن ركام الحرب الأهليّة التي فجرت البلد أجزاء طائفيّة وأُنشئت في حزيران العام 1991، غداة توقيع اتفاق الطّائف الذي شكّل النّهاية الرّسمية للحرب الأهليّة، وذلك بعد عدّة أشهر من حرب الخليج التي شكّلت نهاية الحرب الباردة وبداية النظام العالميّ الجديد الذي تُرجم بنظام إقليميّ جديد تحت عنوانين: النّفط وما سمي السّلام بين العرب المهزومين والكيان الإسرائيليّ وهما عنوانان يشكّلان الوجهة السّياسيّة لكل من سوريا وايران والمقاومة وهم ثلاثي المحور الداعم للمنار». (الحويك، 2013، ص:320).

بعد ذلك جاءت معاهدات أوسلو ووادي عربة لتعقد الموقف السّياسيّ والإعلاميّ في المنطقة، وفي لبنان تدعّم موقع حزب الله بفعل نجاح عمليّاته ضد الاحتلال، وكان للأداة الإعلاميّة دورها في تحقيق المشروعيّة الشّيعيّة ثم الوطنية ثم العربيّة التي تقوم على مشروعية المقاومة بحسب الباحثة حياة الحويك، كي تنتقل بعدها الى السّعي نحو تحصيل المشروعية القانونيّة وحماية الدولة كي تتحصّن بحرية التّعبير التي يضمنها القانون اللّبنانيّ حتى انتقلت الى البثّ الفضائيّ بعد ذلك العام 2000 .

«وقبل البثّ الفضائيّ جاءت المأسّسة والمشروعية القانونية، ففي العام 1991 ، كانت الأوساط الإعلاميّة والسّياسيّة اللّبنانيّة منشغلة بالجدل حول وضع محطّات البثّ الإذاعي والتّليفزيونيّ في البلاد، جدل انتهى إلى إصدار قانون تنظيم هذا القطاع العام 1994، وكانت المنار من بين القنوات التي تم الترخيص لها بمقتضى هذا القانون لتصبح قناة خاصة مستقلة تابعة للمجموعة اللّبنانيّة للإعلام، إلى جانب قناة nbn التّابعة لحركة أمل والتي تشاركها التّمثيل الشيعي». (الحويك،2013 ، ص:322).

وفي آذار العام 2000 قدّم محمد رعد أحد مساهمي المجموعة اللّبنانيّة للإعلام وعضو البرلمان اللّبنانيّ رسمياً طلب تحويل المنار إلى قناة فضائيّة، فوافقت عليه الحكومة اللّبنانيّة.

عندما تُقدّم قناة المنار نفسها على أنّها قناة العرب والمسلمين وقناة المقاومة، فهي تعبر عن الأبعاد التي تأسس عليها حزب الله كجهة سياسيّة مالكة للقناة، ومن البديهي أن تكون أهداف الحزب العقائديّة هي أهداف قناة المنار بوصفها السّلاح الدعائي الأوّل للحزب منذ إطلاق القناة عام 1992، وهي طوّرت من خطابها العقائديّ وفق تطوّر الخطاب الخاص بحزب الله طوال السّنوات الماضية.

وفي هذا السّياق يرى مدير عام قناة المنار ابراهيم فرحات أنّ القناة تنطلق هويتها تحت عنوان قناة العرب والمسلمين كمنطلق عقائديّ ينسجم مع الجهة السّياسيّة التي تنتمي إليها، من دون أن يمنعها ذلك من الإندماج في محيطها اللّبنانيّ أوّلًا والعربي ثانيًا والإنسانيّ الأوسع بمعنى مفهوم القضايا التي تعالجها على مستوى العالم.

«الرّسالة التي تنبثق عن هوية القناة تعبر عنها، فهي قناة إعلاميّة تهدف إلى إثارة قضايا المستضعفين والمظلومين وهذا جزء من فلسفة الهوية. كما أنّ المنار تتوخى بث القيم والمساهمة ببناء وعي عربي وإسلامي، كي يكون للمواطن العربيّ حرية الاختيار ويتفاعل ويصبح حرًا في اتّخاذ خياراته، ويصمد بوجه مشاريع مصادرة الهويّة والكرامة والأرض، وهذا البعد هو إنسانيّ قبل أن يكون دينيًّا لأنّ الدّيانات السّماويّة لها منشأ واحد ومشتركاتها عالية».(فرحات،2019)

وقناة المنار تعبر عن هذا البعد في برامجها الدّينيّة والعامة والسّياسيّة وتغطياتها الميدانيّة للحروب، ونقل خطابات قادة حزب الله لاسيما الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله بشكل مكثّف ودائم. كما تؤدّي دور الجسر بين العقيدة الجهاديّة الدّينيّة والقتال العسكري بوصف الجهاد العسكريّ مرادفًا لمصطلح المقاومة، أي مقاومة الاحتلال الإسرائيليّ الذي بدأ مع اجتياح لبنان العام 1975، ثم اجتياح عام 1982 ومراحل تحرير جنوب لبنان والتّصدّي لعدوان اسرائيل في تموز عام 2006، وصولًا إلى المعارك والحروب ذات البعد الجيوسياسيّ المنبعثة من انقسام المحاور في المنطقة، والذي تأجج بعد مرحلة ما يسمى بالرّبيع العربيّ منذ العام 2011 في سوريا والعراق واليمن بشكل خاص.

«المنار واكبت المقاومة منذ البدايات وهي القناة الأكثر تعبيرًا عن نموذج وهوية ومشروع المقاومة، والمقاومة ليست فقط فكرة عسكريّة، بل هي مقاومة للظّلم، وهنا

تحرص المنار على تقديم المقاومة وصورتها بقيمها الحقيقية».(فرحات،2019)

وتؤكّد إدارة قناة المنار على التّوجّه العقائديّ العام المرتبط بالهوية الإسلاميّة للقناة، وبالتالي العربيّة، إلا أنّها لا تغفل في المقابل عن الخصوصية التي تتمتع بها كونها قناة لبنانيّة بالدّرجة الأوّلى من حيث المنشأ والجمهور والتّرخيص والبعد القانونيّ، لذلك تتحدّث عن هامش واسع من الاجتهاد التّعبويّ، ومهام التّأثير وإيصال الرّسالة يتصل بالخصوصيّة اللّبنانيّة المتنوّعة وتلك العربيّة التي حملت اسم المنار قناةً للعرب والمسلمين، بعدما أسمت نفسها بعد تحرير جنوب لبنان قناة المقاومة والتّحرير، وعليه لا تعارض بين الهوية ورسالة القناة كما يقول مديرها العام ابراهيم فرحات.(فرحات، 2019).

وفي هذا السّياق تحاول المنار المواءمة بين بعدها الإيمانيّ ومهامها الوطنيّة، فهي عضو فاعل في اتّحاد الإذاعات الإسلاميّة ومركزه طهران، وهي ضمن نقابة المرئيّ والمسموع في لبنان، ومن ضمن الفرق العاملة في إطار اجتماعات المجلس الوطني اللّبنانيّ للإعلام المرئي والمسموع، وتحتل برمجتها مساحة واحدة في البرامج العامة والسّياسيّة والإخباريّة وقضايا لبنان الحياتيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة والمعيشية اليوميّة، انطلاقًا من الهوية الإسلاميّة التي تضع في أولوياتها صورة المقاومة. وهذه الصّورة بالدّرجة الأوّلى تحمل بعدًا إيمانيًا، وثانيًا لها صفة المواطنة تحت عنوان الإجماع اللّبنانيّ على تحرير الأرض الذي تؤمنه المواثيق الدّوليّة والوطنيّة سواء إبّان الاحتلال الإسرائيليّ لجنوب لبنان، أومن خلال احتلال الجماعات المسلحة التّكفيرية للحدود الشّرقية بين عامي 2012 و2017. (حايك،2018)

ثانيًا: مسار العمل في قناة المنار

أ – مشكلة مسار العمل

شكّل عدم اندماج تطبيقات التحرير النصّيّة والصّوريّة في غرفة إنتاج المنار وكيفيّة الحل، تحديًا أمام القناة حتمت عليها إيجاد الحلول.

فغرفةُ الأخبارِ في القناةِ تحديدًا تعاني من مشكلة انفصالِ تطبيقيْ التّحرير النّصي والصّوري منذُ انطلاقة القناة، ولم تعمل الفرقُ المشرّفةُ على تجربةِ المستخدم من تطويرِه

لأسباب عدة، خلال الإطلالةِ الجديدة عام 2015، وبسبب ضغط الوقت الذي حتّم على المشرفين العملَ بتطبيقين منفصلَين، من أجلِ الإلتزام بالوقتِ المحدّد لهذهِ الإطلالة، والمرتبط بتدشين المبنى الجديد الذي تم إعادةُ إعمارهِ بعد أن دُمّر في حربِ تموز 2006، أوّل انتصارٍ للمقاومة العربيّة في حربٍ دفاعيّة ضدّ العدو الإسرائيليّ.

وقد اكتشفَ القيّمون في مجال علم الاجتماعِ الصّناعي داخلَ المؤسّسة هذه المشكلة بعد عامٍ من الإنطلاقة، وبدأوا بانتاج تطبيقٍ جامع يسهّلُ مسار عمل المنتجين، كان من المتوقّع أن يتمّ الانتهاءُ من انجازه في وقت لا يتعدّى السّنة، ويشبه في مميّزاته وخصائصه برنامج المحرّر العملاق octopus بحسبِ مسؤول قسمِ المعلوماتيّة في المنار الأستاذ ابراهيم سماحة. (سماحة، 2023).

وبما أنّ مسار العمل هو تدفّق العمل المتسلسل الذي تعتمد فيه كل خطوة على حدوث الخطوة السابقة ، ويمكن أن تحدث خطوتان أو أكثر بشكل متزامن. حاول المطورون مجاراة هذا المبدأ، كي تبدو بيئة العمل في قناة المنار بيئة سليمة، يتفاعل فيها المحرّرون والمراسلون والمدراء والمشرفون،

من أجل صناعة القصّة الخبريّة التي تحمل الرسالة المرتجاة، وكي يتدفّق مسارُ العمل فيما بينهم، فيستكمل بعضهم عمل بعضِهم الآخر، ويبدأ المحرّر مهمّته حيث تنتهي مهمّة المراسل. فمصممو تجربة المستخدم، أي الفريق التقني والمشرفون على البيئة الاجتماعيّة والإدارية للعمل أي مدير الأخبار، أكّدوا أنّ انفصال تطبيقات التحرير النصية عن الصورية مشكلة حقيقيّة تعيق عملهم وتربكه إلى حدّ كبير، تصعّب على المحرّرين والمراسلين القيام بتقاريرهم والتفاعل مع الشبكة الدّاخليّة المنتجة للمادة الاخبارية التي ستبث على الهواء، ويحمّل الفريق التقني أعباء الجهد الإضافي لإنجاز عمله، ويحمّل المشرفين مسؤوليّة ايجاد بيئة أفضل للعاملين ما قد يزيد الكفاية الإنتاجيّة عبر توجيه العامل وتكوينه تكوينًا مهنيًا ونفسيًا بانسجام عوامل الإنتاج الأخرى ومن ضمنها العوامل النفسيّة.(الهذال، 2016).

بالإضافة إلى مشكلة عدم الاندماج بين تطبيقي التحرير والصور، هناك مشكلة في انفصال برامج التحرير عن شبكة الانترنت لأسباب أمنية، لذلك هناك أجهزة متصلة بالإنترنت لا يوجد عليها تطبيقات برامج التحرير، بينما الأجهزة التي تحمل برامج

التحرير منفصلة عن الإنترنت، ويتم معالجة هذا الأمر من خلال إجراء يقوم به الفريق التقني، لحلّ المشكلة عبر برامج transfer خاصة، إلّا أنّ الجميع متصالحون مع غياب الإنترنت، لإقتناعهم بالأسباب الأمنيّة.

فكيف يؤثّر عدم اندماج تطبقيّ التحرير البصري والكتابي على مسار العمل في تلفزيون المنار؟

ب - تاريخ مسار العمل

لا بدّ أن نستعرض تاريخ مسار العمل الإنتاجي للأخبار في المنار خلال السنوات الأخيرة. فقبل حرب 2006، كانت المنار تستخدم برنامج فورتيكس vortex ، والذي يصفه مدير المعلوماتية إبراهيم سماحة بالممتاز، قبل أن يتم قصف مبنى المنار في حرب تموز من عام 2006. وبعد العام 2006 رفضت شركة vortex تجديد عقدها مع المنار لأسباب سياسية، فتم الاعتماد على برنامج هاريس Harris، لتحرير المادة المصورة ليتم إلغاؤه عندما تقرّر الإنتقال إلى مبنى آخر. وهو مجموعة كاملة من برامج التّحرير، ويتميز بأنّه عالي الدقة، ويكشف عن الأخطاء، وهو محرّر يصنع حلول البرمجيات الرائد التي توفر الاختيار من خلال بناء أو اكتساب الحلول ومن ثم الجمع بينها وبين برامجها، لكن كان مصيره التوقف بسبب الرفض المتكرر من قبل عدّة شركات التعاون مع قناة المنار بسبب العقوبات الأميركية المفروضة عليها، وتصنيفها كمؤسسة تابعة لمنظمة إرهابية. فكيف قرر القيّمون الإداريون والتقنيون معالجة هذه المشكلة؟

ج - حل مشكلة العقوبات ومسار العمل

قرر المشرفون والقيمون تقنيًا على المنار إنشاء أنظمة التّحرير الخاصة بهم فاستعجلوا في تشغيل هذه التّطبيقات لضيق الوقت الذي أُلزم به التّقنييون كي تنطلق القناة من المبنى الذي دُمّر بعد إعادة اعماره، حيثُ لم يتسن لهم الدّمج بين التّطبيقات.

يعترفُ سماحة أنّ عدم إندماج البرنامج الذي يقوم بتحرير النصوص مع البرنامج الذي يقوم بتحرير المادة المصوّرة، هو مشكلة حقيقيّة مؤكدًا أن إنتقال المحرّر بين تطبيقين لإنتاج مادة خبريّة واحدة، هو أمرٌ بغاية السوء والصعوبة، ينتج عنه بطء في العمل،

وتراجع في الإنتاجية وإستنفاذ للجهد، فعالم الاجتماع يهتم بالمركز الاجتماعيّة تمامًا كما يهتم بالأفراد الذين يشغلون هذه المراكز، فيفكّر بالمدير ورئيس العمّال، والمساعدين أكثر مما يفكّر في المدير نفسه.(الحسن،2014).

يقول سماحة، إنّه مهما كان الضّغط فعليًا على المحرّرين، إلّا أنّ الضغط الأكبر يكون علينا، فنحنُ في النهاية من نتحمّل مسؤولية أي ثغرة، وعلينا تقديم الدّعم المعنوي الدّائم للجميع من أجل الحفاظ على نسيج متماسك في خطوات إنتاج العمل. فالمنار تستخدم برنامج تحرير صمّمه مبرمجو القناة، وأطلقوا عليه اسم برنامج المحرّر يستورد الأخبار النصّية من الوكالات ومصادر أخرى، ويضعها في سلّة واحدة، تسمح للمحرّر بكتابة الخبر. وحين لا يحتاج الخبر إلى أن يُرفق بمادة مصوّرة، لا يكون هناك أي مشكلة، ولكنّ الإرباك يبدأ عندما يحتاج الخبر إلى أن يوثّق بالفيديو، ويبدأ حينها تنقّل المحرّر بين التطبيقين (سماحة،2023).

إحدى الخصوصيات التي لدينا يضيف سماحة، هي أنّ الذين يعملون في قناة المنار هم موهوبون بشكل عام وهذا شيء مهم، فنحن كمطورين للتقنيات، انتهينا من إيجاد الحل ونعمل بشكل نهائيّ، ولكن لا يوجد في العالم أيّ نظام جاهز، كله يحتاج الى update،upgrade،fix،back fix.

ولكن نظامنا الخاص أصبح جاهزًا يؤكّد سماحة، وبدليل أنّ غرفة الأخبار لدينا من دون التّعاطي مع الإعلام الجديد أصبحت جاهزة هذا العام، بعدما وضعنا خطّة وأطلقنا البلاتفورم (المنصة) الخاص بنا، والتي نعمل عليها واسمها ALmanar_ MCMS Content Mangment System.

وهو يتضمن نظام إدارة الإنتاج في قناة المنار سواء في الأخبار أو البرامج العامة أو المسجلة أو المباشرة. والخصوصية التي تتميّز بها المنار، أنّ الشبكة غير موجودة على الإنترنيت، لذلك يشير سماحة إلى العمل بطريقة تلقائية وأوتوماتيكية يتم فيها نقل المواد من هذا النّظام إلى الإنترنت، وثم إلى مكان ما لكي يستفيد منهم المحرّرون وصناع المحتوى على موقع الإنترنيت الخاص بالمنار، وعلى وسائل التّواصل الخاصة بالمنار.

هذا ليس كل شيء، فمسار العمل هو في حالة تطوّر مستمرة، وكذلك التّقيات العالمية

التي تواكب عمل الإعلام، لذلك أبقى المبرمجون والمشرفون في المنار مساحة للتّغيير والرّقابة وتعديل الخطط بعد التنفيذ ضمن مبدأ الإدارة الحديثة.

وهناك حالتان تعمل في إطارهما المنظومة الجديدة الموضوعة، وهما: أولًا، أنّ المحرّر الذي ينجز خبرًا للنّشرة الإخبارية، هو ذاته المحرّر الذي يجب أن يحرر هذا الخبر ويغير له شكله بما يتناسب مع موقع المنار والفايسبوك (سماحة، 2023).

د - الخلاصة

النّظام الذي طوّرته المنار داخليًّا، هو نظام يمكن من خلاله إرسال الخبر إلى الهواء مباشرة، ويبثّ على جميع وسائل التّواصل الاجتماعيّ، أي أنّ المحرّر لديه القدرة أن يرسل هذا الخبر إلى جميع وسائل التّواصل بكبسة واحدة من خلال البرنامج أو النّظام الذي يعمل عليه.

وهناك مقاربة جديدة يمكن الاعتماد عليها في الخطط التّنفيذيّة أيضًا، وهي أن يكون هناك وظيفة محرّر رقمي، هذا المحرّر هو الذي يعيد تحرير الخبر اذا كان بحاجة لمونتاج، فيعيد توليفه بما يتناسب مع السّياسات الفنيّة و السّياسيّة الخاصة بالإدارة والقناة و يرسلها إلى الانترنت.

فالمحرّر اذًا وظيفته الأساسية الدّمج بين مصادر المعلومات والمواد، وبين عملية المونتاج والتّحرير النّصي وإرسالها الى المنصة بثوانٍ قليلة. أما فيما يتعلّق بموضوع الحجب عن الأقمار الصّناعيّة والعقوبات التي تعترض مسار العمل، فتعمل المنار على برمجيّات تساعدها على تخطيها.

والبرنامج الذي تعمل عليه القناة مصمّم لعدّة أسباب، ولكل سبب أهميته و زاويته الخاصة: أولها التّوفير المالي، وثانيًا صناعة المحتوى (بيئة واحدة يتم العمل فيها و خزان محتوى واحد). ورغم التّحدّيات و العقوبات، ورغم تراجع بعض الشّركات التي تعاقدت معها المنار، استطاعت أن تكمل وتعمل على هذا النّظام أو البرنامج بقدراتها الخاصة، من دون الرّجوع إلى الشّركات الأجنبيّة الأساسيّة.

ثالثًا: تعزيز الموقع الإلكتروني لقناة المنار

أ – أهمية موقع المنار الإلكتروني بالنسبة لقناة المنار

أهمية موقع المنار الإلكتروني بحسب مديره ضياء أبو طعام تكمن، في كونه وسيلة لإيصال رسالة المنار إلى جمهور الإعلام الإلكتروني، ولتعويض الوصول إلى أوسع شريحة من الجمهور بعد إجراءات الحظر العدوانية على الأقمارالصّناعيّة.

كما يؤدّي الموقع دورًا في مواكبة التطوّرات العالميّة في زمن الاتّصال الحديث، والتّعبير عن هوية المقاومة بأكثر من لغة.

لذلك لا بد من تنشيط فرق العمل داخل القناة ودمجهم مع تقنيات الإعلام الحديث، للتّعبير عن ثقافة وقيم مجتمع المقاومة، عدا عن إشراك الشّباب في التّفاعل مع قضايا أمّتهم ومجتمعهم عبر الوسائط الجديدة، وهذه أهمية تتلاقى مع الأهداف الموضوعة لموقع المنار من قبل المطورين. (أبو طعام، 2023).

ب – أهداف موقع المنار الإلكتروني بعد التّطوير

يلخص أبو طعام الأهداف الموضوعة للموقع بعد تطويره بنوعين من الأهداف، أهداف خاصة بالموقع، وأهداف تتعلق بالجمهور.

الأهداف الخاصة بالموقع يتطلب تحقيقها التّطوير الدّاخليّ، ومواكبة الفرق الفنيّة في القناة التي تعمل على دمج التّطبيقات لتتلاءم مع الإعلام الجديد، وتجهيز البنية التّحتيّة اللازمة لإعلام التلاقي، وهي:

- تحويل جزء من الموقع إلى وكالة خبرية بالفيديو والنص.
- تثبيت هوية القناة عبر الموقع، بأنها قناة تلفزيونية مقاومة من خلال تنفيذ مكونات الهوية الثالثة:

شخصية الموقع – قيم الموقع – علامات الموقع الفارقة.

- تفعيل إندماج جميع فرق العمل في المديريّات الإنتاجية في القناة مع الموقع.
- حضور الموقع على أكبر قدر من المنصّات الإلكترونيّة الخاصة بشبكات التّواصل.

- تصميم الموقع و تطوير تطبيقاته بما ينسجم مع متطلبات استخدام الهواتف الذكيّة.
- حماية وتحصين الموقع من الإختراقات السّيبرانية.
- تضمين الموقع منصة للإنتاجات الخاصة التي تحاكي خصوصيات الإعلام الإلكتروني (المنار أونلاين). (أبو طعام،2023).

أما الأهداف الخاصة بالجمهور، فهي التي تسجّل النّقلة النوعيّة في اختبار رجع الصّدى بحال تحقّقها، وقياس الأثر من وراء خطّة العمل وهذه الأهداف هي:

- الوصول إلى أكبر شريحة ممكنة من الجمهور المستهدف.
- تقديم خدمة الأخبار العاجلة، ومواكبة الأحداث المحلية والإقليمية لحظة بلحظة.
- تمكين متصفح الموقع من الحصول على خدماته بسهولة وسرعة.
- تفعيل وتطوير خدمة النقل المباشر.
- الاستفادة من نقاط القوة الخاصة بالموقع في التسويق لدى الجمهور: أرشيف الأمين العام لحزب الله – المكتبة الصوتية، إنتاجات المنار المميزة – الأخبار المهمة. (أبو طعام، 2023).

ج – الإجراءات الخاصة بتطوير موقع المنار

ما الذي تم تطبيقه في العام الأوّل من الخطّة؟ سؤال حملناه إلى مدير موقع المنار ضياء أبو طعام مجددًا، وكانت الإجابة تعتمد على قياس الأهداف والنتائج زمنيًا.

ففي خطّة العام 2023 كان هناك خمسة بنود تتعلّق بمشروع دمج الشّاشة مع الموقع الإلكتروني، وإعادة ضبط الإنتاج الكمي والنّوعي للموقع بما يتناسب مع هويته كموقع إخباري لبنانيّ، مرورًا بتنمية الموارد البشريّة في الموقع ورفع الكفاءة لتواكب موضوع الدمج، وانتهاءً بتأسيس صفحات على السوشال ميديا تتصل مباشرة بالموقع وتبث مواد الموقع على السوشال ميديا، وتحديدًا منصة تويتر التي يمكن التّحرّك عليها من دون التّعرض للحظر.

فعلى صعيد البند الأوّل المتعلق بمشروع الدمج ، تحقق منه ما يقارب الثمانين بالمئة. كان نجاح هذا البند متعلق بحجم تعاون كل الأقسام الإنتاجية مع الموقع الإلكتروني ، لأنه بعد البحث والتجارب تبين أن الأكثر قدرة على اختيار المقاطع الواردة في الحلقات التّليفزيونيّة هم المنتجين والمعدين في الفريق الإنتاجي نفسه، فتفاوت حجم التعاون من قسم لآخر، ولكن حجم التعاون على مدى السنة بلغ 80%، أما العشرين بالمئة فهي نسبة مرتبطة بآداء الفريق ومدى انخراطهم مع هذه الخطّة. ورقم 80% هذا يعد إنجازًا لأنّ حجم التفاعل مع الأقسام الرّئيسة أي الأخبار والبرامج السّياسيّة والفترة الصباحية كان عاليًا بشكل كبير جدًا.

أما على صعيد الإنتاج الكمي والنّوعيّ، فالموقع وضع خطّة لإنتاج التّقارير الخاصة التي ينتجها وفق أسلوب التقارير الرّقميّة وليس المقالات الرّقميّة.

التقرير الرّقميّ هو الذي يتضمّن مقاطع فيديو ومقاطع صوتية وفيديوغراف ورسوم مصممة وروابط لمصادر معلومات، أي اعتماد الأسلوب التّحقيقيّ بإنتاج المقالات الخاصة، إضافة إلى تنفيذ وإجراء المقابلات الخاصة لمصلحة هذه التّقارير، هذا أنتجه الموقع بنسبة تتجاوز 90 % . (أبو طعام، 2023).

أما العوائق فكانت من النّاحية البرمجيّة، فالموقع كان بحاجة إلى بعض التّطوير، وقد قام المطورون بذلك في الفصل الأخير من العام، وتاليًا الموضوع المتعلّق برفع مستوى الإنتاج النوعي قد تحقّق.

أما على صعيد الإنتاج الكميّ، فقد أُعيد ضبط توزيع المواد على الملفّات، كون هوية الموقع هي هوية إخباريّة لبنانيّة تعنى بشكل أساسي بشؤون المقاومة، فتم في بداية العام توزيع نسب الإنتاج على هذه الملفات. فوضعت نسبة للأخبار اللّبنانيّة، ونسبة للأخبار الأقليميّة وأخرى للدوليّة والاقتصاديّة والرياضيّة والمنوّعات وما إلى هنالك، باستثناء الحدث المتعلّق بطوفان الأقصى في الفصل الأخير من العام، حيث كان الإلتزام بما يقارب المئة بالمئة. فالحدث فرض نفسه وعاد الملف الإقليميّ ليتجاوز النّسبة المخطط لها في العام 2023، وهذا سوف ينظر إليه في العام 2024 بإعادة تحديد هذه الهوية.

على صعيد البند المتعلّق بتحفيظ مواد الموقع على السّوشال ميديا، فقد تم تأسيس صفحة على تويتر بدأت بشهر شباط العام 2023، وخُتم العام بأعداد متابعين تجاوز 100 ألف متابع ، وهناك حوالي 50 مليون تفاعل شهري، وهذا يعدّ إنجازًا كبيرًا على صعيد تأسيس صفحة جديدة على مواقع التّواصل. (أبو طعام، 2023).

المرحلة الأخيرة بالفصل الأخير لطوفان الأقصى، سجل نموّ للصّفحة بحدود ال 30 % ، و70 % وهذا تراكم خلال العام، وهو أمر كان بحاجة إلى تطوير فهم الفريق لموضوع كيفية التّعامل مع السّوشال ميديا، وكيفية بثّ المواد ليكون الأشخاص المشرفين على الإنتاج هم الذين ينتجون.

وطبعا الكلام هو عن الموقع العربي، أما الموقع الإنكليزي، فقد شهد تقدمًا كبيرًا على منصة إنستاغرام، ولكن مع بداية عملية طوفان الأقصى، حُظرت هذه الصفحة، فتم التّوجه إلى تأسيس صفحة على تويتر بدأت بالنّمو في الفصل الأخير من هذا العام.

أما الموقع الفرنسيّ على التليغرام، فقد شهد أيضًا تفاعلًا لافتًا خصوصًا من قبل الفرنسيين في فرنسا، وأيضًا الموقع الإسباني بأميركا اللاتينية خصوصًا على تويتر وتيلغرام كان يحظى بتفاعل كبير أيضا.

أما بالنّسبة للتّفاعل على الموقع، فنتيجة هذه التّطويرات التي حصلت سواء على صعيد الدّمج أو تحسين الإنتاج الكميّ والنّوعي والحضور على منصّات التّواصل الاجتماعيّ، فقد سجّلت زيارات للموقع بحدود 7 مليون زيارة في الشهر، وهذا رقم كبير جدًا، عوّض حظر الشّاشة عن كثير من الدّول خصوصًا مع تفعيل خدمة البثّ المباشر على الموقع، وأصبحت الشّاشة موجودة على الموقع بشكل دائم.

على صعيد تطوير الفرق أيضًا كان هناك جملة من الدّورات التي انعكست مباشرة على العمل، أهمها ورشة داخليّة تتعلّق بانتاج تقارير Hybrid، أو التّقرير الهجين الذي يعدّ مزيجًا من الصّحافة المكتوبة والإعلام الرّقميّ والتّليفزيونيّ، والذي سوف يمهد في العام 2024 ليكون الموقع في سبيل تقديم خدمة الويب تي في.

أيضًا هناك دورات تتعلق بالبودكاست، كونها سيدة الإعلام الإلكتروني .أمّا الدّورة الثالثة Smart for journalism، فهي لتمكين المحرّرين من استخدام هواتفهم في

إنتاج تقارير ميدانيّة مباشرة خلال عملهم على الأرض.

كما يتم العمل أيضًا على تحسين البيئة الفيزيائيّة ، فتم إنشاء استديو بلاتو خاص للموقع، بكامل تجهيزاته، لإنتاج المقابلات الخاصة أو إطلالات المحرّرين ليقدّموا ملخّصات عن الأحداث الجارية. وقد تم خلال هذا العام إنتاج مجموعة مقابلات لفريق المحرّرين، تمهيدًا لعام 2024 حيث سيُعمل على إنتاج يوميّ ثابت بعد الدّخول بخطّة الويب تي في. (أبو طعام، 2023).

د – الخلاصة

المطورون في خطّة تحديث الموقع رأوا أنّه لا بد من إعادة وضع آليات العمل في الموقع بما يتناسب والمهام الجديدة التي ستدخل إليه، ورصد الإنتاجات المميزة على الشّاشة لإعادة إنتاجها بلغة الإعلام الجديد، إضافة إلى تعزيز المكتبة الصوتيّة للموقع بأناشيد وخطابات تاريخيّة للمقاومة وقادتها، وبشكل أكبر إعادة تنظيم وتبويب ملفات خدمة «خطابات السيد نصر الله» مع إضافة مكتبة فوتوغرافية للسيد نصرالله.

الاستنتاجات

ساعدت الخطوات التي قامت بها قناة المنار على مستوى تطوير مسار عملها تقنيًا في تسهيل صناعة المحتوى الخاص بالإعلام الجديد من خلال عدّة مؤشرات. فهي وفّرت الكثير من الوقت والجهد في التّنقل بين برنامج المحرّر لكتابة الأخبار وبين انتقاء المادة المصوّرة والمواد الأرشيفيّة، ثم استخدامها في برنامج المونتاج، بما أنّ البرنامج الموحد لمسار العمل وفّر كل هذه الميزات ضمن منصة واحدة، وهذه المنصّة أصبحت معنية بتحضير المواد المكتوبة والمصوّرة ووصلها ببعضها البعض، واعطائها عناوين خاصة تتلاقى مع مرحلة البثّ على الإنترنت أو الهواء بواسطة السيرفير بإشراف فرق متخصصة.

كما أعطت هذه العملية إمكانية لاحقًا لتطبيق أحد الخيارين في تطبيق استراتيجية الصّحافي الجامع أو مطوّر المحتوى، بعدما أصبحت هذه المنصّة مجهّزة بخيارات الاتّصال بالمنصّات الخاصة بوسائل التّواصل الاجتماعيّ، وهي بلا شك سهّلت الكثير من المهام التي أوكلت لخطّة تطوير موقع المنار، خاصة أنّ هناك الكثير من

المواد المشتركة التي يتم إنتاجها بين غرفة نشرات الأخبار والغرفة المستحدثة لموقع قناة المنار، وهي غرفة أصبحت قريبة، بعدما كانت في مبنى مستقل وتعمل ضمن استراتيجية عمل منفصلة بنسبة أكبر من الآن.

على صعيد آخر، استطاعت قناة المنار الاستفادة من خطّة تطوير موقعها الإلكتروني كي يلائم الإعلام الجديد ويعوّض عقبات البثّ الفضائيّ، فتم تحويل جزء من الموقع إلى وكالة خبريّة بالفيديو والنص.

وهو ما ساعد في تثبيت هوية القناة عبر الموقع بأنّها قناة تلفزيونيّة مقاومة، من خلال تفعيل إندماج جميع فرق العمل في المديريآت الإنتاجيّة في القناة مع الموقع وحضور الموقع على أكبر قدر من المنصّات الإلكترونية الخاصة بشبكات التّواصل، بعد تصميم الموقع وتطوير تطبيقاته بما ينسجم مع متطلّبات استخدام الهواتف الذكيّة، وهي خطوات أسهمت في الوصول إلى أكبر شريحة ممكنة من الجمهور المستهدف، عبر تقديم خدمة الأخبار العاجلة له، ومواكبة الأحداث المحليّة والإقليميّة لحظة بلحظة، والأهم تمكين متصفّح الموقع من الحصول على خدماته بسهولة وسرعة، وهما ميزتان برزتا في تفعيل وتطوير خدمة النّقل المباشر.

ولأجل تحقيق الأهداف الموضوعة بدأ القيمون على المحتوى ووسائل تطويره بخطوات عملية، وقد أثبتت هذه الخطوات فعاليتها على الصّعيد التطبيقي، فأُعيد تصميم الموقع بما يضمن تحقيق: هوية القناة – سهولة التّصفح – وضوح الخدمات، ووُضع نظام الديسكات التخصصية بما تتطلبه خدمات الموقع.

والتّحدّي الأهم كان، إعادة هيكلية فريق عمل الموقع وفقًا للتّدريب وإعادة تأهيله في الموقع العربي تحديدًا لتحويلهم من محررين إلى صنّاع محتوى رقمي. كما تم ربط صنّاع المحتوى في الموقع مع الفرق الإنتاجية في القناة، خصوصًا في مديرية الأخبار وبرنامج نهار جديد الصباحي، وإعادة إنتاج المواد إلكترونيًا.

ولمزيد من ضمان النّجاح على مستوى مسار العمل، قام المطورون بتعزيز عديد الفنيين داخل فريق الموقع لتلبية احتياجات تثبيت هويته التّليفزيونيّة ومخاطبة الشباب.

كما عمدوا إلى تأسيس خدمة «وكالة المنار» لإنتاج مواد يمكن تحميلها والاستفادة منها في القنوات الصّديقة مع تثبيت لوغو «المنار أونالين» عليها، عدا عن تخصيص زاوية للمواكبة الشّاملة للإنتخابات النيابية تتضمن شرح غرافيكي لقانون الإنتخاب مع اللّوائح المواكبة الإخبارية اليومية للبيانات الرسمية والمواقف في الدوائر، إضافة إلى إعلان النّتائج، على أن تبقى الزّاوية كمرجع للباحثين على محرّكات البحث بعد دعم الزاوية بخاصية SEO.

كل هذه الجهود تطلّبت إستقدام أشخاص مؤثرين في وسائل الإعلام الإلكترونية لتعزيز إنتاج المادة الإستقطابيّة ضمن صفحة المنار أونالين، إضافة إلى تفعيل خدمة التّواصل مع الموقع إفساحًا في المجال أمام متصفحي الموقع، للتفاعل مع الصّفحات عبرالتدوين والتعليق والإقتراح، وتعزيز إنتشار الموقع على منصّات مواقع التّواصل الاجتماعيّ على اختلافها.

المراجع العربيّة

- أبو طعام، ضياء: مدير الموقع الإلكتروني لقناة المنار، مقابلة شخصية، بيروت،(20_12_2023)
- الجابري، محمد العابد. (2010)،.التّواصل_ نظريات وتطبيقات ، الكتاب الثالث /مساهمة مجموعة من المؤلفين، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت .
- حايك، علي: مدير الاخبار في قناة المنار، مقابلة شخصية، بيروت، (2018-11-21)
- الحسن، إحسان.(2014). علم الإجتماع الصناعي. عمان: دار وائل.
- حويك، حياة. (2013). الفضائيّات الإخبارية العربيّة بين عولمتين، منتدى المعارف، بيروت.
- سعد، حسين . (2017) .براديغمات البحوث العلمية، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت .
- سماحة، إبراهيم: مدير قسم المعلوماتية في قناة المنار، مقابلة شخصية، بيروت، (15_11_2023).
- سيد، زيان. (2012). الإعلام الجديد. القاهرة: مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع.
- عماد، عبد الغني.(2017).الهوية والمعرفة – المجتمع والدين، علم اجتماع المعرفة : الاتّجاهات الجديدة والمقاربات العربيّة، دار الطليعة، بيروت.
- الغريب، زاهر. (2010). مستويات التعليم الإلكتروني . مجلة التعليم الإلكتروني، جامعة المنصورة، مصر.
- فرحات، إبراهيم: مدير عام قناة المنار، مقابلة شخصية، بيروت،(2019-1-15)
- اللحام ، عزت، مروى ،عصام. (2015). الاتّجاهات الإعلاميّة الحديثة في الصحافة الدولية.

عمان: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.

- مصطفى، صادق.(2008) . الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات.عمان: دار الشروق.
- الهذال، عويد.(2016). علم النفس الصناعي والتنظيمي. عمان: دار الفكر.

المراجع الأجنبية

- Atkinson, J. D. (2010). Alternative media and politics of resistance: a communication perspective. New York: Peter Lang Publishing.
- Atton, C. (2015). The Routledge companion to alternative and community media. London: Routledge.
- Cabin, Philippe et Jean François Dortier. (2008)La communication. Paris, éditions sciences humaines.
- Mucchielli، A Et Coll. (1998) :Théorie Des Processus De La Communication. Collection Universitaires des Sciences De La Communication. Armand Collin Editeur, Paris.
- Muchielli et J.Guiruech (1998)،Nouvelles methods detude des Communications, Armond Colin, Paris op.cit, pp.46-47.

قراءة في القصّة القصيرة جدًا: بعنوان «طريق الورد»

للقاصة درية فرحات[1]

مريم محمود سرور[2]

طريق الورد

اطمأنّت على كلّ ركنٍ في مسكنها الوردي، أغلقت بابه على كلّ الأحلام المخبّأة في ثناياه، هنا لمست أنامله نعومة السّتائر التي اختاراها معًا، هناك كان اتّفاقهما على لون الجدار، وفي كلّ زاوية من بيت الأحلام وضعا مكوّناته، أيام تفصلهما عن الاجتماع معًا يكملان طريقًا ورديًّا نظّما كلّ تفصيل فيه.

في اليوم الموعود تصلها رسالة وداعية، معتذرًا بأنّه لبّى نداء الشّهادة على طريق القدس.

مقدّمة

للقصّة القصيرة جدًا صفات تميّزها عن الأنواع الأخرى، وأوّل صفةٍ هي صفة الحكائيّة، فالقصّة كما يقول النّاقد وليد أبو بكر «لا بدّ وأن تروي حكاية ما، هي تاريخ لشخصية واحدة على الأقلّ، أو جزءٌ من سيرتها في لحظة معينة، هي لحظة التحوّل ذاتها، ولأنها قصيرة جدًا فإنّها تبدأ من داخل الحدث، ويعمد كاتبها إلى رسم صور شخصيّاته وهي تفعل، لا أن يخبرنا عن أفعالها» (أبو بكر، 2010، فقرة4).

1- العنوان

يفضي عنوان القصّة «طريق الورد» إلى الطّريق البديهيّ لحياة شريكين على أعتاب الزّواج، فأيّام معدودة تفصلهما عن موعد الزّواج، فطريق الورد والهناء هو طريقهما، إلّا أنّ الطّريق الذي سار به الشّريك وصل به إلى «الشّهادة»، فالورد مقصودٌ به الشّهادة،

(1) أ.د دريّة فرحات حاصلة على شهادة دكتوراه في اللّغة العربيّة و آدابها من الجامعة اللبنانية، أكاديميّة وقاصّة لبنانيّة، لها عدد من الأبحاث والمؤلّفات والمنشورات من بينها، كتاب: «التمرد في شعر الشّاعرات البحرينيّات» ، كتاب «طرق تدريس قواعد اللّغة العربيّة ودورها في تنمية التّحصيل اللّغويّ» (2013)، كتاب» الرّغيف وطواحين بيروت نموذج لوطنية توفيق يوسف عواد» (2016)، وصدر لها مجموعة قصصيّة بعنوان» احكي يا شهرزاد» (2019).

(2) طالبة في الجامعة اللبنانية، ماستر 2 أدب عربي.

وهو ما أدّى إلى عنصر المباغتة. إنّ صدمة القارئ من أهم محفزّات الانفعال والإقبال على قراءة القصّة القصيرة جدًا؛ إذ ينبغي على القاص أن يحرص على توافر هذه الصّدمة في قصصه القصيرة جدًا، وعلى هذا الأساس تحدث الصّدمة أو الدّهشة على الأقل، بدءًا من العنوان الذي ينبغي أن يكون إشكاليًا وصادمًا، وغالبًا ما يكون هذا العنوان خلاصة القصّة، ومحرّكها الرئيس من البداية إلى النّهاية (المناصرة، 2006، فقرة 8).

2- صدمة القارئ

حرصت جلّ النّصوص القصصيّة القصيرة جدًا على أن تحتفي مع ما فيها من تنوعّ بتوليد الحساسيّة الانفعاليّة والدّهشة وإلى حد ما الصّدمة الجماليّة في نفسية القارئ وعقليته عندما يقرأها؛ لأنّه لا يمكن لأي قاصٍّ في مجال القصّة القصيرة جدًا أن يتجاوز هذه الحساسيّة أو الصّدمة؛ وذلك انطلاقًا من كونها أهم مسوّغات مشروعية هذه القصّة لدى المتلقين لها (المناصرة، 2006، فقرة7).

وفي هذا النّوع من القصّ يفضل أن يكون حدثًا واحدًا، وشخصية مركزيّة واحدة، لأنّها «تحتاج تكتيكًا خاصًا في الشكل والبناء، ومهارة في سبك اللّغة، واختزال الحدث المحكيّ، والاختصار في حجم الكلمات» (سبتي، 2006، فقرة3)، فالحدث يوحى ولا يصرّح، ويكون مكثفًا وعميقًا، ويترك للقارئ أن يستكمل الفجوات، ولا بد للحدث أن يتّصف بالسمات الدرامية التي تهبه التوتر والحركة والفعل.

القصّة تتضمّن شخصيتين تجهّزان مسكنًا للانتقال إليه بعد الزواج، وتؤدّي المرأة فيها الشّخصيّة الأساسية، فبدت المرأة أنّها تشارك المسؤوليات، وأنّ الرّجل يعي وضعيّة المرأة الفعليّة وأهميّة مشاركتها (حجازي، 2005، ص207)، فهما يتشاركان مسؤوليّة اختيار الأثاث المنزلي «هنا لمست أنامله نعومة السّتائر التي اختاراها معًا، هناك كان اتّفاقهما على لون الجدار، وفي كلّ زاوية من بيت الأحلام وضعا مكوّناته». أحداث هذه القصّة تسير في إيقاع سريع، بدأت بالاطمئنان على كلّ ركنٍ في هذا المسكن الورديّ، وهي تستند إلى نهاية حزينة، تجعل القارئ يتلقّى الفكرة بقوة، فالنّهاية في القصّة مؤلمة تحاكي الواقع المرير، واقع الحبّ في زمن الحرب، في بلدٍ يعاني من وطأة العدوان، فالقاصّة لم تخبرنا عن الأوقات التي عاشتها الشخصيتان في أثناء تجهيز

منزلهما للانتقال والعيش فيه، إنّما أوحت بها، وترتكز هذه الأحداث على الاختزال الذي يُنتج التّوتر، فبعد الحديث عن تفاصيل تجهيز المسكن بوتيرة سريعة من نعومة السّتائر، ولون الجدار، فهناك أيامًا تفصلهما عن الاجتماع معًا ليكملا الطريق الورديّ؛ نظّما كلّ تفصيله، حتّى الوصول إلى اليوم الموعود الذي جاء مخالفًا للتّوقع، فالشّريك قضى شهيدًا على طريق القدس، فكان الطّريق «طريق الورد» والشّهادة، وهو العنوان الذي توسّمت به هذه القصّة القصيرة. إنّ تحدي الموت وقهره يحمل في النّهاية معنى الانتصار، على القهر والرّضوخ (ص55)، وهنا الانتصار تجلّى بأعلى مراتبه هو الانتصار على الظّلم ومساندة المظلوم.

3- اللّغة السّرديّة

ليس بوسع القصّة القصيرة جدًا إلا أن تتعامل مع اللّغة من منظور التّكثيف الحاد، فتغدو لغتها محدودة جدًا من حيث عدد الكلمات. لكنّها في الوقت نفسه لغة تحيل إلى عالم شاسع من خلال الإيحاءات والدلالات! فـ «طريق الورد» هو عالم من الدّلالات يتماهى في بداية القصّة مع حالة الشّريكين، من حيث الزّمان، وهو أيام قبل الزّواج، ومع حالة المكان، وهو المسكن الذي يُجهّز قبل الزّواج.

إنّ اللّغة الإبداعيّة هنا، لا تحتمل التّفصيلات والشّروح والحوارات كما هو الحال في الرّواية أو القصّة القصيرة أو المقالة أو ما إلى ذلك؛ فاللّغة في القصّة القصيرة جدًا لغة إيجاز، وترميز، وإيحاء، وحذف إبداعيّ، وإيقاعات متعدّدة في عبارات محدودة؛ فلا نجد الحوار لدى الشّخصيات، إنّما الأعمال هي التي أعطت دلالات القصّة التي انتهت إلى الدّلالة العظيمة للورد في خاتمة القصّة، فالطّريق هو طريق الشهادة.

4- المجاز والتّكثيف

التكثيف في اللّغة الإبداعيّة هي لغة فوق اللّغة، فإذا كانت اللّغة تعني التّعبير عن المعاني المباشرة التي لا تحتمل التّأويل عادةً، فإنّ اللّغة الإبداعيّة لغة مجازية من الدّرجة الأولى، أي أنّها تتكئ على الصّورة الفنيّة والرّمز والغموض الشّفافين، فتغدو بذلك لغة مكثفة، وهذا التّكثيف هو ما جعل من هذه القصّة القصيرة جدًا تستحضر عند تحليلها أو قراءتها من فضاء المحذوف أو الغائب أو المحتمل أكثر مما هو حاضر

في لغتها ودلالاتها المباشرة الكائنة في لغتها الحاضرة! التّكثيف اللّغوي، إذًا، عنصر حيويّ في بناء حجم القصّة القصيرة جدًا من حيث الشّكل العام، فاختصرت هذه الأسطر القليلة، مسار حياة شابين على أعتاب الزّواج، وحالة الاطمئنان المصاحبة لتلك الحقبة، «اطمأنت على كل ركن في مسكنها الورديّ، أغلقت بابه على كل الأحلام المخبأة في ثناياه» ثم حالة القهر التي حلّت بالعروس لفقدانها الشريك، وهي التي لم يُصرح بها، بل يملأها القارئ في ذهنه، وحالة التّضحية التي قدمها الشّريك في سبيل الوطن.

5- الذّات وإثارة الأسئلة

لا شكّ أنّ الذّات المبدعة للقصّة القصيرة جدًا تحرص دومًا وبوضوح على أن تعلي من ذاتيتها الواعية تجاه العالم من حولها، فتغدو الكتابة السردية من خلال إشكالية الذّات.

القصّة القصيرة جدًا مشبعة بالذّات؛ ذات الأنا في بداية الحكاية مع الشّريكين مع تجهيز البيت سويًا وفق الرّغبة والاعجاب بما يناسب أسلوب الحياة، ثم الانتقال إلى ذات النّحن الجماعية التي تجلّت في الشّريك، إذ آثر الاستشهاد على طريق القدس، مقدّما ذات النّحن على الأنا، «في اليوم الموعود تصلها رسالة وداعية، معتذرًا بأنّه لبّى نداء الشّهادة» على طريق القدس.

الخاتمة

القصّة القصيرة جدًا ببساطة، هي قصة تصل إلى هدفها من دون إهدار للكلمات، هذه القصّة القصيرة المختصرة تصل إلى نهاية مدهشة بالغالب، أو بكثير من الغموض، إنّها بنية سرديّة بالضّرورة أولا غير قابلة للتّأطير الجماليّ السّرديّ، يتشكّل وجودها من خلال نصوصها، وهذا ما اعتمدته القاصّة مظهرة براعة أدواتها الإبداعيّة في السّرد، وقد تجسّد وعي القاصّة، وظهرت أدواتها في القدرة على التّجدد والابتكار، وهنا أبدعت الكاتبة د. دريّة فرحات في استخدام المفارقة وتفجير المتوقع والتّكثيف والتّرميز والنّهاية المباغتة، وتصوير الواقع وما يحمله من عظيم التّضحيات في سبيل التّحرّر والارتقاء.

المصادر والمراجع

أبو بكر، وليد (2010). من التبعية نحو الاستقلال. مجلة الأيام. تم الاسترجاع (1 - 11- 2023) من موقع

https://www.al-ayyam.ps/ar_page.

hp?id=7f0f2c0y133231296Y7f0f2c0#:~:text=%D9

2 - **حجازي، مصطفى (2005). التخلف الاجتماعي؛ مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، (ط9).** الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

3 - سبتي، ابراهيم (2006). محنة القصة القصيرة جدًا. من موقع الحوار المتمدن. تم الاسترجاع في (2024-11-2). من موقع

https://m.ahewar.org/s.asp?aid=65772&r=

4- المناصرة، حسين (2006). **جماليات المغامرة؛ قراءة في إشكاليات القصّة القصيرة جدًا**. تم الاسترجاع في (2023-11-1) من موقع

https://www.al-jazirah.com/culture/06112006/almlf56.htm

شعر

بائع الضّحكات

زهراء عميري

أمس، قصدت متجر بائع الضّحكات

أخبرته أنّني أعاني

من نقصٍ حادٍ في تلك الفيتامينات

وأنّني، أخشى نسيانها

وأريد مرهمًا يعيد لشفاهي نضارتها

وشرابًا يخرج ضحكاتي من الأعماق.

حدّق بي برهة، ثمّ استدار،

وناولني مرهمًا وبعض الحبيبات

وقال: هل تحيي اللّيل وتسهر النّهار؟

قلت: أجل

قال: إليك وصفة سحريّة، علّها تصلح الخلل

كي يرجع الأمل.

خرجت من دكانه وكلّي أمل

وواظبت على الوصفة دون كلل

لكن، لا رجاء

ولا أمل

فما العمل؟

زرته ثانية وأخبرته؛

أنّ ضحكاتي لم تكن سوى قهقهات

تتكسّر على شفاه زائفة،

صوتها، يملأ الأرجاء

لكن لا رجاء.

وأخبرته أنّ غايتي لم تكن تلك الحركات

والأصوات...

والتّرهات...

وعلمت حينها بعد أن أعييته،

أنّ سادة الظّلام لم يتركوا لنا ضحكات

فَهُم سرقوها وباعوها في المحافل والحانات

وداسو على أحلامنا بعد أن اغتالوها،

وحمّلونا نعشها إلى الشتات.

The Clash of Narratives: A Multimodal Approach to Arab vs Western News Headlines

DR. Zeina Mohammad Rashid Al Zoabi

Abstract

It is no longer questionable whether the representations relayed to us through media are a depiction of the truth or a biased reflection of predefined ideologies. This study aims to approach the context of news representation through the lens of critical analysis and multimodality in an attempt to explore how the news discourse shapes realities. In particular, the conducted research explores the linguistic content of 12 Arab and Western news headlines reporting the Israeli attacks on the Gaza Strip. The researcher selected 4 news sources reporting the same events and approached their content through the vantage point of Critical Discourse Analysis (CDA) blended with multimodality. The findings revealed how the power of language is manifested in the ideologically burdened representations of events that operate according to diverse invisible agendas. Besides, the results highlighted the diverse lexical components and their relative functions as critical power tools within the context of news headlines.

Keywords: CDA, multimodality, news headlines, ideology, power Introduction

Introduction:

It is beyond controversy that humans' perceptions of the world are profoundly shaped by an array of predefined ideologies

relayed to them through language. This substantial influence of language in molding people's minds is predominantly exhibited in the realm of political issues and ideological manifestations. This is displayed in the media scope primarily in the context of political news discourse. According to Allami and Barzegar (2020), "language users are creating different identities for their interlocutors as they speak or write, positioning them in a certain way or place" (p. 91). This intentional positioning contributes to engineering the audience's minds displaying the reality within a preordained context. In accentuating how the media discourse foregrounds certain conceptions in the audience's minds, Nery and Ringrow (2018) argue that:

For a range of complex reasons [...], the mainstream media can never offer us a full and unbiased picture but instead uses language and imagery to provide us with representations of reality. Something which has been of key concern to many media discourse scholars is how media texts represent individuals and/or certain groups [...]. (p. 7)

The significance of the news discourse is depicted in the context of news headlines; the critical context in which news reporters race against time to catch the readers' attention and mold their minds. The significance of headlines lies in their immediate implicit projection of ideologies and belief systems in reporting an event. This sheds light on the functionality of approaching this media context through the vantage point of Critical Discourse Analysis (CDA). Being a multidisciplinary field, CDA allows for examining

the studied context highlighting the process of meaning-making in a given discourse. This analytical approach unveils the diverse linguistic strategies and language techniques employed in practicing power and communicating ideologies within the discourse.

Mingled with the essence of multimodality, CDA is adopted in this work of research in an attempt to highlight the diverse biased representations of the same event in different news headlines. The weightiness of the conducted study lies in exploring the discourse of news headlines reporting the Israeli attacks on Gaza as a controversial and critical contemporary issue. Investigating the media discourse at this level unveils the power of language in shaping the world of realities. This emphasizes the analytical nature of this study as it employs a multimodal approach in exploring how media representations in news headlines vary with the variation of ideologies and beliefs.

Statement of the Problem

As media shapes the very fabric of our world, the media discourse constitutes a significant context that should be critically and sensitively explored. This considerable role that media plays, particularly at the level of the news discourse, accentuates the invisible power of language manifested in influencing the audience and molding their minds. The phenomenon of practicing power through language is well displayed in the context of news headlines as one considerable component of the news discourse. Headlines are critical in the sense that they shape the public perception of an

event contributing to the propagation of preordained ideologies, social beliefs, and political conceptions. In this context, considering the process of news reporting at the level of news headlines is a necessary contribution required for recognizing how the world is engineered through predefined ideologies and political standings. This ideological shaping is dangerous as it influences the display of reality. At this level, reality is no longer a depiction of the truth; instead, it is transformed into a biased subjective reflection of perspectives and beliefs.

The fact that the news discourse does not objectively report events and incidents has emerged as a stressing issue that should be addressed within the media context. This phenomenon of media misrepresentation has imposed itself as a critical issue, particularly within the context of the Israeli attacks on Gaza. The cruciality of this issue is manifested in how the ongoing war is reported and represented through media, specifically in the scope of Arab and Western news. While some refer to these attacks as a form of massacre that transpired on the national soil of Palestine, others simply report the events as a pattern of reciprocal aggressions. These different and even contrasting representations display the clash of narratives exhibited within the news discourse. The seriousness of this issue calls for addressing this phenomenon mainly by studying the reporting process of the same event by different media sources. This linguistic analytical approach to the news headlines displaying the Israeli attacks on Gaza has been scarcely tackled before. This emphasizes the

need to address this problem by exploring the news discourse of diverse Arab and Western headlines reporting the ongoing attacks on the Gaza Strip.

Purpose of the Study

Exploring how language displays tendentious representations is vital in recognizing how news media reflects biased realities. The primary attempt of this study lies in approaching the context of news headlines through the lens of critical analysis and multimodality. This allows for exploring how the world's realities are framed within predefined contexts governed by ideologies and biased perceptions. Particularly, as the world is divided into two contrasting political standings in perceiving the Israeli attacks on Gaza, it is highly revealing to investigate how the news headlines display this opposition. The explored phenomenon is primarily manifested in showing how the same event is differently reported by different media sources, mainly Arab and Western news. This investigation highlights the significant role of language in influencing the audience's perceptions and shaking the world's realities.

In the context of the Israeli attacks on Gaza, the news discourse is an effective tool of power and manipulation employed in managing the people's perceptions of the truth. Accordingly, this study adopts a multimodal approach to critically analyze the news discourse at the level of news headlines. Through this critical analytical approach to headlines, this study unmasks the diverse strategies used in misrepresenting realities and altering the

objective truth into a reflection of beliefs. The conducted research aims to accentuate the multiple lexical features used by different news sources in differently reporting the same events. Through this approach, the researcher highlights the power of language in painting a subjective image of the world by displaying particular ideologies and stressing a given system of beliefs.

Research Questions

Acknowledging the aforementioned research problem, the researcher posed the following questions:

1. What lexical features are employed in differently reporting the same event in different news headlines?
2. How is power manifested within Fairclough's meso level of these features?
3. How is ideology shaping news representation in the context of the news discourse?

Definition of Key Terms

Ideology: According to Van Dijk (2009), an ideology is identified as the science of ideas encompassing diverse mental representations and subjective viewpoints that can be expressed and reproduced through discourse. Ideologies reflect the multiple norms, beliefs, and values held by a social group in a given society. Van Dijk (2009) asserts that the notion of ideology should not be associated with negative connotations as ideologies display positive norms in many contexts expressing positive values such as equality, justice, socialism, etc.

News Discourse: This is identified as one type of discourse that occupies a vital space in the field of linguistic research. Fowler (1991) argues that news is an act of representation of realities, incidents, and events that occur in a given context. However, Rubing and Sandaran (2023) maintain that this discourse performs a critical projection of events that arise in a cultural, political, or social context. This projection is governed by the social and political interplay that contributes to reporting an ideologized reality that influences the audience's vision of the world.

Headlines: Montejo and Adriano (2018) describe headlines as a catchy brief display of the overall content resembling the titles of book chapters. Fadhlurrahman (2021) defines the notion of headlines stating that "it is initial orientation whether the news headline is either a text or a part of the text. The answer is that it can be both. The headline is a type of particular text which is capable of being the self-governing text" (p. 29).

Literature Review

The Notion of Critical Discourse Analysis

Critical Discourse Analysis (CDA) emerged in the 1990s as the fruit of the research work of the 3 pioneers Teun Van Dijk, Norman Fairclough, and Ruth Wodak (Ramanathan & Hoon, 2015). This discipline comprises diverse theories and analytical methods that are concerned with the study of the interplay between discourse and society (Wodak & Meyer, 2009). Being perceived as a multi-

disciplinary approach, Fairclough (1992) argues that CDA is:

Discourse analysis which aims to systematically explore often opaque relationships of causality and determination between (a) discursive practices, events and texts, and (b) wider social and cultural structures, relations and processes; to investigate how such practices, events and texts arise out of and are ideologically shaped by relations of power and struggles over power; and to explore how the opacity of these relationships between discourse and society is itself a factor securing power and hegemony'. (p.135)

As language holds the brush of painting realities, CDA explores the relation between language and social contexts and beliefs. It highlights the role of ideologies in representing the world emphasizing the fact that language holds within diverse power relations (Itani & Bahous, 2019). Particularly, CDA reveals how writers reinforce their system of ideologies in the context of discourses to convey intended meanings, mold the audience's minds, and transfer particular messages. Van Dijk (1991) accentuates this power of language and ideologies particularly within the news discourse showing how certain political agendas govern the way meaning is reproduced in the news discourse.

The Concept of Ideology

The notion of ideology is specifically manifested within the media discourse in which newsmakers emphasize certain norms, thoughts, and values at the expense of others. Van Dijk (2012) argues that an ideology is a system of beliefs that constitute a

framed representation of given notions in the world. Van Dijk (2012) stresses the fact that this term is being misunderstood by different groups who only associate ideologies with domination and negative connotations. In fact, ideologies encompass a wide range of positive concepts that have their own values and function against negative beliefs. An example of positive ideologies are feminism and anti-racism.

In his theory of ideology, Van Dijk (1993) asserts that ideologies exert an invisible power represented in shaping people's behavior and molding their minds. This process of manipulation through discourse is motivated by the critical choice of language in a given context. According to Van Dijk (1995), ideological representation heavily relies on the critical display of the term us against the term them. This is highlighted within Van Dijk's ideological square which shows how realities are shaped by the misrepresentation of the truth mainly as writers and newsmakers associate the term us with positive notions but them with negative conceptions and properties (Van Dijk, 1993).

Methodology

Corpus

The data employed in this study involves the compiled corpus of news headlines. Particularly, the researcher explored the content of different headlines reporting the Israeli attacks on the Gaza Strip. However, due to repetitiveness in some contexts, the researcher only selected 12 headlines collected from 4 different media sources involving 2 Arab and 2 Western news contexts. In

an attempt to explore how media shapes realities, the researcher investigated the reporting of the same event in 4 different media contexts. Mainly, 3 events were studied by interpreting their reporting in the following media sources namely Al Arabiya News, Al Jazeera News, The New York Times, and Washington Post. The researcher maintained sampling and representativeness by selecting 3 headlines from each source. The chosen headlines reported the exact same event in all the selected headlines. The criticality of the studied corpus lies in previewing how the same event that happened in the same place and time is differently reported by Arab and Western news sources. The reported events along with the selected headlines and their respective sources are previewed in Table 1.

Table 1

Headlines reporting the same news events in Arab vs Western media sources

Reported Event	Headline	Source
1. The Israeli attack on Jabaliya Refugee Camp in Gaza	1. Israeli airstrikes on Jabalia refugee camp in Gaza killed more than 100 Palestinians	Al Arabiya News
	2. Dozens killed in Israeli air attack on Jabalia refugee camp: Gaza official	Al Jazeera News
	3. Israeli Airstrike Aimed at Hamas Hits Jabaliya Refugee Camp in Gaza	The New York Times
	4. Israeli airstrikes crush apartments in Gaza refugee camp, as ground troops battle Hamas militants	Washington Post

2. The perceptions of Hamas' underground tunnels	5. The Hamas tunnel city beneath Gaza - a hidden frontline for Israel	Al Arabiya News
	6. Analysis: Is Hamas a more sophisticated force than Israel imagined?	Al Jazeera News
	7. Gaza's Underground Tunnels Are Thought to Conceal Hamas Fighters and Weapon	The New York Times
	8. Hamas tunnels under Gaza stretch miles, holding hostages and weapons	Washington Post
3. The Israeli first ground attack in Gaza	9. France's Macron: 'Massive ground intervention' in Gaza would be error for Israel	Al Arabiya News
	10. Analysis: Israel's ground attacks yield lots of bang, little success	Al Jazeera News
	11. 'A Very Slow Game:' Why the Pace of Israel's Ground Operation Counts	The New York Times
	12. Israel steps up air and ground attacks in Gaza and cuts off the territory's communications	Washington Post

Research Design

According to Creswell (2014), a research design is identified as the type of inquiry involved in each research method. As the conducted research is analytical and interpretative, the adopted design at this level is the qualitative design. In describing this design, Salkind (2010) argues that "qualitative research is often subjective in nature, relying on interaction between the researcher and study participants" (p. 1122). Besides, Obeyd (2021) maintains that qualitative research is non-numerical involving recorded data and written discourses. Dornyei (2007) asserts the analytical nature of qualitative research maintaining that it provides a "context-sensitive micro-perspective" of the studied context (p. 27).

In this regard, the conducted study is qualitative as it encompasses a critical analysis of the news discourse at the level of news headlines. The qualitative method in this respect involves adopting a multimodal approach to unveil the diverse language components, features, and functions presented within the tackled corpus. Besides, this method allows for exploring how power and ideology are practiced in the news discourse. As the researcher intends to analyze the context of headlines, Salkind (2012) maintains that qualitative research serves as a significant and influential means of analytically approaching a given phenomenon in a particular context.

Adopted Frameworks

In conducting this study, the researcher adopted a multimodal approach. This approach involves analyzing and previewing the content of news headlines through the lens of different frameworks that unveil diverse linguistic features of the context. Particularly, the researcher adopted Fairclough's Three-Dimensional Model, Van Dijk's Theory of Ideology and Ideological Square, and Halliday's Systemic Functional Linguistics (SFL) in approaching the context of news headlines discourse. While Halliday's theory allows for investigating the lexical components of the studied discourse, Fairclough's model contributes to accentuating the meso level representing the social practice of the discourse. Besides, Van Dijk's theory is employed to reveal how ideologies contribute to shaping the audience's representations of the world as one tool of practicing power through language.

Halliday's Systemic Functional Linguistics (SFL)

According to Almurashi (2016), this theory was developed by Michael Halliday and his followers in the 1960s. Halliday et al. (2014) argue that this theory is effective in exploring the linguistic content of any discourse and highlighting the diverse metafunctions that these linguistic components perform. According to Eggins (2004), this theory is widely known for its tristratal model encompassing three levels of analysis and investigation. These levels are the Discourse-Semantics, the Lexico-Grammar, and the Phonology and Orthography levels. While the Discourse-Semantics level involves the ideational, interpersonal, and textual metafunctions of language, the Lexico-Grammar level encompasses the grammar and lexicon used in displaying meaning in a given context. However, the third level deals with the sound and writing systems represented by the phonological and orthographical aspects of the language (Eggins, 2004).

The functionality of this theory is manifested in displaying how different speakers employ diverse language components to achieve their purposes (O'Donnell, 2012). This is highlighted at the level of how language features serve as tools of manipulation and power within the discourse. Almurashi (2016) emphasizes the functionality of this theory claiming that it is considered "an influential tradition to linguistic study because [...] it provides an innovative value from functionalism and a useful tool for those who wish to analyze texts" (pp. 75-76).

Fairclough's Three-Dimensional Model

Fairclough's Three-Dimensional Model (1992) is an analytical model that emerged as a new type of analysis involving 3 major levels. These analytical levels involve text analysis, processing analysis, and social analysis. In describing these levels, Renaldo (2017) argues that they respectively refer to the micro, macro, and meso levels of analysis that are displayed in interpretatively approaching a discourse. Fairclough (1992) asserts that although these levels are externally separate, they underlie an implicit interrelationship represented in their complementary nature that contributes to displaying meaning in a discourse. Besides, Fairclough (1992) identifies the function of each level claiming that the first level is limited to studying the basic structure of the text. Besides, the second level extends to touch on the processes of production and consumption of the text while the third level, namely the meso level, refers to the social practice contributing to the process of meaning-making in a given discourse. The third level is significant in the sense that it highlights the interrelationship exhibited between language and the social context in which it was produced.

Van Dijk's Theory of Ideology and Ideological Square

In his theory of ideology, Van Dijk (1993) explicates the relation between society, social cognition, and discourse. Van Dijk's (1993) paradigm reveals how social and political ideologies represent diverse polarized visions that influence the overall perception of the world as well as the depiction of reality. In this context,

ideologies are considered mental representations, thoughts, and beliefs that represent a social group's values, norms, and perspectives (Van Dijk, 1995). This multidisciplinary approach intends to highlight how covert ideologies influence social practice. As Van Dijk (1993) triangulates society, cognition, and discourse, it is evidently revealed how people's cognitive representations expressed through language contribute to shaping realities in the world. To explore this relationship between ideologies and social realities, Van Dijk (1995) asserts that one should recognize the invisible bond between discourse and society.

Within his ideological theory, Van Dijk (1993) proposed the ideological square encompassing four maxims underlying the diverse social and political representations through language. These maxims are adopted as an analytical tool within the context of ideological analysis as they show how social and political realities are framed within predefined ideological systems. These principles serve a considerable role in shaping realities in a particular context mainly at the level of positively displaying one's self and negatively representing others. According to Van Dijk (1993), these four principles hold:

- Emphasizing the positives about us
- Emphasizing the negatives about them
- De-emphasizing the negatives about us
- De-emphasizing the positives about them

Discussion and Analysis

Within the context of critical analysis and interpretation, the researcher approached the studied discourse through the perspective of multimodality. This unveiled the diverse components and features characterizing the discourse of news headlines. Particularly, the researcher responded to the posed research questions through the adopted frameworks to develop a holistic multimodal approach to the tackled discourse. While the lexical features were explored and studied using Halliday's SFL, the process of power manifestation was observed through the lens of Fairclough's model (1992). However, Van Dijk's ideological theory (1993) was adopted to investigate how ideologies influence and manipulate the representations of realities.

The Lexical Features Employed in Different News Headlines

In exploring the linguistic content of the tackled headlines, the employed lexicons effectively contribute to framing the communicated information within a preordained context. This can be illustrated at the level of the studied events that were differently reported by media sources that share different agendas (Table 1). At the level of Event 1, 4 media sources differently reported the Israeli attack on Jabaliya refugee camp in Gaza. While Arab news emphasized the criminal nature of the Israeli attack that killed tens of innocent souls, the Western news argued justified the attacks claiming that they were aimed at Hamas militants. This opposite representation is displayed in the critical choice of lexicon in which Headline 1 reported by Al Arabiya News mentioned "killed, 100

Palestinians", and Headline 2 reported by Al Jazeera involved the lexicons "dozens, killed". However, Headlines 3 and 4 respectively reported by The New York Times (NYT) and Washington Post included lexicons that veil the criminal nature of the attack such as "Hits, crush, apartments, Hamas, militants".

This clash of narratives reveals the contrasting representation of the same event. While Arab news shed light on the violence and criminality of the Israeli attacks highlighting the fact that dozens of citizens were killed, Western news justified this act and concealed the fact that innocent people were killed. In other words, Western news only mentioned the destruction at the level of houses and apartments without providing any clues about the innocent people who were killed claiming that the attacks were aimed at Hamas militants. These opposite representations are explored through Halliday's SFL which considers the lexico-grammar level an effective level in communicating the message and framing it within a defined context that serves particular agendas.

At the level of Event 2, the reported headlines revealed a contrasting representation of Hamas tunnels as perceived by Arab versus Western media sources. Lexically speaking, Headlines 5 and 6, respectively reported by Al Arabiya News and Al Jazeera News, portrayed these tunnels as a great achievement for Hamas highlighting their importance in counteracting Israeli attacks. Contrastingly, Headlines 7 and 8 reported by NYT and Washington Post displayed these tunnels as a hideout for weapons and terrorism. Through the lens of Halliday's SFL, the lexical level in

the studied headlines reflects the diverse ideologies underlying news representation. For example, Headlines 5 and 6 employed lexicons that foster Hamas' force and bravery such as “frontline, tunnel city, sophisticated, force” while Western headlines namely 7 and 8 used lexicons that highlight terrorism such as “conceal, weapon, fighters, hostages”. Hence, the choice of lexicon in reporting an event influences the entire representation of reality.

In the context of Event 3, the lexical level shows how the same event can be differently represented through the choice of the lexicons employed in the headlines. Event 3 which illustrates the Israeli first ground attack in Gaza was differently represented by Arab and Western News. In exploring the content of headlines through Halliday's SFL, Headlines 9 and 10 that were reported by Arab news highlighted the failure of this attack and took advantage of this incident to foster Hamas' power. This is evident in the choice of lexicons like “error, little success, bang”. The lexical level represented this Israeli attack as a failed intrusion through which Israel's power is de-emphasized. However, Western news reported this event claiming that the first ground attack yielded considerable results pretending that its slow progress was a form of tactic and not an unsuccessful breach. This is lexically evident in the studied headlines in which Headlines 11 and 12, respectively reported by NYT and Washington Post, involved terms like “slow, game, pace, counts, steps up, cuts off”. These terms masked the failure of this attack in the name of a slow game following a strategic pace.

The Manifestation of Power Within Fairclough's Meso Level

After exploring the lexical level of the selected headlines, adopting Fairclough's Three-Dimensional Model allows for analyzing the meso level of these headlines. As Fairclough (1992) maintains, this level emphasizes the social practice of language mainly at the level of practicing power. In the context of Event 1, it is evident how the employed language highlighted some aspects of the incident at the expense of others. This has led to portraying the reality within a defined context persuading the audience with a preordained perspective. The power of the headlines reporting Event 1 is manifested in how these headlines affect the world we live in and manipulate the audience's minds. While Arab sources asserted the criminal nature of the Israeli attack on Jabaliya camp, Western news attempted to convince the audience that the attack aimed at Hamas militants who are portrayed are terrorists. These opposite representations accentuate the fact that media holds the formidable brush painting the audience's minds according to particular agendas and ideologies.

In the context of Event 2, Fairclough's (1992) meso level also allows for discovering the invisible power of language that contributes to molding people's minds. This event was oppositely reported by Arab and Western news as the former displayed Hamas tunnels as a "hidden frontline for Israel" while the latter asserted that these tunnels are tunnels of terrorism and violence. The contrasting representations make the audience doubt that the same event is being reported. Here lies the power of language that is manifested at the meso level of the discourse highlighting

the role of language at the level of the social practice. This level highlights the social function of the previously analyzed lexicons employed in the news discourse.

Similarly, Event 3 highlights the power of language used as a tool in expressing different perspectives on the same event. Fairclough's (1992) meso level is emphasized in this context as the chosen language features accentuate the social practice of language. This is evident in Event 3 as different headlines differently reported the same event influencing the display of social reality. This asserts that language is a tool of power that shapes the world. The significance of the meso level lies in extending beyond the scope of text analysis highlighting the function that the studied text performs in the social context.

Ideology as a Means of Shaping Realities

One of the most considerable elements characterizing the news discourse is the myriad of ideologies underlying this context. Van Dijk (1993) emphasized the importance of ideology claiming that it contributes to molding the audience's minds as it represents news within a predefined context. This context serves given agendas and emphasizes them at the expense of others. In accentuating how ideologies shape realities through the news discourse, Events 1, 2, and 3 provide a clear illustration of this phenomenon. Arab and Western news have clearly reported the same event differently to the extent that two opposite realities are obtained. This is motivated by the invisible linguistic techniques encompassing Van Dijk's (1993) theory of ideology that reveals

how newsmakers customize the representation of events in a way that serves their political and ideological purposes.

In this respect, Event 1 shows how the Israeli attack on Jabaliya was described as an attempt to destroy terrorism as perceived through the lens of Western news. Western ideologies justified this act ignoring the aspect that innocent souls were killed. This is displayed in this manner to avoid portraying Israel as a criminal. However, Arab news emphasized the criminality of this act highlighting the death of dozens of innocent citizens and refugees. Besides, Event 2 reveals the impact of ideologies on news representation. While Western news refuses to admit that Hamas tunnels constitute an actual source of threat to Israel, they de-emphasize the value of these tunnels claiming that they only conceal weapons and hostages. This is illustrated once approached through Van Dijk's Ideological Square which shows how ideologies contribute to emphasizing the negatives and de-emphasizing the positives about "them". Additionally, Western news tends to emphasize the positive about themselves and de-emphasize the negative which is displayed at the level of Event 3. Event 3 shows how Western news did not admit the failure of the first ground attack claiming that the slow pace was intended and it is one form of Israel's tactics.

Similarly, Arab news also followed the process of emphasizing one's positives and de-emphasizing others' negatives which is evident in the context of Event 2. Arab news highlighted Hamas' bravery and intelligence in building a city of tunnels that is

frustrating for Israel. However, Arab news did not mention any of the aspects that highlight the weapons and hostages concealed in these tunnels. This representation reveals that ideologies underly the diverse forms of news representations contributing vitally to shaping the entire world we live in. Hence, this asserts that the social reality represented through media is a reflection of ideologies and beliefs rather than an objective depiction of truth and reality.

Conclusion

The results brought forth by this study have emphasized the fact that the news discourse is emerging as a representation of ideologies rather than a depiction of the truth. By approaching the tackled discourse of news headlines through the lens of multimodality, the power of language in shaping realities is clearly revealed. The studied headlines have shown how the same event is being differently represented by diverse media sources that hold different ideologies and serve opposite agendas. The headlines employed different linguistic features that function as effective tools in framing the ideologized representation of events. Besides, the choice of the employed features and language components is governed by the diverse systems of beliefs and ideological perceptions of newsmakers. This makes the news discourse a battle zone where narratives clash to engineer realities within an ideological frame.

References

Allami, H., & Barzegar, N. (2020). Representation of ordinary people in political discourse: An aggregate critical discourse analysis. International Journal of Society, Culture & Language, 8(2), 90-104.

Almurashi, W. (2016). An introduction to Halliday's systemic functional linguistics. Journal for the Study of English Linguistics, 4(1), 70-80. doi:10.5296/jsel.v4i1.9423

Creswell, J. W. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (4th ed.). Sage Publications

Dörnyei, Z. (2007). Research methods in applied linguistics. Quantitative, qualitative and mixed methodologies. Oxford: Oxford University Press.

Eggins, S. (2004). An Introduction to systemic functional linguistics (2nd ed.). London: Bloomsbury Academic.

Fadhlurrahman, F. (2021). Linguistic manipulation and ordering in online news headlines of PSBB regulation [Bachelor's Thesis, State Islamic University]. http://etheses.uin-malang.ac.id/32585/

Fairclough, N. (1992). Critical language awareness. London: Longman.

Fowler, R. (1991). Language in the news: Discourse and ideology in the press. London/New York: Routledge.

Halliday, M., Matthiessen, C. M., & Matthiessen, C. (2014). An introduction to functional grammar. New York NY: Routledge.

Itani, L. Y., & Bahous, R. (2019). Media Discourse Analysis of News Reports in Lebanese Newspapers. Global Media Journal, 17(32), 1-10.

Neary, C., & Ringrow, H. (2018) Media, power and representation. In P.

Seargeant, A. Hewings, & S. Pihlaja (Eds.), The routledge handbook of English language studies (pp. 294-309). London: Routledge.

Obeyd, S. (2021). Research methods in linguistics: An Overview. Studies in Linguistics, Culture, and FLT, 9(1), 54-82. 10.46687/SILC.2021.v09i01.004

O'Donnell, M. (2012). Introduction to Systemic Functional Linguistics for Discourse Analysis. Language, Function and Cognition, pp. 1-8.

Ramanathan, R., & Hoon, T. B. (2015). Application of critical discourse analysis in media discourse studies, The Southeast Asian Journal of English Language Studies, 21(2), 57-68.

Renaldo, Z. (2017). Analysis of linguistic features of beauty product advertisements in Cosmopolitan Magazine: A Critical discourse analysis. TELL-US Journal, 3(2), 141-154. https://doi.org/10.22202/tus.2017.v3i2.2628

Rubing, G., & Sandaran, S. (2023). A Critical Discourse Analysis of News Discourse on in The Times. International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, 13(1), 968 – 984.

Salkind, N. (2010). Encyclopedia of research design. Sage Publications.

Salkind, N. (2012). Exploring research (8th ed.). Pearson.

Van Dijk, T. A. (1991). The interdisciplinary study of news as discourse. In K. B. Jensen (Ed.), A handbook of qualitative methodologies for mass communication research (pp.331-395). Routledge.

Van Dijk, T. A. (1993). Principles of critical discourse analysis. Discourse & Society, 4(2), 249-283.

Van Dijk, T. A. (1995). Discourse analysis as ideology analysis. In C. Schaffner, & A. L. Wenden (Eds.), Language and peace (pp. 17-33). Aldershot: Dartmouth

Van Dijk, T. A. (2009). News, discourse, and ideology. In K. Wahl-Jogensen & T. Hanitzsch (Eds.), The handbook of journalism studies (pp. 191-204). New York: Routledge.

Wodak, R., & Meyer, M. (2009). Critical discourse studies: A sociocognitive approach. In R. Wodak & M. Meyer (Eds.), Methods of critical discourse analysis (pp. 62-86). Thousand Oaks: Sage.

A Descriptive Mixed-Methods Study of Instructors' Perceptions of Integrating Research in English Language Teaching at Private Universities in Lebanon

Jana Saab

Lebanese University, Lebanon

Abstract

This study aims at examining the perceptions of English instructors in implementing research in teaching the English language at private universities in Lebanon. The issue of students' demotivation in learning English and the lack of integrating research in teaching are problematic and this was reflected in the instructors' and coordinators' responses. Despite the fact that the English instructors apply several methodologies in English language teaching, students' engagement in the English language classroom is challenging. Taking this issue into consideration, this study attempts to show the important need to implement research in teaching English at the university. This study is a descriptive mixed method research that involves gathering data from interviews and surveys. Indeed, all quantitative data was collected from the Google form that was sent to the instructors, analyzed, and portrayed in the forms. Moreover, the conducted interviews, that are the qualitative data, are transcribed and analyzed. The analysis of the collected data indicated that the research hypotheses were proven and the research questions were answered. In addition, the research outcomes revealed that the instructors and coordinators have positive feedback on the

integration of research in teaching the English language at the university. Indeed, instructors demonstrated their preferences and needs for research integration in English language classrooms meet the needs of the 21st century learners. This shows that research is a significant solution to help in the development of the methodology of teaching the English language creatively and innovatively. Also, teachers show their interest in adopting this new method because students are more motivated and encouraged while learning English. This also enhances instructor-student communication and develops students' research and analytical skills.

Keywords: research, English language teaching, instructors, English language classroom, methodologies

Introduction

The development of the educational field and new techniques have emerged to facilitate the process of learning or teaching language. Research is revolutionizing the methods of English language teaching to meet the needs of the twenty first century learners at universities (Barnett, 2000 & Brew, 2010). However, integrating research in English language teaching classrooms is challenging and needs high proficiency in order to implement this technique. In this realm, adopting research in the teaching language is controversial among researchers (Barnett, 2005; Brew, 2001, 2006; Jenkins et al., 2003; Kreber, 2006).

Implementing research in university teaching has four aspects. The first one is "research-led", which includes the content of

research and students are targeted. The second type is "research tutored", which involves the participants in research (students) and the core of research. Thirdly, there is the research-oriented method that incorporates the steps of research that students should follow. In addition, there is the "research-based" method that combines the progress of research and students (Healey, 2005).

Therefore, thinking out of the box is highly needed in order to embrace change in teaching English at universities. This can be done by utilizing research in classrooms. The researcher in the current study investigates the points of views of English instructors regarding the importance of implementing research in teaching English at universities.

Statement on the Problem

The English language instructors strive to make the English language classrooms more engaging. The problem is that students are demotivated to learn English and instructors lack the tools of research. Although the English instructors at universities apply new methodologies of teaching, they still face obstacles while teaching. Moreover, instructors are unaware whether to utilize research-based methods in teaching the English language or not. Furthermore, depending only on the coordinator's instructions and the design of the curriculum hinders integrating research in English language classrooms. Language professionals found that it is crucial to look at the key role of research in building knowledge and developing the English language acquisition. In

this regard, the descriptive mixed method research sheds light on the overlap between research–informed practice and effective language teaching.

Purpose of the Study

This descriptive mixed method research aims at studying the perceptions of instructors towards the implementation of research in teaching the English language at universities. According to (Brew, 1999; Elton, 2001; Healey, 2005), students benefit from learning the English language when they are taught using research practices. Accordingly, when students are involved in research activities, they will get the advantage of problem–solving practices on the academic level and in life (Coombs & Elden, 2004; Savery & Duffy, 1995). This enhances students' research and cognitive skills while learning the English language. It is noteworthy to state that this study also portrays the way research can affect linguistic and pedagogic practices and policies. Therefore, the interconnection between research and teaching English language is viewed.

Significance of the Study

In an attempt to improve English language teaching at private universities in Lebanon, the researcher conducted this study to determine the instructors' perceptions towards research–based education. By conducting a study that sheds light on research practices, this research paper endeavors to examine the effectiveness of research in teaching English. The significance of integrating research lies in the development of the English

language teaching. Thus, there emerged the need to support teaching methodologies with research knowledge. Instructors need to delve deeply into the importance of the role of research in teaching. Additionally, curriculum designers should emphasize the implementation of research in English language classrooms. In this way, students can master the master the English language.

Research Questions

1. What are the instructors' preferences towards adopting research in English language classrooms?

2. How do English coordinators perceive the effectiveness of research in teaching at universities?

Hypotheses

1. English instructors supported the idea of integrating research in English language teaching classrooms.

2. The English coordinators found that there is a correlation between research and English language teaching.

Literature Review

The Significance of Research Implementation into Teaching

It is stated that there are various ways to integrate research in teaching in order to obtain the required result. Including university students as collaborators in academic research has been supported by Healey et al. (2015) and Brew and Mantai (2017). On the contrary, the argument on the inquiry-based learning, which engages students in research, has better results

for student's learning than teacher-centered, content-focused teaching (Brew, 2003; Jenkins & Healey, 2005). It can be inferred that when students are involved in research activities while learning enhances their performance in the classroom and encourages them to think critically.

According to Brew (2003), research integration in teaching languages needs to match the needs of the university students. On the other hand, there is still no precise manifestations on the obstacles and capabilities of research implementation in the teaching at universities (Brew and Mantai, 2017). The way of teaching research is affected by the perceptions of the instructors at universities (Wilson et al., 2012). Research faces problems of funding and support which limits its utilization in institutions and universities (Jenkins & Healey 2005). Therefore, research needs to be given importance in order to be implemented as an integral in the curriculum.

In order to ensure an effective and professional way of teaching English at universities, the research technique needs to be implemented (Waring & Evans, 2015). Moreover, high-quality teaching is connected with research. Accordingly, instructors should have the deep knowledge in research in order to employ their own knowledge while teaching the English language (Winch, Oancea, & Orchard, 2013). When instructors work jointly with students, this helps them to take the initiative and lets them question many concepts to find a solution (Evansa et al., 2017). Additionally, when students base their knowledge on research

studies and scientific data, this increases their self-confidence.

To illustrate more, instructors have to embrace their own experiences and practices, bring pieces of evidence, and collect data and analyze them critically. In other words, they need to develop, create, and apply in order to ensure authenticity and prove that research is part of the success of the teaching process (Shank & Brown, 2013). It is important to note that the essence of research literacy lies in analyzing, interpreting results, and drawing on conclusions. To be more specific, it is

"... a willingness to engage with research in order to assess its utility and ripeness for adaptation to context. [...]. It involves critical scrutiny of evidence, whether that be directly from enquiry-oriented practice evident in schools, from active participation in research, and/or from examination of researcher-led studies... (Waring & Evans 2015, p.18)."

This implies the necessity of research-based knowledge to be applied in teaching classrooms at universities. Having a professional level of knowledge in research practices enables instructors to find solutions for many problems in teaching. Indeed, this helps them to explain the aims behind utilizing certain techniques based on their knowledge and experience (Wilson et al., 2013).

Benefits of Research-Based Technique for English Language Teaching

According to Reinmann (2016), there are various ways to connect teaching with research. Research by itself includes an

active process (Meer, 2018). This encourages students to be active leaners in English classrooms. For example, students can learn about recent research (research-led), improve their own research techniques (research-oriented), participate in research-related conversations (research-tutored), or even do their own study (research-based) (Healey & Jenkins, 2009). This is contrary to the previous ways of teaching the English language at universities, where students were not actively involved in all classroom activities (Munthe & Roger, 2015). This implies that there is a need to implement research in teaching English to let students be more excited to engage in discussions and do their own research. The main aim here is to teach through research and let students learn and acquire the main concepts of developing research.

Furthermore, research and teaching are farfetched from each other. In order to break the gap between these two notions, the research-based approach is integrated in teaching the English language (Meer, 2018). Lecturers at universities can transfer research knowledge to students and apply the most recent methodologies of teaching through research. It is noteworthy to state that teaching delivers knowledge to students, whereas, research is gathering knowledge.

On the contrary, according to Healey and Jenkins (2009), teaching and research overlap together and students are active learners and can generate knowledge through research. This drives the researcher to conclude that teaching and research

complete each other and can be combined together to obtain better ways of delivering and acquiring knowledge.

The Overlap Between Research-Informed Practice and Effective Language Teaching

In order to benefit from learning the English language, research is integrated (Meer, 2018). Students can learn through research, and then they can gain knowledge to conduct their own research. Moreover, a study was conducted by Yousef and Deuber (2007) at the University of West Indies to prove the importance of combining research with teaching English. Students analyzed the collected data, which gave them more knowledge about the English language. In addition, they gave positive feedback on what they learned and experienced. This implies that research paves the way for students to draw on their own conclusions.

Research-Practice Gap

The lack of the utilization of research in various fields, specifically in education is debatable (Malouf & Taymans 2016; Neal, Neal, Kornbluh, Mills, & Lawlor 2015; Neal, Neal, Lawlor & Mills 2015; Neal, Mills, McAlindon, Neal, & Lawlor 2019; Vanderlinde & van Braak 2010). Furthermore, Malouf and Taymans (2016) argued that despite the fact that "the transformation of education into an evidence-based field has been proclaimed for over a decade... the degree to which it is actually taking place remains an open question" (p. 454). In this regard, bringing research into practice in education is still questionable and argued by many researchers and experts. It is important to note that there are channels for

interaction between the research and practice organizations, enabling professionals to acquire and researchers to distribute research, which is necessary for narrowing the research-practice gap (Neal, 2019).

Methodology of Research

Design

This study is descriptive research mixed between qualitative and quantitative research. The utilization of this triangulation enhances the credibility of the perceptions of English language instructors towards integrating research in English language classrooms at private universities in Lebanon. The mixed method research includes data collection of two kinds: qualitative (interviews) and quantitative (survey questionnaire) (McLeod, 2019).

Sample of the Study

The study is applied to two private universities in Lebanon, the Islamic University of Lebanon and the American University of Beirut in the academic year of 2022-2023. The study was conducted between the months of June and September 2023. The researcher conducted online interviews via Zoom application with the director and the English coordinators at the universities in order to know their points of views towards integrating research in the English language classrooms at the universities. In addition, the researcher submitted the surveys as Google forms to the English instructors and received 26 replies from 26 instructors at the universities.

Instruments

The researcher used the qualitative tool (interviews) and the quantitative tool (survey). The former was sent to the coordinators and directors at the universities. The latter was sent to the English instructors at the universities to reflect their perceptions toward integrating research in the English language classrooms.

Procedure

The researcher sent emails to the universities in order to get the consent to conduct the study at their university. After the approval from the universities, the researcher submitted emails to the director and the coordinators at the four branches of the Islamic University of Lebanon and the American University of Beirut including the interview questions and the survey to be sent to the instructors and doctors at both universities. After that, the survey is filled by the English instructors. Indeed, the researcher conducted the interviews, transcribed and analyzed them.

Analysis and Findings

After conducting the research study at the four branches of the Islamic University of Lebanon and the American University of Beirut, the researcher came up with the following results.

Quantitative Results Obtained via the Survey Questionnaire by the English Instructors at the Private Universities in Lebanon Description About the Course that the Instructors Teach at the Two Universities

The following diagram shows the subjects that the university

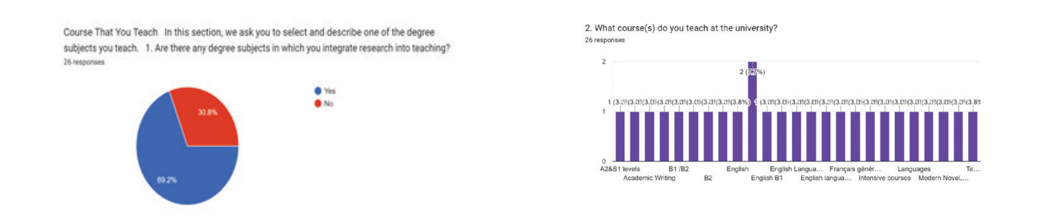
instructors integrate research into them in the English language classrooms.

Figure 1

Degree Subjects that Instructors Integrate Research

Figure 2

The Courses that the Instructors Teach



According to figure 1, it is clear that the English university

Instructors include research as 69.2% in their subjects. This implies the significance of integrating research in teaching the course. Indeed, figure 2 shows the various English language courses that the instructors teach at the both universities.

Figure 3

The Types of Subjects that are Taught

Figure 4

The Degree Subject the Instructors have hosen

Some instructors teach theoretical courses (23.1%), others teach methodological or research- oriented courses (30.8%) and most of them teach practical or intervention-oriented courses (46.2%) as presented in figure 3. This implies the need to integrate research in teaching English language courses at the universities. In figure

4, most of the English university instructors teach mandatory courses (57.7%). However, others teach basic training (15.4), optional course (11.5), and other courses (15.4). Based on the results obtained above, the practical and the theoretical parts should be included while learning. This can be connected with Wilson et al. (2013) point of view so that instructors can involve their knowledge in research in explaining the lessons.

Figure 5

Faculties of Teaching the English Language at Both Universities

Figure 6

Academic Year of Students

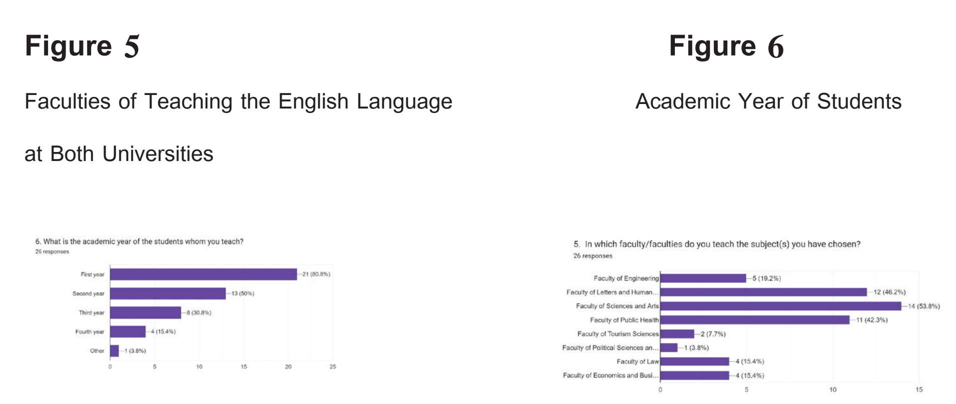


Figure 5 shows the different faculties where the English instructors teach the English course, such the faculty of engineering, business, public health, law, etc. Indeed, the second figure shows the different academic years of students whom the instructors teach.

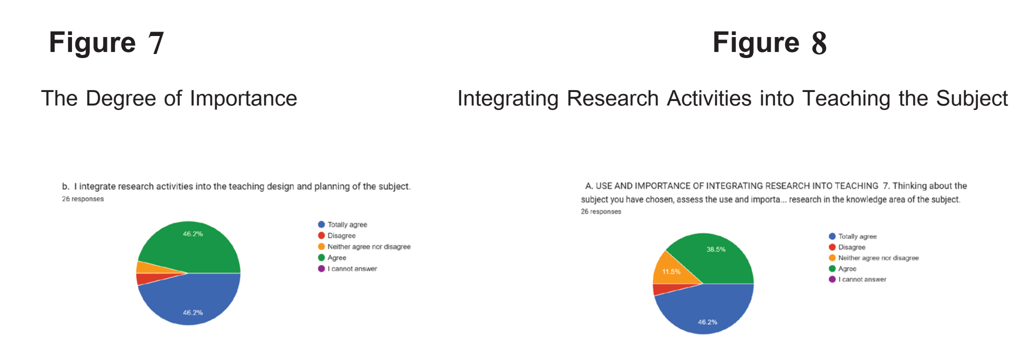
The Importance of Integrating Research in Teaching English

Figure 7

The Degree of Importance

Figure 8

Integrating Research Activities into Teaching the Subject



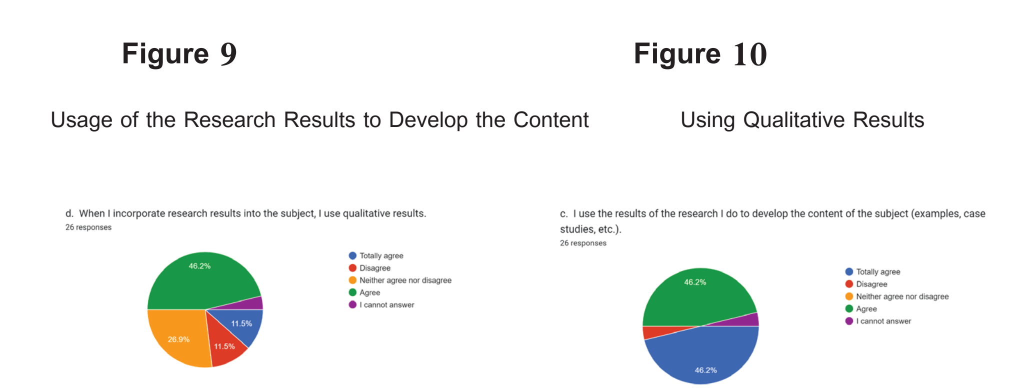
The above figure shows the significance of integrating research in English language classrooms at the universities. There is a high percentage showing the high agreement (46.2%) regarding implementing research. Therefore, it is obvious that research should be implemented in teaching English. There is a high percentage (46.2%) of implementing research activities in the subject that the instructors teach. This highlights the importance of research here. Additionally, there is a clear relationship between English language teaching and research activities. This can be compared with Healey and Jenkins' (2009) notion where there is an emphasis on students being active learners.

Figure 9

Usage of the Research Results to Develop the Content

Figure 10

Using Qualitative Results



Figures 9 and 10 prove the vitality of using the results of research as evidence in the content during the English language classrooms and to share the qualitative results in the course. Therefore, it is important to include the research results while explaining the lesson.

Figure 11

Using Quantitative Results

Figure 12

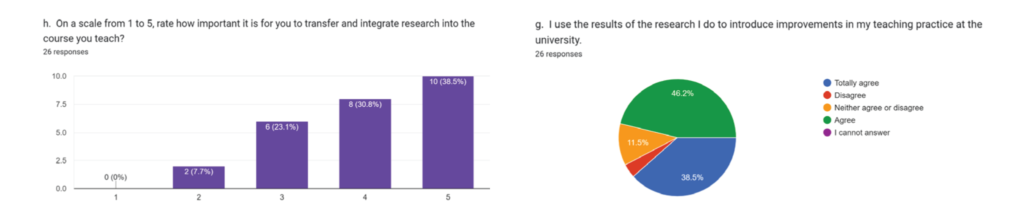
Implementing Research in Teaching at University

f. I do research on my teaching practice at the university.
26 responses
50%
15.4%
26.9%
Totally agree
Disagree
Neither agree nor disagree
Agree
I cannot answer

e. When I incorporate research results into the subject, I use quantitative results.
26 responses
26.9%
30.8%
19.2%
19.2%
Totally agree
Disagree
Neither agree nor disagree
Agree
I cannot answer

Figure 13 **Figure 14**

Using Research to Introduce Improvements in Teaching The Shift Toward Research Integration



These figures show that the English instructors use the results of the qualitative and quantitative data to explain certain idea. For example, 46.2% of the instructors use quantitative data of research in order to explain an idea in the English classroom at the university. On the other hand, only 26.9% of the instructors use the quantitative results obtained from research in the explanation of the lessons. This implies that the instructors rely qualitative results more that the quantitative results here. Additionally, according to figure 13, 46.2% of the instructors want to use the research results in order to find out the enhancements in teaching practices at the university. The other 11.5% they neither agree nor disagree on that. Based on the results obtained in the above graph, the instructors highly agree on transforming teaching the English language to be research-based.

Activities to Integrate into Teaching

Figure 15

Students Searching for Articles

Figure 16

Students Conducting Research

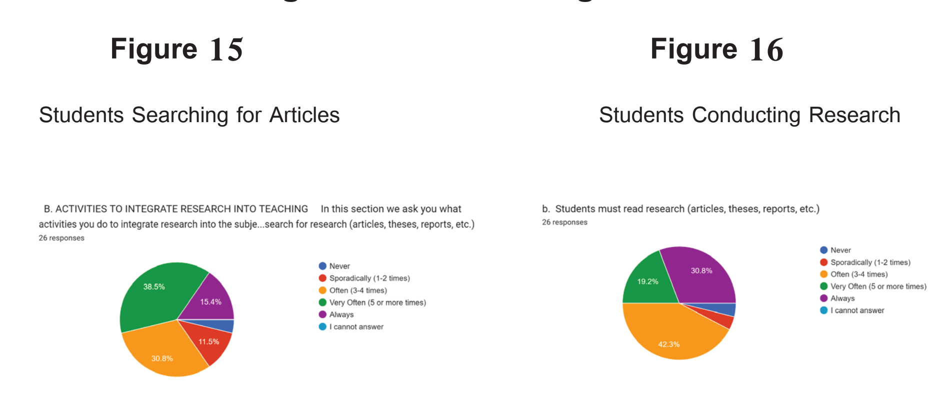


Figure 17

Students Expalanation of the Research they Conducted

Figure 18

Discussion of the Results of the Research Study

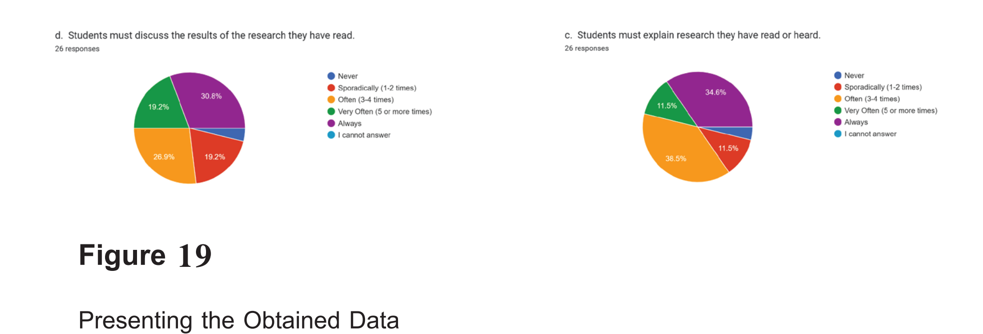


Figure 19

Presenting the Obtained Data

e. The data obtained in the research that I present are analyzed (excerpts from reports, articles, etc.).
26 responses

11.5%
19.2%
46.2%
11.5%
11.5%

Never
Sporadically (1-2 times)
Often (3-4 times)
Very Often (5 or more times)
Always
I cannot answer

In figure 15, students very often search for articles (38.5%). This means that they should be trained to on the best ways to

look for the suitable articles depending on their field of research. In figure 16, there is a 42.3% of students who read and search for articles. According to the responses of the English instructors in figure 17, 38.5% of students explain the research they have read. Furthermore, in figure 18, 30.8% of the students always discuss the results of the research. Additionally, there is data analysis of the results obtained from articles or reports (46.2%) about 3 to 4 times only. This is also supported by the study that was conducted by Yousef and Deuber (2007) at the University of West Indies highlighting the necessity of research involvement in language classrooms at universities. Indeed, this helps students to gain new knowledge through research Healey and Jenkins (2009). There is a need to let students be included in research Healey et al. (2015) and Brew and Mantai (2017).

Development of Activities that Are Related to Research

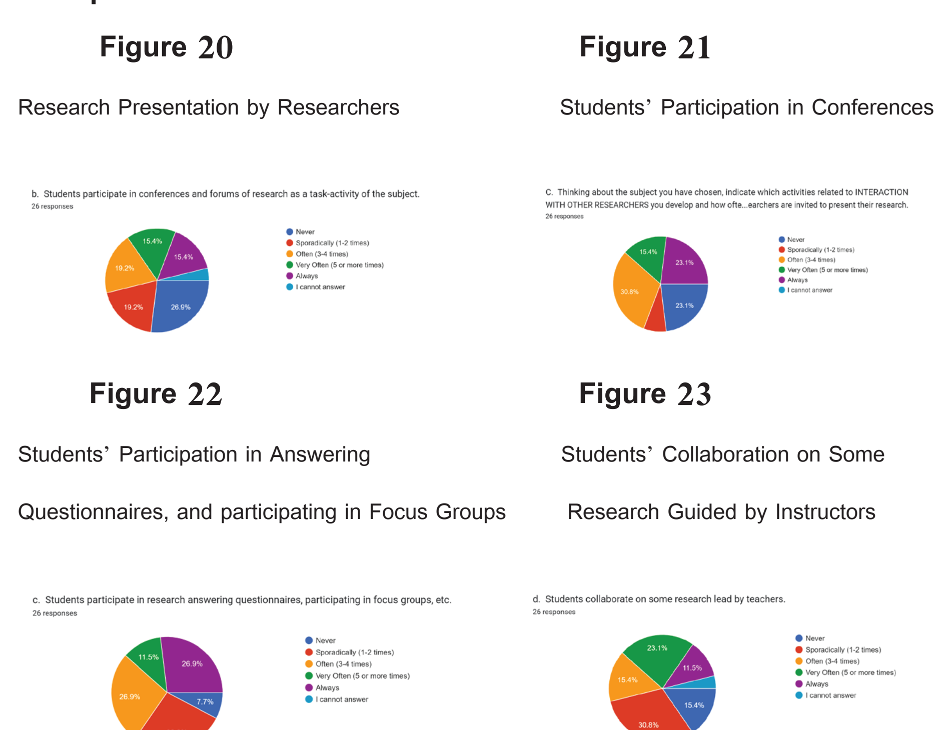


Figure 20

Research Presentation by Researchers

Figure 21

Students' Participation in Conferences

Figure 22

Students' Participation in Answering Questionnaires, and participating in Focus Groups

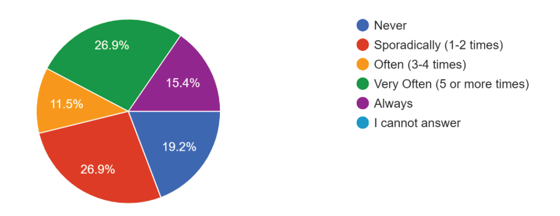
Figure 23

Students' Collaboration on Some Research Guided by Instructors

Figure 24

Setting Activities for Students to Present

Their Research Findings and Discussion



Based on these results, there is a need to develop and implement research activities to enhance students' critical thinking. Here, lies the significance of conducting this study that has a key role in the development in the filed of research and teaching together. This can be accentuated in the results obtained by the English instructor at the universities in the above figures. For instance, in figure 20, students have never (23.1%) or always (23.1%) presented their research. There is only 30.8% who did that, others presented them very often (15.4%). In figure 21, instructors responded that only 15.4% of the students participate in conferences, 26.9% have never participated, 19.2% participated sporadically (1-2 times) or often (3-4 times).

In figure 22, some instructors mentioned that 11.5% of the students very often participate in research answering questionnaires or in focus groups, 7.7% have never participated, and 26.9% divided among different opinions of the instructors in the regard. To be more specific, some of them responded that students always participate in such research activities, others responded

that sporadically, and the other ones said that often participate. This implies the importance of training students to participate in research activities

Figure 23 shows the different percentages of students who collaborate on research lead by instructors. For instance, the highest percentage (30.8%) goes for sporadically doing such activity, 23.1% very often do that, 15.4% have never done this activity and always do that. This shows that there is a need to let the instructors to collaborate with students to work on research papers.

Furthermore, figure 24 shows the responses of the instructors towards students having conducted research with others researchers or centers. The results show that 26.9% of the students participate sporadically and very often. Indeed, 15.4% always communicate with researchers about their research, 19.2% have never done that, and 11.5% often do that. These different percentages show that communicating with other research centers can enhance the quality of research and elevates the knowledge in research.

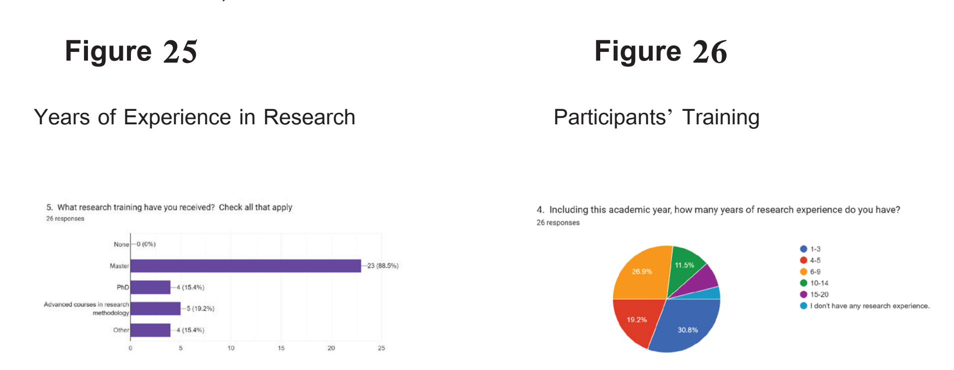
About Courses, Research and Instructors

Figure 25

Years of Experience in Research

Figure 26

Participants’ Training



It is clear that 30.8% of the participants have experience in research between 1 to 3 years. Most of the instructors who received training are the one who have master’s degree (88.5%). This implies that they should be

trained on the suitable ways to implement research in their classrooms.

Figure 27

Time Devoted for Conducting Research

Figure 28

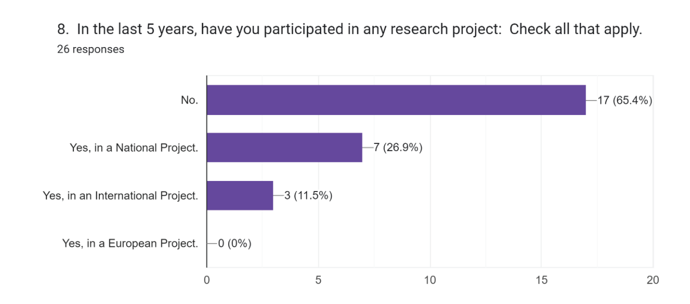
Participants Being Part of a Research Team



Instructors have different time devoted to conducting research. For instance, most of the instructors (26.9%) devote 11-25% of their time to conduct research. Indeed, others devote 26-50% and 0-10% of their time for research. In the second figure, 88.5% of the participants showed that they are not a part of a research team and 7.7% of them are maybe a part of that. This implies that there is a need to develop research centers that include research community and include participants as being part of it.

Figure 29

Participation in a Research Project



According to the results, 65.4% of the instructors do not participate in a research project, 26.9% participated in a national project, 11.5% participated in an international project, and none of them participated in a European project. This shows the need to let instructors participate in a research project to help them integrate research in English language teaching classrooms.

Qualitative Results Obtained Via the Conducted Interviews with the English Coordinators at the Private Universities in Lebanon

The researcher conducted the interview (Appendix A) with the director at the university. The following responses show the importance of integrating research in English language classrooms at the university. Questions 1,2, and 3 (Appendix A) address the degree of knowledge and importance of integrating research in English language classrooms. The interview mentioned that students should learn how to do research and be "autonomous learners".

Indeed, students need to be asked to prepare projects and research papers which enhances their critical thinking.

Furthermore, questions 4,5, and 6 tackle the importance of the instructors in suggesting new ideas to the coordinator. In addition, research helps in transforming theory into practice by being applied in real life. Moreover, students should be trained to conduct research and know about qualitative and quantitative research. Despite the differences between research and teaching, they can correlate and go hand in hand.

Additionally, questions 7,8, 9, and 10 are about the significance of research

in building knowledge by reading others' research and conducting it. There should also be workshops and training more on conducting research for students and instructors. This is because there are research and language limitations.

Conclusion

This study demonstrates the perceptions of English language instructors at private universities in Lebanon towards integrating research in English language teaching classrooms. The obtained results showed that integrating research in English language classrooms is important. The interview conducted with the university director helped the researcher in gathering data to show her point of view towards this topic. Limitations and solutions are addressed and revealed that teaching and research correlate with each other. Indeed, instructors and students should be trained and collaborate together to conduct research. The survey filled by the English instructors at the universities is a proof that students should be engaged in research activities and share their findings in conferences. In addition, the English instructors need to be supported on how integrate research in classrooms.

According to this study, it is obvious that there is a correlation between research and English language teaching. Figures 14 and 22 prove that, where instructors agreed on research integration in teaching classrooms at universities. In this regard, there are studies conducted by other researchers that correlate with this study. Students can learn through research and then they can gain knowledge to conduct their own research. Moreover, a study was

conducted by Yousef and Deuber (2007) at the University of West Indies to prove the importance of combining research with teaching English. Students analyzed the collected data, which gave them more knowledge about the English language. This accentuates the significance of the recent study.

Findings

The results obtained ensure the significance of implementing research in the English language teaching classrooms. It is worth mentioning the perspectives of Healey and Jenkins (2009), where they affirmed the strong overlap between teaching and research and that students are active learners and can generate knowledge through research. Furthermore, students need to participate in research projects because only 30% of them conduct research with the guidance of their instructors. Meer (2018) supports the idea of research-based approach to be integrated in teaching the English language at universities. Additionally, the interviewees highlighted the students being "autonomous learners." This enhances their problem-solving skills (Coombs & Elden, 2004; Savery & Duffy, 1995).

Limitations

Like any other study, this research study has limitations. The study was conducted at two private universities in Lebanon (Islamic University of Lebanon and American University of Beirut). These universities are not representatives for all universities. Furthermore, the sample size is 27 and the findings cannot be generalized; instead, they are limited only to this sample at these two universities. Indeed, the interview was conducted only with one director at a university.

References

Barnett, R. (2000). University knowledge in an age of supercomplexity. Higher Education, 40, 409–422

Brew, A. (2010). Imperatives and challenges in integrating teaching and research. Higher Education Research & Development, 29, 139–150.

Barnett, R. (Ed.). (2005). Reshaping the University: New Relationships between Research, Scholarship and Teaching. Maidenhead, UK: Open University Press.

Brew, A. (2001). The Nature of Research: Inquiry in Academic Contexts. London, UK: Routledge Falmer. Brew, A. (2006). Research and Teaching: Beyond the Divide. London, UK: Palgrave Macmillan.

Brew, A. (2003). Teaching and research: New relationships and their implications for inquiry-based teaching and learning in higher education. Higher Education Research and Development, 22(1), 3–18.

Brew, A., & Mantai, L. (2017). Academics' perceptions of the challenges and barriers to implementing research-based experiences for undergraduates. Teaching in Higher Education, 22(5), 551–568.

Brew, A. (1999). Research and Teaching: Changing Relationship in a Changing Context. Studies in Higher Education, 24, 291–301.

Coombs, G. & Elden, M. (2004). Problem-Based Learning as Social Inquiry – PBL and Management Education. Journal of Management Education, 28 (5), 523-535.

Elton, L. (2001). Research and Teaching: What are the Real Relationships? Teaching in Higher Education, 6(1), 43– 56.

Evansa, C., Waringb,M., & Christodoulou, A. (2017). Building teachers' research literacy: integrating practice and research. Research Papers in Education, 32 (4), 403-423. https://doi.org/10.1080/02671522.2017.1322357

Healey, M. (2005). Linking research and teaching to benefit student learning. Journal of Geography in Higher Education, 29, 183–201.

Healey, M., Bovill, C., & Jenkins, A. (2015). Students as partners in learning. In J. Lea (Ed.), Enhancing learning and teaching in higher education: engaging with the dimensions of practice,141–162.

Jenkins, A., Breen, R., & Lindsay, R. (2003). Re–Shaping Higher Education: Linking Teaching and Research. London, UK: SEDA and Routledge.

Jenkins.A., & Healey, M. (2005). Institutional strategies for linking teaching and research. York: Higher Education Academy.

Kreber, C. (Ed.). (2006). Exploring Research–Based Teaching (New Directions in Teaching and Learning No. 107). San Francisco, CA: Jossey–Bass.

Meer, P. (2018). Toward interdisciplinary research–based teaching in linguistics Integrating students into project–oriented teaching and research practices at the intersection of (applied) English linguistics and TEFL, SATURA, 1.

Munthe, Elaine & Magne Rogne. (2015). Research based teacher education. Teaching ad Teacher Education, 46, 17–24.

Malouf, D. B., &Taymans, J. (2016). Anatomy of an evidence base. Educational Researcher, 45, 454–459.

Mcleod, S. (2019). What's the difference between qualitative and quantitative research?. Simply Psychology.

Neal,J. W., Neal, Z. P., Kornbluh,M., Mills, K. J., & Lawlor,J.A.(2015). Brokering the research–practice gap: A typology. American Journal of Community Psychology, 56, 422–435.

Neal,Z.P., Neal.,J.W., Lawlor.,J.A., & Mills.K., J. (2015). Small worlds or worlds apart? Using network theory to understand the research–practice gap. Psychosocial Intervention, 24, 177–184.

Neal,J.W., Mills.K.J., McAlindon, K., Neal, Z.P., & Lawlor.J., A. (2019). Multiple audiences for encouraging research use: Uncovering a typology of educators. Educational Administration Quarterly, 55, 154–181.

Reinmann, Gabi. (2016). Designing academic teaching: Semantic distinctions and theoretical impetus for problem-based and research-based learning. Zeitschrift für Hochschulentwicklung, 11(5), 225–244.

Savery, J. R. & Duffy, T. M. (1995). Problem Based Learning: An Instructional Model and its Constructivist Framework. Educational Technology, 35(5), 31-38.

Vanderlinde, R., & van,B. J. 2010. The gap between educational research and practice: Views of teachers, school leaders, intermediaries, and researchers. British Educational Research Journal, 36, 299–316.

Waring, M., and C. Evans. (2015). Understanding Pedagogy: Developing a critical approach to teaching and learning. Abingdon: Routledge.

Le crime dans L'insomnie de Taher Ben Jelloun

Marie Henry Manassa

Résumé

La littérature maghrébine francophone semble, avec Ben Jelloun, partir pour devenir une grande littérature qui fait exprimer tout un patrimoine culturel. Malgré les énigmes qui l'environnent, ou grâce à elles, sa littérature n'a pourtant pas manqué, au cours des années, des lecteurs divers. Dans L'Insomnie, Ben Jelloun fait sortir de l'ombre où il s'était complu un jeune homme, à statut spécial, condamné à plonger du côté du malheur. En effet, l'antihéros est un scénariste qui devient un tueur en série pour se soulager de ses insomnies morbides. Celles-ci paraissent être la conséquence directe d'une pathologie qui provoque chez le sujet un autodésinvestissement de sa psyché. Face à la monstruosité de l'acte criminel, notre article pose la question : pourquoi tuer ? Notre objectif a été de s'identifier au criminel pour essayer de le comprendre, et de nous interroger sur les circonstances de sa vie, sur ses problèmes relationnels et plus particulièrement sur sa relation avec sa mère qui serait probablement à l'initiative de sa perversion.

Mots clés : violence, perversion, passage à l'acte, angoisse, crime gratuit, toute-puissance.

Abstract

Francophone Maghreb literature seems, with Ben Jelloun, to be on its way to becoming a great literature that expresses an

entire cultural heritage. In spite of the enigmas that surround it, or because of them, its literature has not lacked, in the course of its years, diverse readers. In L'Insomnie, Ben Jelloun brings out of the shadows in which he had indulged a young man, with a special status, condemned to plunge into the side of misfortune. Indeed, the anti-hero is a screenwriter who becomes a serial killer to relieve himself of his morbid insomnia. This seems to be the direct consequence of a pathology which causes the subject to self-disinvestment in his psyche. Faced with the monstrosity of the criminal act, our article asks the question: why kill? Our objective was to identify with the offender in order to try to understand him, and to question the circumstances of his life, his relationship problems and more particularly his relationship with his mother, who would probably be at the origin of his perversion.

Key words: violence, perversion, acting, anguish, gratuitous crime, omnipotence.

L'œuvre de Ben Jelloun est considérable ; cette importance difficilement contestable lui vient, premièrement, de sa riche diversité, deuxièmement, du rôle décisif qu'elle continue de jouer en tant que, sur son terrain ont poussé un certain nombre de thèmes propres au contexte maghrébin et dont la destinée demeure universelle. Ces thèmes, véritables lots de la réalité quotidienne, tels le malaise existentiel, la condition de la femme, le racisme ou la solitude, la prostitution, entrent dans la réalité littéraire moins par leur force émouvante que par leur humanité, par les vitamines qu'elles tiennent de la chaleur propre et du

soleil intérieur de leur auteur. Ben Jelloun a voulu montrer que le monde exige de sa part un dépassement de chaque instant vers un univers transformé, et qu'il lui appartient, dans un monde coincé entre une réalité souvent obscure et une littérature exaltante nourrie de grands sentiments, de rétablir l'équilibre, de retrouver le sens du réel et d'essayer alors de changer le destin de ceux qui vivent toujours les yeux baissés. Il met les choses au point dans une formule très sérieuse qui ne fait que promouvoir une littérature profondément humaine. C'est ainsi qu'il dépeint en ces termes la fonction de la littérature : «Il s'agit de faire de la fiction avec des matériaux de la réalité et de reconnaitre à la littérature une fonction primordiale : celle de cambrioler le réel apparent.» (Dejeux, 1992) Si, l'œuvre de Ben Jelloun «contient un des plus visqueux amas de laideurs que l'on connaisse en littérature» (Moeller, 1962, pp39-40), c'est parce que Ben Jelloun ne voulait pas tricher avec le monde qui lui apporte cet amas et ces horreurs. Ben Jelloun exprimera cette vérité en disant que la société marocaine malade ou encore «corrompue et gangrénée à tous les niveaux et partout.» (Ben Jelloun, 2019) Pour donner à sa littérature le choc initial, il fallait non le livre d'un sociologue ou d'un psychanalyste, mais le livre d'un homme, qui n'a pas d'autre but que dire, de peindre des histoires individuelles dans une condition sociale donnée, comme en témoignent ces propos «C'est à travers l'individu que se raconte une société» et «il n'y a de sujet qu'individuel.» (Gontard,2005) Ailleurs, il formule en ces termes qu'il veut raconter «l'histoire privée des nations, cela veut dire l'histoire des individus. L'histoire des uns et des autres,

autant d'êtres qui composent la société» (www.taherbenjelloun.org/chroniques)

Ben Jelloun a publié déjà plusieurs ouvrages dont on connait l'immense retentissement tant en Algérie qu'à l'étranger. Les livres de Ben Jelloun appartiennent à des genres différents que l'auteur semble maitriser avec aisance : poésie, roman, théâtre, nouvelle, contes et essai. Cet univers complexe ne serait pas complet si l'on ne mentionnait pas aussi d'autres aspects de la vie de l'écrivain : journaliste, il est considéré comme l'un des plus importants porte-parole des immigrés maghrébins en France et en terre d'exil. Cet homme de lettres est, en réalité, de plus en plus intéressé et saisi par la société de son temps et de ses problèmes, au point qu'il est difficile de trouver Ben Jelloun dans son œuvre sans le chercher aussi dans ses engagements sociaux successifs auxquels il a attaché, dans sa vie, une importance de plus en plus grande. Autant reconnaitre que le présent article n'a pas la prétention de tout dire, de tout résumer. Mais surtout, son originalité est de mettre en lumière une version simplifiée du processus criminel. Il nous faut dire qu'il vise plutôt le « pourquoi faire » que le « quoi faire ». L'insomnie qui a paru en 2019 comprend déjà près de 260 pages qui reconstituent l'itinéraire d'un jeune scénariste qui était privé du don de sommeil.

Nuits blanches, nuits sèches, sans rêves, sans cauchemars, sans aventures. Nuits tristes. Nuits étroites, étriquées, réduites à quelque souffrance. Nuits inutiles, sans intérêt, sans saveur. Nuits à oublier, à jeter dans la poubelle. Nuits traitresses. Nuits

sans vergogne. Nuits de bandits, de truands, de salauds. Nuits sales, perverses, cruelles, hideuses. Nuits indignes du jour, du soleil, de la lumière et de la beauté du monde. (Ben Jelloun, 2018, pp.36-37)

Il se sent rattrapé par «une folie sauvage» ou plutôt par «une folie aguichante» qui lui soufflerait «pourquoi pas essayer le pire» (Munro, 2014, p.275) ? Il suffit de relire la première page de cette œuvre pour se rendre compte de cet émoi pulsionnel qui, pareil à une hémorragie, déborde et laisse le personnage dans le choix entre folie et meurtre. Cela fait que ce dernier «rend compte de l'urgence à commette un crime.» (Bessolles, 2012, p. 1096) C'est justement «cette urgence qui sauve le criminel de son urgence à se tuer» (Bessolles, 2012, p. 1096) écrit Bessoles à ce sujet. Certes, il est encore question ici d'urgence, mais à cette urgence s'ajoute la marque « d'un paroxysme délirant et de ce sursaut de survie au bord du gouffre qui caractérise ces actes commis dans l'urgence d'une défense vitale, » reconnait même Zagury. (Zagury. 2002, p.1195),

J'ai tué ma mère. Un oreiller sur le visage. J'ai appuyé un peu. Elle n'a même pas gigoté. Elle a cessé de respirer. C'est tout. Ensuite j'ai dormi, longtemps, profondément. (Ben Jelloun, 2018, p.11)

Le récit qui suivra cette entrée en matière tentera de nous retracer la progression de son insomnie, ainsi que «le rituel insomniaque» (Le Toullec, 2019, p.49) qui se répète avec son inquiétante étrangeté, nuit après nuit. L'insomnie est ainsi une aventure

intérieure saisie par l'extérieur ; nous pourrions plus exactement, en évoquant les circonstances, les menaces et les symptômes d'empêchement, la définir en ce terme : «façon d'être en éveil dans une société qui n'est pas humaine» (Ben Jellloun, 2019) que l'auteur dépassera du reste, que l'insomnie insurmontable que connait le personnage principal interroge peu à peu sa dimension inconsciente. Bien loin de cette exigence consistante à transcrire le monde dans ses aspects les plus quotidiens, voire les plus repoussants, cette soif de l'écriture de l'insomnie dans la formation de l'inconscient, tout cela apparait d'emblée à la première page du roman. Il y a là une intention délibérée et très nette qui ne saurait être l'effet du hasard : l'auteur nous plonge, sans répit, dans un climat hostile et nous conduit à lire dans les champs conjoints de la littérature et de la clinique.

Il s'avère donc indispensable de souligner ici le caractère limité de notre entreprise : chercher à comprendre le personnage principal plutôt que de le condamner, aller à la rencontre d'un homme dont la progression de son insomnie reste une interrogation vivante et digne d'une très haute attention.

Une sorte de fil d'Ariane dirige notre recherche. Au lieu d'effleurer les multiples aspects d'une œuvre sans frontières, en courant le risque d'un survol trop superficiel, il nous a paru indispensable de faire un choix ; encore fallait-il que ce dernier ne fût pas arbitraire. La découverte progressive et fidèle que Ben Jelloun a faite de son personnage correspond à un itinéraire précis dont il est possible de retrouver les jalons principaux. L'auteur a insisté fermement

sur ce point à plusieurs reprises : bien plus qu'une simple fiction littéraire, il s'agit, de l'inconscient qui est visé clairement. Ainsi, l'insomnie prend la forme, chez le personnage principal, «d'une demande impérative à laquelle il ne peut se soustraire et surgit donc contre son gré.» (Leader, 2019, p.121) Mais au fond de quoi l'insomnie nous parle-t-elle ? Interroge-t-elle une dimension inconsciente ? Quelle est la fonction du crime et quelles sont ses finalités ? Pourquoi l'acte criminel se répète-t-il ? Peut-on parler de désir d'emprise criminel du tueur en série ? L'identité criminelle est-elle due à la fois à une perversion narcissique, à un déséquilibre psychopathique ou à une angoisse de néantisation ? Peut-on parler de la fonction auto conservatrice ou revitalisante de l'acte meurtrier ? Reste à dire, supprimer intentionnellement la vie d'une personne, il y a là une intention délibérée et très nette qui ne saurait être l'effet du hasard ; le criminel, dans une toute puissance fascinante tente-t-il de s'élever au-dessus des contingences de la finitude humaine ?

Nous nous interrogeons sur l'auteur de l'acte, figure anormale évoquée par Foucault en termes poignants «individu dangereux» (Foucault, 1981, p.422) ou «monstre moral» ou même «criminelmonstrueux» (Foucault, 1975, p.69) pour se lancer dans des combinaisons problématiques : en dépit de la dangerosité de ses motivations criminelles, quelles sont les circonstances de sa vie qui ont bâti autour de lui le réseau de causes et de motivations qui l'ont amené à l'irrémédiable du crime ? Qu'est ce qui le conduit à détruire l'autre ou à le tuer «gratuitement» ?

(Gide, 1922, p.191) Surgi d'une situation traumatique, le recours au crime semble principalement problématique vu l'absence d'un authentique scenario psychique sous- tendant les actes criminels. Il faudra de même aborder la délicate question du matricide sacrifiel, qui déchiffrera peu à peu ses pulsions refoulées.

Dès lors, la méthode d'approche se dessine. Méthode psychanalytique et méthode sociocritique. En ce sens, chacune d'elles «ne peut prétendre à signaler la totalité des significations d'un texte, mais que pour saisir la richesse de ces derniers il convient de multiplier les angles d'approche.» (Bonn, 1991, p.5) Nous jugeons utile d'opter pour la méthode psychanalytique qui « non seulement a reconnu au meurtre, c'est-à-dire à la conscience, préalable, immédiate ou différée, de tuer son semblable, une place fondatrice pour la psyché, mais elle a également apporté son concours à la criminologie pour la compréhension des motivations de l'acte homicide. » (Mijolla-Millor, 2012, p.1004). La méthode psychanalytique qui, selon son fondateur, Sigmund Freud, «a débattu du problème qu'elle pose en un autre lieu» (Freud, 1988, p.263) englobe elle-même la méthode psycho-criminologique et métapsychologique parce qu'elle tend, non seulement à envisager un phénomène dans ses interdépendances, mais aussi de rassembler certaines constantes aptes à défricher les perversions de la personnalité du « serial killer» (Zagury, 1996, p.89) : psychopathe pervers qui agit selon les logiques dévastatrices et extrémistes de «la pulsion d'emprise», constante de dominer par la violence «sans pour cela

souscrire à une volonté délibérée de faire souffrir », note Freud en 1915 dans Pulsions et destins des pulsions. (Freud cité par Philippe Bessoles dans Récidive criminelle. Figures de l'emprise et criminalité, 2012, p. 1085) Selon lui, la pulsion d'emprise « n'a pas pour but la souffrance d'autrui mais sa négation » (Freud cité par Philippe Bessoles dans Récidive criminelle. Figures de l'emprise et criminalité, 2012, p. 1084) et psycho-criminologique des tueurs en série préconisée par Daniel Zagury, dans son ouvrage compact et majeur L'énigme des tueurs en série (2008) qui décrit le fonctionnement psychique des meurtriers en série ou « anti-héros » (Zagury, 1996, p. 89) de romans qui soulèvent bien, selon lui, « d'angoissantes questions sur le malaise dans notre civilisation.» (Zagury, 1996, p.89) Nous noterons qu'il publie en 1996 un article remarqué : « Entre psychose et perversion narcissique : une clinique de l'horreur. Les tueurs en série. » (Zagury, 1996, p.87-112) Et puis voilà qu'il souligne un modèle dynamique du processus criminel chez les tueurs en série qui se différencient les uns des autres par la force du clivage du Moi. Il remarque à ce sujet : « L'analyse clinique met toujours en évidence ce que j'ai appelé un tripôle à pondération variable : psychopathie-perversité (perversion narcissique et perversité sexuelle) - angoisse de néantisation. La réussite ou l'échec du fantasme, puissant mécanisme de défense et de déformation de Moi, va conditionner le processus criminel. » (Zagury, cité par Roquebert et Joly, 2021) La méthode métapsychologique prônée par Sophie de Mijolla-Millor, notamment dans son ouvrage la mort donnée (2011) qui propose de suivre « comme fil conducteur

l'idée que la mort donnée, comme d'ailleurs la mort choisie, est une manière de tenter de se placer au-dessus de l'inacceptable de la finitude, dans la position de toute-puissance» (Mijolla-Millor, 2012, p.1004) permet de bien déchiffrer et d'interpréter, dans ses pages fameuses, cette forme de transcendance par laquelle le criminel peut sans cesse se dépasser en refusant la notion de nature humaine qui donnerait à son existence un caractère figé. Malgré la fécondité de cette méthode, la psychanalyse ne peut constituer un cadre méthodologique unique pour dévoiler la structure mentale de l'auteur de l'acte criminel. (Assoun, 2004, p.35) Notre problématique rend nécessaire l'ouverture à d'autres approches critiques. Au-delà de la veine psychanalytique qui s'efforce d'apporter des éléments de compréhension sur la paralysie de la pensée que génère le crime » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1005), nous songerons à l'importance de la méthode sociocritique prônée par Mucchielli. Sans pouvoir ici entrer dans le détail de ses apports aussi riches que complexes, il convient de signaler l'importance que Mucchielli accorde aux « rapports de la psychanalyse à la criminologie » (Mucchielli, 1994), notamment sa réflexion sur la délinquance, qui ouvrera des perspectives prometteuses, à la suite de la parution de son ouvrage L'Invention de la violence (2001) où il parle « des crimes de proximité » (Mucchielli, 2011, p.142) et montre l'influence du climat familial conflictuel dans le développement de la personnalité sociopathique ou « anti-sociale » (Mucchielli, 2001, p.107), ainsi que le lien intrinsèque entre la violence et la criminalité. « Les deux constructions sociales, de la violence et de la criminologie,

se développent et se légitiment mutuellement. Plus le problème de la violence est grossi, plus la criminologie s'impose comme la réponse simple et efficace. Si la violence appelle la criminologie, celle-ci la nourrit en retour. » (Mucchielli, 2014) C'est dans ce contexte qu'il parle du « rôle délinquant » qu'il définit comme suit : c'est un déguisement et une identité par défaut, qui cachent ce que les psychologues appelleraient des carences affectives de base et des blessures narcissiques, des figures parentales très dévalorisées, un manque d'estime de soi, une forte angoisse de l'avenir. » (Mucchielli, 2015)

En combinant ainsi des analyses de type psychanalytique et social, nous tenterons de montrer comment un certain environnement traumatique conjugué à une fantasmatique originaire façonnent le personnage criminel qui ne fait que représenter la scène criminelle primitive interprétée par Freud, en termes clairs, comme une scène de meurtre. Nous relevons à ce propos ces lignes significatives : «Il n'y a en nous pas la moindre répugnance instinctive à verser le sang. Nous sommes les descendants d'une immense chaîne de générations de meurtriers. Nous avons le plaisir du meurtre dans le sang.»[1] (Freud, lettre du 16 février 1915)

Il nous faut maintenant, en suivant la ligne directrice que nous tracent les chemins de l'acte homicide, pénétrer plus profondément dans cette œuvre, en dégager les aspects les plus significatifs. Nous proposerons, dans le présent travail, de résoudre en deux chapitres l'énigme que nous représentent ces homicides, autant

(1)- Version originale orale de 1915, cite par Delrieu, Sigmund Freud, index thématique, Paris, Economica, 1997.

dire, selon Miller, sonder ce « quelque chose d'insondable dans la décision subjective du délinquant et du criminel.» (Miller, 2008, p.13) Ces chapitres examinent, à l'appui de repères théoriques, la logique du passage à l'acte commise par un sujet psychotique, « un fou criminel » (Lovell, Cook, Velpry, 2008, pp.197-207) qui cherche à remédier, par le sacrifice des victimes un défaut de position familial ou social. Le premier chapitre mettra en lumière l'évolution des circonstances qui permettent au jeune meurtrier, à travers ses crimes, une autoconstruction d'une identité criminelle, ce qui permet, comme l'affirme Freud de « devenir criminel sans remords. » (Freud, cité par Mijolla-Millor, 2012, p.1007) Bien plus qu'un simple déchiffrage des différents symptômes de l'insomnie, il s'agit, d'en rappeler les déterminations psychiques, d'en élucider le sens caché et par là d'en interroger sa dimension inconsciente ou psychopathologique. Ou encore, il s'agit de préciser « le statut, la fonction et la causalité de l'acte dans l'économie psychique de son auteur.» (Trichet et Hamon, 2016) Il est intéressant de reconnaitre ici qu'une mère est à l'initiative de ce noyautage pervers. Le deuxième chapitre vise, parallèlement, à dépsychiatriser l'approche. Il explorera la criminalité, sous un angle diffèrent. Ainsi, nous aborderons la question du crime dit «gratuit » (Mijolla-Millor, 2012, p.1012) commis sans aucune intentionnalité criminelle. Certes, dans ce cas, la victime se réduit à un objet encombrant dont il lui convient de se débarrasser pour « des visées personnelles de profit ou de vengeance [...], et souvent dans le rejet de toute responsabilité, et l'allégation d'une obligation d'obéissance à des ordres venus d'ailleurs. » (Mijolla-

Millor, 2012, p.1004) Nous remarquerons que l'acte criminel sera conçu comme l'accomplissement d'une mission et du bon droit et le criminel tuera « avec la même froide indifférence que la mort elle-même devient alors la manière d'échapper soi-même, au moins fantasmatiquement, au destin de victime. » (Mijolla-Millor, 2012, 1012) Une telle conduite criminelle engendrera, de la part du criminel, une identification mégalomaniaque avec la mort qu'il tentera de rechercher incessamment. Enfin, sans aucune prétention exhaustive, nous rassemblerons certaines constantes aptes à éclairer la sériation des actes à partir d'une première expérience criminelle.

I. De la perversion au fauteur de la perversion

1. Une figure maternelle défaillante

C'est ainsi que Freud donne à la conclusion de Totem et tabou cette déclaration significative : « Au commencement était l'acte. » (Freud, 1913, p.318) Cet acte- ce meurtre- parait être fondamental, car il inaugure une nouvelle réalité intrapsychique du criminel. Du coup, il contribue à sa structuration, si ce n'est pas à sa survie psychique même. Si, comme l'écrit Freud, « le primitif est dépourvu d'inhibitions, la pensée se transpose aussitôt en acte ; chez lui c'est plutôt l'acte qui pour ainsi dire remplace la pensée » (Freud, 1913, p.318), nous pouvons concevoir délibérément que l'acte homicide, aide le meurtrier alors « à avancer dans sa propre quête et élaboration de la réalité, liée à sa construction identitaire, fortement imprégnée de la fantasmatique sacrificielle. » (Donard, 2011, p.139) La psychanalyse de Freud,

comme le rappelle Véronique Donard, a le mérite d'illustrer et de mettre en scène le vécu si archaïque du meurtrier « qu'il avait tenté de rejoindre dans son acte, les pratiques sacrificielles des peuples primitifs. Sacrilège, son acte avait une visée sacrée et tentait de rejoindre la question de l'origine. » (Donard, 2011, p.139) Elle nous invite ainsi, du même coup, à dégager certains éléments qui concernent la question du sacrifice maternel.

Dans le roman étudié, le premier meurtre du personnage principal, celui de sa propre mère, lui permet en un certain sens, de se structurer à partir d'une première scène de destruction. C'est bien cela qu'il exprime, quand il affirme avoir dormi de longues heures, suite à ce crime, et « avoir fait de nombreux rêves très beaux, lumineux, colorés, parfumés. » (Ben Jelloun, 2018, p.11) Nous comprenons d'ailleurs, chez ce jeune délirant, « son illusion rétrospective à travers laquelle [il] croit avoir trouvé la clé de son destin. » (Zagury, 2002, p. 1198)

C'était la première fois que je passais toute une nuit dans un sommeil profond, apaisant, réparateur. […] Là, je me suis réveillé assassin. […] Dans les jours qui ont suivi, je me suis mis pour la première fois à attendre la nuit avec impatience. Elle était devenue une amie. L'insomnie m'avait quitté. J'étais normal. (Ben Jelloun, 2018, pp11-12)

Toujours de la conception freudienne encore très métapsychologique des origines de l'organisation fantasmatique, la psyché se structure et se constitue particulièrement en fonction du conflit pulsionnel vie-mort. Il est d'ailleurs intéressant de

rappeler que le fondateur de la psychanalyse renoue très nettement dans cette publication de Malaise dans la civilisation, parue en 1930, avec les thèmes fondamentaux comme « la présence en chacun d’une pulsion de mort qui, en certaines occasions, se déchaine tout en alimentant l’autodestruction inhérente à toute civilisation. » (Adler, 1908, pp417-426) Il écrit :

L’être humain n’est pas un être doux, ayant besoin d’amour et capable tout au plus de se défendre quand on l’attaque, mais qu’il peut se targuer de compter au nombre de ses dons instinctifs une grosse part d’agressivité. Par conséquent, son prochain n’est pas seulement pour lui une aide éventuelle et un objet sexuel, mais aussi une tentation de satisfaire sur lui son agressivité, d’exploiter sa force de travail sans dédommagement, d’user de lui sexuellement sans consentement, de prendre possession de ses biens, de l’humilier, de lui causer des souffrances, de le martyriser et de le tuer. » (Freud, 1930, p.119)

Cette citation nous montre que « rien n’est plus humain que le crime. » (Miller, 2008, pp7-14) Nous comprenons mieux maintenant, à partir de cette situation originaire, cette notion exprimée de façon très claire dans un dialogue entre Aulagnier et de Mijolla-Millor, quand cette dernière exprime de façon très claire la « quête fondamentale de tout sujet » ou encore combien « la quête du meurtrier est liée à la question de l’origine. » (de Mijola-Millor citee par Donard, 2011, p. 133)

En 2011, Donard écrivait ces lignes significatives dans un article consacré au matricide sacrifiel qui résument d’ailleurs

parfaitement ce conflit inexorable.

Cette structuration induit deux gestions de cette situation primordiale, coexistantes et codépendances, là savoir le masochisme et le sadisme originaires. La question, si importante pour Freud, de la position passive ou active du moi dans le fantasme se trouve donc d'ores et déjà posée, et nous pouvons postuler que la première organisation fantasmatique découlant de ce conflit est de toute logique « mourir » (passif) ou « tuer » (actif.) (Donard, 2011, p.131)

En nous référant très précisément aux analyses de Freud, nous trouvons un argument principal expliquant la matrice de fantasmes organisateurs qui mettront désormais en scène l'angoisse d'anéantissement et l'abandon. Ces fantasmes, vécus déjà totalement durant l'enfance- situation de désaide du nourrisson- se prolongent infiniment au-delà de l'adolescence et se renforcent si « la figure maternelle vient à se révéler défaillante.» (Donard, 2011, p. 132) L'entreprise de l'abandon réalisée dans ses premières années ne s'achève donc véritablement que beaucoup plus tard. Nous comprendrons peut-être mieux maintenant « si nous conjuguons le conflit pulsionnel à la défaillance de l'environnement, nous pouvons accompagner l'évolution du fantasme en faisant intervenir l'objet comme responsable de la situation primitive d'agonie et/ou de mort, ce qui donne au scénario fantasmatique actif/passif des contours plus définis ; « tuer » ou « être tué », « mettre à mort » ou « être mis à mort. » (Donard, 2011, p.132)

Il est nécessaire de rappeler fermement qu'à toute situation traumatogène à laquelle l'adolescent sera confronté, correspond un objet ou une mère qui, rappelle Ferenczi, « par le défaut de qualité de ses réponses aux besoins de l'infans, possède une capacité effractante qui peut entraver le développement psychoaffectif de ce dernier.» (Ferenczi, 1982, pp.125-135) Une telle vérité, il parait indispensable de la rappeler. Nous retenons ici, que Paul-Claude Racamier (1924-1996), pionnier de la thérapie familiale psychanalytique, aborde un tel sujet. Il sera précieux, malgré tout, de relire ce texte décisif qui permettra peut-être d'éviter, à lui seul, bien des contre-sens.

C'était un séminaire sur la psychose. Et assez rapidement, il [Racamier] parle de la famille, assez rapidement, il introduit la notion de pervers narcissique comme fonctionnant à l'intérieur des liens de famille et, notamment, avec ce qu'on appelle aujourd'hui un agent pervers narcissique, donc un membre de cette famille, qui peut-être un père, une mère de préférence (lui parlait beaucoup de la mère, mais les patients aussi) et il indique finalement qu'à « tel schizophrène au narcissisme psychotique » correspond « telle mère au narcissisme pervers » (Eiger, 2018)

Ce drame montre, comme tout le récit de L'insomnie, que toutes les conduites du jeune insomniaque sont à l'origine d'une enfance douloureuse. C'est souvent les souffrances identitaires d'autrefois qui éclairent les passages à l'acte. A ce sujet, Zagury a recours à une formule habile ; le passage à l'acte, nous dit-il, « est un mouvement défensif, le puissant opérateur de cette

transformation de la déréliction d'hier en triomphe d'aujourd'hui. » (Zagury, 2002, p.1210) Nous saisissons bien ce que Racamier veut dire quand il parle de la vocation de la psychopathologie en psychanalyse ; il s'agit ici d'« éclairer des processus universels- une figure maternelle défaillante. » (Racamier, 1986, p.1308)

Ce climat incestueux de L'insomnie n'est jamais resté étranger au lecteur. Ben Jelloun essaye d'approfondir, à partir de cette œuvre, le problème complexe du rapport mère-fils. Nous nous appliquons à montrer que ces actes criminels correspondent essentiellement à « un matricide déplacé. » (Zagury, 2011, p. 21) C'est l'extrême tension d'un système, dont parle Zagury, qui va de l'idéalisation consciente à la haine inconsciente. (Zagury, 2002, p.1207) Une telle haine liée à l'autoconversation existe « comme réaction de rejet lorsqu'un sujet s'estime envahi -et donc possiblement détruit- par un autre» (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1015), précise De Mijolla-Millor. Dans Pulsion et destin des pulsions (Freud, 1915), Freud parle même d'une indifférence affichée ou probablement d'une haine inconsciente de l'image maternelle : « Au demeurant, cette haine radicalement inassumable prend le visage de l'indifférence, cette forme spéciale et primitive de la haine. » (Freud cité par Zagury, 2011, p.21) Il en résulte une dépression accompagnée d'hallucinations qui poursuivent le personnage principal au point que son vécu oppressif, loin de s'étendre au monde extérieur au moment de l'acte, se resserrera sur sa première victime, sa mère, laquelle est pour ainsi dire « fantasmatiquement dotée, par celui qui va la

frapper, de l'extravagant pouvoir de résumer le monde extérieur, supprimant ainsi toute possibilité d'échappatoire. » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1007) Dans son article sur Les trois figures de l'acte criminel, de Mijolla- Millor étudie en effet la position de régression dans laquelle le criminel retrouve le temps « où le monde extérieur se confondait avec sa mère et où lui-même ne se différencierait pas de celle-ci. » (De Milla-Millor, 2012, p.1007) Certes, il est encore question ici de passion, mais à cette passion s'ajoute « une relation fantasmatique incestuelle de comblement maternel et de quête fusionnelle » (Zagury, 2002, p. 1200), comme l'a bien montré Daniel Zagury, ce qui permet, selon Freud de « devenir criminel sans remords. » (Freud, 1914, p.102)

Il est impossible de conclure ce chapitre sans rappeler la démarche psychopathologique qui a voulu donner au meurtre de la mère une mise en scène d'une réalité sacrificielle, qui permet fantasmatiquement à la psyché de survivre face aux effractions environnementales. Les publications de Veronique Donard montrent excellemment que les fantasmes du meurtrier se cristallisent « autour d'une mise à mort qui, pour être supportable par le sujet, peut trouver comme issue une représentation sadique-masochiste (tuer/être tué) ou encore sacrificielle (il faut sacrifier/être sacrifié « pour. » (Donard, 2011, p.134) En combinant ainsi des analyses de type psychanalytique et psychopathologique, Donard veut montrer, dans ses publications.

Dans l'aire sacrificielle issue d'une relation mère–environnement défaillante et qui tient lieu et place de l'aire transitionnelle, il est aisé de comprendre comment la position masochique qui ménage l'objet peut progressivement, au gré d'un développement psychoaffectif insatisfaisant, céder la place au sadisme et à la pulsion de cruauté qui, précisément parce qu'elle vise l'objet en son altérité et non en son identité, permet d'éliminer l'objet primordial sans culpabilité, tristesse ou remords. (Donard, 2011, p. 134)

Nous comprenons dès lors, par le biais de ce parcours à dominante théorique, que ce meurtre, à un niveau originaire, appelle le criminel à tuer la mère toxique, mauvais objet primordial, la sacrifier sur l'autel de « l'amour impitoyable » (Edrossa, 2005, p.232) pour ne pas être sacrifié par elle. Ce besoin de passer à l'acte, cette lutte désespérée qu'il mène contre le vécu incestueux n'est qu'une nouvelle naissance : il s'agit, selon Donard, « de naître à nouveau d'une mère–victime purifiée, divinisée, en sacrifiant la mère–souillure et en ressurgissant, lavé de la honte, de ce même sacrifice. » (Donard, 2011, p.140) De cette façon, le meurtrier modèlera sa propre identité, processus que Sophie de Mijolla–Millor met au point dans une formule d': « autocréation de l'identité criminelle » (de Mijolla–Millor, 2005, p.48)

2. Un non–lieu psychique

La fiction de L'insomnie s'ouvre sur des traumatismes qui projettent le lecteur dans une tremblante horreur : il s'agit là d'aborder un cas extrême, celui d'un tueur en série.

Il est indispensable, pour saisir cette idée, de l'avoir préalablement définie : « Un criminel est qualifié de tueur en série à partir de trois homicides sans mobile apparent et de sang froid » (Benezech, 1992, pp.25-32)

Il parait particulièrement frappant que le personnage principal, après avoir tué sa mère, se promet d'en assassiner d'autres pour retrouver son sommeil. Ce tueur en série, à dominante psychopathique, reconnait d'ailleurs sa future carrière de criminel. Il évoque terriblement : « Fallait-il que je tue pour vaincre l'insomnie ? » (Ben Jelloun, 2018, p.13) A défaut d'une insomnie qui ne le quittait plus, il passait la nuit en revue les personnes de son entourage et se demandait qui choisir. (Ben Jelloun, 2018, p.13) D'emblée et plus particulièrement dans L'invention de la violence, les réflexions de Mucchielli ont trouvé par cette réflexion fondamentale de proximité une première traduction :il se rend compte que « dans 80 à 85% des homicides étudiés, la victime et l'auteur se connaissent (Mucchielli, 2011, pp142-144) Pour lui, le départ puis la disparition de sa femme étaient à l'origine de « sa première longue insomnie », et par suite de ses souffrances, du coup, « la conviction délirante absolue et la détermination vengeresse, étaient autant d'arguments témoignant d'une réorganisation défensive d'allure paranoïaque. Cela venait apporter un semblant d'ordre et de cohérence à l'estompage des limites psychiques. » (Zagury, 1996, p.101) S'il a pris la décision de la supprimer, c'est parce que, selon lui, « sa capacité de nuisance demeurait intacte » (Ben Jelloun, 2018, p.38), et même

si elle a disparu de son périmètre, elle ne cesse de le poursuivre et de vouloir lui nuire. Il dit alors : « son ombre [le] hantait tout le temps, en particulier la nuit. » (Ben Jelloun, 2018, p.38) C'est là que Zagury expose en détail une notion importante ; il s'agit du délire paranoïde des schizophrènes ; il en résulte ainsi une perte vitale et « toute leur vie psychique se concentre sur la reconstruction délirante du scénario persécutoire et sur la méditation d'une réponse meurtrière », dit Zagury dans une très belle formule. (Zagury, 1996, p.101). Il avoue d'une manière claire.

Mais au fond, ma décision de la supprimer était prise depuis longtemps, je ne savais juste pas comment procéder et surtout comment ne pas me faire prendre par la police. Deux ans après notre séparation, l'heure n'était-elle pas venue enfin de passer à l'acte ? Il fallait commettre le « crime parfait. » [...] Pour vaincre mes insomnies, je devais mettre moi-même la main à la pâte. [...] C'était une condition essentielle pour que je retrouve le sommeil. (Ben Jelloun, 2018, p.39)

Avec la mise sur pied d'un piège pour finir avec elle, il mûrit alors « une revanche teintée de mégalomanie. Ce qui [lui] permet d'échapper momentanément au morcellement, c'est ce point de [son] horizon vers lequel convergent toute ses pensées et qui concerne la grandiose revanche qu'[il] médite. » (Zagury, 1996, p.101) Il révèle alors.

A trois heures du matin, je n'avais toujours rien trouvé mais j'avais déjà bien brisé ma nuit. Ça me dévorait trop, il fallait tout

de suite arrêter d'y penser ou bien engager un tueur professionnel pour faire le travail, mais alors sa mort ne me servirait pas dans ma lutte contre l'insomnie. Une fois de plus, je tournais en rond. La tuer moi-même était beaucoup trop risqué. Il ne me restait plus qu'à me tenir le plus loin possible d'elle. [...] Le matin je me suis réveillé léger. On aurait dit que le désir de vengeance s'était éclipsé. Je ne pensais plus à elle. (Ben Jelloun, 2018, p.41)

Avant de pousser plus loin cette analyse, il nous parait nécessaire de dire que le personnage principal, après avoir accompli son matricide maternel, se présente spontanément devant nous, et exprime son besoin d'accomplir d'autres meurtres. Il s'agit donc bien là de l'équation suivante : « la satisfaction naquit un jour de la disparition de l'objet, si je fais disparaitre l'objet, la satisfaction en naitra, naitra de l'emprise absolue ; le phénix de la représentation naitra des cendres de l'objet, j'émergerai ainsi du chaos. » (Zagury, 1996, p.95) Dans cette perspective, le jeune criminel se rend sur la tombe de sa mère, il l'a remerciée car « sans le geste qu' [il] avait eu pour soulager ses souffrances, [il] n'aurait jamais découvert le moyen de retrouver le sommeil. Comme tant de fois, c'était elle qui était venue à [son] secours et [lui]avait montré le meilleur moyen de chasser définitivement ou presque l'insomnie de [sa] vie. » (Ben Jelloun, 2018, p.77) A la question « fallait-il que je tue pour vaincre l'insomnie ? » (Ben Jelloun, 2018, p.13), il passait des nuits infernales à passer en revue les personnes de son entourage et se demandait qui choisir.

La sœur aînée de ma mère n'allait pas trop bien. […] Je pourrais la tuer, réfléchissais-je, mais elle était dans une clinique privée. […] Ma femme pourrait faire l'affaire. Si j'étais un peu moins lâche, je convoquerais l'ange Azrael pour qu'il m'en débarrasse. […] C'est comme ça que j'ai pensé à Lalla Zineb, ma demi-sœur, mon aînée d'une douzaine d'années. (Ben Jelloun, 2018, pp.13-14)

A partir de là, la liste de candidats à la mort se prolongeait dans son esprit. Ce qui est remarquable, c'est, selon Freud, « l'exclusion radicale de la haine au profit de sa « forme spéciale », l'indifférence. » (Freud cité par Zagury, 1996, p.21)) A ce sujet, il convient de préciser que « l'indifférence devient une nécessité et ne concerne que la victime. » (Zagury, 1996, p.21), écrit encore Zagury ; il revient sur cette idée fondamentale et affirme.

C'est une indifférence pour l'autre mais une exaltation à soi. C'est parce que la victime n'est « rien » à ses yeux, que justement le criminel est « tout ». Cet éprouvé subjuguant qui accompagne le passage à l'acte criminel, c'est la toute puissance, le triomphe, l'émergence du chaos que j'ai appelée « orgie narcissique ». C'est l'élation qui libère pour un temps d'acmé le narcissisme de ses pesanteurs corporels ; c'est l'apaisement qui succède à la décharge des énergies accumulées. (Zagury, 1996, p.21)

Il est tout de même possible d'indiquer que le criminel éprouve, lors de son acte criminel, une sorte de jouissance : c'est là une manière d'une affirmation primaire d'existence et d'une orgie narcissique.

Les tueurs en série ne mobilisent pas tant d'énergie et ne prennent pas tant de risques… pour ressentir l'indifférence. Cet éprouvé subjuguant qui accompagne le passage à l'acte, c'est l'omnipotence, le triomphe, l'émergence du chaos, l'orgie narcissique et l'élation qui libère, pour un temps d'acmé, le narcissisme de sa corporéité. C'est aussi l'apaisement qui succède à la libération cataclysmique des charges accumulées par l'emprise, dans sa seule issue possible : la folie d'emprise.[1] (Zagury, 2002, p.1203)

Le jour où le criminel vivra à l'envers « le moment mythique du surgissement de l'autre sur la scène du monde et une expérience de retrouvailles narcissiques primaire :il redevient à lui tout seul le monde entier. » (Zagury, 1996, p.21) La scène de la visite de la tombe de sa mère, nous parait en être l'illustration la plus saisissante. Là, il se délivre de toute culpabilité, de toute charge affective et déploie, dans son expansion narcissique, son processus d'exaltation à soi et d'indifférence radicale à l'autre.

Je voulais juste […] me recueillir en paix face à ma mère. Je ne lui ai pas demandé pardon pour ce que j'avais fait. Je lui ai dit que mon geste l'avait aidé à mourir dignement et que, grâce à elle, j'avais compris comment me débarrasser de l'insomnie, ce mal qui me rongeait depuis longtemps. Elle avait évité le calvaire des hôpitaux publics du Maroc où elle aurait attendu des heures dans un couloir qu'un médecin s'occupe d'elle, avant de lever les yeux au ciel et de me conseiller de la ramener mourir tranquillement chez elle. (Ben Jelloun, 2018, p.50)

(1)- Gilbert, G. De l'objet pulsionnel à la pulsion d'emprise.

Nous ajouterons, à ce propos, ces mots significatifs de Zagury : « Après le passage à l'acte inaugural et son expérience subjuguante, le futur tueur en série agira d'autant plus aisément que le travail psychique du crime sera efficient. Pas de haine encombrante ; pas de culpabilité ; efficience du clivage ; exaltation à soi-même mais indifférence à l'autre ; transformation de la déréliction d'autrefois en jouissance de toute puissance aujourd'hui par le biais de la perversion narcissique. » (Zagury, 1996, p.27)

Nous comprendrons peut-être mieux maintenant pourquoi il est exact de dire que la façon dont le personnage principal semble ordonner le fil de son parcours semble caractéristique du fonctionnement mental pervers. Nous rejoignons A. Costes qui déclare à propos de la position perverse : « En réponse à une situation désorganisante d'abandon, il y a un moment décisionnel fondé sur un noyau de la réalité alléguée et interprétée une fois pour toutes comme insupportable, lavant désormais la victime du préjudice de toute culpabilité : tout lui sera permis. La plupart des tueurs en série que j'ai expertisés formulent de telles rationalisations fondées sur leur parcours biographique. » (Costes, 1994, pp.762-769) De tels propos nous livrent clé en main la principale cause de son premier acte : un abandon maternel ou une marginalité psychopathique. En accueillant ce propos, nous prendrons position avec Zagury qui considère que le premier meurtre est « plus ou moins improvisé, souvent marqué par l'utilitarisme, va s'accompagner d'un vécu aussi déroutant que subjuguant pour

le sujet lui–même, ouvrant la voie à d'autres meurtres que l'on qualifie, par raccourci et facilité, de gratuits, parce que leur « gain » concerne de façon effrayante l'économie psychique menacée. A partir de la surprise initiale, la matrice de la répétition se met en place. » (Zagury, 2002, p.1202) Nous aurons compris que le mot « gain » définit cette idée fondamentale développée par Meloy (2000) de la rencontre hautement dangereuse avec la victime, de la perception du fonctionnement mental de la victime qui est inversement proportionnelle à l'intuition qu'il a de sa propre vie psychique, et considère, en effet, que « la force identitaire de l'autre venait combler leur vide interne. » Dans cette perspective, ce jeune monstre demeure innocent pour lui–même.

Ma mère comme ma demi–sœur étaient des personnes en fin de vie, je me persuadais que j'avais rendu service, que j'avais allégé des souffrances, que je leur avais évité ces soins palliatifs qui souvent ne servent à rien. Evidemment j'avais anticipé la fin et donné un coup de pouce à la faucheuse. Mais je ne m'en étais pris ni à des jeunes ni à des actifs, ni même à des étrangers. […] J'avais été là pour provoquer l'instant final. (Ben Jelloun, 2018, p.17)

Après tout, hâter la mort de ses victimes ou la provoquer, c'est la possibilité pour lui de gagner « des points crédits sommeil.» (Ben Jelloun, 2018, p.49) Dans la mesure où ces crimes se réalisent, comme le souligne Meloy (Meloy cité par Zagury, 2002, p.1209), à partir d'une rencontre primitivement caractérisée par le sentiment inconscient d'envie, il est naturel que la victime

possède un principe vital dont ils sont fondamentalement privés, dans leur perception intuitive, c'est-à-dire que leur perception du fonctionnement mental d'autrui est inversement proportionnel à l'intuition qu'ils ont de leur propre vie psychique. Evidemment, dans la mesure que la victime est considérée comme un prolongement du soi grandiose, l'enjeu qui consiste à la supprimer en est de taille. Dans cette perspective, notre personnage considère que les points crédits sommeil qu'il gagnerait en dépêchant la mort d'une personne hautement qualifiée ou riche étaient « dix fois plus importants » (Ben Jelloun, 2018, p.48) que ceux gagnés par une personne pauvre qui « du fait de sa pauvreté, ne pesaient pas lourd dans la balance de ma bourse imaginaire. » (Ben Jelloun, 2018, p.49) Une fois encore, nous soulignons les reviviscences criminelles chez le jeune insomniaque.

La nuit suivante, j'étais de nouveau tourmenté par l'idée de devoir bientôt renouer avec mes pratiques douteuses. Je passais et repassais en revue les poids lourds en âge de s'en aller. Le banquier le plus riche du Maroc venait d'atteindre les quatre-vingt-dix ans. Je ne souhaitais ni sa maladie ni sa mort, mais si je pouvais l'approcher quand son état s'aggraverait [...] je pourrais emporter le gros lot. Sa fortune s'élevant à plusieurs dizaines de milliards de dollars, son importance politique, son charisme et sa réputation internationale me rapporteraient des milliers de nuits de bon sommeil, peut-être même toutes les nuits me restant encore à vivre. (Ben Jelloun, 2018, p.130)

Quand, dans une première approximation, nous tenterons de présenter ce psychopathe pervers, nous répondrons par des mots qui rappellent les mots de Zagury dans la mesure où ce criminel se définit par « son lot d'instabilité précoce, de polycarences, de falsifications mythomaniaques. » (Zagury, 2002, p.1198) Une page plus loin, il affirme que ce dernier est envahi « par une crudité fantasmatique engendrant l'action. Sa conscience était submergée par des idées bizarres, cruelles, saugrenues, insolites, marquées de démesure, auxquelles il adhérait sans réserve, sans distance, en les intégrant dans son système démonopathique.» (Zagury,2002, p.1198) Nous voyons ainsi comment se conjugue l'absence de cohérence interne chez le criminel avec l'improvisation de ses conduites. Il s'agit là d'une folie morale qui implique un certain nombre de paramètres constamment présents chez lui : la préméditation des actes et l'anonymat des victimes. Remarquons, en passant, qu'il en va toujours ainsi chez ce « tueur machinal » (Zagury, 2002, p.1198) : nous suivons ces actes barbares et les victimes incarnent « ce rôle d'apposition pour créer l'auto-engendrement pictogarphique. » (Bessoles, 2012, p.1098) Parmi ces nombreuses victimes, nous citons : « le Marquis » (Ben Jelloun, 2018, p.19), « Le pointeur, le vieux, le Borgne » (Ben Jelloun, 2018, p. 23), « Deux frères, âgés de plus de quatre-vingts ans et atteints de la même maladie, Alzheimer » (Ben Jelloun, 2018, p.42), « un grand tortionnaire qui était le bras droit et la main gauche du fameux ministre de l'intérieur » (Ben Jelloun, 2018, p.55), « la sorcière » (Ben Jelloun, 2018, p.69), « le vieil anglais. » (Ben Jelloun, 2018, p. 78) Si l'on se

réfère très précisément aux analyses de Lacan, nous pourrions bien expliquer le scénique répétitif. Ce terme « symptomise cet échec d'inscription originaire sur lequel bute, inlassablement, le criminel en série. Cet échec, de scénique en scénique, tel un système fermé sur lui-même illustre une compulsion de répétition à savoir une rencontre ratée. » (Lacan cité par Bessoles, 2012, p.1098) Nous comprenons mieux maintenant la notion de non-lieu psychique ou de l'échec de mentalisation de l'acte criminel dont parle Bessoles. (Bessoles, 2012, p. 1092)

Le non-lieu psychique tient d'un défaut de lieu où penser les pensées criminelles. Ce défaut corrobore l'idée d'absence de contenant psychique. Ce même contenant de pensée défaille par peur des contenus à penser. La surcharge destructrice ne peut que s'exprimer dans une hémorragie de criminalité. La récidive criminelle apparaît un lieu de vidage de cet excès préalablement destructeur pour soi. (Bessoles, 2012, p.1092)

Si le recours aux actes criminels accomplis sur la dépendance toxicomaniaque ou boulimique (Bessoles, 2012, p.1090) rend compte précisément « de défaillance des processus représentationnels » (Bessoles, 2012, p.1090), il nous faudra reconnaitre avec Bessoles que « l'emprise fait de la récidive une clinique du passage à l'acte par un agir fantasmatique. » (Bessoles, 2012, p.1090) C'est dire que la surcharge destructrice s'exprime chez le jeune scénariste par ce besoin de tuer et que la récidive criminelle constitue « un lieu de vidage de cet excès préalablement destructeur » (Bessoles, 2012, p.1092) pour lui.

Il sera utile de préciser ici que ce que Ciavaldini (1999) disait de l'agir criminel, et par conséquent des criminels récidivistes, qu'ils agissaient selon un agir destructeur et inscrivent ainsi « des logiques psychiques de scénario-acte de comportement apaisant. » (Ciavaldani cité par Bessoles, 2012, p.1088) Puisque le scénique psychique fait défaut, la scène criminelle se fait, dans son horreur récidivante, pur réelle. Dans ce contexte, le jeune criminel attendait un miracle.

Les jours passaient et je remettais toujours au lendemain l'étude du cas suprême, celui qui résoudrait tous mes problèmes. […] En attendant cette rencontre au sommet, je devais m'occuper. A présent j'avais deux tajines sur le feu. L'un salé, l'autre sucré. […] ma vie ne tournait désormais plus qu'autour d'eux et mes nuits en étaient d'assez bonne qualité. Echafauder des scenarios pour les supprimer me passionnait, c'était exactement comme écrire pour le cinéma ou composer une petite symphonie. Il fallait qu'il n'y ait aucun trou d'air. Mais tant que le crime ne me semblait pas encore parfait, j'attendais. Son exécution devait s'imposer avec une évidence absolue. (Ben Jelloun, 2018, pp169-174)

Il nous faut dire encore quelques mots sur la notion de la pulsion d'emprise préconisée par Freud, dans pulsions et destins des pulsions, en 1915 ; elle consiste à dominer par la violence et « conjugue ses variables de destructivité au lien psychique dans la cruauté infantile, dans la maitrise du couple activité/passivité de la névrose obsessionnelle, dans le sadisme et ses formes de focalisation des altérités. Elle s'incarne dans les

troubles psychosomatiques et intéresse le criminel « dans ses composantes d'allégeance psychique ou doctrinaire au nom de laquelle se perpétue le crime. » (Bessoles, 2012, p.1086) Dans L'insomnie, le besoin de se débarrasser de Tony germe, soudain, chez le jeune meurtrier : « Il allait falloir [...] l'endormir là jamais » dira même à son sujet. (Ben Jelloun, 2018, p.68) Ce besoin de tuer, cette soif à faire le crime, n'interroge-t-elle pas la responsabilité psychique du meurtrier ? N'est-il pas une menace de l'ordre de l'effondrement psychique ? N'est-elle pas une façon d'externaliser les conflits internes et de les transférer sur l'autre ? Bessoles écrivait en parlant du crime nécessaire : « le crime, dans ses actes criminels, est alors la mise en forme ratée d'un contenant psychique défaillant ou poreux ayant peur de ses contenus d'emprise. » (Bessoles, 2012, p.1086) Nous ferons bien d'en résumer sa fameuse définition.

Ce crime nécessaire [...] surgit au carrefour d'impasse de représentativité non pas en termes de contenus mais de contenant ou de lieu psychique d'élaboration. Cela revient à dire que la scène criminelle fait acte, y compris dans son horreur récidivante, d'une absence de scène psychique suffisamment contenante – voire pacifiante – pour métaboliser les contenus criminels. (Bessoles, 2012, p. 1088)

L'émoi pulsionnel éclaire en quelque sorte le débordement instinctuel dont atteste le crime en série. Compte tenu de son rôle essentiel, le protagoniste de L'insomnie rend compte de l'urgence à commettre un crime. Cependant, « cette urgence

sauve le criminel de son urgence à se tuer », affirme Besolles. (Bessoles, 2012, p. 1096) Il revient sur cette idée fondamentale et affirme que cette urgence « ne réduit pas le criminel en une victime inversée ou par procuration. [...] Cela met le criminel dans le choix entre folie et meurtre. » (Bessoles, 201, p. 1096) De telles citations dessinent de manière très claire les questions suivantes : pourrions-nous lui excuser son crime ? Le criminel est-il coupable ? Responsable ? Ces questions éclairent ce que nous avons appelé la motion pulsionnelle. « Seul au monde, il est le monde entier, avec la toute-puissance du démiurge. Ce qui semble fasciner beaucoup de tueurs en série, c'est leur emprise sur le passage de la vie à la mort. Le temps est suspendu. La victime est souvent évanouie, sans que l'on sache s'il s'agit d'un coït ante ou post mortem. », écrit Zagury dans un remarquable article consacré aux tueurs en série. (Zagury, 2002, p.1203)

II- Une guérison par le crime

1. La passion du crime

L'insomnie de Ben Jelloun apporte précisément un répertoire de scènes de crime qui montrent la dimension de « l'amour propre » chez le cas réputé pervers dans le roman. De Mijolla-Millor écrira dans Les trois figures de l'acte criminel, où le thème d'amour propre est central.

Chez ces sujets, le projet criminel se forme progressivement et s'impose petit à petit comme une issue inéluctable. Il demeure dissimulé pendant tout un temps et c'est l'évolution des circonstances relationnelles qui le met en avant puis précipite le

passage à l'acte. Dans tous les cas, la nécessité de tuer apparait […] comme une condition pour se faire advenir soi-même et tenter, en tranchant le nœud gordien du conflit, de réparer la blessure d'amour-propre. (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1007)

Si l'amour-propre est un sentiment primordial générateur de violence, il ne nous faudra pas le confondre avec la passion ou encore « la passion d'agir » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1008), selon un terme cher à De Mijolla-Millor, qui fait glisser notre anti-héros dans les mauvaises actions et les actes terribles. Cette figure complexe et « proprement inhumaine, traumatique au sens plein du terme » (Vlachopoulou, 2021, p.95) fascinée par une violence « sourde, aveugle, littéralement muette » (Vlachopoulou, 2021p.95) n'est rien d'autre que ce qu'elle fait, au point qu'elle « s'autoreprésente comme pur instrument au service d'une force qui [la] dépasse. » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1008) Une telle démarche s'inscrit incontestablement dans cette passion d'agir qui épargne à cet « héros en négatif » (Vlachopoulou, 2021, p.93) les affres de la culpabilité. De Mijolla-Millor écrit en effet : « devant les yeux éblouis de celui qui se regarde agir se constitue petit à petit le personnage qu'il devient, acte après acte, celui-ci en entrainant un autre. L'identité se crée par ricochet, se dévoile et se recueille sans avoir à être l'objet d'un questionnement, voire d'une quête. » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1009) Mais cette passion d'agir qui s'effectue selon des modalités différentes qui vont de l'acte sous influence délirante, à celui de l'autohypnose du passage à l'acte, ou encre à l'acte posé comme inévitable,

n'aurait-elle pas pu devenir une voie d'accès à la destruction tant recherchée par notre protagoniste ? Il semble ici que le scénario organisé par le meurtrier a, de manière assez évidente, une résonnance positive du fait qu'il est porteur de jouissance, et s'inscrit dans le cadre « d'une valeur identificatoire pour le sujet à qui l'évidence vécue confère une preuve des contours de son existence en tant que personne » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1009) C'est ainsi que le jeune scénariste « passe une partie de [sa[journée à préparer [sa] nuit, à la rendre possible, paisible, tranquille, aimable et positive.» (Ben Jelloun, 2018, p.193) Il lui arrive même parfois de revenir toujours à l'idée de tuer sa femme. Face à la dimension persécutive qui noie le scénariste dans un vécu d'oppression, il ressent la passion de passer à l'acte : il s'agit de la supprimer, comme il le dit, avec « du sang-froid. » (Ben Jelloun, 2018, p.197)

J'y revenais toujours, je devais tuer ma femme. Il fallait que je la tue. Pas seulement pour d'éventuels crédits sommeil, dont j'avais pourtant bien besoin en ce moment, mais pour la mettre hors d'état de nuire. [...] cette nuit-là, l'idée de la mettre sous terre en lui organisant des funérailles dignes d'une grande bourgeoise de la société marocaine, le simple fait de penser à elle refroidie et inerte m'ont procuré quelques heures d'un sommeil magnifique, réparateur et doux. (Ben Jelloun, 2018, p.197)

Qu'est-ce qu'un acte meurtrier, qu'est-ce qu'un criminel d'après De Mjolla-Millor ? C'est avant tout un homme qui rédige son premier texte, qui le reprend ensuite à l'infini « dans un jeu de

miroirs complexe qui repose sur l'identification à l'agir meurtrier. » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1009) Il veut autoconstruire son moi à travers ses crimes en portant simultanément un intérêt à la « publicité de ses actes», (De Mijola-Millor, 2012, p.1009) écrit De Mijolla-Millor de manière significative dans son article Les trois figures de l'acte criminel. Après avoir tué le Pointeur, le scénariste s'applique à contempler la scène de loin pour en entendre les commentaires.

De loin, assis dans ma voiture, j'ai attendu la suite des évènements. Au bout d'un quart d'heure j'ai vu la famille sortir effondrée, pleurant en criant. Le concierge essayait de les calmer. Un de ses frères hurlait qu'il allait porter plainte contre cette clinique incompétente, […] il attaquait le Maroc et son système de santé, réclamait qu'on affrète tout de suite un avion pour transférer son frère à Malaga, à vingt minutes de là, où il y avait de bons médecins, pas des incompétents, des minables, des assassins. […] Le spectacle était formidable. Une pièce de théâtre à la Jarry. Le destin avait mis du temps à se réveiller, mais triomphait enfin du Pointeur. Je jubilais, je me frottais les mains et les yeux. J'ai sorti de la boite à gants une petite bouteille de single malt et j'en ai bu plusieurs gorgées. […] (Ben Jelloun, 2018, p. 29)

Dans cet étrange aller-retour qui se produit entre l'acte meurtrier et le fantasme, le criminel ne fait que relancer sans cesse le fantasme par l'acte ; cette donnée, en effet, rend nécessaires plus clairement encore des perfectionnements plus poussés et par suite une réitération permanente et éternelle de l'acte.

Qu'il s'agisse d'un acte organisé où le scénariste accomplit son crime « avec autant de précision et de justesse » (Ben Jelloun, 2018, p.178) sans remords ; qu'il s'agisse d'un acte prémédité où il espère devenir un héros clandestin ; les crimes de notre protagoniste s'inscrivent, pour la plupart, comme une nécessité ; l'inadéquation de tout acte vis-à-vis du fantasme est là toujours présente et triomphante. Nous comprenons mieux maintenant son projet insurmontable : refaire parfaitement les films de Clouzot ou d'Hitchcock qu'il connait déjà par cœur avec toutes leurs astuces.

Qu'est-ce qu'un acte d'après De Mijolla-Millor ? C'est avant tout, l'aliénation passionnelle, en voulant selon une modalité narcissique, dénier la victime, cherche finalement plus ou moins à se retrouver dans la contrainte à agir. Face à une apparente liberté qui trouve ses limites dans ses propres actes, l'assassin affirme « n'être rien d'autre que ce qu'il fait » (De Mijolla-Millor 2012, p.1009) se sépare de tout lien à ses géniteurs, et se rappelle de son origine absolue qui ne peut se reconstituer qu'en donnant la mort. Dans L'insomnie, le jeune scénariste criminel est le représentant typique de ce mégalomane qui, dans la mesure où ses déterminations inconscientes lui échappent, il éprouve, de manière très vive, un accroissement d'excitation qui le conduira très loin. En devenant une machine folle, il découvrira simultanément que son scenario échappera à sa prise, que ses actes s'autoengendreront les uns vis-à-vis des autres et le définiront. C'est la raison pour laquelle l'isolement dans le monde interne, loin des risques de toute relation, correspond seul

véritablement, pour lui, à la constitution de sa propre identité.

Une telle analyse est incontestablement vérifiée et l'on comprend que Nietzsche ait pu l'illustrer par sa fameuse affirmation « la folie après l'acte. » (Nietzsche cité par De Mijolla-millor, 2012, p. 1010) Certes, il est encore question ici de la passion du crime, mais à cette passion s'ajoute une aliénation. De Mijolla-Millor parle d'une expression telle que « l'exhibition de la monstruosité auprès de la victime » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1010) trouve une place privilégiée que nous ne saurions négliger quand on parle du lien relationnel entre le scénariste et ses victimes.

Je me suis rapproché de son visage, lui ai murmuré dans l'oreille que son heure était arrivée et que j'étais particulièrement heureux d'en être chargé. Je n'ai pas eu à me battre. Il ne bougeait plus, mais visiblement m'entendait. Je lui ai dit mon nom et celui de deux de ses victimes. Ensuite j'ai appuyé sur sa blessure la plus importante, il a poussé un cri que j'ai vite étouffé avec un tissu que j'ai enfoui dans sa bouche. Tout en l'écrasant, j'ai débranché les tuyaux sans que ça se voie. Il s'est mis à suffoquer, sa respiration est devenue difficile, puis lente, tellement lente qu'elle allait s'arrêter inévitablement d'ici quelques minutes, le temps pour moi de le rebrancher ni vu ni connu puis de quitter les lieux […] (Ben Jelloun, 2018, p.28)

Mais que recherche ce tueur en série ? Il est vrai qu'en considérant que l'identité criminelle ne lui vient finalement «qu'après coup, comme un effet second vis-à-vis d'une quête primaire qui apparait comme fondamentale » (De Mijolla-Millor,

2012, p. 1010), ce n’est pas par complaisance, comme l’a soutenu De Mijolla-Millor, que ce type de criminel « tue pour ne pas mourir » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1010). Là encore, la fonction revitalisante de l’acte meurtrier pour son auteur l’emporte sur toute autre considération. Notre protagoniste, après avoir avoué que la mort le réclame, se plaint alors en ces mots significatifs.

Il y a le rien, l’immense rien, le gouffre qu’on imagine avec le sentiment d’une mort imminente. Elle menace, va et revient. Sentiment puissant et incolore. Un rouleau compresseur avance. Il faut courir. Les battements du cœur s’accélèrent. Mon souffle devient très court, insuffisant, alarmant. Je transpire. Derrière moi, une immense boule de ciment entourée de fils barbelés. Elle avance, cherche à passer sur mon corps. Pour le moment elle avale mon ombre. Je cours, je ne cours pas assez vite. La mort piétine les draps et l’asphodèle, déchire l’écran et met le feu dans des cercueils vides. Cette boule noire grossit en avançant. Tantôt noire, tantôt rouge. Elle a déjà écrabouillé une partie de ma raison. Fait de bouillie avec mes viscères. Je cours comme un pestiféré, comme un voleur pris à la gorge. […] Je transpire, je respire mal, je crois que je tremble. Une visite, non une visitation, une invasion. Livraison d’une machine de mort à domicile. Mon cœur bat très vite. […] une sorte d’huissier pressé d’en finir, ou bien des agents funéraires avec des hauts-de-forme noirs […] (Ben Jelloun, 2018, p. 213)

Dans la perspective où pour que l'un puisse vivre l'autre doit mourir ; la haine y trouve sa place. Le scénariste devrait certes tuer pour s'éprouver vivant, et par suite supérieur parce que « restant en vie fait partie du triomphe culpabilisé de tout deuil», (De Mijolla-Millor, 2012, p.1010) écrira De Mijolla-millor clairement là ce sujet. Et elle ajoute : «L'aliénation passionnelle se lira donc en négatif au travers de la déshumanisation non seulement à laquelle sera soumise la victime, mais aussi de la position mégalomaniaque de l'assassin. Le crime de sang-froid, l'indifférence alléguée du tueur à l'égard de sa victime témoignent de la spécificité du lien de haine qui doit nier jusqu'à l'existence de la victime et donc le plaisir que cette destruction peut lui causer. » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1011) Ailleurs : « Comme toute passion qui procède d'une relation asymétrique telle que celui qui l'induit ne peut que jouir et jamais souffrir d'une relation dont il lui est à tout moment loisible de se détacher, fût-ce par la mort de l'autre, la passion du crime qui habite le tueur en série n'est de même fascinante pour le public qu'en raison de la force narcissique qu'il prête à tort à celui-ci. » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1011) Nous saisissons bien ce De Mijolla-Millor veut dire ; l'acte possède ainsi un pouvoir destructeur, et l'identité reste suspendue « à la recréation permanente de l'acte destructeur accompli au nom d'un autre destiné à demeurer inconnu » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1011)

2. La toute-puissance du crime

Il est bien remarquable que le vécu douloureux reste ainsi, quels qu'en soient les motifs, un destin, une mission, ou bien le rétablissement d'une justice bafouée. Nous savons, alors, que « se faire justice » ou « être la justice » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1011) déclenchent souvent la potentialité criminelle de la plupart des paranoïaques qui passent à l'acte. C'est parce que l'autre, comme nous l'avons signalé plus haut, est un ennemi principal, il lui faut se focaliser sur lui, ou le faire disparaitre. Sa disparition règlera, par conséquent, ses ennuis. Dans ce combat infini, le personnage principal affirme qu'après le meurtre, il se sauve de tous ses ennuis : aussi, la mort du gouverneur, à titre d'exemple, le laisse dormir normalement le soir ; « mon réveil a été doux et paisible. Après le café, j'ai senti que j'étais bon pour me mettre au travail » souligne-t-il plus loin. Ce « moi ou lui » attribué à l'état de légitime défense, notre protagoniste en viendra tout de même pour « se faire advenir soi-même et tenter de réparer la blessure d'amour-propre. » De Mijolla-Millor, 2012, p. 1012) Cependant, il est étrange de constater pour autant que l'intention criminelle semble avoir disparu, et le criminel semble s'identifier « inconsciemment à la mort elle-même. » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1012) C'est là que nous retrouvons De Mijolla-Millor au cœur de sa critique littéraire. Elle montre comment le crime dit « gratuit » est commis arbitrairement par le meurtrier « à la nécessité de se donner la preuve d'être capable d'accomplir un meurtre parfait, sans haine et sans intérêt apparent, sans

signification autre que l'éprouvé de sa propre puissance » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1012), comme elle l'écrit dans son article Les trois figures de l'acte criminel. Autant dire tout de suite que le criminel est aussi en situation de « pouvoir tuer avec la même froide indifférence que la mort elle-même devient alors la manière d'échapper soi-même, au-moins fantasmatiquement, au destin de la victime » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1012) insiste-t-elle dans le même article. Toutefois, si le crime est absolument immotivé, il ne faut pas oublier que le criminel ne l'est pas. Le jeune scénariste ne tue pas n'importe qui et, il a la conviction de n'avoir tué personne. « Je n'étais pas un tueur, mais un hâteur de mort » (Ben Jelloun, 2018, p.57) prononcé par notre protagoniste ne saurait résumer et apporter l'essentiel de sa théorie sur le meurtre parfait, donc gratuit. Et puis voilà, précise De Mijolla-Millor sa pensée en écrivant.

Donner la mort devient ici l'équivalent d'éliminer les faibles dans un mépris mégalomaniaque qui ne consent même pas à se reconnaitre affecté par un désir à l'égard de la victime qui ne lui sert ici que pour exercer sa toute-puissance. (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1013)

Il va sans dire que, dans L'insomnie, cette jouissance de l'emprise vécue par ce mégalomane qui réussit à éliminer froidement ses victimes constitue une réponse à une violence insupportable. Aussi, après l'avoir exécuté, en est-il même soulagé. La tentative de « hâter la mort, sans faire trop de mal au passage » (Ben Jelloun, 2018, p.204) était sa théorie. Dans

ce cas, il avait un soir, à Tanger, « le choix entre le concierge de l’immeuble Annahda […] et l’épicier,» (Ben Jelloun, 2018, p.204) affirme, en effet, le criminel. Plus loin il hâte la mort de son vieil ami Gabriel qui voulait mourir et être incinéré à Ceuta. Il était de mauvaise humeur.

Je suis fatigué, je suis las, j’en ai marre. J’approche des quatre-vingt-dix ans, tous mes amis sont morts, je n’ai plus de famille, je me suis retrouvé à Tanger où on m’avait dit que les garçons étaient beaux, ils m’ont tous dépouillé et m’ont abandonné. J’aimerais bien rencontrer quelqu’un qui m’aide à m’en aller, un médecin compréhensif ou même une infirmière sympathique avec une poitrine généreuse. (Ben Jelloun, 2018, pp.78-79)

Il est intéressant de constater, sur ce point, que le thème du « droit au crime » qui occupait une place exceptionnelle dans l’œuvre de Dostoïevski (Dostoïevski, 1950, p.312), est repris en l’amplifiant dans Les trois figures de l’acte criminel : « le droit au crime est basé sur la classification entre les êtres « ordinaires » et « extraordinaires » et le bien-fondé de réaliser le meurtre si cela va dans l’intérêt de l’humanité. » (Dostoïevski cité par De Mijolla-Millor, 2012, p.1013) Il faut, devant ce thème, se rappeler de la thèse fameuse de Vlachopoulou (2021) selon laquelle notre scénariste devient « super », développe des « superpouvoirs » en s’identifiant à des figures toutes-puissantes, lors de l’élaboration de ses scénarios, tel l’acteur d’origine américaine « De Niro » (Ben Jelloun, 2018, p.123) ou « ce mari machiavélique comme chez Hitchcock » (Ben Jelloun, 2018, p.39) ou bien encore les

personnages d'Alain Robbe- Grillet précisément dans son roman « Les Gommes » qui raconte « l'histoire de l'assassinat de M. Dupont [qui] a eu lieu sans vraiment avoir eu lieu.» (Ben Jelloun, 2018, p.136) il nous révèle.

Oui, écrire, mais il faut que ça se tienne, que j'arrive à raconter une histoire captivante avec un vrai personnage. [...] Je passerais mon temps à donner des rythmes à des films ni faits ni à faire, sans scénario, sans enjeu. [...] J'essaierais de leur donner de la chair, de la consistance et de nourrir notamment le vide de la nuit. Mes scénarios, je m'en occupe avec autant de soin que de mes nuits. Je les arrange, les rends crédibles, plausibles, fonctionnels, avec une patience infinie. (Ben Jelloun, 2018, pp.107-108)

En faisant ainsi jouer le personnage de son scénario, notre super-héros, par le fait de son nouveau statut de « héros de mal » (Vlachopoulou,2021, p.95) semble « à voir avec une renarcissisation et la protection contre l'impuissance » (Vlachopoulou, 2021, p. 95) mise en jeu durant cette période de sa vie. Nous accueillons, à ce propos, la définition selon laquelle Vlachopoulou et d'autres psychologues aurait défini ce type qui s'inspire des réels tueurs en série, et est doté de capacités surnaturelles.

Il est le lieu du fantasme, de la projection permise des pulsions les plus inavouables. Il est une forme de jeu, de « se faire peur à soi », venant cacher le « j'ai peur des autres » ; ici la passivité est retournée en activité. Jouer à se faire peur de soi, c'est se montrer à soi-même comme acteur potentiel de violence, [...] Le

monstre, devenu héros dans le fantasme, est l'espace de retour flamboyant de la toute-puissance infantile enfin retrouvée et de la renarcissisation désespérée recherchée. […] Je ne suis plus sujet passif de la violence, […] je suis l'acteur des violences et je joue avec l'image de moi comme monstre terrifiant. Ainsi, je n'ai plus peur du monde, et je ne suis plus impuissant, je ne suis plus non plus inutile, j'ai une place dans la société, je suis son contraire, sa face d'ombre, et je peux briller à ma façon, bien que cela passe paradoxalement par le rejet de tous. (Vlachopoulou, 2021, p.95)

Mais que voulons-nous dire par là, sinon que la « compréhension » (Hesnard, 1962) du jeune scénariste meurtrier et de ses actes ? La réponse de De Mijolla-Millor à une telle question dépasse l'accusé, à notre avis, et s'interroge précisément « sur les circonstances de sa vie qui ont bâti autour de lui le réseau de causes qui l'ont amené à l'irrémédiable du crime. » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1004) Si l'approche psychanalytique se fonde sur ce déplacement qui échappe à la motivation logique et consciente en termes de responsabilité de l'actant, nous envisagerons, à l'inverse, de relire ce roman sous l'angle de la criminalité individuelle qui montre que « les diverses motivations, lorsqu'elles ne sont pas de nature utilitaire, n'en constituent en fait qu'une seule sous la forme d'une tentative pour s'identifier à la mort elle-même », précise De Mijolla-Millor. (De Mijolla-Millor, 2012, p.1006) Cette identification devient alors la source d'une conception nouvelle de l'acte criminel. Il s'agit donc bien

là de ce que De Mijolla-Millor nomme « devenir la mort. » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1006) Un tel mot souligne suffisamment l'impasse de l'acte criminel.

Devenir la mort, être celui qui la donne peut alors fantasmatiquement protéger le sujet d'en être la victime. En ce sens, il n'y aurait aucune pulsion spécifique poussant au crime, mais une « solution » proche d'un délire pour échapper à l'agresseur en s'identifiant à lui. » (De Mijolla-Millor, 2012, p. 1006)

C'est dans les dernières pages du roman que nous trouvons la présentation la plus lumineuse de ces propos de De Mijolla-Millor. Et, de fait, fantasmatiquement, il se donne le droit de se donner la mort ou plus précisément il ne fait qu'un avec elle. C'est ainsi que nous pouvons parler de « la complétude narcissique » (De Mijolla-Millor, 2012, p.1015) que le jeune scénariste pensait enfin constituer et dans laquelle il pouvait, finalement, s'autodéfinir ou même se mirer.

[…] probablement je ne suis plus de ce monde. Je dis ça et puis je perds le sens de tout. Je ne sais plus où je suis ni qui je suis. Le couloir est long. On parle d'un tunnel avec au bout la fameuse lumière. […] Je dois aller jusqu'au bout. […] Tout me quitte et m'oublie. […] Je ne me souviens de rien. Je suis là mais je sens que je suis comme vidé. Comme si quelqu'un était venu siphonner tout ce que mon corps contenait. Je ne suis plus qu'une carcasse, une peau, un tas d'os, sans plus aucun muscle, plus aucun organe. Peut-être que mon corps a été donné à la

science. En tout cas je n'ai pas encore été inciné ré. J'ai toujours refusé, d'ailleurs. (Ben Jelloun, 2018, p.250)

Dans ce passage final, le scénariste éprouve la jouissance de la toute-puissance. Le « triomphe de l'omnipotence » (Zagury, 2002, p.1212) semble l'éloigner de toute menace. A cette satisfaction, font alors écho les dernières lignes du roman.

Je monte dans le bus. [...] Je suis le seul passager. Mes yeux se ferment lentement. Ça y est. J'accepte de mourir. Oui, plus de résistance. Le grand sommeil, l'éternel, peut venir enfin et m'emporter. (Ben Jelloun, 2018, p.260)

Sans doute L'insomnie de Ben Jelloun se pose finalement des questions importantes. Les points d'interrogation sont autant de vides et d'appels que notre lecture et notre réponse viendront alors combler dans cet article. Mais que voulait le personnage en sortant aussi ostensiblement des sentiers battus ? Pourquoi il commet son crime et comment ?

« Si le mal est sans pourquoi, il n'est pas sans comment : la fonction du crime c'est la transformation de la menace en triomphe, de la passivité en activité, de la détresse en toute-puissance, du traumatisme subi en traumatisme infligé » (Green, 1988, p. 239-261), soutient André Green dans un article célèbre. Sa logique : c'est de s'élever au-dessus des contingences de la finitude humaine. Sa dynamique : c'est de mettre en actes criminels des scènes traumatogènes d'autrefois. Son but : c'est mimer la Genèse et se faire le créateur.

A tous ceux qui vont clamant que le meurtre dans L'insomnie n'est autre que « les retrouvailles fusionnelles avec le corps maternel » (Zagury, 1996, p.107) nous répondrons par cette affirmation lumineuse selon laquelle le criminel « serait la figure supratutélaire » (Bessoles, 2012, p.1101) qui impose sa loi et offre « sa protection à l'enfant sacrifié que le criminel restera à jamais. » (Donard, 2011, p.140)

Références bibliographiques

Corpus

Ben Jelloun, T. (2018). L'insomnie. Paris : Gallimard.

Autres œuvres de Ben Jelloun

Ben Jelloun, T. (1973). Harrouda. Paris : Denoël.

(1976). La réclusion solitaire. Paris : Denoël.

(1978). Moha le fou, Moha le sage. Paris : Seuil.

(1981). La Prière de l'absent. Paris : Seuil.

(1983). L'Écrivain public. Paris : Seuil.

(1985). L'Enfant de sable. Paris : Seuil.

(1987). La Nuit sacrée. Paris : Seuil.

(1990). Jour de silence à Tanger. Paris : Seuil.

(1991). Les yeux baissés. Paris : Seuil.

(1992). L'Ange aveugle. Pais : Seuil.

(1994). L'Homme rompu. Paris : Seuil.

(1995). Le premier amour est toujours le dernier. Paris : Seuil.

(1996). Les raisins de la galère. Paris : Fayard.

(1997). La Nuit de l'erreur. Paris : Seuil.

(1999). L'Auberge des pauvres. Paris : Seuil.

(1999). Labyrinthe des sentiments. Parsi : Seuil.

(2002). Cette aveuglante absence de lumière. Paris : Seuil.

(2003). Amours sorciers. Paris : Seuil.

(2004). Le dernier ami. Paris : Seuil.

(2006). Partir. Paris : Gallimard.

(2008). Sur ma mère. Paris : Gallimard.

(2009). Au pays. Paris : Gallimard.

Recueils de poèmes de Ben Jelloun

Ben Jelloun, T. (1976). Les amandiers sont morts de leurs blessures. Paris : Seuil.

(1976). La mémoire future, Anthologie de la nouvelle poésie au Maroc. Maspero : Voix.

(1980). A l'insu du souvenir. Maspero : Voix.

(1991). La remontée des cendres suivie de Non identifiés. Paris : Seuil.

(1966-1995). Poésie complete. Paris: Seuil.

(2007). Les Pierres du temps et autres poèmes. Paris : Seuil.

Essais de Ben Jelloun

Ben Jelloun, T. (1977). La Plus Haute des solitudes. Paris : Seuil.

(1984). Hospitalité française. Paris : Seuil.

(1993). Eloge de l'Amitié, ombres de la trahison. Paris : Seuil.

(1998). Le racisme expliqué à ma fille. Paris : Seuil.

(2002). L'Islam expliqué à ma fille. Paris : Seuil.

Ouvrages de critique et de théorie littéraire

Adler, A. (1908). La pulsion d'agression dans la vie et dans la névrose. Revue française de psychanalyse. Tome 38. 1934.

Assoun, P-L. (2004). L'inconscient du crime. La « criminologie freudienne », Recherches en psychanalyse 2.

Ben Jelloun, T. (2019). You Tube. France 24, 10 avril.

Benezech, M. (1992). Les tueurs en série. Forensic, numéro 1.

Bessoles, P. (2005). Agression sexuelle : un délit autocalmant. Paris : L'Esprit du temps.

(2012). Récidive criminelle. Figures de l'emprise et criminalité. Dans revue française de psychanalyse. Volume 76. Presses universitaires de France.

Bonn, C. (1991). Itinéraires et contacts de cultures. Poétiques croisées du Maghreb. Volume14. 2eme semestre. Paris : L' Harmattan.

Costes, A. (1994). La manipulation perverse : une approche psychanalytique à partir d'une observation clinique. Numéro 9. Volume 70.

Dejeux, J. (1992). La littérature maghrébine d'expression française. Revue de littérature comparée. Volume 68.

Donard, V. (2011). Sacrifier la mère. Association internationale interactions de la psychanalyse (A2IP). Numéro 117.

Dostoïevski, F. (1950). Crime et Châtiment. Paris : Gallimard.

Edrosa, M. (2005). Aux confins de l'originaire, sur l'autel des sacrifices : genèse de l'"inhumanité psychique. in Balier Claude (dir.), La violence en abyme. Essai de psychocriminologie, Paris : PUF.

Eiger, A, (2018). Le divan familial. Paris. Le 9 octobre 2018.

Ferenczi, S. (1982). Confusion de langue entre les adultes et l'enfant. In Œuvres complètes, IV (1927-1933). Paris : Payot.

Foucault, M. (1974-1975). Les anormaux. Cours au collège de France. Paris : Le Seuil/Gallimard.

(1981). L'évolution de la notion d'«individu dangereux» dans la psychiatrie légale. Déviance et Société. Volume 5, numéro 4.

Freud, S. (1913). Totem et tabou, Quelques concordances entre la vie psychique des sauvages et celle des névrosés. Paris : Gallimard, coll. «Connaissance de l'inconscient», 2001

(1914). Pour introduire le narcissisme. La vie sexuelle. Paris : PUF.

(1915). Pulsion et destin des pulsions. Metapsychologie. Paris : Gallimard. 1987.

(1930). Malaise dans la civilisation. Paris : Points.

(1988). L'inquiétante étrangeté et autres essais. Paris : Folio Essais.

Gide, A. (1922). Les caves du Vatican. Paris : Gallimard.

Gilbert, G. (2010). De l'objet pulsionnel à la pulsion d'emprise. Revue française de psychanalyse. XLVI, 6.

Gontard, M. (2005). Université de Rennes 2, in Le Maghreb littéraire, vol. IX, no 17.

Green, A. (1988). Pourquoi le mal ? Nouvelle Revue de Psychanalyse.

Hesnard, A. (1962). Psychologie du crime. Paris : Payot.

Leader, D. (2019). Why can't we sleep? Understanding our sleeping and sleepless minds. Penguin.

Le Toullec, E. (2019). L'insomnie et son double littéraire, figure de l'inquiétante étrangeté. Numéro 25. Dans Savoirs et Clinique. Eres.

Lovell, A.-M., Cook, J., Velpry, L. (2008). La violence envers les personnes atteintes de troubles mentaux : revue de la littérature et des notions connexes. L'évolution psychiatrique. Numéro 56.

Meloy, R. (2000). Les psychopathes. Essai de psychopathologie dynamique. Paris : frison Roche.

Mijolla-Millor, S. de. (2005). Femmes, fauves et grands criminels. La cruauté au féminin. In Mijolla-Mellor, S. de (dir.) Paris : PUF.

(2011). La mort donnée. Essai de psychanalyse sur le meurtre et la guerre. Paris : PUF.

(2012). Les trois figures de l'acte criminel. Dans revue française de psychanalyse. Volume 76. Pars ; PUF.

Miller, J.-A. (2008). Rien n'est plus humain que le crime. Mental, 21.

Moeller, C. (1962). Littérature du XXème siècle et christianisme. Tome II. Casterman.

Mucchielli, L. (1994). Le sens du crime. Histoire des rapports de la psychanalyse a la criminologie. In Mucchielli (dir.), Histoire de la criminologie française. Paris : l'harmattan. P. 351-410.

(2001). Quelques réflexions critiques sur la « psychopathologie des banlieues » VEI Enjeux. Numéro 126.

(2011). L'invention de la violence. Des peurs, des crimes, des faits. Paris : Fayard

(2014). L'invention de la violence. Des peurs, des crimes, des faits. Revue européenne des sciences sociales. Numéro 2.

(2015). Jeunesse délinquante et jeunesse en danger : des territoires convergents. Numéro hors-série 8.

Munro, A. (2014). Rien que la vie. Paris : L'Olivier.

Racamier, P.C. (1986). Entre agonie psychique, déni psychotique et perversion narcissique. Revue française de psychanalyse. Volume 50. Numéro 5.

Roquebert, C. et Joly, M. (2021). De la mère au narcissisme pervers » au « conjoint pervers narcissique. Zilzel : science, technique, société. Numéro 8.

Vlachopoulou, X. (2021). Le processus adolescent : une traversée super-héroïque ? Enfances et psy. Numéro 91.

Zagury, D. (2008). L'énigme des tueurs en série. Paris : Plon

(1996). « Entre psychose et perversion narcissique : une clinique de l'horreur. Les tueurs en série ». L'évolution psychiatrique. Tome 61. Numero1.

(2002). Les serial-killers sont-ils des tueurs sadiques ? Revue française de psychanalyse. Paris : PUF.

(2011). Tueurs en série et acteurs de génocide. Association internationale interactions de la psychanalyse. Numéro 117.

L’atténuation des comportements agressifs chez les enfants de EB3 âgés entre 8 et 9ans et demi scolarisés à l’École Officielle Bourj Hammoud

Dr. Rita Haykal Hassoun

Abstract

Cette recherche vise à atténuer le taux d’agressivité chez les enfants de EB3 âgés entre 8 et 9ans et demi scolarisés à l’École Officielle Bourj Hammoud. Le plan de travail comporte des séances d’activités en groupe de 5 avec des entretiens individuels. Les outils choisis dans cette recherche sont de style qualitatif qui englobent l’observation, l’entretien, les rapports et les documents du ministère de l’éducation concernant des techniques de thérapie comportementale.

Les dix séances effectuées ont permis aux enfants d’exprimer leurs sentiments de manière totalement libre et spontanée, sans inhibition et sans peur. Cette approche renforce l’importance du travail en groupe chez les enfants, ce qui permet une bonne capacité de communication, et les encourage à avoir de l’estimation vis-à-vis de leurs copains et à respecter plus les autres.

Mots clés : Agressivité, inhibition Travail en groupe, observatin, entretien.

خفض نسبة السلوك العدواني لدى تلاميذ الصف الثّالث الأساسي في مدرسة برج حمود الرسميّة الذين تتراوح أعمارهم من ثمان حتى تسع سنوات ونصف.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى خفض مشكلة العدوانيّة لدى أطفال الصّف الثّالث ابتدائي في المدرسة الرّسمية في برج حمود. يتضمّن العلاج عمل مجموعات، كل مجموعة تتألّف من خمسة متعلمين بالإضافة الى مقابلات فردية.

الأدوات المختارة في هذا البحث نوعيّة، وتشمل الملاحظة، المقابلة، التّقارير والمستندات المعتمدة في وزارة التّربية التي تتبع تقنيات العلاج السّلوكيّ لخفض العدوانيّة. أسهمت هذه التّقنية الى مساعدة الأطفال على التّعبير عن مشاعرهم بعفويّة ومن دون كبت أو خوف. تسهم هذه التّقنية في تحسين قدرة التّواصل بينهم، كما تعلمهم احترام رفاقهم واحترام الآخرين.

الكلمات المفاتيح :السّلوك العدواني، الكبح، العمل الجماعيّ، الملاحظة، المقابلة.

I – Objectif

Face aux multiples crises vécues au Liban, qu'elles soient économiques, épidémiques, politiques ou alors sécuritaires, l'innocence de l'enfance a été atteinte psychiquement et moralement ; ainsi, on a remarqué une hausse dans le taux d'agressivité comportemental chez les libanais généralement et les enfants spécifiquement. Malheureusement, au Liban, on assiste au quotidien à des situations relevant de l'agressivité, comme explosion, assassinat, de violence, guerre et surtout durant ces dernières années. Ces évènements engendrent des effets négatifs sur les enfants qui, malheureusement, sont noyés dans ce quotidien amer.

En fait, les libanais deviennent familiarisés à la violence. Les enfants se comportent d'une façon hétéro agressive afin de résoudre des problèmes en imitant les réactions conflictuelles

de leurs environnements. De plus, les parents qui utilisent régulièrement les punitions physiques avec leurs enfants ont des enfants plus agressifs que les parents qui ne sont pas de modèles d'agressivité (Eron, Huesmann et Zelli, 1991).

L'objectif de cet article est d'intervenir précocement et d'aider les enfants qui sont incapables de gérer leurs émotions, à développer les réponses comportementales et émotives adéquates afin d'atténuer leurs agressivités.

L'objectif initial donc est de diminuer le taux de comportements négatifs et agressifs. Pour atteindre cet objectif, il faut parvenir à :

- Aider les enfants à exprimer leurs émotions,
- Trouver des moyens qui rendent facile la projection des enfants,
- Arriver à un point où les enfants s'expriment verbalement,
- Connaitre la raison derrière les comportements (ce qui est implicite),
- Montrer aux enfants l'intérêt d'avoir une bonne connexion interrelationnelle,
- Montrer aux enfants l'importance du respect de l'autre.

II - Les études antérieures

- « L'agressivité chez les enfants et l'exposition à la violence à la maison » thèse faite par Hottons, Tina. (2003) : Les résultats de cette étude ont souligné la relation entre l'acquisition des comportements agressifs et l'exposition des enfants à

des situations agressives. Les enfants qui sont témoins des agressions vécues à la maison acquièrent des comportements agressifs.

- « L'effet de la thérapie par le jeu de marionnettes sur l'agression chez des enfants avec TDAH » Azadimanesh P., Hakim-Javadi M., HoseinKhanzadeh A., Vatankhah M. (2017) : les résultats ont montré que la thérapie par le jeu de marionnettes peut atténuer les comportements agressifs des enfants par le contrôle émotionnel.
- « L'agressivité et l'anxiété chez les enfants maltraités » étude de Marcoux, Lucie j. (1993) : Les résultats montrent que les enfants qui sont perçus comme ayant des comportements extériorisés ont des comportements agressifs à la garderie, et les enfants qui sont perçus comme ayant des comportements intériorisés ont des comportements anxieux à la garderie.

Les études antérieures ont traité les comportements agressifs á la maison, dans une garderie ou dans une association spécialisée, mais il est intéressant de favoriser l'intégration intra scolaire des enfants agressifs en appliquant des stratégies relationnelles, interactionnelles qui mènent à la diminution de l'agressivité dans un établissement scolaire.

III - Introduction

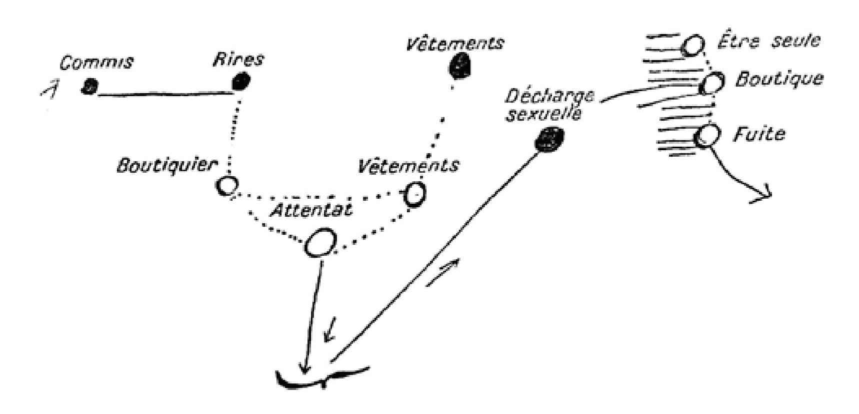
L'agressivité est un phénomène qui perturbe tout être humain, elle touche l'individu à plusieurs niveaux : cognitif, physique, psychologique, relationnel, familial et social. Ce qui mène à

une dégradation progressive et profonde de toute vie inter et intra individuelle et affecte la liberté et l'humanité profondément. Plusieurs psychologues ont expliqué les théories de l'agressivité Alfred Adler, Sigmund Freud et Albert Bandura, …

Nous parlons de dysfonctionnement mental et cognitif, lorsque l'enfant confronte des situations violentes et agressives et qu'il n'arrive pas à maîtriser, ni à supporter, et lorsqu'elles provoquent des tensions qui dominent la psyché de l'enfant. Elles mènent à des états de souffrance et de tristesse qui affectent le déroulement de l'intégration normale dans sa vie sociale. Ces tensions de malaise touchent toutes les capacités de mentalisation, de perception et de fonctionnement mental et rendent l'adaptation difficile.

La mentalisation symbolise les transformations et les modifications des affects en les recevant sous forme d'excitations. C'est le moi qui est responsable de la capacité de l'enfant de rejoindre ses fantasmes inconscients et les pulsions ressenties. La capacité de tolérance cherche à agir pour lutter contre l'angoisse psychique et les conflits dérivant du monde extérieur. Donc, le moi règle ces représentations pulsionnelles et les transforment en expressions verbales ou non verbales. Le dysfonctionnement psychique perturbe la capacité d'adaptation de l'enfant. L'échec de la mentalisation reflète l'incapacité de l'enfant à traduire ses sentiments et ses pulsions ressentis, qui est l'équivalent de l'exécution des pensées négatives qui se traduisent par le passage à l'acte agressif.

Freud (1915-1917) dans son ouvrage «introduction à la psychanalyse » définit le traumatisme infantile à une fixation de la libido (constitution sexuelle) et d'événements qui marquent le vécu infantile, ces deux facteurs s'associent à un évènement traumatique accidentel et déclenchent la névrose. Le traumatisme infantile selon Freud a donc une origine sexuelle. C'est en fait, « un souvenir refoulé s'est transformé après coup en traumatisme».



Le schéma de Freud qui explique l'interaction du mouvement des événements.

En 1926, Freud a expliqué la théorie de traumatisme vécu dans son ouvrage « inhibition, symptôme et angoisse ». Selon lui le Moi, enfuit le débordement par les tensions internes qui l'agressent et lui déclenchent un état d'angoisse pathologique.

Donc, selon Freud, les traumas reçus déclenchent des perturbations psychologiques au niveau de l'équilibre psychique du Moi. Et l'étiologie des bouleversements psychiques est expliquée par la théorie freudienne dite de « bon sens », et elle

est la résultante des traumatismes vécus.

Les types de traumatismes selon la théorie de Freud :

a)Théorie d'un traumatisme réel :

Le traumatisme excède la capacité du fonctionnement mental chez l'enfant, il apparait plus tard sous forme de symptômes pathologiques.

b)Une théorie d'un traumatisme imaginaire :

Le désir de l'enfant est orienté par les fantasmes pour rencontrer la signification au registre de la sexualité.

Selon les théories psychologiques, l'apprentissage social peut avoir un effet primordial sur les comportements agressifs observés chez les enfants. L'apprentissage de l'agression peut aussi se faire par l'exposition aux prototypes agressifs. L'expression de l'agressivité se manifeste sous forme de différents niveaux de tolérance selon les groupes sociaux et leurs codes culturels. Dans cet article, on s'intéresse à l'agressivité chez les enfants.

Dans son œuvre « Trois essais sur la théorie sexuelle », Freud (1905) explique la libido de la vie érotique qui est symbolisée dès le début en tant qu'élément érotique.

L'agressivité n'est pas toujours phénomène diffèrent de l'auto-destruction, elle apparait dans la lutte entre les instances du moi.

Freud (1930) « Malaise dans la civilisation » explique la théorie « destruction de l'étranger » et le mot « agression » comme signal á une régression du stade pré génitale.

La théorie freudienne d'agression contient cinq axes :

1- L'origine,

2- La difficulté à être réprimée,

3- Le besoin d'un exutoire,

4- La lutte contre la culture

5- Et les conséquences sur l'homme de sa répression.

L'origine de la pulsion d'attaque et d'agression existe dans le Moi, l'agression est contrée par la connaissance. L'agression est un phénomène ancien. La pulsion agressive s'exprime par un besoin de décharger l'énergie interne par les conflits existant relationnels, résumée ainsi par Freud : « Il est toujours possible de lier les uns aux autres dans l'amour une assez grande foule d'hommes, si seulement il en reste d'autres à qui manifester de l'agression. ».

Voici enfin un petit schéma qui illustre la dernière idée :

Comportement agressif présenté par les parents àagrippement de l'enfant à ce comportement àAbsence de contrôle à qui sera expulsé l'objet mauvais vers l'environnement à comportement défaillant est projeté à retour de la violence contre le fonctionnement psychique àRetour vers l'objet externe à hétéro destruction à compulsion et déviation àhétéro agressivité.

Adler a expliqué la pulsion agressive dans son ouvrage « La pulsion d'agression dans la vie et dans la névrose ». (Adler, 1908).

Dès la naissance, l'enfant perçoit l'environnement comme menaçant et hostile. Adler nomme cette relation violente avec l'environnement par la pulsion d'agression.

Selon Adler, la pulsion d'agression est une pulsion primaire qui est influencée par la société et le besoin d'adaptation dans l'environnement.

Les manifestations agressives sont :

1- La personnalité du sujet qui est la résultante de la puissance du sentiment collectif

2- Le besoin de puissance.

L'apprentissage social tel que défini par Bandura (1980), englobe l'interaction dynamique entre les enfants et leur environnement. Les trois facteurs principaux de l'acquisition sociale sont :

1- La personne,

2- L'environnement

3- Les comportements.

L'apprentissage social, tel que défini par Bandura (1980), englobe l'interaction dynamique entre les individus, leur environnement et leurs actions, conduisant à l'acquisition de connaissances et de compétences. Selon Bandura, les individus ont la capacité d'observer et d'imiter les comportements des autres, copiant ainsi les expériences de ceux qui les entourent. Ce phénomène, communément appelé apprentissage par procuration, met en évidence le rôle des facteurs environnementaux dans l'élaboration

des résultats d'apprentissage d'un individu

Selon Bandura, l'observation active permet à l'enfant de reproduire les comportements observés, il a expliqué l'imitation des modalités comportementales proches par les enfants.

Selon Bandura, l'apprentissage social comprend les étapes suivantes :

1-L'attention,

2-l'accumulation,

3-la reformulation,

4-la motivation.

IV – Le problème de l'article

Comment peut-on intervenir pour résoudre le problème persistant des comportements hétéro agressifs chez les enfants selon la prévention primaire, secondaire et tertiaire ?

- Les catastrophes environnementales vécues par les enfants peuvent-elles provoquer des comportements hétéro -agressifs ?
- Le non-ajustement résultant d'un conflit psychique se manifeste-t-il par les symptômes de souffrance psychique chez les enfants agressifs ?
- La défaillance de l'adaptation sociale chez les enfants peut mener à un comportement agressif ?
-

V – Les instruments utilisés

Les outils à utiliser dans cette recherche sont de style qualitatif :

- L'observation : une grille d'observation pour pouvoir comparer à la fin du projet la fréquence des comportements agressifs chez les enfants.
- L'entretien semi-directif : L'entretien est essentiel, il donne l'occasion aux enfants de parler individuellement.
- Le questionnaire sur l'agressivité (Makarowski) pré et post test.
- Les rapports permettent de clarifier les antécédents, les anamnèses et les processus psychiques des enfants.
- Les documents du ministère de l'éducation qui contiennent des techniques de thérapie comportementale.

VI – Méthode

Les dix séances effectuées ont permis aux enfants d'exprimer leurs sentiments de manière totalement libre et spontanée, sans inhibition et sans peur. Ces activités effectuées par le travail en groupe visent à la construction du psychisme et l'apprentissage des compétences relationnelles. Les enfants font appel à leur imagination en utilisant deux formes de symbolisation : leur présence physique et leurs expressions verbales. Ce concept peut être décrit comme le pouvoir du langage en action. (Claudel, 1926).

L'enfant peut se sentir créatif, parce qu'il peut donner l'existence à un réel pouvoir et il peut avoir une capacité d'exercer une autorité ou une influence sur une entité externe tangible, réelle ou symbolique :

- Les techniques du jeu de sable,
- Les techniques du dessin,
- Les techniques de narration / récit,
- Les jeux basés sur les métaphores / fantaisies / symboles

La rencontre entre les enfants facilite la formation de liens interpersonnels par l'acquisition des nouvelles compétences interrelationnelles.

Une fiche qui résume le déroulement de la séance.

L'identification se définit selon Laplanche et Pontalis par une assimilation d'un aspect, d'une propriété par l'enfant à travers le processus psychique permet de transformer le modèle perçu. (Vocabulaire de la psychanalyse, 2007).

Selon Mélanie Klein, l'enfant traduit l'intériorisation de son psychisme par les mécanismes d'identification projective qui se manifestent par des fantasmes. (Klein, 1946).

L'agressivité est une tendance à attaquer. Ce terme caractérise le dynamisme d'un sujet qui s'affirme. Le terme d'agressivité se caractérise en tant qu'une disposition essentielle qui permet à l'enfant d'obtenir la satisfaction de ses besoins vitaux. L'agressivité peut être étroitement liée à la frustration (Le Dictionnaire de

Psychologie de Norbert Sillamy, 1999).

D'après la compagnie Philippe Genty qui explique la théorie du conflit intérieur humain et de son expression à travers les personnages dans les arts du spectacle. Selon Genty, l'accent est mis sur l'interaction entre le personnage animé et celui qui le contrôle, qui sert de reflet ou d'incarnation du conflit. Ce concept explore les aspects intérieurs et extérieurs de l'acteur, en soulignant les luttes et les tensions qu'il vit. La théorie souligne la fascination pour la question du conflit de l'homme avec lui-même. (Jurkowski, 2008). Les peurs ressenties et les désirs refoulés confrontent les chocs visuels.

Le concept discuté par Bensky (2000) est que l'esprit a la capacité de prédire et de contrôler la représentation des images mentales.

Les fantasmes humains favorisent l'extériorisation de plusieurs éléments qui sont :

- L'objet regardé,
- La plasticité,
- La quantité de significations.

Synthèse

En résumé, selon les théories psychanalytiques, la pulsion agressive est une composante de la structure psychique des pulsions, elle lutte continuellement contre le sentiment d'infériorité.

Pour Bandura, la théorie de l'apprentissage social est composée

de trois éléments :

1- Le rôle des processus vicariants,

2- Symboliques

3- Autorégulateurs.

Ces théories sont fondées sur un travail d'observation active d'un modèle, et la construction des formes comportementales semblables au modèle perçu et les dépasse en introjectant de nouvelles caractéristiques. Et c'est cette théorie de Bandura qui soutient le plus cette recherche. Anderson et Burgess pensent, comme Bandura, que l'enfant punis par ses parents se servira des mêmes tactiques.

Les enfants qui présentent des comportements agressifs sont au nombre de 8 dont 6 sont des garçons et 2 sont des filles.

Enfants agressifs	Sexe	Age
Enfant 1	Masculin	8
Enfant 2	Masculin	8
Enfant 3	Féminin	8
Enfant 4	Masculin	8
Enfant 5	Masculin	9 et demi
Enfant 6	Masculin	9 et demi
Enfant 7	Féminin	8 et demi
Enfant 8	Masculin	8 et demi

Les procédures de l’exécution

Le travail en groupe a lieu 1 fois par semaine, pour 1 heure de temps. L’estimation du temps total de tout l’atelier étant de 10 séances.

Avant la construction des groupes, il est important de créer un lien entre les enfants, de les préparer à l’échange, d’enrichir les interrelations entre eux et le travail en équipe.

La manières d’explorer l’interaction :

- Les enfants collaborent à une situation type, chacun d’entre eux choisissant sa place.
- Une jeune présente un scenario.
- Un autre enfant peut se rejoindre à eux spontanément.
- Puis un troisième…
- Par groupe de 4 à 5 enfants, ils collaborent à l’élaboration de leur scénario.

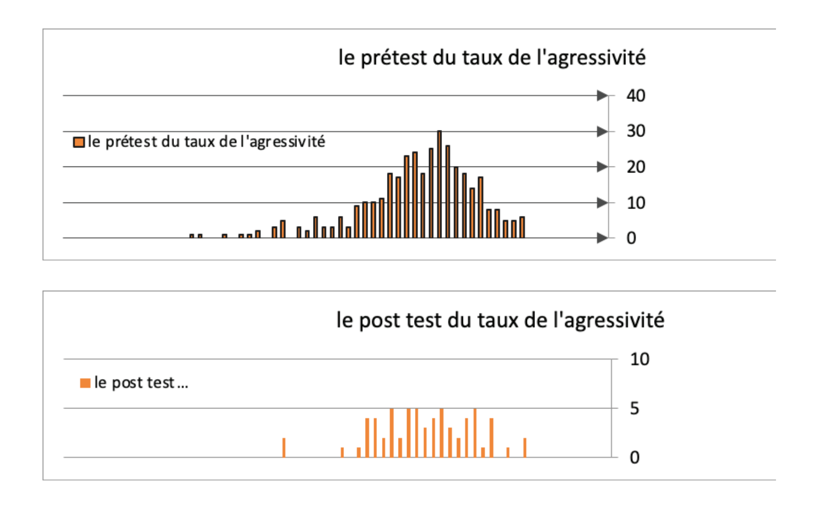
L’enfant peut choisir son scénario joué.

Dans le domaine de l’interaction humaine, le concept de groupe revêt une grande importance. Il englobe l’idée d’individus qui se réunissent pour collaborer, apprendre et contribuer sans causer d’interférences ou de perturbations pour les autres. Il englobe également l’expérience inestimable de créer quelque chose collectivement et de comprendre progressivement les avantages de la vie en communauté. Cette interaction entre le domaine de l’imagination et le monde réel nous permet de passer au domaine

du symbolisme.

Selon Serge Lebovici le psychologue joue avec l'enfant selon un scénario choisi par l'enfant lui-même mais son rôle est de manipuler et d'orienter les contenus et d'aider l'enfant à reconstruire son psychisme et de liquider les conflits ressentis. (Duflot, 2011).

VI - Les résultats obtenus



Les résultats ont montré que le travail en groupe de 5 a eu un effet significatif sur la réduction des émissions totales de l'agressivité (t= -3,23, P<0,004), mais n'ont pas d'effet significatif sur l'agressivité physique (t=0,6 P< 0,55). Selon les résultats de cette étude, la thérapie par groupe peut réduire le comportement agressif des enfants par l'effet du fonctionnement exécutif et de la régulation émotionnelle.

Les résultats obtenus suite à la possibilité de l'exécution du travail évoqué puisque l'expression verbale et gestuelle obtenue

par le travail en groupe permet un défoulement et une libération des pensées, des idées, des émotions et des sentiments de l'enfant, puis son évacuation de ses conflits relationnels afin de les régler et les réorganiser dans son noyau social.

Durant cette activité l'enfant peut traverser consciemment et inconsciemment d'une situation passive à une place interactive.

Les facteurs des antécédents personnels, familiales, scolaires et sociales interviennent dans les réactions de l'enfant face à la communication inter et intra groupe.

Cette stratégie d'intervention peut mener à plusieurs renforcements, acquisitions et développements du point de vue psychique, émotionnel et mental, comme la maturité psychique, l'affirmation de soi, la digestion des conflits inconscients, la restauration du moi et du narcissisme.

Le but étant de pousser les enfants, dans la limite du possible, à expulser leurs ressentis, à essayer de mettre des dire ce qui les perturbe.

Les techniques utilisées mènent à diminuer et à maîtriser l'agressivité présente chez les enfants. Les enfants ont pu exprimer pleinement, se sentir mieux, maitriser leurs comportements et par la suite se comporter conformément aux règles avec des conduites convenables. Les activités en groupe est un type de jeu qui mène aux relations sociales altruistes et coopérationnelles.

Les enfants peuvent choisir l'accompagnement préféré.

De ce fait, cette approche encourage les enfants et à s'affirmer

dans leur milieu, à apprendre l'interaction sociale avec les pairs.

Le jeu représente un moyen fondamental qui permet à l'enfant de manifester les émotions positives et négatives. Le jeu guide à reconnaitre et à investir les émotions positives (Casal et Jacob, 2011).

Les activités ludiques permettent aux enfants à apprendre les liens interactifs et constructifs psychiquement et socialement, et à contrôler les difficultés relationnelles auxquelles ils font face.

En résumé, les résultats attendus sont de pouvoir apporter une nouvelle activité, de diminuer autant que possible les comportements agressifs des enfants, d'améliorer les relations intra personnelles des enfants et les relations entre les enfants et les éducateurs et de créer un environnement positif intra scolaire.

En plus, cela leur permet d'acquérir de nouvelles caractéristiques comme celles de forger personnalité et de respecter les autres en plus de se sensibiliser au travail en équipe.

VII - Conclusion

Dans cet article, je ne pourrai considérer tous ces champs théoriques au risque de les traiter trop superficiellement. C'est pourquoi je me suis concentrée sur l'enfant lui-même, sur la place du corps dans la résolution des conflits psychiques. Car, pour moi, c'est sur cela que nous pouvons intervenir.

Nous tentons tous de fuir une réalité interne ou externe qui dépasse notre capacité intellectuelle, par l'action et parfois de façon inacceptable.

Selon Joyce Mcdougall c'est « l'économie psychique qui est la décharge rapide de toute tension interne ». Lorsque la tension psychique interne est trop forte et que la personne est en incapacité de mentaliser, le sujet, peut avoir recherche de très fortes sensations parfois inadéquat et inaccepté socialement. Ces agressions sont ressenties comme une solution pour diminuer ces tensions internes.

Dans l'imaginaire collectif, le jeu, représente un substitut qui permet aux enfants en souffrance, avec de grandes fragilités, de s'exprimer, d'apprendre et d'acquérir des nouvelles compétences parce que les activités ludiques les soulagent parfois de leur mal-être.

L'objectif de cette recherche est donc de résoudre le problème de l'agressivité présente chez les enfants de la classe de EB3 à l'école officielle Bourj Hammoud. L'agressivité se manifestait de différentes manières et dans différentes situations. On s'est posé plusieurs questions quant à la cause de la persistance de ces comportements et sur l'efficacité de la solution apportée pour résoudre le problème. On s'est tendu vers la médiation du jeu dans le processus psychologique, et plus spécifiquement vers le travail en groupe.

La procédure du travail englobait un travail en groupe et des entretiens individuels. Le travail en groupe contient plusieurs étapes dont chacune a ses propres bénéfices. Ces étapes sont la familiarisation avec la technique (le cercle de rencontre) la construction du groupe, l'interaction des étudiants, la mise en

jeux du temps de parole.

Grâce aux résultats obtenus, cet article a pu montrer l'importance de la capacité d'apprendre et d'encourager le travail en groupe. Il a la capacité d'aider les enfants à élaborer leurs sentiments douloureux. Donc les hypothèses sont confirmées.

Cette méthode favorise l'expression de réponses émotionnelles archaïques et négatives et aide les enfants à sortir de l'angoisse et du sentiment de culpabilité qui les ronge. En effet, l'enfant peut prendre conscience de ses émotions, des émotions de ses pairs et peut être soutenu par l'expression de ses tendances agressives.

VIII - Bibliographie

- Abgrall, M.G. (2007). Violences en petite enfance, pour une prévention opportune. Toulouse : Erès.
- Adler, A. (2002). Le sens de la vie. Paris : Editions Payot & Rivages.
- Adler, A. (1908). La pulsion d'agression dans la vie et dans la neévrose. Progrès de la médecine.
- Adler, A. (1997). La connaissance de l'homme. Paris : Petite Bib. Payot.
- Adler, A. (1992). Le tempérament nerveux. Paris : Petite Bib. Payot.
- Bandura, A. (1980). L'apprentissage social (Vol. 83). P. Mardaga.
- Chardonnens, E. et Brouze, C. et Bonnet-burgener, C. (2007). Prévenir la violence des jeunes. Lausanne : FAVRE.
- Claudel, P. (1926). Lettre au professeur Miyajima.
- Freud, S. (1971). Malaise dans la civilisation. Paris : PUF.
- Freud, S. (1920). Au-delà du principe de plaisir. In: Essais de psychanalyse. Paris : Petit Bibliothèque Payot.
- Freud, S. (1995). Trois essais sur la théorie sexuelle. Paris : flammarion.
- Genty, P. (1991). La porte de l'imaginaire. Puck : Des corps dans l'espace.

- Gergen, K.et Gergen, M. (1981). Psychologie sociale (traduit par S. Jutras, et C. Champagne, et C. Hamel). Editions Etudes Vivantes.
- Klein, M. (1929). « La personnification dans le jeu des enfants », Essais de psychanalyse, (traduit par M. Derrida) 1921-1945, Paris, Payot, 1984
- Klein, M. (1993). La Psychanalyse des enfants. Paris : PUF.
- Laplanche, J. et Pontalis J. (2007). Vocabulaire de la psychanalyse. Paris : PUF.
- Tisseron, S. (2012). Violence et agressivité, une distinction essentielle. La mutuelle de la santé et du social.